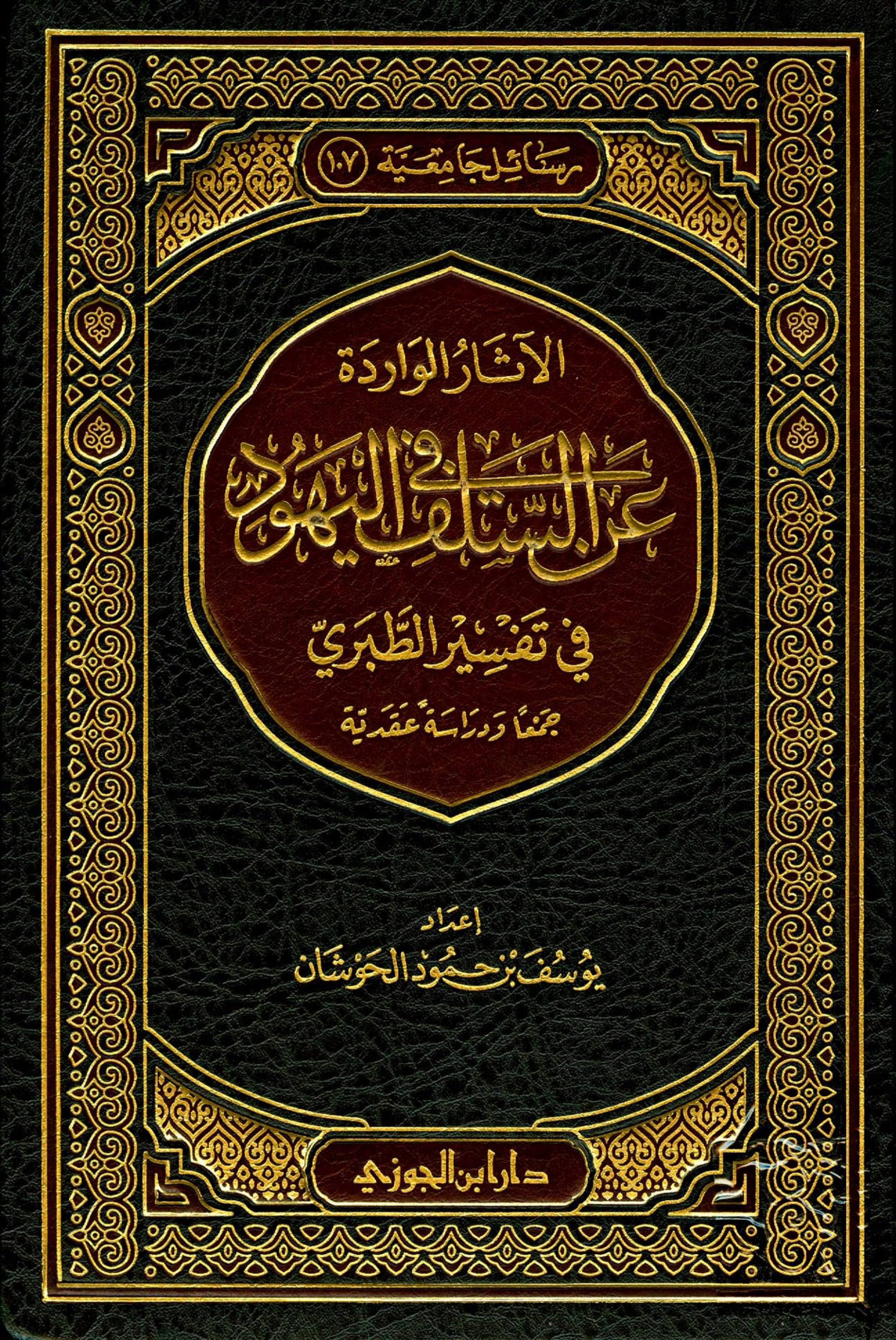
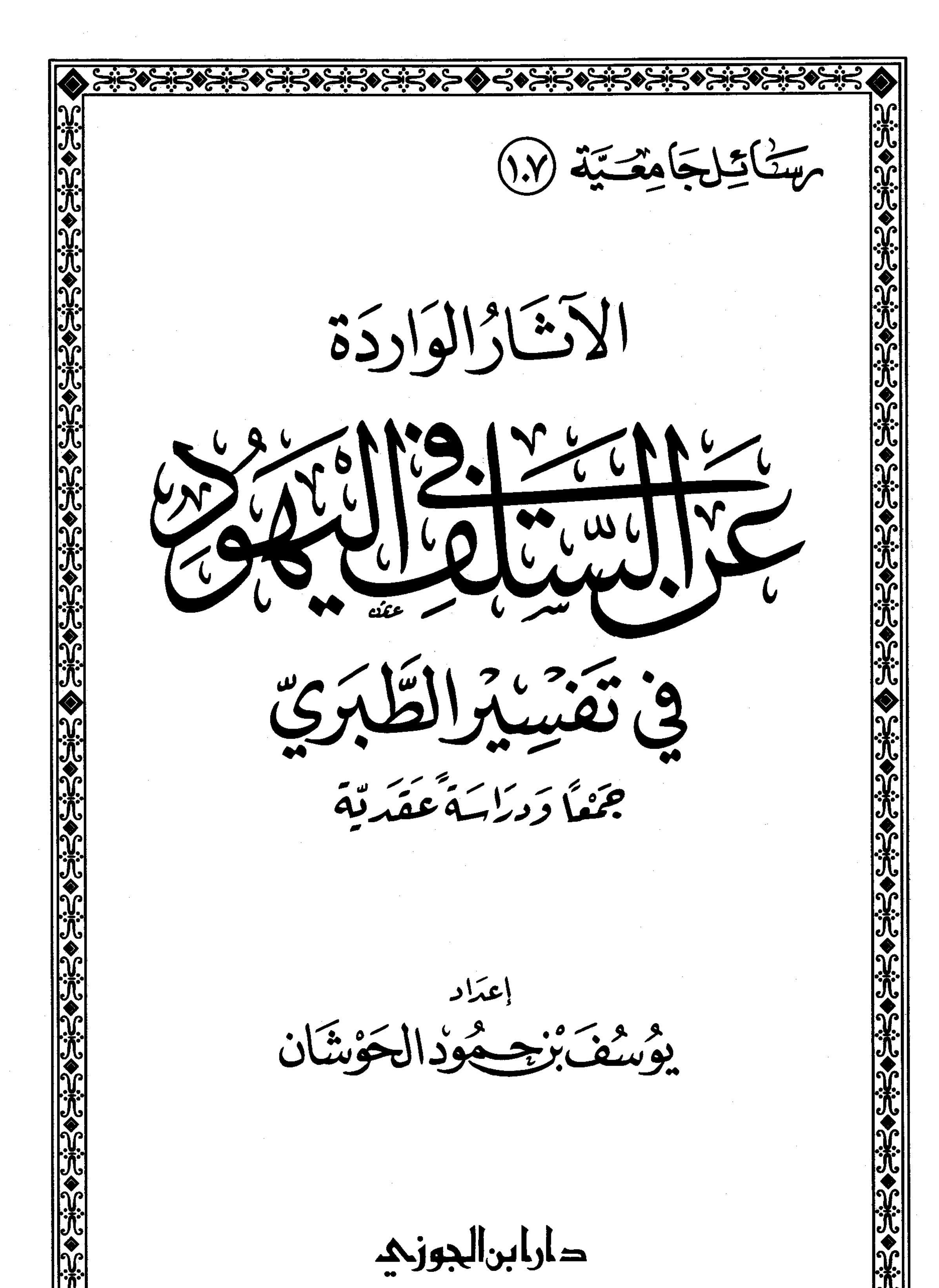
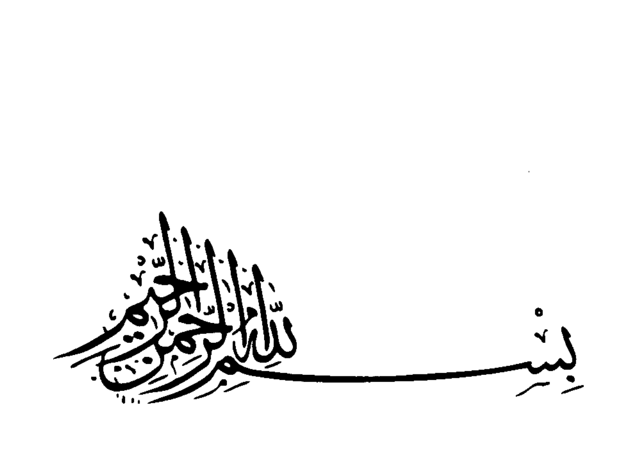
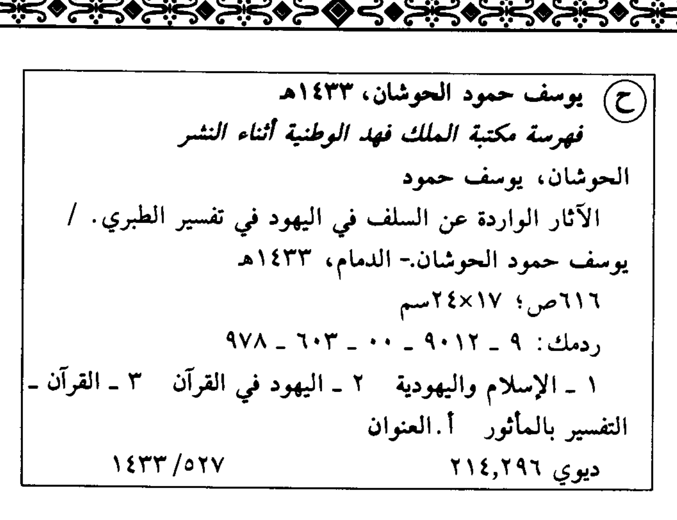

رسائل جامعية ١٠٧
الآثار الواردة
عن السلف في اليهود
في تفسير الطبري
جمعاً ودراسة عقدية
إعداد
يوسف بن حمود الحوشان
دار ابن الجوزي


رسائل جامعية (١٠٧)
الآثار الواردة
عن السلف في اليهود
في تفسير الطبري
جمعاً ودراسة عقدية
إعداد
يوسف بن حمود الحوشان
دار ابن الجوزي



أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه مقدمة لكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في العقيدة والمذاهب المعاصرة وأجيزت بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى بإشراف أ. د. يوسف عبد الغني نعيم وعضوية أ.د. ناصر عبد الكريم العقل وأ. د. أحمد بن عطية الغامدي


ح) يوسف حمود الحوشان، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحوشان، يوسف حمود

الآثار الواردة عن السلف في اليهود في تفسير الطبري. / يوسف حمود الحوشان.- الدمام، ١٤٣٣هـ

٦١٦ص؛ ١٧×٢٤سم

ردمك: ٩ ـ ٩٠١٢ ـ ٠٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

١ ـ الإسلام واليهودية ٢ ـ اليهود في القرآن ٣ ـ القرآن ـ التفسير بالمأثور أ. العنوان

ديوي ٢١٤,٢٩٦ ١٤٣٣/٥٢٧

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - طريق الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣، ص ب: ٢٩٨٢ الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - تلفاكس: ٢١٠٧٢٢٨ - جوّال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨ الإحساء - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٣٤١٩٧٣ - ٦٨١٣٧٠٦ - ٠٥٦٣٤٧٦٣٨٨ - بيروت - هاتف: ٠٣/٨٦٩٦٠٠ - فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ - القاهرة - ج.م.ع - محمول: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٨٣ - تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠ - الإسكندرية - ٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣ - البريد الإلكتروني:

aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com

مقدمة

الحمدُ لله وحده لا شريك له، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

والحمد لله الذي هدانا صراطاً مستقيماً، غير صراط المغضوب عليهم ولا الضالين، والحمد لله الذي أرسل لنا رسولاً منا يتلو علينا آيات الله ويزكينا ويعلِّمنا الكتاب والحكمة، فأخذ عنه صحابته عقيدة صافية غير مشوبة، بيضاء نقية، وتلقاها تابعوهم من سلف هذه الأمة فنقلوا لنا ما أُثر عن الرسول ﷺ وعن صحابته وبلَّغوها خَلَفاً عن سَلَف.

وقام من أئمة السلف من جمع هذه الآثار والأقوال السلفية النقية في مؤلفات عظيمة، بيَّنوا لنا فيها أصول الدين وأحكامه منهم: الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله في كتابه الحافل **«جامع البيان عن تأويل آي القرآن»** الذي يعد عمدة التفاسير المأثورة عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين.

وقد قام بعض الزملاء الباحثين في جمع مرويات السلف وأقوالهم في عدد من أبواب الاعتقاد؛ كالربوبية والألوهية وأصول الإيمان واليوم الآخر وغيرها من الأبواب.

وهناك جانب مهم وعظيم في هذا الكتاب الحافل وهو جانب الأديان والفرق وما ورد عن السلف من آثار في اليهود وغيرهم، حيث جاءت آثار كثيرة في بيان حال هؤلاء، فاخترت أن أكتب في هذا الموضوع وهو:

«الآثار الواردة عن السلف في اليهود في تفسير الطبري»

(جمعاً ودراسة عقدية)

❑ أسباب اختيار الموضوع:

أولاً: أهمية الكتاب وتميزه في جمع آثار السلف في العقيدة، والرد على المخالفين ونحو ذلك.

ثانياً: مكانة مؤلفه رحمه الله عند أهل العلم وثنائهم عليه.

ثالثاً: الكتابة عن أشد الناس عداوة للذين آمنوا، الذين أمرنا الله أن نستعيذ من طريقهم في كل صلاة، بل في كل ركعة، فقال آمراً عباده المؤمنين: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة].

رابعاً: المادة الغزيرة من آثار السلف في هذا المصنف الكبير، فقد أورد الطبري رحمه الله مثلاً أكثر من (٥٠٠) أثر في سورة البقرة فقط في شأن اليهود.

خامساً: بيان فهم السلف لهذه الأديان وتفسيرهم للآيات الواردة الكثيرة في كفرهم وعنادهم ومخالفتهم لشرع الله، وجمع ما تفرق من كلامهم في مكان واحد، واستجلاء مناهج السلف وأقوالهم ومواقفهم من اليهود.

سادساً: التعرف على أثر اليهود عبر التاريخ في الإفساد وعصيان الله ونقض العهود، وعلاقتهم بالمنافقين وعداوتهم للمسلمين.

سابعاً: الفائدة العظيمة التي يجنيها الباحث في قراءة هذا الكتاب بدقة، والوقوف على كنوزه، وجمع ما تفرق منها في هذا الموضوع المهم.

ثامناً: الأخذ بنصيحة بعض مشايخنا ـ أسعدهم الله في الدارين ـ في استكمال هذا المشروع وخدمة هذا الكتاب العظيم بعد تسجيل الزملاء السابقين لموضوعاتهم.

❐ خطة البحث:

التمهيد: وفيه:

ترجمة موجزة للإمام الطبري.

التعريف «بجامع البيان عن تأويل آي القرآن» وقيمته العلمية.

عرض مجمل لحديث القرآن عن اليهود.

الروايات الإسرائيلية في التفسير.

الباب الأول: (الآثار الواردة عن السلف في حقيقة اليهود وأبرز صفاتهم).

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الآثار الواردة في حقيقة اليهود. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الواردة في تسميتهم.

المبحث الثاني: الآثار الواردة في منزلتهم ونعم الله عليهم.

المبحث الثالث: الآثار الواردة في عقاب الله لهم.

الفصل الثاني: الآثار الواردة في أبرز صفات اليهود. وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الواردة في قسوة قلوبهم.

المبحث الثاني: الآثار الواردة في اتباعهم الهوى.

المبحث الثالث: الآثار الواردة في تزكيتهم أنفسهم.

المبحث الرابع: الآثار الواردة في نقضهم العهود.

المبحث الخامس: الآثار الواردة في كذبهم وافترائهم.

المبحث السادس: الآثار الواردة في حسدهم.

الباب الثاني: الآثار الواردة عن السلف في عقيدة اليهود في أصول الإيمان.

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: الآثار الواردة في عقيدة اليهود في الإيمان بالله.

الفصل الثاني: الآثار الواردة في عقيدة اليهود في الإيمان بالملائكة.

الفصل الثالث: الآثار الواردة في عقيدة اليهود في الإيمان بالكتب.

الفصل الرابع: الآثار الواردة في عقيدة اليهود في الإيمان بالأنبياء.

الفصل الخامس: الآثار الواردة في عقيدة اليهود في الإيمان باليوم الآخر.

الباب الثالث: الآثار الواردة عن السلف في موقف اليهود من النصرانية والإسلام.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الآثار الواردة في موقف اليهود من النصرانية. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الواردة في موقفهم من مريم عليها السلام.

المبحث الثاني: الآثار الواردة في موقفهم من عيسى عليه السلام.

المبحث الثالث: الآثار الواردة في موقفهم من النصارى.

الفصل الثاني: الآثار الواردة في موقف اليهود من المسلمين. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الواردة في موقفهم من الرسول ﷺ.

المبحث الثاني: الآثار الواردة في موقفهم من المسلمين.

المبحث الثالث: الآثار الواردة في علاقة اليهود بالمنافقين.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

المراجع والفهارس المتنوعة.

☐ منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج التالي:

١ ـ قمت بقراءة التفسير من أوله إلى آخره، قراءة متأنية واستخرجت منه جميع الآثار المروية عن السلف، مما له صلة باليهود من قريب أو بعيد، ثم قمت بقراءة هذه الآثار مرة أخرى واستبعدت كل ما ظهر لي عدم صلته بالموضوع، أو كانت صلته بالموضوع ضعيفة.

٢ ـ رتبت هذه الآثار المروية عن السلف في اليهود، حسب خطة البحث السابقة.

٣ ـ رتبت الآثار المتعلقة بالمبحث الواحد حسب ترتيبها في تفسير الطبري في الأعم الأغلب، ذاكراً أولاً الآية التي ورد في تفسيرها ذكر الأثر؛ وذلك ليهتدي القارئ إلى الأثر في تفسير الطبري مهما كانت طبعة الكتاب التي لديه. وقد أقدّم بعض الآثار على خلاف ترتيبها في التفسير لمعنى يقتضيه.

٤ ـ احتفظت بأرقام هذه الآثار حسب طبعة دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٥هـ ـ. وإذا لم يكن له رقم في التفسير وضعت له الرمز التالي: O

٥ ـ أوردت الآثار كاملة، إلا إذا كان الأثر طويلاً جداً، فأكتفي بموضع الشاهد منه.

٦ ـ ترجمت لقائلي الآثار ترجمة موجزة، دون غيرهم من رجال السند، لكونهم المعتمد على قولهم في البحث. وجعلت هذا في ملحق في نهاية البحث.

٧ ـ وثقت الأثر، خاصة من الكتب المسندة؛ كتفسير ابن أبي حاتم، وعبد الرزاق، وإن لم أجده فيهما فإني أوثقه من السنن والمسانيد والمصنفات وغيرها، خاصة تفسير الدر المنثور للسيوطي، لاحتوائه على غالب التفسير بالمأثور خاصة الكتب المفقودة منها، ثم من تفسيري القرطبي وابن كثير، ثم من فتح الباري وتاريخ دمشق، ناقلاً ما أقف عليه من أقوال العلماء في الحكم عليه.

ولم أقم بدراسة الأسانيد والحكم عليها ـ رغم أهميته ـ لأن القيام بذلك يستغرق وقتاً طويلاً جداً عند المختصين، فكيف بغيرهم. لكني حرصت على ذكر ما وقفت عليه من حكم أهل العلم بالحديث على الأثر، وخاصة المتقدمين منهم كالحافظ ابن كثير وابن حجر؛ لأن النفس تطمئن إلى تصحيح المتقدمين، فإن لم أجد لهؤلاء حكماً استفدت من حكم المتأخرين؛ كعلامة مصر الشيخ أحمد شاكر رحمه الله، وعلامة الشام الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله، ووجدت أن الدكتور حكمت بشير ياسين في موسوعته النافعة في التفسير المسمَّاة «الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور»، قد جمع ذلك كله فكان هو المرجع الرئيس في الآثار الصحيحة والحسنة، وكذلك استفدت مما وقفت عليه من أحكام بعض المحققين لكتب السُّنَّة.

٨ ـ عملت دراسة لتلك الآثار، ركزت فيها على فهم السلف للآيات الواردة في اليهود مع إيراد الأحاديث النبوية الموضحة لها وكلام أئمة السلف من المفسرين خاصة الإمامين ابن جرير الطبري وابن كثير عليهما رحمة الله، ولم أطل فيما كانت دلالته على المسألة واضحة.

٩ ـ عزوت الآيات إلى سورها، وجعلت العزو في المتن لئلا أثقل الحاشية بكثرة الحواشي وخاصة أن الآيات كثيرة في البحث.

١٠ ـ خرجت الأحاديث التي في الدراسة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بتخريجه منهما، وإن لم يكن كذلك فإني أخرجه من السنن والمسانيد والمصنفات.

١١ ـ ترجمت لأهم الأعلام الذين ورد ذكرهم في أبواب البحث. كما ترجمت لأصحاب الآثار في ملحق خاص في نهاية البحث ترجمة مختصرة.

١٢ ـ عرَّفت بالفرق والأماكن التي ورد ذكرها في البحث.

١٣ ـ شرحت المفردات الغريبة الواردة في البحث كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

١٤ ـ في تخريج الأحاديث، والآثار، وترجمة الأعلام، والتعريف بالفرق، وشرح الغريب من الألفاظ، أذكر ذلك في أول موضع يرد فقط، تجنباً للتكرار، ولا أشير إلى مكان ذلك، مكتفياً بعمل فهرس للأعلام في آخر البحث لمن أراد الوقوف على أماكن تكرار وورود العَلَم في البحث.

١٥ ـ اعتمدت في استخراج الآثار طبعة دار الفكر ١٤٠٥هـ.

١٦ ـ وحرصاً على الاختصار في الحواشي، اقتصرت في التخريج على ذكر طرف من أسماء الكتب، ولم أتكثر بها لكثرة الآثار وحصول المقصود ببعضها.

وبعد فقد بذلت في هذا البحث قدر وسعي، ومبلغ طاقتي، ومع ذلك فإني لم أوف الموضوع حقه، ولا أدعي الإصابة فيما كتبت لقول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، ولقوله ﷺ: **«كل بني آدم خطَّاء، وخير الخطائين التوابون»**[1]، فما كان في البحث من صواب فمن الله وحده وبتوفيقه وفضله، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي،

(١) رواه الترمذي (٢٤٩٩).

وأستغفر الله منه، وجزى الله خيراً من رأى فيه اختلافاً فأرشدني إليه لأصلحه، أو رأى خطأً فدلني على تصويبه أو صوّبه.

وفي الختام، فإني أحمد الله وأشكره على توفيقي وهدايتي لهذا الموضوع، وأن أتم الله عليَّ فضله ومنَّته بإنجاز هذا البحث وإتمامه، وإني لأدعو الله لوالدَيَّ بالمغفرة على ما بذلاه من حسن تربية، وأقول رب ارحمهما كما ربياني صغيراً.

ثم أزجي شكري الوافر الجزيل، وعظيم تقديري، لفضيلة شيخي المشرف على هذا البحث الأستاذ الدكتور: يوسف عبد الغني نعيم على ما أولاني إيّاه من عناية ورعاية، في تواضع جمٍّ، وخُلق رفيع، فجزاه الله خيراً على ما بذله وأسداه من نصح وتوجيه، وبارك في عمره وأحسن مثوبته، وجعل ذلك في موازين حسناته، إنه سميع قريب.

كما أشكر ـ أيضاً ـ كل من أعانني في بحثي هذا من المشايخ والزملاء سواءً كان ذلك بفائدة علمية، أو إعارة كتاب، أو غير ذلك. وأخص منهم أخي في الله سعود بن عبد العزيز العقيل على مساعدته لي وفقه الله وذريته للخير.

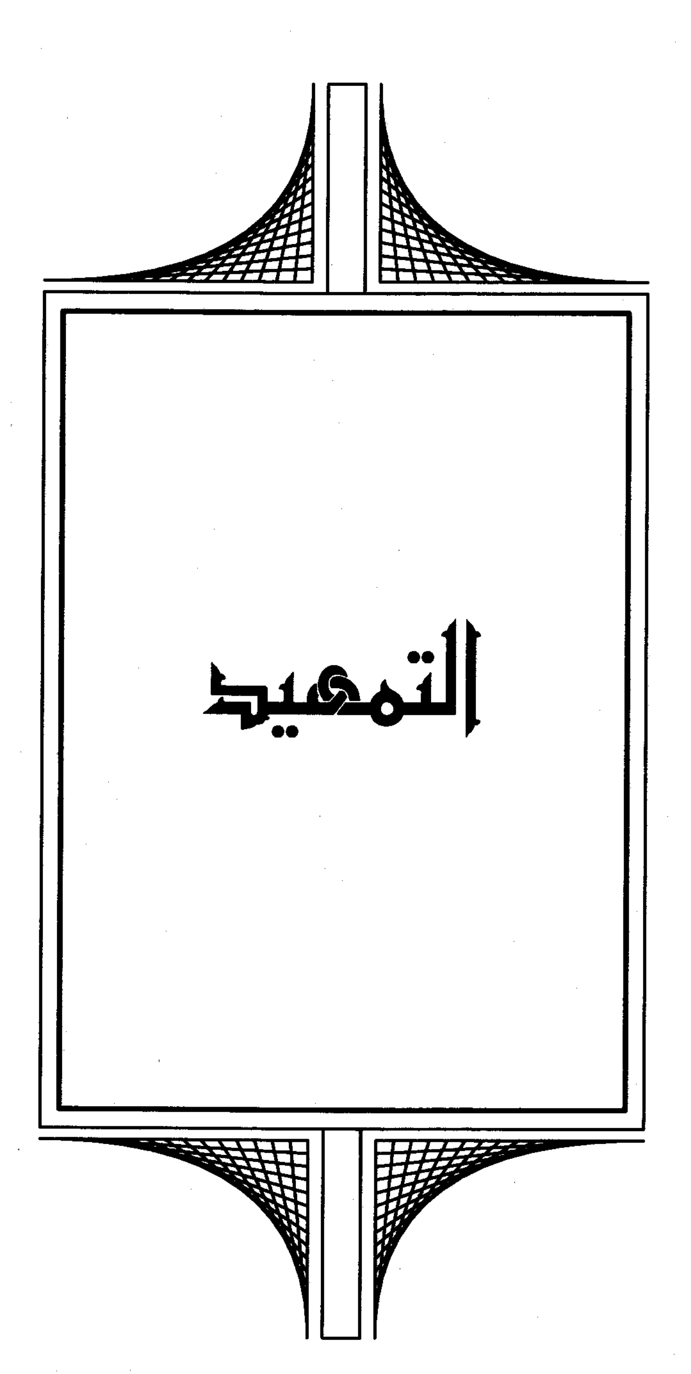
وأخيراً لا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في كلية أصول الدين وفي قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة منها، وذلك لمنحي هذه الفرصة لإعداد رسالتي هذه.

وأسأل الله ﷻ أن يجعل أعمالنا صالحة، ولوجهه الكريم خالصة، وأن لا يجعل لأحد فيها شيئاً، كما أسأله ﷻ أن يوفقنا لما يرضيه، وأن يجنبنا سخطه ومعاصيه، وأن يعيذنا من فتنة القول والعمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

✍ وكتبه

يوسف بن حمود الحوشان





التمهيد

ترجمة الطبري[1]

....

(١) اختصرت ترجمة الإمام الطبري هنا لكثرة الدراسات التي قدمت عنه وعن جهوده العلمية ـ في كتب ورسائل جامعية ـ واشتملت على ترجمة وافية له. **ومن تلك الدراسات، عدة رسائل علمية مثل:**
١ ـ القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره والرد عليه ـ رسالة الماجستير قدمها الشيخ محمد عارف عثمان الهرري عام ١٤٠٣ ـ ١٤٠٤هـ ـ. وقد طوّل في ترجمة الطبري حيث بلغت ٨٤ صفحة من الرسالة.
٢ ـ استدراكات ابن كثير على ابن جرير في تفسيره، رسالة الدكتوراه، قدمها الشيخ أحمد عمر عبد الله الغاني، عام ١٤٠٥هـ. واستغرقت الترجمة ٤٠ صفحة.
٣ ـ استدراكات ابن عطية في المحرر الوجيز على الطبري في تفسيره ـ رسالة الدكتوراه ـ، قدمها الشيخ شايع بن عبده بن شايع الأسمري، عام ١٤١٧هـ. وقد اختصر في الترجمة.
وهناك دراسات أخرى عنه، منها:
٤ ـ الطبري، للدكتور أحمد محمد الحوفي، بحث من سلسلة أعلام العرب رقم (١٣). وقد قدم ترجمة مستفيضة للطبري.
٥ ـ الطبري ومنهجه في التفسير، للدكتور محمود بن الشريف، وقد اعتمد كثيراً في الترجمة على ما سطره ياقوت الحموي في معجم الأدباء.
٦ ـ الإمام الطبري، شيخ المفسرين، وعمدة المؤرخين، ومقدم الفقهاء المحدثين، صاحب المذهب الجريري، للدكتور محمد الزحيلي، بحث من سلسلة أعلام المسلمين رقم (٣٣). وهو بحث نفيس لرجوع المؤلف إلى مصادر غزيرة، بلغت ٩٠ مصدراً.
٧ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، سيرته، عقيدته، ومؤلفاته، للشيخ علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، تكلم المؤلف عن سيرة الطبري بشيء من التفصيل، وطبع عام ١٤١٧هـ. هذا بالإضافة إلى الترجمة المقدمة من قبل بعض الناشرين أو المحققين لكتب الطبري؛ كترجمة الشيخ محمد محمود الحلبي، مدير شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، في مقدمة التفسير، وترجمة العلامة المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم في مقدمة تاريخ الطبري.
=

١ ـ نسبه:

هو محمد بن جرير بن يزيد، وإلى جده اتفق المؤرخون في نسبه ثم اختلفوا، فمنهم من قال: (يزيد هذا هو ابن كثير بن غالب)، وعلى هذا الرأي جمهرة المحققين من المؤرخين ولم يتوقفوا في هذا بل قطعوا به.

ومنهم من قال: إن يزيد هو ابن خالد[١].

على أن أبا جعفر نفسه رحمه الله تعالى لم يكن يزيد في نسبه اسماً آخر على أبيه فقد سأل سائل عن نسبه فقال: محمد بن جرير قال السائل: زدنا في النسب فأنشده بيت رؤبة[٢] بن العجاج:

قد رفع العجاج ذكري فادعُني ... باسمي إذا الأنساب طالت يكفني

= أما ترجمته في كتب التراجم:
الأعلام (٦/ ٦٩)، إنباه الرواة (٣/ ٨٩)، الأنساب (٤/ ٤٦)، البداية والنهاية (١١/ ١٤٥ ـ ١٤٦)، تاريخ الأدب العربي (٣/ ٤٥)، تاريخ التراث العربي (١/ ٥١٨)، تاريخ بغداد (٢/ ١٦٢)، تاريخ دمشق (١٥/ ١٦٠)، دول الإسلام (١/ ١٨٧)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧)، شذرات الذهب (٢/ ٢٦٠)، طبقات الحفاظ (ص٣٠٧)، طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٠)، طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ١٠٦)، طبقات المفسرين للسيوطي (ص٩٥)، العبر في خبر من غبر (١/ ٤٦٠)، الفهرست (ص٣٣٤)، كشف الظنون (١/ ٤٣٧)، لسان الميزان (٥/ ١٠٠)، مرآة الجنان (٢/ ٢٦١)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٣/ ٢١٥)، معجم الأدباء (١٨/ ٤٠ ـ ٩٤)، معجم المؤلفين (٩/ ١٤٧)، ميزان الاعتدال (٣/ ٤٩٨)، النجوم الزاهرة (٣/ ٢٠٥)، هدية العارفين (٢/ ٢٦)، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٨٤)، وفيات الأعيان (٤/ ١٩١).

وتعتبر ترجمته عند ياقوت الحموي أقدم وأوسع ترجمة حيث بلغت ٥٠ صفحة من الكتاب. واعتمد ياقوت كثيراً في الترجمة على كتاب في سيرة الطبري، ألّفه عبد العزيز بن محمد الطبري، وكتاب لأبي بكر بن كامل، كما صرح بذلك في آخر الترجمة. انظر: معجم الأدباء (١٨/ ٩٤).

(١) انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٣٣٢) مطبعة السعادة.

(٢) هو: أبو محمد رؤبة بن العجاج، والعجاج لقب واسمه أبو الشعثاء عبد الله بن رؤبة البصري التميمي السعدي توفي سنة ١٤٥هـ. انظر: معجم الأدباء (١١/ ١٤٩ ـ ١٥٠).

❑ ٢ ـ الحالة السياسية والعلمية في عصره:

لقد عاش الطبري رحمه الله تعالى في عهد العباسيين بعد أن مضى من عصره الذهبي اثنان وثلاثون عاماً تقريباً، وفي هذه الفترة التي عاش فيها ابن جرير تولى الخلافة المعتصم بالله، وهو أبو إسحاق، محمد بن الرشيد بن المهدي بن المنصور، ولد سنة تسع وسبعين ومائة وبينه وبين أخيه المأمون تسع سنين، وكان في عهد أخيه المأمون والياً على الشام ومصر، وكان المأمون يميل إليه لشجاعته فولَّاه عهده وترك ابنه، وفي اليوم الذي توفي فيه المأمون ببلاد الروم بويع بالخلافة في ١٩ التاسع عشر من رجب سنة ٢١٨هـ، ولم يزل خليفة إلى أن توفي بمدينة سامراء في ١٨ الثامن عشر من ربيع الأول سنة ٢٢٧هـ، فكانت خلافته ثماني سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام[١].

ثم تولى بعده الخلافة الواثق: (٢٢٧ ـ ٢٣٢هـ) ويعتبر عهد الواثق نهاية العصر الذهبي للدولة العباسية، ثم تولى بعدهم في عصر نفوذ الأتراك المتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ)، والمنتصر (٢٤٧ ـ ٢٤٨هـ)، والمستعين (٢٤٨ ـ ٢٥٢هـ)، والمعتز (٢٥٢ ـ ٢٥٥هـ)، والمهتدي (٢٥٥ ـ ٢٥٦هـ)، والمعتمد (٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ)، والمقتصد (٢٧٩ ـ ٢٨٩هـ)، والمكتفي (٢٨٩ ـ ٢٩٥هـ)، والمقتدر (٢٩٥ ـ ٣٢٠هـ).

وقد عاش الطبري في عصر الدولة العباسية الذهبي، وفي عصر نفوذ الأتراك وانقسام البلاد الإسلامية إلى دويلات متفرقة، فيبدأ بعهد المتوكل إلى نهاية الدولة العباسية، وقد عاش الطبري في هذا العصر، ولكن هذا الضعف السياسي لم يؤثر على الحركة العلمية، فلقد سارت الحياة العلمية سيراً حسناً، وكان أصحاب الإمارات يكرمون العلماء ويتنافسون في إكرامهم، مما دفع بعجلة العلم والبحث إلى التقدم في مسيرته الطيبة.

---

(١) انظر: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية «الدولة العباسية»، تأليف: الشيخ محمد الخضري بك (ص٢٢٩).

أما الحياة العلمية في عهد الطبري: فهي حياة حافلة بالتصنيف والرواية، ودوِّنت أهم أقوال المذاهب الأربعة.

وكذلك النحو والصرف والعروض والأدب كلها قد سارت خُطَى مباركة، وقطعت شوطاً كبيراً.

٣ ـ حياته العلمية ونبوغه:

لم يكد أبو جعفر رحمه الله تعالى يبلغ السن الذي يؤهله للتعلم حتى عهد به والده إلى علماء (آمل)، وسرعان ما تفتَّح عقله وبدت عليه مخايل النبوغ وهو صغير، فقد قال: إني حفظت القرآن ولي سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين، وكتبت الحديث وأنا في التاسعة[1].

وكان هذا النبوغ المبكر حافزاً لأبيه على الجد في إكمال تعليمه، وخاصة أنه رأى رؤيا تفاءل من تأويلها، قال الطبري رحمه الله تعالى: رأى لي أبي في النوم أنني بين يدي رسول الله ﷺ، ومعي مخلاة مملوءة بالأحجار وأنا أرمي بين يديه.

وقصَّ رؤياه على المعبر فقال له: إن ابنك إن كبر نصح في دينه وذبَّ عن شريعته. ولم يطل حبس هذه الرؤيا عن الابن إذ أخبره بها أبوه فزادت من رغبته ونشاطه، وكان لها من الأثر على الابن المقبل على العلم الشيء الكثير، فاجتمع له ركنا التحصيل والتعليم وهما: الاستعداد الفطري، وتيسُّر العامل الكسبي مع توفيق الله وعونه.

٤ ـ شيوخه وتلاميذه:

أ ـ شيوخه:

لقد كان لتجوال الإمام الطبري في البلدان لطلب العلم أثر في كثرة شيوخه ومن أبرز أولئك الشيوخ:

---

(١) انظر: معجم الأدباء (١٨/ ٤٩).

١ ـ هناد بن السري التميمي الكوفي[١]، الإمام الزاهد الحافظ، توفي سنة ٢٤٣هـ. لقيه ابن جرير بالكوفة وروى عنه الحديث.

٢ ـ أحمد بن منيع البغوي[٢] البغدادي، الإمام الحافظ الثقة، يعد من أقران الإمام أحمد، توفي سنة ٢٤٤هـ، وقد روى عنه ابن جرير ببغداد لما فاته الأخذ عن الإمام أحمد.

٣ ـ محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب[٣] الإمام الحافظ، المتوفى سنة ٢٤٤هـ، سمع منه الطبري بالبصرة.

٤ ـ محمد بن عبد الأعلى الصنعاني[٤] البصري، أحد الحفاظ الثقات الكبار، مات سنة ٢٤٥هـ، والتقى به ابن جرير بالبصرة، وسمع منه وأخرج له في التفسير كثيراً.

٥ ـ محمد بن العلاء الهمداني[٥] أبو كريب الكوفي، المتوفى سنة ٢٤٧هـ، حافظ الكوفة المتقن، أكثر ابن جرير الرواية عنه، حتى قيل: إنه بلغ ما تلقاه عنه مائة ألف حديث[٦].

٦ ـ محمد بن حميد الرازي[٧] التميمي، المتوفى سنة ٢٤٨هـ، أحد الشيوخ الذين أكثر ابن جرير الرواية عنهم، فبلغ ما تلقاه عنه أكثر من مائة ألف حديث، وقد أخذ عنه التفسير والحديث في بلاد الري، وهو من أكثر الشيوخ الذين روى عنهم في تفسيره.

---

(١) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٦٥/ ١١٨).
(٢) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٨٣/ ١٢٧).
(٣) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١١/ ١٠٣/ ٣٢).
(٤) انظر ترجمته في: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة بيروت، ط الثانية، ١٤٠٣هـ (٢٥/ ٥٨١/ ٥٣٨٥).
(٥) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٩٤/ ٨٦).
(٦) انظر: معجم الأدباء (١٨/ ٥٢).
(٧) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٠٣/ ١٣٧).

٧ ـ محمد بن بشار العبدي[١] البصري، المعروف ببندار، المتوفى سنة ٢٥٢هـ، من مشاهير رواة الحديث، لقيه ابن جرير بالبصرة، وأكثر الرواية عنه.

٨ ـ سليمان بن عبد الرحمٰن بن حماد الطلحي[٢]، المتوفى سنة ٢٥٢هـ، أخذ عنه القراءات في الكوفة.

٩ ـ الربيع بن سليمان بن داود الأزدي[٣]، المتوفى سنة ٢٥٦هـ، لقيه ابن جرير عند دخوله إلى مصر، وأخذ عنه فقه الإمام الشافعي ومروياته.

١٠ ـ إسماعيل بن يحيى المزني[٤]، المتوفى سنة ٢٦٤هـ، صاحب الإمام الشافعي، أخذ عنه ابن جرير الفقه حين لقائه به في القاهرة.

١١ ـ أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني[٥]، الكوفي المعروف بثعلب، المتوفى سنة ٢٩١هـ، إمام نحاة الكوفة، أخذ عنه ابن جرير النحو والعربية وآدابها عندما ارتحل ابن جرير إلى الكوفة.

هؤلاء من أشهر شيوخ ابن جرير، الذين أخذ عنهم فنوناً من العلم، مما كان له الأثر الواضح والكبير فيما تركه من آثار ومؤلفات.

ب ـ تلاميذه:

تتلمذ على يد الإمام الطبري كثيرون، وروى عنه جمع غفير، ولعلّ سعة اطلاعه، وطول حياته، من أسباب كثرة تلامذته فمن أشهر تلامذته:

١ ـ القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف[٦]، قاضي الكوفة، ألّف كتاباً في ترجمة شيخه ابن جرير، نقل منه ياقوت الحموي كثيراً في «معجم الأدباء» عند ترجمته لابن جرير.

---

(١) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٤٤/ ٥٢).

(٢) انظر ترجمته في: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، دار الكتب العلمية بيروت، ط الثالثة ١٤٠٢هـ (١/ ٣١٤).

(٣) انظر ترجمته في: تهذيب الكمال (٩/ ٨٦/ ١٨٦٣).

(٤) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٩٢/ ١٨٠٩).

(٥) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥/ ١).

(٦) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٤٤/ ٣٢٣).

٢ ـ عبد العزيز بن محمد الطبري، وله كتاب في سيرة شيخه، نقل ياقوت كثيراً منه.

٣ ـ أبو إسحاق بن إبراهيم بن حبيب الطبري، مؤلف كتاب في التاريخ، موصول بكتاب الطبري، ضمَّنه من أخبار أبي جعفر وأصحابه شيئاً كثيراً، وله كتاب «الرسالة»، و«كتاب جامع الفقه»(١).

٤ ـ أبو الحسن أحمد بن يحيى بن علم الدين، وهو صاحب كتاب «المدخل إلى مذهب الطبري ونصرة مذهبه»، وكتاب «الإجماع في الفقه»، على مذهب أبي جعفر.

٥ ـ أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي(٢)، الإمام المقرئ المحدث النحوي، المتوفى سنة ٣٢٤هـ، أخذ عن ابن جرير القراءات.

٦ ـ الإمام الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني(٣)، المتوفى سنة ٣٦٠هـ، صاحب المعاجم الثلاثة: «الكبير، والأوسط، والصغير».

٧ ـ أبو أحمد عبد الله بن عدي(٤)، المتوفى سنة ٣٦٥هـ، والمشتهر بكتابه الجامع «الكامل في ضعفاء الرجال».

٨ ـ أبو الفرج المعافي بن زكريا النهرواني(٥)، المتوفى سنة ٣٩٠هـ، من أشهر علماء وقته يعرف بابن طرّار، وهو من أبرز تلاميذ ابن جرير، والمتأثرين به، شرح بعض كتب ابن جرير كـ«الخفيف في أحكام شرائع الإسلام» وغيره، وقد لازم ابن جرير وهو صغير، وسمع منه وأخذ عنه الفقه والتفسير.

٩ ـ علي بن عبد العزيز بن محمد الدولابي، مؤلف كتاب «القراءات»، وكتاب «أصول الكلام»، وكتاب «الأصول الأكبر»، وكتاب «الأصول الأوسط»، وكتاب «إثبات الرسالة».

---

(١) الفهرست لابن النديم (ص٣٢٨).
(٢) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧٢/ ١٢١).
(٣) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٦/ ١١٩/ ٨٦).
(٤) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٥٤/ ١١١).
(٥) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٤٤/ ٣٩٨).

١٠ ـ أبو مسلم الكجي[١].

❑ ٥ ـ مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

قال مسلمة بن قاسم: «كان حصوراً لا يعرف النساء، ورحل من بلده في طلب العلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة؛ سنة ست وثلاثين، فلم يزل طالباً للعلم مولعاً به، إلى أن مات».

قال أبو معبد عثمان بن أحمد الدينوري: «حضرت مجلس محمد بن جرير وحضر الفضل بن جعفر بن الفرات بن الوزير، وقد سبقه رجل، فقال الطبري للرجل: ألا تقرأ؟! فأشار إلى الوزير. فقال له الطبري: إذا كانت النوبة لك، فلا تكترث بدجلة ولا الفرات». قال العسقلاني في «اللسان» معلقاً: «قلت: وهذه من لطائفه وبلاغته وعدم التفاته لأبناء الدنيا».

قال الخطيب البغدادي في «تاريخه»: «وكان أحد أئمة العلماء، يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه؛ لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الخالفين، في الأحكام ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في «تاريخ الأمم والملوك»، وكتاب في «التفسير»، لم يصنف أحد مثله، وكتاب سماه «تهذيب الآثار»، لم أر سواه في معناه! إلا أنه لم يتمه، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة، واختيار من أقاويل الفقهاء، وتفرد بمسائل حفظت عنه.

وقال أيضاً: «سمعت علي بن عبيد الله بن عبد الغفار اللغوي، المعروف بالسمسماني يحكي أن: محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة».

---

(١) الفهرست لابن النديم (ص٣٢٨).

وقال أيضاً: «بلغني عن أبي حامد أحمد بن أبي طاهر الفقيه الإسفرائيني أنه قال: لو سافر رجل إلى الصين، حتى يحصل له كتاب «تفسير» (محمد بن جرير)، لم يكن ذلك كثيراً ـ أو كلاماً هذا معناه ـ».

وقال أيضاً: «أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد، قال: ثنا علي بن أحمد بن الصناع، وعبيد الله بن أحمد السمسار، وأبي: أن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟! قالوا: كم يكون قدره؟ فقال: ثلاثون ألف ورقة. فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه. فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة»[١].

وقال أبو بكر محمد بن إسحاق؛ يعني: ابن خزيمة: «قد نظرت في (التفسير) من أوله إلى آخره، وما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير، ولقد ظلمته الحنابلة».

قال الحسين بن علي التميمي ـ حسينك: «لما رجعت من بغداد إلى نيسابور سألني محمد بن إسحاق بن خزيمة فقال لي: ممن سمعت ببغداد؟ فذكرت له جماعة ممن سمعت منهم. فقال: هل سمعت من محمد بن جرير شيئاً؟ فقلت له: لا، إنه ببغداد لا يُدْخَلُ عليه؛ لأجل الحنابلة ـ وكانت تمنع منه ـ فقال: لو سمعت منه لكان خيراً لك من جميع من سمعت منه سواه»[٢].

وقال أبو علي الطوماري: «كنت أحمل القنديل في شهر رمضان بين يدي أبي بكر بن مجاهد إلى المسجد لصلاة التراويح، فخرج ليلة من ليالي العشر الأواخر من داره، واجتاز على مسجده فلم يدخله، وأنا معه، وسار حتى انتهى إلى آخر سوق العطش، فوقف بباب مسجد (محمد بن جرير)، ومحمد يقرأ (سورة الرحمٰن)، فاستمع قراءته طويلاً ثم انصرف. فقلت له: يا أستاذ! تركت الناس ينتظرونك وجئت تسمع قراءة هذا؟ فقال: يا أبا علي! دع

(١) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٣).
(٢) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٤)، والكامل في التاريخ (٧/ ٩).

هذا عنك، ما ظننت أن الله تعالى خلق بشراً يحسن يقرأ هذه القراءة. أو كما قال»[(١)].

وقال أبو العباس البكري ـ من ولد أبي بكر الصديق ـ: «جمعت الرحلة بين محمد بن جرير، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن هارون الروياني، بمصر، فأرملوا، ولم يبق عندهم ما يقوتهم، وأضر بهم الجوع فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه، فاتفق رأيهم على أن يستهموا، ويضربوا القرعة، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام، فخرجت القرعة على (محمد بن إسحاق بن خزيمة)، فقال لأصحابه: أمهلوني حتى أتوضأ وأصلي صلاة الخيرة. قال: فاندفع في الصلاة، فإذا هم بالشموع، وخَصِيٌّ من قبل والي مصر، يدق الباب، ففتحوا الباب، فنزل عن دابته فقال: أيكم محمد بن نصر؟ فقيل: هو هذا. فأخرج صرة فيها خمسون ديناراً، فدفعها اليه، ثم قال: أيكم محمد بن جرير؟ فقالوا: هو ذا. فأخرج صرة فيها خمسون ديناراً، فدفعها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن هارون؟ فقالوا: هو ذا. فأخرج صرة فيها خمسون ديناراً، فدفعها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن إسحاق بن خزيمة؟ فقالوا: هو ذا يصلي. فلما فرغ، دفع إليه الصرة، وفيها خمسون ديناراً، ثم قال: إن الأمير كان قائلاً بالأمس، فرأى في المنام خيالاً قال: إن المحامد طووا كشحهم جياعاً؛ فأنفذ إليكم هذه الصرار، وأقسم عليكم، إذا نفدت فابعثوا إليَّ أمدكم».

وقال محمد بن علي بن محمد بن سهل ابن الإمام: «سمعت أبا جعفر الطبري وجرى ذكر علي رضي الله عنه فقال أبو جعفر: من قال: أن أبا بكر وعمر ليسا بإمامي هدى أيش هو؟ فقال له ابن الأعلم: مبتدع. فقال له الطبري منكراً عليه: مبتدع؟! مبتدع؟! هذا يُقتل! من قال أن أبا بكر وعمر ليسا بإمامي هدى يُقتل، يُقتل»[(٢)].

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٤)، وتاريخ مدينة دمشق (٥٢/ ٢٠٠).

(٢) تاريخ مدينة دمشق (٥٢/ ٢٠١)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٥).

وقال الذهبي في «السير»: «الإمام، العلم، المجتهد، عالم العصر، صاحب التصانيف البديعة. أكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علماً، وذكاء، وكثرة تصانيف، قلَّ أن ترى العيون مثله، وكان من أئمة الاجتهاد».

وقال فيه أيضاً: «كان ثقة، صادقاً، حافظاً، رأساً في التفسير، إماماً في الفقه، والإجماع، والاختلاف، علَّامة في التاريخ، وأيام الناس، عارفاً بالقراءات، وباللغة وغير ذلك»(١).

قال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان»: «وإنما نبز بالتشيع؛ لأنه صحح حديث (غدير خم)، وقد اغتر شيخ شيوخنا أبو حيان بكلام السليماني فقال في الكلام على الصراط في أوايل تفسيره: وقال أبو جعفر الطبري وهو إمام من أئمة الإمامية: الصراط بحرف الصاد من لغة قريش إلى آخر المسألة.

ونبهت عليه لئلا يغتر به؛ فقد ترجمه أئمة النقل في عصره وبعده فلم يصفوه بذلك؛ وإنما ضره الاشتراك في اسمه، واسم أبيه، ونسبه، وكنيته، ومعاصرته، وكثرة تصانيفه، والعلم عند الله تعالى، قاله الخطيب»(٢).

ثم قال: «أقذع أحمد بن علي السليماني الحافظ؛ فقال: كان يضع للروافض. كذا قال السليماني، قال الذهبي: وهذا رجم بالظن الكاذب؛ بل (ابن جرير) من كبار أئمة الإسلام المعتمدين، وما ندَّعي عصمته من الخطأ، ولا يحل لنا أن نؤذيه بالباطل والهوى؛ فإن كلام العلماء بعضهم في بعض، لا ينبغي أن يتأتى فيه؛ ولا سيما في مثل إمام كبير»(٣).

❑ ٦ ـ عقيدته ومذهبه الفقهي:

الطبري من كبار أئمة أهل السُّنَّة والجماعة. ألف عدة كتب في بيان العقيدة الصحيحة والذب عنها: منها كتاب «صريح السُّنَّة»، و«التبصير في

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٠).
(٢) لسان الميزان (٥/ ١٠٠).
(٣) لسان الميزان (٥/ ١٠٠).

معالم الدين». ومن قرأ ما كتبه في مباحث العقيدة، عرف قدره ومنزلته. وتفسيره الذي بين أيدينا يعتبر من أجلِّ التفاسير لأهل السُّنَّة والجماعة.

ومجمل عقيدة الإمام الطبري رَحِمَهُ اللهُ نجده فيما كتبه في «صريح السُّنَّة» وأما مذهبه الفقهي، فكان على المذهب الشافعي في بداية أمره، ثم تبحر في المذاهب الفقهية الأخرى حتى صار إماماً في الفقه المقارن، إلى أن بلغ مرتبة المجتهد المطلق[1]. فصار له مذهب مستقل، يعرف بـ«الجريري»[2]، وتبعه أناس، كما قال ابن الأثير في ترجمة أبي الفرج المعافى بن زكريا المعروف بابن طرّار الجريري بفتح الجيم منسوب إلى محمد بن جرير الطبري لأنه كان يتفقه على مذهبه[3].

❑ ٧ ـ مؤلفاته:

أثنى الإمام الذهبي على الطبري، فوصفه بقوله: «وكان من أفراد الدهر علماً، وذكاء، وكثرة تصانيف. قل أن ترى العيون مثله»[4]. ومن نظر في مؤلفات الطبري، ليعجب من كثرتها، وتنوعها، ونفاستها.

وفيما يلي بعض مؤلفاته[5]:

١ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المعروف بتفسير الطبري[6]. سيأتي الحديث عنه بالتفصيل في المبحث التالي.

---

(١) انظر: معجم الأدباء (١٨/ ٥٣).

(٢) الإمام الطبري للزحيلي (ص١٦٢).

(٣) الكامل في التاريخ (٨/ ١٥).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧).

(٥) لمزيد من التفصيل، ينظر: معجم الأدباء (١٨/ ٤٢ ـ ٩٤)، وتاريخ الأدب العربي (٣/ ٤٦ ـ ٥١)، وطبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢١)، والطبري للحوفي (ص٨٩ ـ ٩٨)، والإمام الطبري للدكتور محمد الزحيلي (ص٥٠ ـ ٥٣)، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري للشيخ علي بن عبد العزيز الشبل (ص٩٤ ـ ١٢٠). ذكر الحوفي في كتابه ٢٨ كتاباً، وزاد عليه الدكتور الزحيلي بكتاب واحد، وهو «الرسالة في أصول الفقه». وأما الشيخ علي الشبل فقد ذكر ٣٧ كتاباً، ببيان مفصّل لكل كتاب، من حيث اسمه، ومحتواه، ونسخه، وطبعاته. وقد أجاد وأفاد.

(٦) طبع عدة طبعات، منها بتحقيق: الأستاذين محمود وأحمد شاكر ـ رحمهما الله ـ، وصل التحقيق إلى الآية: ٢٧ من سورة إبراهيم. وبقية التفسير لم يتم تحقيقه.

٢ ـ تاريخ الأمم والملوك أو تاريخ الرسل والأنبياء والملوك والخلفاء، المعروف بتاريخ الطبري[١].

٣ ـ كتاب ذيل المذيَّل[٢].

٤ ـ اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام، المعروف باختلاف الفقهاء[٣].

٥ ـ لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام.

٦ ـ الخفيف في أحكام شرائع الإسلام، وهو مختصر للكتاب السابق.

٧ ـ بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام.

٨ ـ تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار[٤]. توفي الطبري قبل تمامه.

٩ ـ آداب القضاة.

١٠ ـ أدب النفوس الجيدة والأخلاق النفيسة، أو أدب النفس الشريفة والأخلاق الحميدة. توفي الطبري قبل أن يتمّه.

١١ ـ كتاب المسند المجرّد. ولم يتمّه.

١٢ ـ الرد على ذي الأسفار.

١٣ ـ كتاب القراءات وتنزيل القرآن[٥].

١٤ ـ صريح السُّنَّة أو شرح السُّنَّة[٦].

---

(١) طبع عدة طبعات، أحسنها طبعة دار المعارف، بتحقيق: الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٢) طبع منه جزء باسم «المنتخب من كتاب ذيل المذيل»، وألحق في آخر تاريخه، بتحقيق: الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٣) طبع منه جزء، بتحقيق: د. فردريك كيرن، وهو مستشرق ألماني، وطبع بمصر بمطبعة الموسوعات سنة ١٣٢٠هـ.

(٤) طبع ما وُجد منه بتحقيق: الأستاذ محمود شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٥) يوجد منه نسخة خطية بالأزهر.

(٦) طبع الجزء الأخير من الكتاب في الهند سنة ١٣٢١هـ، ثم طبع بمصر. كما طبعه =

١٥ ـ التبصير في معالم الدين، أو تبصير أولي النهى ومعالم الهدى، وقد سمّي بـ«البصير في معالم الدين»[١].

١٦ ـ فضائل علي بن أبي طالب.

١٧ ـ فضائل أبي بكر وعمر. ولم يتمّه الطبري.

١٨ ـ فضائل العباس. ولم يتمّه أيضاً.

١٩ ـ مختصر مناسك الحج.

٢٠ ـ مختصر الفرائض.

٢١ ـ العدد والتنزيل.

وقد فصَّل القول في وصف مخطوطات ومطبوعات كتب الإمام الطبري الشيخ (علي بن عبد العزيز الشبل) ـ حفظه الله تعالى ـ في الترجمة التي جمعها للطبري في (١٣٢صفحة) والتي سمَّاها «إمام المفسرين والمحدثين والمؤرخين الطبري»، والصادرة عن (دار الوطن) في (الرياض) (سنة ١٤١٧هـ)، وفي تقديمه لكتاب الطبري «التبصير في معالم الدين».

❑ ٨ ـ وفاته:

توفي الإمام الطبري في بغداد سنة ٣١٠هـ[٢]، وعمره ست وثمانون سنة. بذل أكثر عمره لخدمة الدين والعلم، فجزاه الله عنا وعن سائر المسلمين خير ما يجزي به عباده المؤمنين الصالحين، ورحمه رحمة واسعة، وأدخله فسيح جناته.

ورثاه كثير من معاصريه منهم أبو سعيد[٣] بن الأعرابي بقوله:

= معلقاً على أجزاء منه الشيخ عبد الله بن حميد بمكة سنة ١٣٩١هـ، وحققها أخيراً بدر بن يوسف المعتوق. انظر: الطبري للحوفي (ص٩٥)، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري للشيخ علي الشبل (ص١٠٩ ـ ١١٠).

(١) طبع الكتاب بتحقيق: الشيخ علي بن عبد العزيز الشبل. ويرى المحقق أن تسمية الكتاب بـ «البصير في معالم الدين»، تصحيف ظاهر.

(٢) تاريخ بغداد (٢/١٦٦)، وطبقات الشافعية الكبرى (٣/١٢٦).

(٣) هو: أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم ابن الأعرابي مؤرخ من =

حدث مفظع وخطب جليل دق عن مثله اصطبار الصبور
قام ناعي العلوم أجمع لما قام ناعي محمد بن جرير
فهوت أنجم لها زاهواتي مؤذنات رسومها بالدثور
وغدا روضها الأنيق هشيماً ثم عادت سهولها كالوعور
يا أبا جعفر مضيت حميداً غير وَانٍ في الجد والتشمير
بين أجر على اجتهاد موفر موفور وسعي إلى التقى مشكور
مستحقاً به الخلود لدى جنة عدن في غبطة وسرور

ورثاه ابن دريد[1] بقصيدة منها:

لن تستطيع لأمر اللّه تعقيباً فاستنجد الصبر أو فاستشعر الحوبا
وافزع إلى كنف التسليم وارض بما قضى المهيمن مكروهاً ومحبوبا
أودى أبو جعفر والعلم فاصطحبا أعظم بذا صاحباً إذّاك مصحوبا
إن المنية لم تتلف به رجلاً بل أتلفت عَلَماً للدين منصوبا

تنبيه مهم: هناك من اسمه أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الرافضي. له عدة كتب، منها: كتاب «الرواة عن أهل البيت»، رماه بالرفض عبد العزيز الكتاني. وقال: هو من هو من الروافض صنف كتباً كثيرة في ضلالتهم له: كتاب «الرواة عن أهل البيت»، وكتاب «المسترشد في الإمامة»[2].

= علماء الحديث من أهل البصرة له كتاب الإخلاص. انظر: الأعلام (١/١٩٩ ـ ولد سنة ٢٤٤ ت٣٤٠هـ).

(١) هو: محمد بن الحسن بن دريد الأزدي من أزد عُمان من قحطان أبو بكر من أئمة اللغة والأدب صاحب المقصورة الدريدية ولد سنة ٢٢٣ ـ ٣٢١هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٦/٣٠٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٨٢)، ونوابغ الرواة في رابعة المئات (١/٨)، وهو في رجال الشيعة للمطهر المقدسي وصف ابن جرير الرافضي بأنه غير ابن جرير (العامي)؟

❑ التعريف بكتاب «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» وقيمته العلمية:

قدم الطبري لتفسيره بمقدمة تعتبر منهجاً لمن أراد تفسير الكتاب العزيز فيقول معرفاً بمنهجه: نحن في شرح تأويله، وبيان ما فيه من معانيه، منشئون ـ إن شاء الله ذلك ـ كتاباً، مستوعباً لكل ما بالناس إليه الحاجة من علمه جامعاً، ومن سائر الكتب غيره في ذلك كافياً، ومخبرون في كل ذلك، بما انتهى إلينا من اتفاق الحجة فيما اتفقت عليه الأمة، واختلافها فيما اختلفت فيه منه، ومبيِّنو علل كل مذهب من مذاهبهم، وموضِّحو الصحيح لدينا من ذلك، بأوجز ما أمكن من الإيجاز في ذلك، وأخصر ما أمكن من الاختصار فيه(١).

قال الحلبي في مقدمة «التفسير»: «وهو تفسير ذو منهج خاص: يذكر الآية أو الآيات من القرآن، ثم يُعْقِبها بذكر أشهر الأقوال التي أُثرت عن الصحابة والتابعين من سلف الأمة في تفسيرها. ثم يورد بعد ذلك روايات أخرى متفاوتة الدرجة في الثقة والقوّة، في الآية كلها، أو بعض أجزائها، بناء على خلاف في القراءة أو اختلاف في التأويل. ثم يعقّب على كل ذلك بالترجيح بين الروايات، واختيار أولاها بالتقدمة، وأحقها بالإيثار. ثم ينتقل إلى آية أخرى، فينهج نفس النَّهْج: عارضاً، ثم ناقداً، ثم مرجّحاً.

وهو إذ ينقد أو يرجّح، يردّ النقد أو الترجيح الى مقاييس تاريخه، من حال رجال السّند في القوة والضعف، أو إلى مقاييس علمية وفنية: من الاحتكام إلى اللغة التي نزل بها الكتاب، نصوصها وأقوال شعرائها، ومن نقد القراءة وتوثيقها أو تضعيفها، ومن رجوع إلى ما تقرّر بين العلماء من أصول العقائد أو أصول الأحكام، أو غيرهما من ضروب المعارف التي أحاط بها ابن جرير، وجمع مادة لم تجتمع لكثير غيره من كبار علماء عصره».

وقد نقل ابن جرير روايات عن أشهر مفسِّري الصحابة والتابعين؛ كابن عبَّاس رضي الله عنهما من خمسة طرق، وعن سعيد بن جبير من طريقين، وعن مجاهد من ثلاثة طرق أو أكثر في بعض المواضع، وعن قتادة بن دعامة من ثلاثة طرق،

---

(١) مقدمة التفسير.

وعن الحسن البصري من ثلاثة طرق، وعن عِكرمة من ثلاثة طرق، وعن الضحاك بن مزاحم من طريقين، وعن عبد الله بن مسعود ﷺ من طريق واحد. وذكر من التفاسير تفسير عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، وتفسير ابن جُريج، وتفسير مقاتل بن حيان، ولم يتعرّض لتفسير غير موثوق به، فانه لم يدخل في كتابه شيئاً من كتاب محمد بن السائب الكلبي، ولا مقاتل بن سليمان، ولا محمد بن عمر الواقدي؛ لأنهم عنده أظِنَّاء.

وقد ذاعت شهرة تفسير ابن جرير في الآفاق الإسلامية، وأصبح مضرب المثل في غزارة المادة، واستقامة المنهج.

قال السيوطي في الإتقان بعد أن ساق أسماء جماعة من المفسرين بالمأثور قبل الطبري: «وبعدهم ابن جرير الطبري، وكتابه أجلّ التفاسير وأعظمها».

ثم قال: فإن قلت: فأي التفاسير ترشد إليه، وتأمر الناظر أن يعوِّل عليه؟ قلت: تفسير الإمام أبي جعفر بن جرير الطبري، الذي أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يؤلف مثله. قال النووي في تهذيبه: كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف أحد مثله[(١)].

ثم اختلف بعد ذلك مناهج المفسرين، ولم يتقيدوا بالمنقول عن الصحابة والتابعين، وتميز كل تفسير منها بطابَع خاصّ غلب على صاحبه، فمنها ما عُنِيَ ببيان العقائد، ومنها ما اختصّ بالأحكام الفقهية، ومنها ما بالغ في شرح قصص القرآن، ومنها ما التزم بيان الخصائص الأسلوبية والبلاغية المرتبطة بالإعجاز، ومنها ما جمع أطرافاً من كل ذلك، ومن اللغة والنحو والإعراب. . . إلخ.

ولا يزال الناس حتى يومنا هذا يرومون تفسير الكتاب العزيز، ولا يكاد يخلو تفسير مما ألف في النصف الأوّل من القرن العشرين من معنى جديد، أو مذهب مستطرف.

---

(١) الإتقان (٢/ ١٦٠).

◻ عرض مجمل لحديث القرآن عن اليهود:

ختم الله ـ تبارك وتعالى ـ كتبه إلى العباد بكتابه «المعجز» الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكان فيه الوعظ والقصة والتوجيه والترغيب والترهيب وحكاية الأمم السابقة وبداية الخلق ونهايته وخبر الآخرة، فما فرط الرحمٰن في القرآن من شيء.

قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝٣٨﴾ [الأنعام].

وكان للأديان السابقة والأنبياء وأتباعهم نصيب من الكتاب العزيز.

والملاحظ أن بني إسرائيل كان لهم نصيب كبير نسبة إلى غيرهم بل يصعب أن تمر بجزء ليس فيه ذكرهم، ومن الإحصاءات في هذا الشأن أنهم ذكروا في نحو خمسمائة موضع، فكان خُمس القرآن حديثاً عنهم فيما يقرب من ستة أجزاء، وكان حديث القرآن عن اليهود؛ مذكراً لهم بنعم الله، عليهم من بداية دخولهم لمصر، في تفضيل ليوسف وإخوته أبناء إسرائيل نبي الله يعقوب عليه السلام، إلى تصوير لحالهم مع فرعون وقومه وما حصل لهم فيه من اضطهاد وقتل، ثم منة الله عليهم بإرسال موسى ودفاعه عنهم وتعليمهم الدين الحق وتفضيل الله لهم على عالمي زمانهم.

ثم خرج موسى ومعه هارون عليهما السلام ببني إسرائيل من مصر هرباً من بطش فرعون، وفصل القرآن ذلك في عدة سور من سور القرآن، انتهت بنجاتهم وإغراق فرعون ومن معه.

ثم بيَّن الله عنادهم، وما حصل منهم في سيناء، ولقاء موسى بربه، وعبادتهم للعجل، ثم حكم الله عليهم بالتيه، ثم ذهابهم إلى الأرض المقدسة، وقصَّ الله علينا في القرآن أخبار بعض أنبيائهم، وسيرهم مع أقوامهم، وما حصل من قتل وتكذيب، وأبان القرآن ونوّع في موقفهم من آخر أنبيائهم وهو عيسى ابن مريم عليه السلام، وقولهم فيه وأمه واتهامهم بالعظائم.

وقصَّ علينا بعض أخبار آحادهم، وما فيها من العبر؛ كأصحاب الجنة

وأهل القرية، وما في قصة هاروت وماروت، وغيرها مما هو داخل في الحديث عنهم.

وفي أثناء ذلك كان حديث القرآن منبهاً على صفاتهم التي ميزتهم: من قسوة القلب، والكذب، والحسد وأكل الربا، ونقض العهد وتحريف الكتاب، وقتل الرسل.

وكان الحديث عن موقفهم من بعثة سيد الخلق قبل الهجرة، وتعاونهم مع الكفار، أو بعد الهجرة وولادة النفاق بين أظهرهم وفي أحضانهم، وموالاتهم للكافرين، ونقضهم للعهود، والصد عن الدعوة الجديدة، وتشويه سيرة الرسول ﷺ، بل ومحاولة قتله.

وتحدث عن غزوات الرسول ﷺ لهم، وقتالهم، وأحكامه التي انتهت بقتل كثير منهم وإجلاء بقيتهم.

وكان خبر أصدق القائلين منصفاً لمن آمن منهم، مثنياً عليهم، ومحذراً في الوقت نفسه من موالاتهم والالتقاء معهم.

وجاء الحديث عن اليهود في السور المكية التالية: الأعراف، يونس، الإسراء، طه، الشعراء، القصص، غافر، الدخان.

وأطال عنهم في السور المدنية التالية: البقرة، وآل عمران، والمائدة، والمجادلة، والحشر، والصف، والجمعة.

❑ الروايات الإسرائيلية في التفسير:

لا تخلو كتب التفاسير غالباً من آثار مصدرها أهل الكتاب، وخاصة الرواية في عهد متأخري التابعين، وقد فصَّل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الضابط فيما يروى عنهم فقال ـ بعد أن ذكر أن الأحاديث الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد لا للاعتقاد ـ: فإنها على ثلاثة أقسام:

١ ـ **أحدها**: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذلك صحيح.

٢ ـ **والثاني**: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

٣ ـ والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيراً، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك.

كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت؟ وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى، إلى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم، ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الكهف].

فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا، فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضعف القولين الأولين، وسكت عن الثالث، فدل على صحته: إذ لو كان باطلاً لرده كما ردهما، ثم أرشد إلى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته، فيقال في مثل هذا: ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه؛ فلهذا قال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ أي: لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك، فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب.

فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف: أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام، وأن ينبه على الصحيح منها، ويبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته؛ لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته، فيشتغل به عن الأهم، فأما من حكى خلافاً في مسألة، ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص؛ إذ قد يكون الصواب في الذي تركه، أو يحكي الخلاف ويطلقه، ولا ينبه على

الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضاً، فإن صحح غير الصحيح عامداً فقد تعمد الكذب، أو جاهلاً فقد أخطأ، كذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته، أو حكى أقوالاً متعددة لفظاً ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معاً فقد ضيَّع الزمان، وتكثَّر بما ليس بصحيح، فهو كلابس ثوبي زور، والله الموفق للصواب(١).

ويعلل العلامة السعدي رحمه الله بقاء الروايات الإسرائيلية بقوله:

وهذه التفاسير التي توجد وتشتهر بها أقوال لا يعرف غيرها تنقل هذه الأقوال عن بني إسرائيل مجردة، ويغفل الناقل عن مناقضتها للمعاني الصحيحة تطبيقها على الأقوال، ثم لا تزال تتناقل وينقلها المتأخر مسلِّماً للمتقدم حتى يظن أنها الحق، فيقع من الأقوال الردية في التفاسير ما يقع(٢).

❐ موقف الطبري من الإسرائيليات:

معلوم عناية الإمام الطبري رحمه الله بأمر الإسناد وهي عناية فائقة، وقد التزم بذكر الأسانيد في جميع الأقوال التي أوردها في تفسيره. والذي يتأمل في هذا التفسير العظيم يجد هذا الإمام الجليل قد ذكر نحو أكثر من ثمانية وثلاثين ألف رواية مسندة في تفسيره؛ ما بين حديث وأثر(٣).

وقد علل العلامة محمود شاكر سبب ذكر الطبري للإسرائيليات، وهو أنه ما قصد بذكرها إلا تحقيق معنى لفظ، أو بيان سياق عبارة، فهو لم يسقها لتكون مهيمنة على تفسير آي التنزيل الكريم، بل يسوقها للغرض السابق. وأن استدلاله بها كان يقوم مقام الاستدلال بالشعر القديم(٤).

أورد الإمام الطبري بعض الإسرائيليات عن عدد الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت، وذلك عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦٦ ـ ٣٦٨). (٢) تيسير الكريم الرحمٰن (٢/ ٢٤٦).

(٣) حسب ترقيم طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، بلغ عدد الروايات في هذا التفسير بكامله ٣٨٣٩٧ رواية.

(٤) ينظر: جامع البيان (١/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤). ينظر: حاشية جامع البيان (١/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤).

دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، وقصد الطبري بإيرادها بيان معنى (ألوف)، هل هي بمعنى جمع (ألف)، أو بمعنى (مؤتلفون)[١].

وعلى ما سبق بيانه، فإن استدلال الطبري بالإسرائيليات لبيان معنى لفظ أو عبارة يعتبر من أحد الأسباب التي حملته على ذكر بعض الإسرائيليات في «تفسيره». ولكن هذا ليس في كل ما أورده من الإسرائيليات؛ لأن الكثير منها لا صلة لها بالاستدلال اللغوي. والأمثلة على هذا كثيرة جداً، يصعب حصرها. وعلى سبيل المثال، ما ذكره الطبري من الإسرائيليات في بيان المراد بالذين سُلّطوا على بني إسرائيل[٢].

والطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبين ـ أحياناً ـ نقده لبعض الأسانيد، من ذلك:

قوله: حدثنا موسى بن هارون، قال: حدثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وعن مرة عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وعن أناس من أصحاب النبي ﷺ. . .: ثم قال: «فإن كان ذلك صحيحاً ـ ولست أعلمه صحيحاً إذ كنت بإسناده مرتاباً. . .»[٣]. ونقده هذا الإسناد المتكرر في تفسيره يكفينا مؤنة الحكم عليه.

وأحياناً تكون صيغة الأداء من الصيغ المتعارف على ضعفها عند أهل الصناعة الحديثية؛ كحُدثت عن فلان، وروي عن فلان، وهذا كثير في تفسيره رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وأما نقده للمتن فواضح، وفيه نَفَس العالم الرباني الذي جعل مقياسه الوحيين.

كتنبيهه كثيراً على عدم الفائدة من الخوض في تفاصيل الأمور التي لم يبيِّنها القرآن الكريم ولا الأحاديث الصحيحة، وكثير من هذه التفاصيل من الإسرائيليات. مثاله:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، فقد ذكر الطبري الروايات الواردة في تعيين نوع الشجرة، وبيَّن أنه إذا علم لم ينفع العالِمَ به

---

(١) انظر: جامع البيان (٥/٢٦٦ ـ ٢٧٦). (٢) انظر: جامع البيان (١٥/٢١ ـ ٤٤).
(٣) ينظر: جامع البيان (١/٣٤٧ ـ ٣٤٨، ٣٥٤).

علمُه، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به[١]. وكذلك عند قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة]، فقد عقّب الطبري على الإسرائيليات الواردة في تعيين «البعض» من البقرة، بقوله: «ولا يضر الجهل بأي ذلك ضربوا القتيل، ولا ينفع العلم به»[٢].

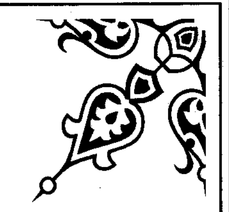
بقي أن يقال: إن الإمام الطبري ذكر الأسانيد وخرج من عهدتها، كما ذكر شيئاً من ذلك في «تاريخه» فقال: «فما يكن في كتابي هذا من خبرٍ ذكرناه عن بعض الماضين ممّا يستنكره قارئه، أو يَسْتَشْنِعُهُ سامعه، من أجل أنّه لم يعرفْ له وجهاً في الصِّحّة، ولا معنًى في الحقيقة، فلْيُعْلَم أنّه لم يُؤْتَ في ذلك مِن قِبَلنا، وإنّما أُتِيَ مِن قِبَل بعض ناقليه إلينا، وأنَّا إنّما أدّينا ذلك على نحو ما أُدِّيَ إلينا»[٣].

قال الأستاذ محمد حسين الذهبي: «ثم إن ابن جرير وإن التزم في تفسيره ذكر الروايات بأسانيدها، إلا أنه في الأعم الأغلب لا يتعقب الأسانيد بتصحيح ولا تضعيف؛ لأنه كان يرى ـ كما هو مقرّر في أصول الحديث ـ أن من أسند لك فقد حمَّلك البحث عن رجال السند ومعرفة مبلغهم من العدالة أو الجرح، فهو بعمله هذا قد خرج من العهدة...»[٤].

قال ابن حجر في ـ ترجمة الطّبرانيّ ـ: «أكثر المحدِّثين في الأعصار الماضية من سنة مائتين وهلمّ جرّاً، إذا ساقوا الحديث بإسناده، اعتقدوا أنّهم برئوا من عهدته»[٥].

---

(١) انظر: جامع البيان (١/ ٥٢٠ ـ ٥٢١).
(٢) انظر: جامع البيان (٢/ ٢٣١).
(٣) مقدمة تاريخ الأمم والملوك للطبري (١/ ١٣).
(٤) التفسير والمفسرون (١/ ٢١٢).
(٥) لسان الميزان (٣/ ٧٤).

الباب الأول

الآثار الواردة عن السلف في حقيقة اليهود وأبرز صفاتهم

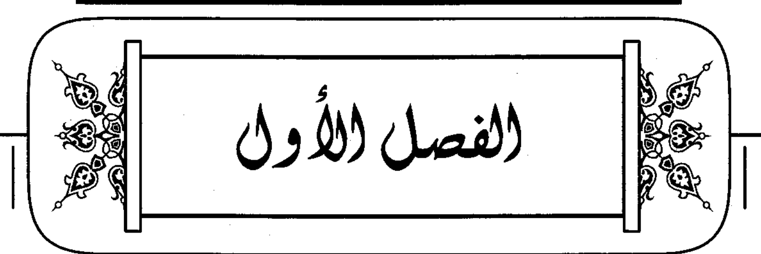
وفيه فصلان:

الفصل الأول: الآثار الواردة في حقيقة اليهود.

الفصل الثاني: الآثار الواردة في أبرز صفات اليهود.





الآثار الواردة في حقيقة اليهود

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الواردة في تسميتهم.

المبحث الثاني: الآثار الواردة في منزلتهم ونعم الله عليهم.

المبحث الثالث: الآثار الواردة في عقاب الله لهم.

المبحث الأول

الآثار الواردة في تسميتهم

❖ المطلب الأول ❖

تسميتهم ببني إسرائيل

أولاً: الآثـــار

✪ قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾ [البقرة].

(١) ٦٦٦ ـ حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء عن عمير مولى ابن عباس، عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن إسرائيل كقولك عبد الله[1].

(٢) ٦٦٧ ـ حدثنا ابن حميد قال: حدثنا جرير عن الأعمش عن المنهال عن عبد الله بن الحارث قال: إيل: الله بالعبرانية[2].

(٣) ٦٦٨ ـ حدثنا به ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾ قال: يا أهل الكتاب للأحبار من يهود[3].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٤٨)، تفسير الدر المنثور (١/ ١٥٣) إسناده ضعيف لضعف ابن حميد. انظر: تهذيب الكمال (٢٥/ ٩٧)، والتقريب (٢/ ٩٦).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٤٨)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٨٢)، فتح الباري (٨/ ١٦٥) إسناده ضعيف.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٩٥) إسناده ضعيف.

❖ المطلب الثاني ❖

تسميتهم باليهود

۞ قوله تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

(٤) ٩١٤ ـ حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: حدثني حجاج عن ابن جريج قال: إنما سُميت اليهود من أجل أنهم قالوا: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[1].

(٥) ١١٨٠٢ ـ قال: ثنا أبي عن شريك عن جابر عن عبد الله بن يحيى عن علي قال: إنما سُميت اليهود لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[2].

(٦) حدثني المثنى قال: ثنا عبد الله بن صالح قال: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ يعني: تبنا إليك[3].

(٧) حدثنا ابن البرقي قال: ثنا عمرو قال: سمعت رجلاً يسأل سعيداً: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ قال: إنا تبنا إليك[4].

❖ المطلب الثالث ❖

تسميتهم أهل الكتاب

۞ قوله: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة].

(٨) ٦٦٨ ـ حدثنا به ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣١٨)، (٩/ ٧٩)، تفسير الدر المنثور (١/ ١٨٢)، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥١).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٣١٨)، (٩/ ٧٩)، تفسير الدر المنثور (١/ ١٨٢)، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥١).

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٧٨)، تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٧٧)، صحيح البخاري (٤/ ١٦٩٥).

(٤) تفسير الطبري (٩/ ٧٨)، تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٧٧)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٥٧١).

قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ قال: يا أهل الكتاب للأحبار من يهود[1].

(٩) ١٤٨١ ـ حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة قال: حدثني ابن إسحاق. وحدثنا أبو كريب قال: ثنا يونس بن بكير قال: ثنا محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسداً إذ خصَّهم الله برسوله ﷺ، وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا، فأنزل الله فيهما: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٠٩﴾﴾ الآية [البقرة][2].

(١٠) ٥٦٧٨ ـ حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج عن ابن جريج قال: بلغنا أن نبي الله ﷺ دعا يهود أهل المدينة إلى ذلك فأبوا عليه فجاهدهم، قال: دعاهم إلى قول الله ﷻ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ الآية [آل عمران: ٦٤][3].

(١١) ٥٦٨٩ ـ حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ دعا يهود أهل المدينة إلى كلمة السواء، وهم الذين حاجُّوا في إبراهيم وزعموا أنه مات يهودياً. فأكذبهم الله ﷻ ونفاهم منه فقال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [آل عمران][4].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٩٥) إسناده ضعيف.
(٢) تفسير الطبري (١/ ٤٨٨)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٠٤)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٦٠) إسناده ضعيف.
(٣) تفسير الطبري (٣/ ٣٠٢)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٦٩)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٢٣٤).
(٤) تفسير الطبري (٣/ ٣٠٥)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٢٣٤)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

(١٢) ٦٠٤٤ ـ حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال: ثني محمد بن محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام ومنحوا فيه قالت أحبار يهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا أشرارنا ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم، وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٣] إلى قوله: ﴿وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[١].

(١٣) ٦٦٣٣ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا الثوري عن أبي الجحاف عن مسلم البطين قال: سأل الحجاج بن يوسف جلساءه عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران]، فقام رجل إلى سعيد بن جبير فسأله فقال: وإذ أخذ الله ميثاق أهل الكتاب يهود «ليبيننه للناس» محمد ﷺ ولا يكتمونه فنبذوه[٢].

(١٤) ٢١٦٢٣ ـ حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة قال: ثني محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان مولى آل الزبير عن عروة بن الزبير وعمن لا أتَّهم عن عبيد الله بن كعب بن مالك، وعن الزهري، وعن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وعن محمد بن كعب القرظي، وعن غيرهم من علمائنا: «أنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود منهم: سلام بن أبي الحقيق النضري، وحيي بن أخطب النضري، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٥٢)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٢٩٦) إسناده ضعيف.
(٢) تفسير الطبري (٤/ ٢٠٣)، تفسير عبد الرزاق (١/ ١٤١).

الوائلي، في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قدموا مكة على قريش فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله. فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه[1].

❖ المطلب الرابع ❖

تسميتهم بالعبرانيين

✿ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾ [يوسف].

(١٥) ١٤٧٣٩ ـ حدثنا ابن وكيع قال: ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدي: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾ قال: قالت المرأة لزوجها: إن هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس، يعتذر إليهم ويخبرهم أني راودته عن نفسه ولست أطيق أن أعتذر بعذري، فإما أن تأذن لي فأخرج فأعتذر، وإما أن تحبسه كما حبستني، فذلك قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾[2].

(١٦) ١٣٤٦ ـ حدثنا ابن حميد قال: ثنا جرير عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث قال: «إيل» الله بالعبرانية[3].

(١٧) ١٤٧٤٤ ـ حدثنا ابن وكيع قال: ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدي قال: لما دخل يوسف السجن قال: أنا أعبر الأحلام. فقال أحد

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٢٩) إسناده ضعيف.
(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٢١٣)، تفسير الدر المنثور (٤/ ٥٠٣).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٢٤٨)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٨٢)، فتح الباري (٨/ ١٦٥) إسناده ضعيف.

الفتيين لصاحبه: هلم نجرب هذا العبد العبراني نتراءى له! فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئاً. فقال الخباز: إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه، وقال الآخر: إني أراني أعصر خمراً[1].

(١٨) **٢١١٨٥** ـ حدثنا محمد بن المثنى قال: ثنا عثمان بن عمر قال: أخبرنا علي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية. فيفسِّرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون**»[2].

ثانياً: الدراسة

اليهود هم أمة موسى ﷺ واختلف في تسميتهم على أقوال:

١ ـ الهود التوبة، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]؛ أي: تبنا إليك، قاله النووي رحمه الله.

٢ ـ وقال غيره: هاد في اللغة معناه: مال، يقال: هاد هيادة وهوداً. وقال المبرد في قوله تعالى: ﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: ملنا إليك، ويقال لمن تاب: هاد؛ لأن من تاب من شيء مال عنه.

ثم اختلف فيما تابوا عنه:

١ ـ فقال الليث: سُميت اليهود يهوداً اشتقاقاً من هادوا؛ أي: تابوا من عبادة العجل، فعلى هذا القول لزمهم هذا الاسم في ذلك الوقت.

٢ ـ وقال غيره: سموا بذلك؛ لأنهم مالوا عن دين الإسلام، وعن دين موسى عليه السلام، فعلى هذا إنما سموا يهوداً بعد أنبيائهم.

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٢١٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٤٣)، تفسير الدر المنثور (٤/٥٠٣).

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٣)، تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٧٠)، تفسير الدر المنثور (٦/٤٦٩)، تفسير ابن كثير (٣/ ٤١٧).

٣ ـ وقال ابن الأعرابي: يقال: هاد إذا رجع من خير إلى شر، ومن شر إلى خير، وسُموا اليهود بذلك لتخليطهم وكثرة انتقالهم من مذاهبهم.

٤ ـ وحكي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: سُميت اليهود؛ لأنهم يتهوَّدون؛ أي: يتحركون عند قراءة التوراة، وعلى هذا: التهوُّد تفعُّل من الهَود بمعنى الحركة، يقال: هدته أهيده هيداً كأنك تحركه ثم تصلحه.

٥ ـ وقيل: اليهود معرَّب يهوذا بن يعقوب عليه السلام بالذال المعجمة، عُرِّب ثم نسب الواحد إليه.

٦ ـ ويقال: هاد إذا دخل في اليهودية، وتهوَّد إذا تشبه بهم ودخل في دينهم، وهوِّد إذا دعي إلى اليهودية، ومنه الحديث: **«فأبواه يهودانه»**[١].

وقال البخاري: «هادوا صاروا يهوداً، وأما قوله: ﴿هُدْنَآ﴾ تبنا هائد تائب»[٢].

وقال ابن منظور: «الهَوْدُ: التَّوْبَةُ، هادَ يَهُودُ هَوْداً وتَهَوَّد: تابَ ورجع إلى الحق فهو هائدٌ. وقومٌ هُودٌ: مِثْلُ حائِلٍ وحُولٍ وبازِلٍ وبُزْلٍ؛ قال أَعرابي: إِنِّي امرُؤٌ مِنْ مَدْحِه هائِدُ. وفي التنزيل العزيز: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: تُبْنا إِليك وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير وإِبراهيم. قال ابن سيده: عدّاه بإِلى؛ لأَن فيه معنى رجعنا، وسُميت اليهود اشتقاقاً من هادُوا؛ أَي: تابوا وأَرادوا باليَهُودِ اليَهُودِيِّينَ ولكنهم حذفوا ياء الإِضافة.

قال سيبويه: «وفي الحديث: **«كلُّ مَوْلُود يُولَدُ على الفِطْرَةِ حتى يكون أَبواه يُهَوِّدانِه أَو يُنَصِّرانِه»**[٣]؛ معناه: أَنهما يعلِّمانه دين اليهودية والنصارى ويُدْخلانه فيه. والتَّهْوِيدُ: أَن يُصَيِّرَ الإِنسانُ يَهُودِيّاً. وهادَ وتَهَوَّد إِذا صار يهودياً»[٤].

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٣/ ٣٥٧).
(٢) صحيح البخاري (٣/ ١٤٣٤).
(٣) رواه البخاري (١/ ٤٦٥) وله عدة روايات.
(٤) لسان العرب (٣/ ٤٣٩).

وهذا الذي دلَّل له علماء اللغة هو الذي وردت به الآثار عن السلف رحمهم الله فإضافة الى الآثار السابقة، أخرج ابن أبي حاتم بسنده إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «نحن أعلم الناس من أين تسمَّت اليهود باليهودية بكلمة موسى عليه السلام ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾، ولِمَ تسمَّت النصارى بالنصرانية من كلمة عيسى عليه السلام: ﴿كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾».

وقال: أنه المروي عن أبي الطفيل، وأبي العالية، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وإبراهيم التيمي، والنخعي، وعكرمة، وعطاء الخراساني، والربيع بن أنس، والضحاك، وقتادة[١].

وأخرج أبو الشيخ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «نحن أعلم الناس من أين تسمَّت اليهود باليهودية ولم تسمَّت النصارى بالنصرانية، إنما تسمَّت اليهود باليهودية بكلمة قالها موسى: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾، فلما مات قالوا هذه الكلمة كانت تعجبه فتسموا اليهود، وإنما تسمَّت النصارى بالنصرانية لكلمة قالها عيسى: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ قال الحواريون: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ فتسمّوا بالنصرانية»[٢].

وقد ورد ذكر اليهود في القرآن الكريم ثمان مرات بلفظة اليهود، وهو الاسم الذي يصفهم به الرسول ﷺ، وهو ما يطلق عليهم إلى اليوم.

❑ نشأتهم:

تعود بداية اليهود كأمة ذات تاريخ وعقيدة إلى تلك الفترة التي أرسل الله تعالى فيها نبيه موسى عليه السلام إليهم بالتوراة لهدايتهم وتخليصهم من عبادة ما سواه.

واليهود هم تلك الأمة التي نشأت في مصر إثر استقرار أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام فيها. فقد عاشوا فيها حياة مستقرةً منذ عهد يوسف بن يعقوب عليه السلام وتكاثروا في مصر وتناسلوا وصاروا الطبقة العاملة عند الأقباط.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٧٧).
(٢) تفسير الدر المنثور (١/ ١٨٢).

ثم إن فرعون رأى في منامه، كأن ناراً قد أقبلت من نحو بيت المقدس، فأحرقت دور مصر، وجميع القبط ولم تضر بني إسرائيل، فلما استيقظ هاله ذلك، فجمع الكهنة والحذقة والسحرة وسألهم عن ذلك فقالوا: هذا غلام يولد من هؤلاء يكون سبب هلاك أهل مصر على يديه، فلهذا أمر بقتل الغلمان وترك النساء، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ﴾ [الأعراف: ١٤١].

واستمر الحال على هذا إلى أن «شكا القبط إلى فرعون قلة بني إسرائيل بسبب قتل ولدانهم الذكور، وخشوا أن تتفانى الكبار مع قتل الصغار فيصيرون هم الذين يلون ما كان بنو إسرائيل يعالجون، فأمر فرعون بقتل الأبناء عاماً وأن يتركوا عاماً».

وفي عام المسامحة ولد هارون عليه السلام وفي عام القتل ولد موسى عليه السلام، وأراد الله تعالى لموسى أن يعيش في بيت فرعون نفسه، يقول عز وجل: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ﴾ [القصص].

وقد صدق الله وعده لأم موسى حينما بعثه إلى فرعون وبني إسرائيل يدعوهم لعبادته. حيث آمنوا به وخرجوا معه من مصر على إثر الاضطهاد الذي لحق بهم من فرعون مصر، ثم لم يلبثوا أن ارتدوا إلى عبادة العجل، يقول تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ﴾ [البقرة: ٩٣].

وبسبب قسوة قلوبهم وعصيانهم فرض الله تعالى عليهم التيه، قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٦﴾ [المائدة]. وفي هذه الفترة توفي موسى عليه السلام، ولم يدخل الأرض المقدسة ودخلها بنو إسرائيل بعد ذلك بقيادة نبي الله يوشع بن نون عليه السلام.

◻ الأسماء التي اشتهروا بها:

أُطلق على اليهود من خلال تاريخهم الطويل عدة أسماء مشهورة مثل:

١ ـ العبريين أو العبرانيين.

٢ ـ وأيضاً ورد في القرآن الكريم بعضاً من أسمائهم مثل: بنو إسرائيل.

٣ ـ وأهل الكتاب، الذي يطلق عليهم بالاشتراك مع النصارى.

٤ ـ وأما في العصر الحديث فقد ظهر لهم اسم آخر هو: بنو صهيون أو أحباء صهيون، ومنه: الصهيونيون.

ولكلٍّ من هذه الأسماء معنى وسبب من أجله سُمّوا به، ولكنها في النهاية تدل في الأغلب على أتباع الدين الذي جاء به موسى عليه السلام.

وتفصيلها كما يلي:

أولاً: اليهود:

هو من الأسماء المشهورة، ويستخدم للدلالة على أتباع موسى عليه السلام. وقد ورد ذكره في القرآن الكريم حوالي ثمان مرات بلفظة اليهود، وقد اختلف في اشتقاق هذه الكلمة على رأيين:

١ ـ **الأول**: أنها نسبة إلى صفة الندم والتوبة وهو الهود المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾، وهي بذلك تكون نسبة إلى كلمة عربية.

ومعنى هدنا: «أي: تبنا ورجعنا وأنبنا إليك»[1]، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ [البقرة: ١١١] يقول القرطبي: «وأجاز الفراء أن يكون هوداً بمعنى يهودياً حذف منه الزائد وأن يكون جمع هائد»[2]. وعند ابن منظور أن الهود هو: «التوبة هاد يهود هوداً وتهود: تاب ورجع إلى الحق فهو هائد... ... والهود: اليهود هادوا يهودون هوداً، وسُميت اليهود اشتقاقاً من هادوا؛ أي: تابوا... ... وهوَّد الرجل: حوَّله إلى ملة يهود، قال سيبويه: وفي الحديث: «**كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهوِّدانه**

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٣٤).

(٢) القرطبي (٢/ ٧٤).

أو ينصِّرانه»،(١) معناه: أنهما يعلمانه دين اليهودية والنصارى ويدخلانه فيه والتهويد أن يصير الإنسان يهودياً»(٢).

٢ ـ أما الرأي الثاني: أنه نسبة إلى اسم يهوذا وهو الابن الرابع ليعقوب عليه السلام «ويهوذا اسم عبري معناه حمد»(٣).

والكثيرون على أنه نسبة إلى الهود وهو التوبة والرجوع إلى الحق وهو الحق كما صح في الآثار. يذكر الشهرستاني ذلك فيقول: «هاد الرجل: أي: رجع وتاب، وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾(٤).

وقد وردت صيغ عديدة في القرآن لكلمة (اليهود):

هادوا: وقد وردت عشر مرات مسبوقة دائماً بالاسم الموصول: ﴿ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [النّحل: ١١٨].

هدنا: ووردت مرة واحدة في معرض إقرارهم وتوبتهم، وهم من اختارهم موسى للقاء الله.

هود: وردت ثلاث مرات وكلها في البقرة.

ثانياً: العبرانيون:

عُرف اليهود في تاريخهم القديم باسم العبريين، حيث لم تكن لفظتي اليهود، أو بني إسرائيل قد شاعتا بعد، واختلفت آراء الباحثين حول أصل التسمية على أقوال أهمها: نسبة العبريين إلى فعل العبور والتنقل. يقول الدكتور: أحمد سوسة: «وقد ظلت هذه التسمية؛ أي: تسمية عبري وعبراني تطلق على الجماعات من القبائل النازحة من البادية ومن جهة فلسطين إلى مصر، وعلى هذا الأساس صار المصريون يسمون الإسرائيليين بالعبرانيين باعتبارهم من تلك الجماعات البدوية»(٥).

(١) صحيح البخاري ح(١٣١٩).
(٢) ابن منظور، لسان العرب (١٥/ ١٥٥ ـ ١٥٦).
(٣) قاموس الكتاب المقدس، (ص١٠٨٥).
(٤) الملل والنحل (١/ ٢٥٠).
(٥) د. أحمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، الطبعة الخامسة، ١٩٨١م، =

ثالثاً: بنو إسرائيل:

سمَّى الله نبيه: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ: إسرائيل، فقال تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عمران]، وقد ذُكِرَ هذا الاسم في القرآن إحدى وأربعين مرة، خمساً وعشرين مرة في السور المكية، وستة عشر مرة في السور المدنية.

وجاء في تاج العروس: «وإسرال: هو مخفف عن إسرائيل، ومعناه: صفوة الله، وقيل: عبد الله وهو يعقوب ﷺ»[1]. وقال السدي: أن معناه: «سري الله»[2].

وأخرج الحاكم عن ابن عباس ﷺ: «... ولم يكن من الأنبياء من له اسمان إلا إسرائيل وعيسى ﷺ، فإسرائيل يعقوب وعيسى المسيح»[3].

أما بنو إسرائيل فهم: رأوبين ـ شمعون ـ لاوي ـ يهوذا ـ يساكر ـ زبولون ـ يوسف ـ بنيامين ـ جاد ـ أشير ـ دان ـ نفتالي[4].

وقد كوَّن هؤلاء ونسلهم ما عرف فيما بعد بالأسباط الاثني عشر، وفي عهد رحبعام بن سليمان انقسمت مملكة اليهود إلى قسمين:

١ ـ **أحدهما**: مملكة بني إسرائيل في الشمال، وعاصمتها شكيم، وتتكون من جميع قبائل بني إسرائيل ما عدا قبيلتي يهوذا وبنيامين اللتين كونتا المملكة الجنوبية.

= دار الحرية للطباعة، (ص٥٠٥). وفصل في التسمية د. رفقي زاهر، قصة الأديان، دراسة تاريخية مقارنة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، دار المطبوعات الدولية، (ص٣٣). وإسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، الطبعة الأولى، دار القلم ١٩٨٠م، بيروت، (ص٧٧).

(١) الزبيدي، تاج العروس، تحقيق: إبراهيم الترزي ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٢م، (١٠/٥٢).

(٢) تاريخ الطبري (١/١٩٢)، وقال في قصة يعقوب ﷺ: .. فكان يسري بالليل ويكمن بالنهار ولذلك سمي إسرائيل وهو سري الله.

(٣) المستدرك على الصحيحين (٢/٤٠٥)، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١/٢٤٣)، ورواه عن أبي العالية وغيره.

٢ ـ مملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم.

وعندما يطلق القرآن عليهم لفظ بني إسرائيل، فإن هذا يكون في معرض المدح لهم، والتذكير بفضل الله تعالى عليهم، ورضاه عنهم، وما ينبغي أن يكونوا عليه، يقول الله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة].

وينسب القرآن من آمن منهم إلى هذه النسبة مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الأحقاف]، في من قال أنها نزلت في عبد الله بن سلام رضي الله عنه كما في الصحيحين عن عامر بن سعد عن أبيه قال: «ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الأرض: إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام رضي الله عنه» قال: وفيه نزلت: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾[1]، ومن جنس قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء].

قال الطبري: «عنى بعلماء بني إسرائيل في هذا الموضع: عبد الله بن سلام ومن أشبهه ممن كان قد آمن برسول الله ﷺ من بني إسرائيل في عصره»[2].

واليهود اليوم يطلقون على أنفسهم بني إسرائيل وذلك للدلالات الدينية الخاصة حيث تربطهم بيعقوب نسباً، وحتى يخلعوا على أنفسهم بهذا الوصف معنى القوة والقدرة واكتساب صفات الغلبة، ليتيسر لهم أن يحيوا الحياة التي يريدون، وبالأسلوب الذي يحبونه، وتتعلق به عواطفهم ويتفق واستعدادهم»[3].

---

(١) رواه البخاري (٣٨١٢)، ومسلم (٢٤٨٣).
(٢) تفسير الطبري (١٩/ ١١٣).
(٣) صابر طعيمة، اليهود في موكب التاريخ، مكتبة القاهرة الحديثة، (ص٥٤).

وأما تفصيل جريمتهم الكبيرة وعدم تقديرهم لله تبارك وتعالى من وجهة نظرهم الخاطئة فهي كالتالي:

تنسب تسمية «إسرائيل» إلى يعقوب عليه السلام، حيث ترد في التوراة قصة مفادها أنه خاض عراكاً ضد رجل ـ يزعمون أنه الله، تعالى الله ـ حتى مطلع الفجر عند جدول صغير في منطقة الأردن يدعى «يبوق»، ولما رأى الرجل أنه لا يقدر عليه، طلب منه أن يُطلقه، فقال له: لا أطلقك حتى تباركني، فباركه وقال له: «لن يدعى اسمك يعقوب من بعد، بل إسرائيل؛ لأنك صارعت الله والناس وغلبت»[1].

ولفظة إسرائيل مكونة من كلمتين ساميتين قديمتين هما: (إسر): بمعنى غلب، و(إيل): أي: الإلـه أو الله، وقد أصبحت هذه التسمية مصدر فخر من الناحية القومية لبني إسرائيل وأصبحوا ينسبون أنفسهم لها فيقولون: «بيت إسرائيل» أو «آل إسرائيل» أو «بني إسرائيل»، وكثيراً ما يختصرون التعبير فيقولون: «إسرائيل» فقط كما رأينا في مأثور التلمود، والاسم العبري لفلسطين هو «إيرتس يسرائيل»، أي: «أرض إسرائيل».

وبالرغم من أن تيودور هرتسل زعيم الصهيونية السياسية، ورئيس المؤتمر الصهيوني العالمي الأول الذي عقد في مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧م، لم يتردد في تسمية كتابه المتضمن لدعوته هذه «دولة اليهود»، فإن هذه الدعوة الصهيونية آثرت عند الكتابة عن فلسطين أن تسميها: «أرض إسرائيل»، حرصاً على تأكيد انتماء هذه الأرض إلى من يزعمون أنهم أسلافهم الأوائل، وهم أبناء يعقوب، أو «بنو إسرائيل».

وعندما أعلنت الصهيونية قيام دولتها في فلسطين في ١٥ مايو/ أيار ١٩٤٨م، أطلقت عليها اسم «إسرائيل»، وطبع هذا الاسم في الأعداد الأولى من «الجريدة الرسمية» في رأس صحيفة تدعى «إسرائيل»، ولكن بعد أن قامت موجة من النقد تجاه هذه التسمية قامت الحكومة الإسرائيلية بتغيير الاسم إلى

---

(١) سفر التكوين ٢٠: ٢٣ وما بعدها.

«دولة إسرائيل»، وإن كان الشائع هو استخدام الاسم المختصر في جميع أجهزة الإعلام الإسرائيلية.

وقد فضل الصهاينة استخدام هذا الاسم «دولة إسرائيل» لدولتهم، بدلاً من الاسم الذي كان قد اختاره هرتسل وهو «دولة اليهود» **لأسباب نذكر منها**:

إيجاد تناسق بين اسم الدولة، والاسم العبري لفلسطين، وهو «أرض إسرائيل».

إيثار الصفة العنصرية الكافية في اسم إسرائيل على الصفة الدينية في لفظة اليهود.

عدم الرغبة في التذكير بالحدود القديمة لمملكة يهود البائدة، التي لم تكن تشمل إلا القسم الجنوبي من فلسطين من دون ساحل البحر، مما يمثل قيداً تاريخياً للمطامع التوسعية الاستعمارية للصهاينة الذين يريدون أن يضعوا تحت قبضتهم أوسع رقعة ممكنة من الوطن العربي.

وقد خلقت هذه التسمية عدة مشاكل أمام المشرِّعين الصهاينة، حيث انتقلت صفة الإسرائيلي من الشعب (وهي صفة مذكرة في العبرية) إلى الدولة (وهي صفة مؤنثة في العبرية)، وهو الانتقال الذي أدى إلى انطباق هذه الصفة على كل من يقيم داخل إسرائيل من العرب والمسلمين والنصارى، وأرغم السلطات الإسرائيلية على اعتماد هؤلاء العرب المقيمين فيها في عداد المواطنين الذين يتمتعون بالجنسية الإسرائيلية.

وقد أصبح اليهودي المقيم خارج إسرائيل، وفقاً لقانون العودة، الصادر في ٥ يوليو/ تموز ١٩٥٠م، هو الآخر «إسرائيلياً».

والخلاصة: أن الإسرائيلي وفق هذا المفهوم هو أولاً وأخيراً اليهودي المقيم في إسرائيل واليهودي المقيم خارج إسرائيل أيضاً، بشرط أن يكون صهيونياً متمسكاً بالولاء لإسرائيل، ومن هنا اكتسبت لفظة: «إسرائيل» في المصطلح السياسي المعاصر دلالة مختلفة تماماً عن الإسرائيلي قبل الصهيونية، والإسرائيلي في بداوة العبريين الأولى. وقد تجدر الإشارة إلى عدم الخلط في

إطار تحديد مفاهيم هذه الاصطلاحات بين اصطلاحات مثل: «دولة إسرائيل»، و«أرض إسرائيل».

إن «دولة إسرائيل» هي اصطلاح سياسي محدد، بينما «أرض إسرائيل» هي اصطلاح جغرافي، فدولة إسرائيل يمكن أن تمتد على كل «أرض إسرائيل» أو على جزء منها، أو حتى على أجزاء ليست تابعة «لأرض إسرائيل» (مثل: شرم الشيخ والجولان على سبيل المثال)، ودولة إسرائيل هي الإطار الحاسم بالنسبة للمبدأ الصهيوني(١).

رابعاً: أهل الكتاب:

هذا الاسم مما أطلق على اليهود ويشترك معهم فيه النصارى. وقد ورد ذكره في القرآن إحدى وثلاثون مرة، وقد عرَّفهم الشهرستاني بقوله: «الخارجون عن الملة الحنيفية، والشريعة الإسلامية، ممن يقول بشريعة وأحكام وحدود وأعلام، وقد انقسموا إلى من له كتاب محقق مثل: التوراة والإنجيل، وعن هذا يخاطبهم التنزيل بأهل الكتاب..»(٢).

وعلى تعريف الشهرستاني: هم إذن من أنزل عليهم كتاب سماوي وأرسل فيهم الرسل، وقد كان يقابلهم قبل بعثة محمد ﷺ الأميين الذين كانوا على عبادة الأوثان والأصنام، فأطلق عليهم هذا الاسم لتمييزهم عنهم، وقد ورد ذكر هذه التسمية في القرآن في معرض الإنكار عليهم، وتذكيرهم بما يجب أن يكونوا عليه، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية [آل عمران: ٦٤]. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [آل عمران] وغيرها من الآيات. ولكن سياق

---

(١) د. عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ١٩٧٥م. وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، له أيضاً. الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني، ١٩٨٤م.

(٢) الملل والنحل (١/ ٢٤٧).

الآيات وأسباب النزول الواردة فيها تحدد ـ غالباً ـ المقصود بأهل الكتاب.

خامساً: بنو صهيون:

وهذا أيضاً من الأسماء التي تطلق على اليهود، وهو ما تنتسب إليه غالب طوائف اليهود اليوم، وكلمة صهيون هي نسبة الى المنطقة أو الجبل المطل على البيت المقدَّس. كما في الأثر الذي ساقه الطبري بسنده عن وهب بن منبه قال: «لما اشتملت مريم على الحمل كان معها قرابة لها يقال له: يوسف النجار، وكانا منطلقين إلى المسجد الذي عند جبل صهيون، وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم، فكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك المسجد في ذلك الزمان، وكان لخدمته فضل عظيم، فرغبا في ذلك فكانا يليان معالجته بأنفسهما، تحبيره وكناسته وطهوره وكل عمل يعمل فيه، وكان لا يعمل من أهل زمانهما أحد أشد اجتهاداً وعبادة منهما»[١].

وقال عنه ياقوت الحموي: «موضع معروف بالبيت المقدس محلة فيها كنيسة صهيون، وصهيون أيضاً حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص»[٢].

وجاء في قاموس الكتاب المقدس: «صهيون: رابية من الروابي التي تقوم عليها أورشليم، ورد ذكرها للمرة الأولى في العهد القديم كموقع لحصن يبوسي، فاحتل داود الحصن وسماه: مدينة داود، وإليها أتي بالتابوت فمنذئذ صارت الرابية مقدسة»[٣].

وأما الصهيونية فهي: منظمة يهودية تنفيذية، مهمتها تنفيذ المخططات المرسومة لإعادة مجد بني إسرائيل ـ اليهود ـ وبناء هيكل سليمان، ثم إقامة مملكة إسرائيل، ثم السيطرة من خلالها على العالم تحت ملك (ملك يهوذا) المنتظر.

ـ وقد ظهر مصطلح الصهيونية (Zionism) لأول مرة على يد الكاتب الألماني ناثان برنباوم سنة ١٨٩٣م.

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٦٤) باختصار.
(٢) معجم البلدان (٣/ ٤٣٦).
(٣) قاموس الكتاب المقدس (ص٥٥٨).

ـ ففي عام ١٨٨٢م ظهرت في روسيا لأول مرة حركة عرفت باسم: (حب صهيون)، وكان أنصارها يتجمعون في حلقات اسمها: (أحباء صهيون) وقد تم الاعتراف بهذه الجماعات في عام ١٨٩٠م تحت اسم «جمعية مساعدة الصناع والمزارعين اليهود في سوريا وفلسطين وإحياء اللغة العبرية».

ـ الصهيونية الحديثة وهي الحركة المنسوبة إلى تيودور هرتزل الصحفي اليهودي المجري ولد في بودابست في ٢/ ٥/ ١٨٦٠م، حصل على شهادة الحقوق من جامعة فيينا ١٨٧٨م، وهدفها الأساسي الواضح قيادة اليهود إلى حكم العالم بدءاً بإقامة دولة لهم في فلسطين. وقد فاوض السلطان عبد الحميد بهذا الخصوص في محاولتين، لكنه أخفق، عند ذلك عملت اليهودية العالمية على إزاحة السلطان وإلغاء الخلافة الإسلامية.

ـ وقد أقام هرتزل أول مؤتمر صهيوني عالمي سنة ١٨٩٧م، مستغلاً محاكمة الضابط اليهودي الفرنسي دريفوس الذي اتهم بالخيانة ١٨٩٤م لنقله أسراراً عسكرية من فرنسا إلى ألمانيا، لكن ثبتت براءته فيما بعد ونجح هرتزل في تصوير المأساة اليهودية في زعمه من خلال هذه الواقعة الفردية، وأصدر كتابه الشهير «الدولة اليهودية» الذي أكسبه أنصاراً لا بأس بعددهم، مما شجعه على إقامة أول مؤتمر صهيوني في بال بسويسرا ٢٩ ـ ٣١/ ٨/ ١٨٩٧م، وقد علق عليه بقوله: «لو طلب إلي تلخيص أعمال المؤتمر فإني أقول: بل أنادي على مسمع من الجميع إنني قد أسست الدولة اليهودية». ونجح في تجميع يهود العالم حوله، كما نجح في جمع دعاة اليهود الذين صدرت عنهم أخطر مقررات في تاريخ العالم وهي بروتوكولات حكماء صهيون المستمدة من تعاليم كتب اليهود المحرفة التي يقدسونها، ومن ذلك الوقت أحكم اليهود تنظيماتهم وأصبحوا يتحركون بدقة ودهاء وخفاء لتحقيق أهدافهم التدميرية التي أصبحت نتائجها واضحة للعيان في زماننا هذا.

❑ وللمنظمة الصهيونية جانبان مهمان: ديني وسياسي:

أما الجانب الديني فيتلخص فيما يلي:

١ ـ إثارة الحماس الديني بين أفراد اليهود في جميع أنحاء العالم، لعودتهم إلى أرض الميعاد المزعومة (أرض فلسطين).

٢ ـ حث سائر اليهود على التمسك بالتعاليم الدينية والعبادات والشعائر اليهودية والالتزام بأحكام الشريعة اليهودية.

٣ ـ إثارة الروح القتالية بين اليهود، والعصبية الدينية والقومية لهم للتصدي للأديان والأمم والشعوب الأخرى.

أما الجانب السياسي فيتلخص فيما يلي:

١ ـ محاولة تهويد فلسطين (أي: جعلها يهودية داخلياً) وذلك بتشجيع اليهود في جميع أنحاء العالم على الهجرة إلى فلسطين وتنظيم هجرتهم وتمويلها، وتأمين وسائل الاستقرار النفسي والوظيفي والسكني وذلك بإقامة المستوطنات داخل أرض فلسطين (وهي عبارة عن مجمعات سكنية حديثة كاملة المرافق تمولها الصهيونية من تبرعات اليهود والدول الموالية لهم في العالم)، وتوطيد الكيان اليهودي الناشئ في فلسطين سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

٢ ـ تدويل الكيان الإسرائيلي في فلسطين عالمياً، وذلك بانتزاع اعتراف أكثر دول العالم بوجود دولة إسرائيل في فلسطين وشرعيتها، وضمان تحقيق الحماية الدولية لها، وفرضها على العالم، وعلى المسلمين على وجه الخصوص. لذلك نجد أن الصهيونية تقوم بدور رئيس في دفع أمريكا وروسيا وأكثر الدول في أوروبا لحماية إسرائيل سياسياً وعسكرياً ودعمها اقتصادياً وبشرياً، فبالرغم من أن أمريكا ودول أوروبا ـ دول نصرانية ـ، وبالرغم من أن روسيا شيوعية تحارب الأديان، وبالرغم ـ أيضاً ـ من أن شعوب هذه الدول تكره اليهود بحق، إلا أنها لا تزال تحمي دولة إسرائيل وتدعمها. وما ذاك إلا بتأثير الصهيونية الواضح.

٣ ـ متابعة وتنفيذ المخططات اليهودية العالمية السياسية والاقتصادية، خطوة بخطوة، ووضع الوسائل الكفيلة بالتنفيذ السريع والدقيق لهذه المخططات، ثم التهيئة لها إعلامياً وتمويلها اقتصادياً، ودعمها سياسياً.

٤ ـ توحيد وتنظيم جهود اليهود في جميع العالم أفراداً وجماعات ومؤسسات ومنظمات، وتحريك العملاء والمأجورين عند الحاجة لخدمة اليهود وتحقيق مصالحهم ومخططاتهم.

هذه أهم أهداف وأساليب الصهيونية بإيجاز[١].

(١) انظر: كتاب الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، للشيخين: ناصر القفاري، وناصر العقل، والموسوعة الميسرة في الأديان للندوة العالمية للشباب الإسلامي (٥٢٩/١).



المبحث الثاني

الآثار الواردة في منزلتهم ونعم الله عليهم

وفيه سبعة مطالب:

❖ المطلب الأول ❖

تفضيلهم على العالمين



أولاً: الآثار

۞ قوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧].

(١٩) ٧٢٧ ـ حدثنا به محمد بن عبد الأعلى الصنعاني قال: حدثنا محمد بن ثور عن معمر، وحدثنا الحسن بن يحيى قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: فضَّلهم على عالم ذلك الزمان(١).

(٢٠) ٧٢٨ ـ حدثني المثنى قال: حدثنا آدم قال: حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: بما أعطوا من المُلك والرسل والكتب على عالم من كان في ذلك الزمان، فإن لكل زمان عالماً(٢).

(٢١) ٧٢٩ ـ حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال: حدثني حجاج

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٦٤)، تفسير الدر المنثور (١/ ١٦٥)، صححه في التفسير الصحيح (٣/ ٢٦٢).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٦٤)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٠٤)، تفسير الدر المنثور (١/ ١٦٥)، تفسير ابن كثير (١/ ٨٩)، حسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/ ٣٦٦).

عن ابن جريج قال: قال مجاهد في قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ﴾ قال: على من هم بين ظهرانيه(١).

(٢٢) ٧٣٠ ـ وحدثني يونس بن عبد الأعلى قال: أخبرنا ابن وهب قال: سألت ابن زيد عن قول الله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ﴾ قال: عالم أهل ذلك الزمان. وقرأ قول الله: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الدخان] قال: هذه لمن أطاعه واتبع أمره، وقد كان فيهم القردة وهم أبغض خلقه إليه، وقال لهذه الأمة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران] قال: هذه لمن أطاع الله واتبع أمره واجتنب محارمه(٢).

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠].

(٢٣) ٩٠٨٣ ـ حدثنا سفيان بن وكيع قال: ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن مجاهد: ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: المن والسلوى والحجر والغمام(٣).

(٢٤) حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يعني: أهل ذلك الزمان المن والسلوى والحجر والغمام(٤).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الدخان].

(٢٥) ٢٤٠٨٣ ـ حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٦٥)، صححه في التفسير الصحيح (٣/ ١٢٢).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٦٥)، صححه في التفسير الصحيح (٢/ ٣٥٢).
(٣) تفسير الطبري (٦/ ١٧٠)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٤٧)، تفسير القرطبي (٦/ ١٢٤) وفيه مجهول.
(٤) تفسير الطبري (٦/ ١٧٠).

﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٢﴾ أي: اختيروا على أهل زمانهم ذلك ولكل زمان عالم(١).

❁ **قوله تعالى: ﴿أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].**

(٣٦) **١١٧٥٢** ـ حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾ قال: رب إني أجد في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون؛ أي: آخرون في الخلق سابقون في دخول الجنة رب اجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤونها وكان من قبلهم يقرؤون كتابهم نظراً حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئاً ولم يعرفوه ـ قال قتادة: وإن الله أعطاكم أيتها الأمة من الحفظ شيئاً لم يعطه أحداً من الأمم ـ قال: رب اجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ويقاتلون فضول الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب فاجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ثم يؤجرون عليها وكان من قبلهم من الأمم إذا تصدق بصدقة فقبلت منه بعث الله عليها ناراً فأكلتها، وإن ردت عليه تركت تأكلها الطير والسباع، قال: وإن الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم قال: رب اجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا همَّ أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة، رب اجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد.

---

(١) تفسير الطبري (٢٥/١٢٧)، تفسير ابن كثير (٤/ ١٤٤)، حسنه في التفسير الصحيح (٤/٣١٨).

قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا همَّ أحدهم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها فإذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم المشفعون والمشفوع لهم فاجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد. قال: وذكر لنا أن نبي الله موسى عليه السلام نبذ الألواح وقال: اللَّهُمَّ اجعلني من أمة أحمد! قال: فأُعطي نبي الله موسى عليه السلام ثنتين لم يعطهما نبي، قال الله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤] قال: فرضي نبي الله. ثم أعطي الثانية: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٥٩﴾ [الأعراف] قال: فرضي نبي الله عليه السلام كل الرضا[1].

ثانياً: الدراسة

يذكر الله تبارك وتعالى لبني إسرائيل ما منّ به على أسلافهم يوم أطاعوا أمره واتبعوا نبيه، وأن هذا مآلهم لو اتبعوا محمداً ﷺ، وقد فضلهم بالتوحيد والطاعة على أهل زمانهم، وهو المراد بهذه الآيات كما صرح بهذا جمع من السلف؛ كمجاهد وأبي العالية وقتادة كما في الآثار السابقة.

وليس في هذه الآيات حجة لمن أراد تنزيلها على اليهود في كل الأزمان لما يلي:

١ - روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا إنكم وفيتم سبعين أمة**» قال يعقوب في حديثه: «**أنتم آخرها**». وقال الحسن: «**أنتم خيرها وأكرمها على الله**»[2].

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٦٥)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

(٢) رواه أحمد حديث رقم (٢٠٠٣٧)، (٥/ ٣)، والبيهقي في سننه (٩/ ٥)، والدارمي (٢/ ٤٠٤)، وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقد أنبأ هذا الخبر عن النبي ﷺ أن بني إسرائيل لم يكونوا مفضلين على أمة محمد عليه الصلاة والسلام، وأن معنى قوله: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثية: ١٦]، وقوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧] ما بيَّنَّا من تأويله.

وقد قال الطبري في أول الآيات: «ويعني بقوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أني فضلت أسلافكم، فنسب نعمه على آبائهم وأسلافهم إلى أنها نعم منه عليهم؛ إذ كانت مآثر الآباء مآثر للأبناء، والنعم عند الآباء نعماً عند الأبناء؛ لكون الأبناء من الآباء، وأخرج جل ذكره قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مخرج العموم وهو يريد به خصوصاً؛ لأن المعنى وأني فضلتكم على عالم من كنتم بين ظهريه وفي زمانه»[1].

٢ ـ ولقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران]، فقوله: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ﴾ يعلن أنهم غير مقصودين بالتفضيل المطلق، بل هي دعوة لهم للتفضيل بدخولهم لهذا الدين، وهكذا يدور التفضيل مع التوحيد، فيوم أن كانوا موحدين وغيرهم مشرك فضِّلوا، ولمَّا جاءهم الحق وتركوه صاروا المغضوب عليهم.

وقد بيَّن الرسول ﷺ هذه المسألة فقال: «**إنما مثلكم واليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط، فعملت اليهود على قيراط قيراط، ثم عملت النصارى على قيراط قيراط، ثم أنتم الذين تعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، فغضبت اليهود والنصارى وقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاء، قال: هل ظلمتُكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا، فقال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء**»[2].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥).

(٢) صحيح البخاري (٢/ ٧٩٢).

منطلق اليهود في دعواهم:

ينطلق اليهود في نظرتهم لغيرهم من الأمم ـ وخاصة المسلمين ـ من خلال أمرين هما:

١ ـ الادعاء بالاصطفاء والاختيار والتفضيل لهم من الله ـ تبارك وتعالى ـ وتبعاً لذلك فهم يقولون بالأمر الثاني، وهو:

٢ ـ أحقيتهم في أرض فلسطين باعتبارها الأرض التي وُعد بها آباؤهم من قبل (إبراهيم ـ إسحاق ـ يعقوب عليهم السلام).

ولكي تتضح صورة موقف العهد القديم من الأمم الأخرى كان لا بد من مناقشة هذين الأمرين:

◻ أولاً: الادعاء بالاصطفاء والتفضيل:

ينظر اليهود إلى أنفسهم باعتبارهم مختارون ومفضَّلون على الناس جميعاً، وأن هذا التفضيل جاء بناءً على اختيار واصطفاء من الله ـ تبارك وتعالى ـ ورد ذلك في نصوص العهد القديم كثيراً، ومن أمثلته ما جاء في «سفر الخروج»: «والآن إن امتثلتم أوامري وحفظتم عهدي، فإنكم تكونون لي خاصة من جميع الشعوب؛ لأن جميع الأرض لي، وأنتم تكونون لي مملكة أحبار وشعباً مقدساً»(١).

وأيضاً ما ورد في سفر التثنية: «لأنك شعب مقدس للرب إلـٰهك، وإياك اصطفى الرب إلـٰهك أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على وجه الأرض»(٢).

وجاء فيه أيضاً: «لأنك شعب مقدس للرب إلـٰهك وقد اصطفاك الرب لتكون له شعباً خاصاً على جميع الشعوب التي على وجه الأرض»(٣).

---

(١) سفر الخروج ١٩: ٥ ـ ٦.
(٢) سفر تثنية ٧: ٦.
(٣) سفر تثنية ١٤: ٢.

الرد على هذا الادعاء:

أثبتت نصوص التوراة ـ كما مرَّ سابقاً ـ أفضلية بني إسرائيل على غيرهم، وعند مناقشة هذا الأمر فإنه لا بد من ورود بعض التساؤلات مثل:

- هل حقاً فُضِّل بني إسرائيل على غيرهم؟
- وإذا كان الأمر كذلك فمتى كان هذا التفضيل؟ وهل يصح أن يُطلق أمره بدون ضوابط؟ وما هي هذه الضوابط؟
- ثم هل التزم بها اليهود لتصح مقالتهم بأنهم شعب الله المختار؟

الحقيقة: أن نصوص القرآن الكريم أثبتت أن بني إسرائيل فضِّلوا على غيرهم من الناس، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم يقول ـ تعالى ـ في سورة البقرة: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [البقرة]، وفي سورة البقرة أيضاً جاء قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [البقرة]، وفي سورة الأعراف أيضاً: ﴿قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾، وفي سورة الجاثية: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾.

ففي الآيات السابقة أثبت القرآن الكريم مسألة تفضيل بني إسرائيل على العالمين، بل إن الله تعالى أنعم عليهم بأن جعل منهم أنبياء وملوكاً، وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين، يقول تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المائدة].

إذن قضية التفضيل صحيحة ومسلَّم بها بنص القرآن الكريم، لكن متى كان بنو إسرائيل يتميزون عن غيرهم؟ الواقع أن ذلك الأمر كان حين لم يكن على وجه الأرض مؤمن سواهم، فقد كانت الأرض ـ على وقتهم ـ تعج بالوثنية وعبادة غير الله ـ تعالى ـ خاصة في مصر التي كان يسكنها بنو إسرائيل قبل خروجهم منها على يد نبي الله الكريم موسى عليه السلام، فقد كانوا الفئة المؤمنة

الموحدة بالله ـ تعالى ـ وكانوا أيضاً الأمة المستضعفة التي تعاني من فرعون وظلمه ـ كما أخبر بذلك القرآن الكريم ـ، وتبعاً لإيمانهم والتزامهم بما شرع الله ـ تعالى ـ كان تفضيلهم، ومع هذا فإن إطلاق أمر الاصطفاء والاختيار بدون قيود أو شروط أمر لا يصح؛ إذ أن لهذا الاختيار والتفضيل شروطاً لم يلتزم بها بنو إسرائيل، فالله ـ تبارك وتعالى ـ فضلهم بشرط الإيمان به ﷺ، والالتزام بما شرعه لهم وأوصاهم به، فبتحقيق هذين الأمرين يكون لبني إسرائيل الفضل على غيرهم في ذلك الوقت، والذي عليه واقع بني إسرائيل بعد ذلك أنهم لم يلتزموا بما أمرهم به الله ـ تبارك وتعالى ـ، بل نقضوا ما عاهدوا الله عليه، وأول ما نقضوا ـ الوصايا العشر ـ التي أوصاهم بها ـ سبحانه ـ فقد ورد في التوراة: «لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته بيت قريبك، لا تشته امرأة قريبك، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئاً مما لقريبك»[(١)]. وأيضاً: «لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد على صاحبك شهادة زور، لا تشته زوجة صاحبك، ولا تشته بيته ولا حقله ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره، ولا شيئاً مما لصاحبك»[(٢)].

فالأساس الذي شرعه الله ـ تبارك وتعالى ـ من أن تفضيلهم لم يكن إلا بسبب إيمانهم وتقواهم، فمتى ما تركوا ذلك انتقض حقهم في التفضيل والاختيار، فالميزان في ذلك هو: الالتزام بالإيمان بالله ـ تعالى ـ وحده لا شريك له، والقيام بما شرع، وأداء ما أمر به. وهكذا كان تفضيل الله لهم؛ لأنهم آمنوا حيناً ببعض الأنبياء، وعرفوا نور التوحيد في الوقت الذي كانت فيه معظم الشعوب مُعْرِضة عن عبادة الله، فلم يكن اختيار الله لهم بسبب العنصر أو العرق أو النوع أو اللون أو غير ذلك من أباطيلهم، وإنما كان تكليفاً لبني إسرائيل، واختياراً وابتلاءً أيشكرون أم يكفرون، ولهذا قرن القرآن الكريم بين آيات الاختيار والاختبار معاً فقال: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٢ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ۝٣٣﴾ [الدخان]، والبلاء هو الاختبار،

(١) سفر الخروج ٢٠: ١٣ ـ ١٧. (٢) سفر تثنية ٥: ١٧ ـ ٢١.

والله قد يختبر عباده بالنعم، كما يختبرهم بالنقم، ولكن اليهود سقطوا في امتحانهم، فلم يشكروا نعمة اختيار الله لهم، وإنما انحرفوا عن منهج الله، وحرَّفوا كتبه، وكذبوا رسله، وهنا غضب الله عليهم ولعنهم وعدد مساوئهم وكفرهم، ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة]، كما يناقشهم القرآن في دعواهم مناقشة منطقية فيقول: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ [الجمعة].

فاليهود يدّعون أن الله قد أفردهم بولايته وحبه واختياره، ولكن القرآن يصف كلامهم بأنه مجرد زعم باطل، ومع ذلك يطلب منهم أن يتمنوا الموت لكي يسارعوا إلى لقاء الله الذي يحبهم إن كانوا صادقين، بل يعقِّب في صراحة ووضوح بأن واحداً منهم لن يتمنى الموت؛ لأنهم يعلمون أنهم كاذبون في دعواهم[١].

إذن يتضح من ذلك أن مسألة التفضيل حقيقة ـ ولكن ليس على إطلاقها ـ إنما لها شروطها التي لم يلتزم بها بنو إسرائيل، فمن الشروط: الإيمان بالله ـ تبارك وتعالى ـ، فمن آمن بالله والتزم ـ سواءٌ من بني إسرائيل أم من غيرهم ـ فله الفضل على غيره، فأساس التفاضل إنما هو عبادة الله ـ تعالى ـ، فأكرم الناس أتقاهم كما أخبر عن ذلك القرآن الكريم، يقول ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وعلى هذا تكون أمة الإسلام هي خير أمة أخرجت للناس، يقول تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وهي خيرية ليست على إطلاقها أيضاً وإنما باستيفاء شروطها، وهي: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل

(١) انظر: العقيدة اليهودية، وخطرها على الإنسانية، (ص٣٥٥ ـ ٣٥٦).

معهم في هذا الثناء عليهم والمدح، كما قال قتادة: «بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها رأى من الناس سرعة، فقرأ هذه الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ثم قال: من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله فيها»[(١)].

ثم إن نص التوراة يؤكد على هذه الشروط فقد جاء فيه: «والآن إن امتثلتم أوامري وحفظتم عهدي...»[(٢)]. وهو ما يدل حقيقة على أن التفضيل هو بسبب الامتثال لشرع الله ـ تعالى ـ وأوامره لا لشيء آخر.

ووردت أيضاً نصوص أخرى تدل على هذا المعنى منها: «وإن نسيت الرب إلٰهك، واتبعت آلهة غريبة وعبدتها، وسجدت لها، فأنا شاهد عليكم اليوم بأنكم تهلكون هلاكاً كالأمم التي أبادها الرب من أمامكم، تهلكون لأجل أنكم لم تسمعوا لصوت الرب إلٰهكم»[(٣)]. وأيضاً: «انظروا إني تالٍ عليكم اليوم بركة ولعنة: البركة إن سمعتم لوصايا الرب إلٰهكم، وزغتم عن الطريق التي أنا سانُّها لكم اليوم إلى اتباع آلهة غريبة لم تعرفوها»[(٤)]. فهذان النصَّان يدلان على أن امتثال الأوامر بعبادة الله وطاعته هو الركيزة الأساسية للتفضيل، وأنه متى ما حاد هؤلاء عن ذلك انتقضت دعواهم بالتفضيل على العالمين، فنصوصهم ـ من كتبهم ـ شاهدة عليهم[(٥)].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥١٦).
(٢) سفر الخروج ١٩: ٥.
(٣) سفر التثنية ٨: ١٩ ـ ٢٠.
(٤) سفر التثنية ١١: ٢٦ ـ ٢٨.
(٥) لو أن باحثاً جمع آيات القرآن الكريم عن اليهود، واستخلص منها ما تدل عليه من مثالبهم ومساوئ أخلاقهم وأفعالهم، والتواء طبيعتهم، لجمع ـ أو كاد ـ جميع خصال السوء، وأخلاق الرذيلة. فكيف يتبجحون مع هذا بأن القرآن يقصد امتيازهم على جميع من سواهم من الأمم، وكيف يستمسكون بما يفهمون من ظاهر آية أو آيتين، وقد تحالفت آيات القرآن التي نزلت فيهم على غير ما فهموا؟ والخلاصة أن القرآن حين قرر أنهم فضلوا على العالمين، وأنهم أوتوا ما لم يؤت أحد من العالمين، إنما ساق ذلك في معرض الامتنان عليهم بالنعم وإثبات أنهم يجحدونها ويكفرون بها، فهو إلزام منطقي بلومهم، حيث أوثروا وأوتوا النعم فكفروا وتولوا واستغنى الله! (محمود شلتوت، تفسير القرآن ص٢٤١)، صححه في التفسير (٢/ ٣٥٢).

❖ المطلب الثاني ❖

كثرة الانبياء فيهم

أولاً: الآثـــار

۞ قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

(٢٧) ٦٧٢ ـ وحدثني يونس بن عبد الأعلى قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ قال: نعمه عامة، ولا نعمة أفضل من الإسلام، والنعم بعد تبع لها. وقرأ قول الله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات][1].

۞ قوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩].

(٢٨) ٧٤٧ ـ حدثنا به العباس بن الوليد الآملي وتميم بن المنتصر الواسطي قالا: حدثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا الأصبغ بن زيد قال: حدثنا القاسم بن أيوب قال: حدثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم خليله أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكاً، وائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالاً معهم الشفار، يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه ففعلوا. فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم وأن الصغار يذبحون قال: توشكون أن تفنوا بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة ما كانوا يكفونكم فاقتلوا عاماً كل مولود ذكر فتقل أبناؤهم ودعوا عاماً. فحملت أم

---

(١) تفسير الطبري (١/٢٤٩ ـ ٢٥٠).

موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية أمه حتى إذا كان القابل حملت بموسى[(١)].

۞ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة].

(٢٩) ٨٠٤ ـ حدثني بذلك موسى بن هارون قال: ثنا عمرو بن حماد قال: ثنا أسباط عن السدي: أي: بعثناكم أنبياء[(٢)].

۞ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة].

(٣٠) ٨٠٧ ـ حدثني موسى بن هارون قال: ثنا عمرو بن حماد قال: ثنا أسباط بن نصر عن السدي: لما تابت بنو إسرائيل من عبادة العجل وتاب الله عليهم بقتل بعضهم بعضاً كما أمرهم به، أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، ووعدهم موعداً، فاختار موسى عليه السلام من قومه سبعين رجلاً على عينه، ثم ذهب بهم ليعتذروا. فلما أتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فإنك قد كلمته فأرناه. فأخذتهم الصاعقة فماتوا، فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] فأوحى الله إلى موسى عليه السلام إن هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل، فذلك حين يقول موسى: إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء إنا هدنا إليك، وذلك قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [البقرة]، ثم إن الله جل ثناؤه أحياهم فقاموا وعاشوا رجلاً رجلاً ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون، فقالوا: يا موسى أنت تدعو الله فلا

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٧٢)، تفسير الدر المنثور (٥/ ٥٦٩)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٩)، صححه في التفسير الصحيح (١/ ١٦٦).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٩١).

تسأله شيئاً إلا أعطاك فادعه يجعلنا أنبياء! فدعا الله تعالى فجعلهم أنبياء فذلك قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٦﴾ [البقرة]، ولكنه قدم حرفاً وأخر حرفاً[1].

۞ قوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ۝١٥٥﴾ [الأعراف].

(٣١) ١١٧٧٢ ـ حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا: ثنا يحيى بن يمان قال: ثنا سفيان قال: ثني أبو إسحاق عن عمارة بن عبد السلولي عن علي رضي الله عنه قال: انطلق موسى وهارون وشبر وشبير فانطلقوا إلى سفح جبل، فنام هارون على سرير فتوفاه الله. فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا له: أين هارون؟ قال: توفاه الله. قالوا: أنت قتلته حسدتنا على خُلقه ولينه ـ أو كلمة نحوها ـ قال: فاختاروا من شئتم! قال: فاختاروا سبعين رجلاً. قال: فذلك قوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ۝١٥٥﴾ قال: فلما انتهوا إليه قالوا: يا هارون من قتلك؟ قال: ما قتلني أحد ولكنني توفاني الله. قالوا: يا موسى لن نعصي بعد اليوم! قال: فأخذتهم الرجفة. قال: فجعل موسى يرجع يميناً وشمالاً وقال: يا ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ قال: فأحياهم الله وجعلهم أنبياء كلهم[2].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٩٢)، تفسير ابن كثير (١/ ٩٥).

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٧٣)، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥١)، وقال: هذا أثر غريب جداً وعمارة لا أعرفه، وأيده الذهبي في الميزان (٣/ ١٧٧).

✿ قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠].

(٣٢) ٩٠٧١ ـ حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ قال: كنا نحدَّث أنهم أول من سُخِّر لهم الخدم من بني آدم وملكوا[1].

✿ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [غافر].

(٣٣) ٢٣٤٥٦ ـ حدثنا علي بن شعيب السمسار قال: ثنا معن بن عيسى قال: ثنا إبراهيم بن المهاجر بن مسمار عن محمد بن المنكدر عن يزيد بن أبان عن أنس بن مالك قال: بعث النبي ﷺ بعد ثمانية آلاف من الأنبياء منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل[2].

ثانياً: الدراسة

وهذه منّة أخرى من الله على بني إسرائيل أن جعل الأنبياء فيهم أرسلهم اليهم وبعثهم منهم، وقد ذكّر موسى عليه السلام بني إسرائيل بذلك يوم أن دعاهم لقتال الجبارين.

ونقل الطبري عن السدي أن المقصود هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام لميقات الله ثم أخذتهم الصاعقة.

---

(١) تفسير الدر المنثور (٣/ ٤٦)، تفسير الطبري (٦/ ١٦٩)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٨٦)، المستدرك على الصحيحين (٢/ ٦٥٣)، تفسير القرطبي (١٩/٦)، تفسير ابن كثير (١/ ٥٨٧).

قال الطبري: «وتأويل الكلام على ما تأوله السدي: فأخذتكم الصاعقة ثم أحييناكم من بعد موتكم وأنتم تنظرون إلى إحيائنا إياكم من بعد موتكم، ثم بعثناكم أنبياء لعلكم تشكرون. وزعم السدي أن ذلك من المقدم الذي معناه التأخير والمؤخر الذي معناه التقديم»(١).

ومعلوم أنه لم يبعث في أمة مثل ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء، بل إن الله جعل الأنبياء هم الساسة كما قال ﷺ: **«كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي»**(٢).

وأخرج ابن المنذر والطبراني والبيهقي في شعب الإيمان والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانت الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة. نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ومحمد عليهم السلام»(٣).

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي عبيدة بن الجراح قال: قلت: «يا رسول الله أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟»، قال: **«رجل قتل نبياً، أو رجل أمر بالمنكر ونهى عن المعروف»**. ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٢١] إلى قوله: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾ [٢٢]، ثم قال رسول الله ﷺ: **«يا أبا عبيدة، قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة وسبعون رجلاً من عبَّاد بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر، فقتلوا جميعاً من آخر النهار من ذلك اليوم فهم الذين ذكر الله»**(٤).

وأما القول بأن السبعين صاروا أنبياء فلا دليل صحيح يعضده، إذ لم يرد من كان نبياً في زمن موسى عليه السلام غير أخيه هارون عليه السلام ومن بعده يوشع بن نون عليه السلام، والرواية في ذلك ضعيفة.

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٩١). (٢) صحيح البخاري (٣/ ١٢٧٣).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٢١٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٢١)، تفسير الدر المنثور (٢/ ١٦٩).

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٢١٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٢١)، تفسير الدر المنثور (٢/ ١٦٩).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد أغرب الرازي في تفسيره حين حكى في قصة هؤلاء السبعين أنهم بعد إحيائهم قالوا: إنك لا تطلب من الله شيئاً إلا أعطاك فادعه أن يجعلنا أنبياء، فدعا بذلك فأجاب الله دعوته، وهذا غريب جداً إذ لا يعرف في زمان موسى نبي سوى هارون ثم يوشع بن نون»(١).

وسيرد مزيد من التفصيل في موقف اليهود من الأنبياء في الباب الثاني - بإذن الله -.

❖ المطلب الثالث ❖

جعلهم ملوكاً

أولاً: الآثار

۞ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩)﴾ [البقرة].

(٣٤) ٧٤٧ - حدثنا به العباس بن الوليد الآملي وتميم بن المنتصر الواسطي قالا: حدثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا الأصبغ بن زيد قال: حدثنا القاسم بن أيوب قال: حدثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم خليله أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكاً وائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالاً معهم الشفار يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه ففعلوا. فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم وأن الصغار يذبحون قال: توشكون أن تفنوا بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة ما كانوا يكفونكم فاقتلوا عاماً كل مولود ذكر فتقل أبناؤهم ودعوا عاماً. فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٢٤٠).

أمه حتى إذا كان القابل حملت بموسى[1].

قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠].

(٣٥) ٦٧٢ - وحدثني يونس بن عبد الأعلى قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ قال: نعمه عامة ولا نعمة أفضل من الإسلام والنعم بعد تبع لها. وقرأ قول الله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ﴾ الآية [الحجرات: ١٧]. وتذكير الله الذين ذكرهم جل ثناؤه بهذه الآية من نعمه على لسان رسوله محمد ﷺ نظير تذكير موسى صلوات الله عليه أسلافهم على عهده الذي أخبر الله عنه أنه قال لهم، وذلك قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المائدة][2].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

(٣٦) ٤٣٩٢ - حدثنا به محمد بن حميد قال: حدثنا سلمة بن الفضل قال: حدثني محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه قال: خلف بعد موسى عليه السلام في بني إسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم التوراة وأمر الله حتى قبضه الله. ثم خلف فيهم كالب بن يوفنا يقيم فيهم التوراة وأمر الله حتى قبضه الله تعالى. ثم خلف فيهم حزقيل بن بوزي وهو ابن العجوز. ثم إن الله قبض حزقيل وعظمت في بني إسرائيل الأحداث ونسوا ما كان من عهد الله إليهم حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله. فبعث الله إليهم إلياس بن يس بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران نبياً. وإنما كانت الأنبياء من بني إسرائيل بعد موسى يبعثون إليهم بتجديد ما نسوا من التوراة. وكان إلياس مع ملك من ملوك بني إسرائيل

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٧٢)، تفسير الدر المنثور (٥/ ٥٦٩)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٩)، صححه في التفسير الصحيح (١/ ١٦٦).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٥٠)، صححه في التفسير الصحيح (٢/ ٣٥٢).

يقال له: أخاب، وكان يسمع منه ويصدقه، فكان إلياس يقيم له أمره. وكان سائر بني إسرائيل قد اتخذوا صنماً يعبدونه من دون الله، فجعل إلياس يدعوهم إلى الله وجعلوا لا يسمعون منه شيئاً، إلا ما كان من ذلك الملك، والملوك متفرقة بالشام، كل ملك له ناحية منها يأكلها. فقال ذلك الملك الذي كان إلياس معه يقوم له أمره ويراه على هدى من بين أصحابه يوماً: يا إلياس والله ما أرى ما تدعو إليه الناس إلا باطلاً! والله ما أرى فلاناً وفلاناً ـ يعدد ملوكاً من ملوك بني إسرائيل ـ قد عبدوا الأوثان من دون الله إلا على مثل ما نحن عليه، يأكلون ويشربون ويتنعمون مالكين ما ينقص من دنياهم، وما نرى لنا عليهم من فضل[١].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠].

(٣٧) **٩٠٧١** ـ حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ قال: كنا نحدث أنهم أول من سخر لهم الخدم من بني آدم وملكوا[٢].

(٣٨) **٩٠٧٣** ـ حدثنا الزبير بن بكار، قال: ثنا أبو ضمرة أنس بن عياض، قال: سمعت زيد بن أسلم، يقول: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ فلا أعلم إلا أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان له بيت وخادم فهو ملك**»[٣].

(٣٩) **٩٠٧٤** ـ حدثنا سفيان بن وكيع، قال: ثنا العلاء بن عبد الجبار، عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن، أنه تلا هذه الآية: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ فقال: وهل الملك إلا مركب وخادم ودار[٤].

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٥٩٦ ـ ٥٩٧) باختصار.
(٢) تفسير الطبري (٦/ ١٦٩)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٤٦)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).
(٣) تفسير الطبري (٦/ ١٦٩)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٤٧)، تفسير القرطبي (٦/ ١٢٤).
(٤) تفسير الطبري (٦/ ١٦٩)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٤٧).

(٤٠) ٩٠٧٥ ـ حدثنا سفيان بن وكيع وابن حميد، قالا: ثنا جرير، عن منصور، قال: أراه عن الحكم: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ قال: كانت بنو إسرائيل إذا كان للرجل منهم بيت وامرأة وخادم، عُدَّ ملكاً[1].

(٤١) ٩٠٧٦ ـ حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن رجل، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ قال: البيت والخادم[2].

(٤٢) ٩٠٧٧ ـ حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ قال: جعل لكم أزواجاً وخدماً وبيوتاً[3].

ثانياً: الدراســـة

من المنن العظيمة التي يذكِّر الله بها بني إسرائيل جعلهم ملوكاً، واختلف في المراد بذلك، وذكر الطبري رحمه الله ثلاثة أقوال:

١ ـ قيل: وجعلكم ملوكاً سخر لكم من غيركم خدماً يخدمونكم.

٢ ـ وقيل: إنما قال ذلك لهم موسى عليه السلام؛ لأنه لم يكن في ذلك الزمان أحد سواهم يخدمه أحد من بني آدم.

٣ ـ وقال آخرون: إنما عنى بقوله: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ أنهم يملكون أنفسهم وأهليهم وأموالهم، بعد الذل والعبودية لفرعون وقومه، وملكهم الدور والمساكن بعد التيه، وأخدمهم الخدم والعبيد بعد أن كانوا هم الخدم والعبيد في مصر، فالمرء يشعر بأنه ملك؛ لأنه سيد في نفسه، سيد في تصرفه، وعلى العكس من ذلك الذليل الخاضع الذي لا تصرف له في نفسه، ولا يتمتع بحقه

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ١٦٩)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٤٦) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٦/ ١٦٩)، تفسير عبد الرزاق (١/ ١٨٧)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٤٦).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ١٦٩)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٤٧).

الطبيعي في التصرف، فهو عبد مملوك، وشتان بين العبد المملوك والسيد المالك.

«وقد استشكل بعض الناس على الآية: بأنه لم يعرف أن بني اسرائيل على عهد موسى عليه السلام كان فيهم ملوك وإن وجد فيهم ملوك بعد ذلك، وهذا الاستشكال مبني على فهم أن المراد بالملوك أصحاب السلطة والصولجان، وهو فهم لا يساعد عليه نص الآية، ولا ما جاء في السُّنَّة تفسيراً لها. فنص الآية ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾، ولو كان المراد ملوك السلطان والصولجان لجاء النص: (وجعل فيكم أو منكم ملوكاً)؛ لأنه لم تجر العادة بأن يكون أفراد الشعوب جميعاً ملوكاً بهذا المعنى، ويؤازر ذلك أن الآية فرّقت في التعبير بين جعل الأنبياء وجعل الملوك فقالت: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ ولا سر لهذا إلا إرادة معنى في جعلهم ملوكاً يصلح أن يقع فيه الفعل على ضمير المخاطبين، وهذا المعنى هو ما ذكرناه من أنهم صاروا أحراراً متصرفين سادة لأنفسهم»[1].

❖ المطلب الرابع ❖

نجاتهم من عدوهم وما صاحبها

أولاً: الآثار

❁ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [البقرة].

(٤٣) ٧٦٣ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن أبي إسحاق الهمداني عن عمرو بن ميمون الأودي في قوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ قال: لما

---

(١) تفسير القرآن، محمود شلتوت (ص٢٣٩)، مجلة رسالة الإسلام عدد ٢٧.

خرج موسى ﷺ ببني إسرائيل بلغ ذلك فرعون فقال: لا تتبعوهم حتى يصيح الديك. قال: فوالله ما صاح ليلتئذ ديك حتى أصبحوا، فدعا بشاة فذبحت ثم قال: لا أفرغ من كبدها حتى يجتمع إلي ستمائة ألف من القبط. فلم يفرغ من كبدها حتى اجتمع إليه ستمائة ألف من القبط. ثم سار فلما أتى موسى ﷺ البحر قال له رجل من أصحابه يقال له: يوشع بن نون: أين أمرك ربك يا موسى؟ قال: أمامك! يشير إلى البحر. فأقحم يوشع فرسه في البحر حتى بلغ الغمر[(١)] فذهب به ثم رجع فقال: أين أمرك ربك يا موسى؟ فوالله ما كذبت ولا كُذبت! ففعل ذلك ثلاث مرات ثم أوحى الله جل ثناؤه إلى موسى: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣] يقول: مثل جبل. قال: ثم سار موسى ومن معه وأتبعهم فرعون في طريقهم حتى إذا تتامُّوا فيه أطبقه الله عليهم، فلذلك قال: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ قال معمر: قال قتادة: كان مع موسى ستمائة ألف وأتبعه فرعون على ألف ألف ومائة ألف حصان[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ [طه].

(٤٤) **١٨٢٧٣** ـ حدثني علي قال: ثنا أبو صالح قال: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ﷺ في قوله: ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ يقول: ﴿لَّا تَخَٰفُ﴾ من آل فرعون ﴿دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ من البحر غرقاً[(٣)].

(٤٥) **١٨٢٧٤** ـ حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ يقول: لا تخاف أن يدركك فرعون من بعدك ولا تخشى الغرق أمامك[(٤)].

---

(١) أي: الماء الكثير. اللسان (٥/ ٢٩).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٧٦)، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٤٥ ـ ٤٦).
(٣) تفسير الطبري (١٦/ ١٩١)، تفسير الدر المنثور (٥/ ٥٩٠).
(٤) تفسير الطبري (١٦/ ١٩١)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

۞ قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الشعراء].

(٤٦) ٢٠٢٢٢ ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم قال: ثنا ابن علية عن سعيد الجريري عن أبي السليل عن قيس بن عباد قال: وكان من أكثر الناس أو أحدث الناس عن بني إسرائيل قال: فحدثنا أن الشرذمة الذين سماهم فرعون من بني إسرائيل كانوا ست مئة ألف قال: وكان مقدمة فرعون سبعة مئة ألف، كل رجل منهم على حصان على رأسه بيضة وفي يده حربة وهو خلفهم في الدهم. فلما انتهى موسى عليه السلام ببني إسرائيل إلى البحر قالت بنو إسرائيل: يا موسى أين ما وعدتنا؟! هذا البحر بين أيدينا وهذا فرعون وجنوده قد دهمنا من خلفنا! فقال موسى للبحر: انفلق أبا خالد، قال: لا لن أنفلق لك يا موسى أنا أقدم منك خلقاً؛ قال: فنودي أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق البحر وكانوا اثني عشر سبطاً. قال الجريري: فأحسبه قال: إنه كان لكل سبط طريق قال: فلما انتهى أول جنود فرعون إلى البحر هابت الخيل اللهب؛ قال: ومثل لحصان منها فرس وديق، فوجد ريحها فاشتد فاتبعه الخيل؛ قال: فلما تتام آخر جنود فرعون في البحر وخرج آخر بني إسرائيل أمر البحر فانصفق عليهم فقالت بنو إسرائيل: ما مات فرعون وما كان ليموت أبداً، فسمع الله تكذيبهم نبيه عليه السلام قال: فرمى به على الساحل كأنه ثور أحمر يتراءاه بنو إسرائيل[١].

۞ قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾﴾ [الصافات].

(٤٧) ٢٢٦٧٥ ـ حدثنا محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن المفضل قال: ثنا أسباط عن السدي في قوله: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾﴾ قال: من الغرق[٢].

(٤٨) ٢٢٦٧٦ ـ حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٧٥ ـ ٧٦)، مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٣٣٣).
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٧، ٩٠)، حسنه في التفسير الصحيح (٤/ ٢٠٩).

﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾﴾ أي: من آل فرعون. وقوله: ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ [الصافات: ١١٦] يقول: ونصرنا موسى وهارون عليهما السلام وقومهما على فرعون وآله بتغريقناهم ﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ [الصافات: ١١٦] لهم[(١)].

۞ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [البقرة].

(٤٩) **٧٥٩** ـ حدثني موسى بن هارون قال: حدثنا عمرو بن حماد قال: حدثنا أسباط بن نصر عن السدي: لما أتى موسى عليه السلام البحر كناه أبا خالد وضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، فدخلت بنو إسرائيل وكان في البحر اثنا عشر طريقاً في كل طريق سبط[(٢)].

۞ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [البقرة].

(٥٠) **٧٦٤** ـ حدثني عبد الكريم بن الهيثم، قال: حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادي، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا أبو سعيد، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أوحى الله جل جلاله إلى موسى عليه السلام أن أسر بعبادي ليلاً إنكم متبعون. قال: فسرى موسى ببني إسرائيل ليلاً، فأتبعهم فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث، وكان موسى في ستمائة ألف، فلما عاينهم فرعون قال: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الشعراء]، فسرى موسى ببني إسرائيل حتى هجموا على البحر، فالتفتوا، فإذا هم برَهْج[(٣)] دوابِّ فرعون، فقالوا: يا موسى، أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا! هذا البحر أمامنا، وهذا فرعون قد رهقنا[(٤)] بمن معه. قال: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٩٠)، حسنه في التفسير الصحيح (٤/ ٢٠٩).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٧٥)، تفسير الدر المنثور (٦/ ٢٩٤)، تفسير ابن كثير (٣/ ٣٣٧).
(٣) الرهج: الغبار. النهاية (٢/ ٢٨١).
(٤) أي: دنونا منه. انظر: النهاية (٢/ ٢٨٣).

﴿يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩]، قال: فأوحى الله جل ثناؤه إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، وأوحى إلى البحر: أن اسمع لموسى وأطع إذا ضربك. قال: فبات البحر له أفكل[١] ـ يعني: له رعدة ـ لا يدري من أيّ جوانبه يضربه. قال: فقال يوشع لموسى: بماذا أمرت؟ قال: أمرت أن أضرب البحر. قال: فاضربه. قال: فضرب موسى البحر بعصاه، فانفلق، فكان فيه اثنا عشر طريقاً، كل طريق كالطود العظيم، فكان لكل سبط منهم طريق يأخذون فيه. فلما أخذوا في الطريق، قال بعضهم لبعض: ما لنا لا نرى أصحابنا؟ قالوا لموسى: أين أصحابنا لا نراهم؟ قال: سيروا! فإنهم على طريق مثل طريقكم. قالوا: لا نرضى حتى نراهم.

قال سفيان، قال عمار الدهني[٢]: قال موسى عليه السلام: اللَّهُمَّ أعني على أخلاقهم السيئة. قال: فأوحى الله إليه: أن قل بعصاك هكذا، وأومأ بيده يديرها على البحر. قال موسى بعصاه على الحيطان هكذا، فصار فيها كُوًى؛ ينظر بعضهم إلى بعض.

(٥١) قال سفيان: قال أبو سعيد، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: فساروا حتى خرجوا من البحر، فلما جاز آخر قوم موسى عليه السلام، هجم فرعون على البحر هو وأصحابه، وكان فرعون على فرس أدهم ذَنُوب حصان[٣]. فلما هجم على البحر هاب الحصان أن يقتحم في البحر، فتمثل له جبريل على فرس أنثى وديق. فلما رآها الحصان تقحّم خلفها. وقيل لموسى: اترك البحر رَهْواً ـ قال: طرقاً على حاله ـ قال: ودخل فرعون وقومه في البحر، فلما دخل آخر قوم فرعون وجاز آخر قوم موسى أطبق البحر على فرعون وقومه فأغرقوا[٤].

---

(١) أي: الرعدة من برد أو خوف. النهاية (١/ ٥٦).
(٢) عمار بن معاوية الدهني، أبو معاوية البجلي الكوفي، صدوق يتشيع التقريب (٤٨٣٣).
(٣) أي: وافر شعر الذنب. النهاية (٢/ ١٧٠).
(٤) تفسير الطبري (١/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧)، صححه في التفسير الصحيح (١/ ١٥٨).

ثانياً: الدراسة

يذكر الله تبارك وتعالى ليهود المدينة منَّته على أسلافهم يوم كانوا مستعبدين عند فرعون وقومه، وكيف أنجاهم منهم وأقر أعينهم بهلاك عدوهم أمامهم، وكيف خلصهم يوم كانوا يسومونهم سوء العذاب يذبحون الذكور ويستبقون الإناث.

قال القرطبي: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٤١] قيل معناه:

١ ـ يذيقونكم ويلزمونكم إياه، وقال أبو عبيدة: يولونكم، يقال: سامه خطة خسف، إذا أولاه إياها، ومنه قول عمرو بن كلثوم:

إذا ما الملك سام الناس خسفاً أبينا أن نقر الخسف فينا

٢ ـ وقيل: يديمون تعذيبكم، فقد جعل فرعون بني إسرائيل خدَّاماً وصناعاً ومن لم يستخدمه ضرب عليه الجزية. ثم أبدلهم الله بالمعجزات على ضعفهم وفقرهم، ففلق لهم البحر معجزة باقية يتلوها الناس إلى يوم القيامة، وأغرق عدوهم الجبار الذي دعاهم إلى عبادته أغرقه وقومه أمامهم.

وفي هذه المعاني من الإشارات ما يلي:

١ ـ نجاة أسلافهم من الهلاك والعذاب من فرعون وقومه نجاة لهم، فهم الخلف الذين ورثوا الكتاب والدين من بعدهم، فليشكروا الله على ذلك وليتبعوا نبيه.

٢ ـ تذكير اليهود بما كان عليه سلفهم من الذل والضعف، وعدوهم من الجبروت والعظمة، إلا أن الحق كان معهم والباطل مع خصمهم، ومع ذلك كانت الغلبة والظهور لصاحب الحق مع فقره وضعفه، فلا يغتروا بقوتهم وضعف محمد ﷺ وأصحابه، فليس لهم إلا متابعته والإيمان بما جاء به[١].

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره معلقاً على عدد الذين خرجوا مع فرعون: «فأما ما ذكره غير واحد من الإسرائيليات من أنه خرج في ألف ألف

(١) تفسير القرطبي (١/٣٤٨) وما بعدها.

وستمائة ألف فارس، منها مائة ألف على خيل دهم، وقال كعب الأحبار: فيهم ثمانمائة ألف حصان أدهم ـ ففي ذلك نظر ـ. والظاهر أنه من مجازفات بني إسرائيل، والله ﷻ أعلم. والذي أخبر به هو النافع، ولم يعين عدتهم إذ لا فائدة تحته، إلا أنهم خرجوا بأجمعهم»[1].

وفي نجاتهم من عدوهم، مع قلة عددهم، وضعفهم، وتشردهم، وكثرة عدوهم وقوته: آية صدق يقيس بها اليهود بين ظهراني الرسول ﷺ يوم قدم عليهم المدينة، فوجب إيمانهم به؛ لأن الله سينصره وصحبه، كما نصر موسى عليه السلام وقومه، فكان عليهم الاستفادة مما حصل لأسلافهم ولا يجحدوا نعمة الله عليهم.

كما أن فيه تسلية وعبرة وعظة للمسلمين جميعاً، وألا يكونوا في حياتهم مثل بني إسرائيل، بل يلتفوا طائعين منقادين مستسلمين لما يأمرهم به رسول الله ﷺ، خاصة في حالة ضعفهم وقلّتهم كما قال تعالى مذكراً صحابة رسول الله ﷺ بفضله عليهم فقال: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال].

فالواجب الصبر والشكر وسؤال الله النصر.

❖ المطلب الخامس ❖

بعثهم بعد الموت

أولاً: الآثـــار

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة].

(٥٢) ٨٠٦ ـ حدثنا به محمد بن حميد قال: ثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق قال: لما رجع موسى إلى قومه ورأى ما هم فيه من عبادة

---

(١) انظر: الطبري (١/ ٣١٤)، وابن كثير (١/ ٢٣٤)، ومفاتيح الغيب للرازي (٣/ ٧٤) بتصرف.

العجل، وقال لأخيه وللسامري ما قال، وحرَّق العجل وذرَّاه في اليم؛ اختار موسى عليه السلام منهم سبعين رجلاً الخير فالخير وقال: انطلقوا إلى الله عز وجل فتوبوا إليه مما صنعتم، وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم، صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم! فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقَّته له ربه، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم. فقال له السبعون فيما ذكر لي حين صنعوا ما أمرهم به وخرجوا للقاء الله: يا موسى اطلب لنا إلى ربك لنسمع كلام ربنا! فقال: أفعل. فلما دنا موسى عليه السلام من الجبل وقع عليه الغمام حتى تغشى الجبل كله، ودنا موسى عليه السلام فدخل فيه، وقال للقوم: ادنوا. وكان موسى عليه السلام إذا كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه، فضرب دونه الحجاب. ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه: افعل ولا تفعل. فلما فرغ من أمره وانكشف عن موسى الغمام فأقبل إليهم فقالوا لموسى: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعاً. وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ويقول: ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] قد سفهوا أفتهلك من ورائي من بني إسرائيل بما تفعل السفهاء منا؟ أي: أن هذا لهم هلاك اخترت منهم سبعين رجلاً الخير فالخير أرجع إليهم وليس معي منهم رجل واحد فما الذي يصدقوني به أو يأمنوني عليه بعد هذا؟ ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] فلم يزل موسى يناشد ربه عز وجل، ويطلب إليه حتى رد إليهم أرواحهم، فطلب إليه التوبة لبني إسرائيل، بل من عبادة العجل، فقال: لا إلا أن يقتلوا أنفسهم[١].

(٥٣) ٨٠٨ ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى قال: أنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: قال لهم موسى عليه السلام لما رجع من عند ربه بالألواح قد كتب فيها التوراة فوجدهم يعبدون العجل، فأمرهم بقتل أنفسهم ففعلوا فتاب الله عليهم، فقال: إن هذه الألواح فيها كتاب الله فيه أمره الذي أمركم، به ونهيه الذي

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٥٣).

نهاكم عنه. فقالوا: ومن يأخذ بقولك أنت؟ لا والله حتى نرى الله جهرة حتى يطلع الله علينا فيقول: هذا كتابي فخذوه! فما له لا يكلمنا كما يكلمك أنت يا موسى فيقول: هذا كتابي فخذوه؟ وقرأ قول الله تعالى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة] قال: فجاءت غضبة من الله ﷻ فجاءتهم صاعقة بعد التوبة فصعقتهم فماتوا أجمعون. قال: ثم أحياهم الله من بعد موتهم وقرأ قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٦﴾ [البقرة]، فقال لهم موسى: خذوا كتاب الله! فقالوا: لا، فقال: أي شيء أصابكم؟ قالوا: أصابنا أنا متنا ثم حيينا. قال: خذوا كتاب الله! قالوا: لا. فبعث الله تعالى ملائكة فنتقت الجبل فوقهم(١).

(٥٤) ٨٠٩أ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة في قوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٦﴾ [البقرة] قال: أخذتهم الصاعقة ثم بعثهم الله تعالى ليكملوا بقية آجالهم(٢).

(٥٥) ٨٠٩ب ـ حدثني المثنى قال: ثنا إسحاق قال: ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس في قوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ قال: هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام فساروا معه. قال: فسمعوا كلاماً فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ قال: فسمعوا صوتاً فصعقوا. يقول: ماتوا. فذلك قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ فبعثوا من بعد موتهم؛ لأن موتهم ذاك كان عقوبة لهم فبعثوا لبقية آجالهم(٣).

(٥٦) ٧٩٦ ـ وكما حدثنا به القاسم بن الحسن قال: ثنا الحسين قال: حدثني حجاج عن ابن جريج قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٩١)، تفسير ابن كثير (١/ ٩٤).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٩٢)، تفسير ابن كثير (١/ ٩٥)، صححه في التفسير الصحيح (٣٥٢/٢).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٢٩٢)، تفسير عبد الرزاق (١/ ٤٦)، تفسير ابن أبي حاتم (١١٢/١)، صححه في التفسير الصحيح (١/ ١٦٤).

﴿جَهْرَةً﴾ قال: علانية[١].

(٥٧) ٨٠٠ ـ حدثنا به الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة في قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [النساء: ١٥٣] قال: ماتوا[٢].

ثانياً: الدراسة

من نعم الله على بني إسرائيل أن جعلهم يرون بأعينهم الموت ثم يحييهم بعد ذلك، وهي آية عجيبة، ومنَّة عظيمة، وإن كان ظاهرها العقوبة ولكنها لم تدم عليهم، وذلك حين اختار موسى عليه السلام سبعين رجلاً من قومه ليتوبوا الى الله من اتخاذهم العجل، وجعل هارون خليفته على الباقين، وكان الموعد جبل الطور[٣]، وكان هؤلاء السبعين الذين اختارهم موسى عليه السلام هم أصلح القوم، فلما جاؤوا لميقات الله، وكلم الله نبيه وكليمه عليه السلام وهم يسمعون وأبت نفوسهم المشبعة بالعناد إلا أن يروا الله جهرة كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [البقرة] فهلكوا جميعاً، فقام موسى عليه السلام يعتذر إلى ربه، ويدعوه فاستجاب له ربه، قال تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف].

وقد وردت أقوال كثيرة في السبب الذي من أجله طلبوا الرؤية، غالبها من الروايات الإسرائيلية. قال الطبري رحمه الله: «فهذا ما روي في السبب الذي

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٩٢)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١١٢)، تفسير الدر المنثور (١/١٧٠).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٨٩)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١١١)، (٤/ ١١٠٣)، تفسير الدر المنثور (١/ ١٧٠).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٢٩٠)، تفسير عبد الرزاق (١/ ٤٦)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١١٢)، تفسير الدر المنثور (١/ ١٧٠)، صححه في التفسير الصحيح (١/ ١٦٤).

من أجله قالوا لموسى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ ولا خبر عندنا بصحة شيء مما قاله من ذكرنا قوله في سبب قيلهم ذلك لموسى تقوم به حجة فتسلم لهم. وجائز أن يكون ذلك بعض ما قالوه، فإذا كان لا خبر بذلك تقوم به حجة فالصواب من القول فيه أن يقال: إن الله جل ثناؤه قد أخبر عن قوم موسى أنهم قالوا له: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ كما أخبر عنهم أنهم قالوه. وإنما أخبر الله ﷻ بذلك عنهم الذين خوطبوا بهذه الآيات توبيخاً لهم في كفرهم بمحمد ﷺ، وقد قامت حجته على من احتج به عليه، ولا حاجة لمن انتهت إليه إلى معرفة السبب الداعي لهم إلى قيل ذلك. وقد قال الذين أخبرنا عنهم: الأقوال التي ذكرناها وجائز أن يكون بعضها حقاً كما قال»[1].

وكما قال قتادة وغيره إنما هي عقوبة، وردوا لاستيفاء آجالهم وأرزاقهم ولو ماتوا بآجالهم لم يبعثوا إلى يوم القيامة[2].

والمخاطب هنا هم يهود المدينة واليهود عامة إلى قيام الساعة، ففي تعداد النعم موعظة للجميع، وعبرة لهم، حتى لا يطلبوا من محمد ﷺ مثل ما طلب أسلافهم من موسى عليه السلام، وتذكيراً لسلفهم من اليهود.

---

(١) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (٤/ ٤٧): طور بالضم ثم السكون وآخره راءٌ، والطور في كلام العرب الجبل، وقال بعض أهل اللغة: لا يسمى طوراً حتى يكون ذا شجر ولا يقال للأجرد: طور، وقيل: سمي طوراً ببطور بن إسماعيل عليه السلام أسقطت باؤه للاستثقال ويقال لجميع بلاد الشام: الطور، وقد تقدم لذلك شاهد في طرآن بوزن قرآن من هذا الكتاب، وقال أهل السير: سميت بطور بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وكان يملكها فنسبت إليه، وقد ذكر بعض العلماء أن الطور هذا الجبل المشرف على نابلس ولهذا يحجه السامرة، وأما اليهود فلهم فيه اعتقاد عظيم ويزعمون أن إبراهيم أمر بذبح إسماعيل فيه وعندهم في التوراة أن الذبيح إسحاق عليه السلام، وبالقرب من مصر ثَمَّ موضع يسمى مدين جبل يسمى الطور ولا يخلو من الصالحين وحجارته كيف كسرت خرج منها صورة شجرة العليق وعليه كان الخطاب الثاني لموسى عليه السلام، ثم خروجه من مصر ببني إسرائيل، وبلسان النبط كل جبل يقال له: طور فإذا كان عليه نبت وشجر قيل: طور سيناء، والطور جبل بعينه مطل على طبرية الأردن بينهما أربعة فراسخ على رأسه بيعة واسعة محكمة البناء موثقة الأرجاء.

(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٣٢).

❖ المطلب السادس ❖

تمكينهم من الأرض المقدسة

أولاً: الآثار

❁ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [البقرة].

(٥٨) ٨٣٧ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال: أنبأنا عبد الرزاق قال: أنبأنا معمر عن قتادة في قوله: ﴿ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ قال: بيت المقدس[(١)].

(٥٩) ٨٣٨ ـ حدثني موسى بن هارون قال: حدثني عمرو بن حماد قال: ثنا أسباط عن السدي: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ أما القرية فقرية بيت المقدس[(٢)].

(٦٠) ٨٤٠ ـ حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: سألته؛ يعني: ابن زيد عن قوله: ﴿ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا﴾ قال: هي أريحا وهي قرية من بيت المقدس[(٣)].

ثانياً: الدراسة

قضى الله على بني إسرائيل بعدم دخول الأرض المقدسة أربعين سنة يتيهون في الصحراء وهو ما عُرف (بالتيه) وسيأتي الحديث عنه، قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١١٢)، والقرطبي (١/ ٢٧٥)، والبغوي (١/ ٩٧).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٩٩)، تفسير عبد الرزاق (١/ ٤٦)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١١٦)، تفسير الدر المنثور (١/ ١٧٢)، صححه في التفسير الصحيح (١/ ١٦٤).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٢٩٩)، فتح الباري (٨/ ٢٠٠).

ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [المائدة]، وفي نهاية هذه المدة الطويلة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأعراف].

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: «**واذكر أيضاً يا محمد من خطأ فعل هؤلاء القوم، وخلافهم على ربهم، وعصيانهم نبيهم موسى ﷺ، وتبديلهم القول الذي أمروا أن يقولوه حين قال الله لهم: ﴿ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ وهي قرية بيت المقدس، ﴿وَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ يقول: من ثمارها وحبوبها ونباتها ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ منها يقول: أنى شئتم منها ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ يقول: وقولوا: هذه الفعلة حطة تحط ذنوبنا ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ﴾ يتغمد لكم ربكم ذنوبكم التي سلفت منكم فيعفو لكم عنها فلا يؤاخذكم بها. ﴿سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ منكم وهم المطيعون لله على ما وعدتكم من غفران الخطايا**».

ثم قال: فذكرهم بذلك جل ذكره اختلاف آبائهم، وسوء استقامة أسلافهم لأنبيائهم، مع كثرة معاينتهم من آيات الله ﷻ وعبره ما تثلج بأقلها الصدور، وتطمئن بالتصديق معها النفوس؛ وذلك مع تتابع الحجج عليهم، وسبوغ النعم من الله لديهم. وهم مع ذلك مرة يسألون نبيهم أن يجعل لهم إلـٰهاً غير الله، ومرة يعبدون العجل من دون الله، ومرة يقولون لا نصدقك حتى نرى الله جهرة، وأخرى يقولون له إذا دُعوا إلى القتال: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ومرة يقال لهم: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ﴾ [الأعراف: ١٦١] فيقولون: حنطة في شعيرة ويدخلون الباب من قِبَل أستاههم، مع غير ذلك من أفعالهم التي آذوا بها نبيهم ﷺ التي يكثر إحصاؤها. فأعلم ربنا تبارك وتعالى ذكره الذين خاطبهم بهذه الآيات من يهود بني إسرائيل الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله ﷺ أنهم لن يعدوا أن يكونوا في تكذيبهم محمداً ﷺ، وجحودهم نبوته، وتركهم الإقرار به وبما جاء به مع علمهم به ومعرفتهم بحقيقة أمره؛ كأسلافهم وآبائهم الذين فصل عليهم قصصهم في ارتدادهم عن دينهم مرة بعد أخرى وتوثبهم على نبيهم موسى صلوات الله وسلامه عليه تارة بعد أخرى مع عظيم بلاء الله ﷻ عندهم وسبوغ آلائه عليهم.

وبسط ذلك كالتالي:

لما طلب موسى عليه السلام من بني إسرائيل أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لهم، جبنوا عن دخولها، ورفضوا وتعللوا بالقوم الجبارين القاطنين لها، وقالوا: إنهم لن يدخلوها حتى يخرج منها الجبارون، وكان فيهم رجلان ممن يخاف الله، فبينوا لهم أنسب الطرق لدخولها، وما زادهم ذلك غير العناد، بل طلب بنو إسرائيل من موسى أن يذهب هو وربه فيقاتلا، ومن النعم العظيمة التي يذكّر الله بها اليهود عامة، ما منَّ الله به على أسلافهم، وذلك يوم أن أذن لهم بالخلاص من التيه الذي دام أربعين عاماً، وهي التي حرم الله عليهم فيها الدخول الى الأرض المقدسة، دلهم إلى ما يوجب رحمته والخلاص من عناء التيه والضياع، فأمرهم بالدخول (سجداً) وأن يقولوا: (حطة).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٦١].

وقد وعدهم الله بالرزق الرغيد والواسع إن هم أطاعوا أمره.

واختُلف في هذه القرية ما هي؟

١ ـ فقيل: بيت المقدس، وهو المروي عن السدي والربيع بن أنس وقتادة وأبي مسلم الأصفهاني وغير واحد.

٢ ـ وقيل: أريحا[1]، ويحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما وعبد الرحمٰن بن زيد[2].

٣ ـ وقيل: مصر كما حكاه الرازي في تفسيره.

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٩٩)، تفسير الدر المنثور (١/ ١٧٢)، صححه في التفسير الجامع (٢/ ٣٥٢).

(٢) أريحا بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة والحاء مهملة والقصر، وقد رواه بعضهم بالخاء المعجمة لغة عبرانية وهي مدينة الجبارين في الغور من أرض الأردن بالشام بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس في جبال صعبة المسلك سميت فيما قيل بأريحا بن مالك بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام: معجم البلدان (١/ ١٦٥).

ورجح ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ أنها بيت المقدس، وقال عن أريحا: هذا بعيد لأنها ليست على طريقهم، وهم قاصدون بيت المقدس لا أريحاء.

والصحيح الأول أنها بيت المقدس، وهذا كان لما خرجوا من التيه بعد أربعين سنة مع يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفتحها الله عليهم عشية جمعة، وقد حُبست لهم الشمس يومئذ قليلاً حتى أمكن الفتح، ولما فتحوها أمروا أن يدخلوا الباب ـ باب البلد ـ (سجداً) أي: شكراً لله تعالى على ما أنعم عليهم من الفتح والنصر، ورد عليهم وإنقاذهم من التيه والضلال.

واختلف في المراد بالسجود في قوله تعالى: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ على أقوال:

١ ـ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان يقول في قوله تعالى: «أي: ركعاً»، وروى ابن جرير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ قال: «ركعاً من باب صغير»، ورواه الحاكم[1] من حديث سفيان به، ورواه ابن أبي حاتم من حديث سفيان وهو الثوري به وزاد: فدخلوا من قبل أستاههم.

٢ ـ وقال الحسن البصري: «أمروا أن يسجدوا على وجوههم حال دخولهم» واستبعده الرازي.

٣ ـ وحكي عن بعضهم أن المراد ههنا بالسجود: الخضوع، لتعذر حمله على حقيقته، ثم اختلف في المراد بالباب:

١ ـ فقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كان الباب قِبَل القبلة».

٢ ـ وفي رواية أخرى عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «هو باب الحطة من باب إيلياء[2] بيت المقدس»، وهو قول مجاهد والسدي وقتادة والضحاك.

---

(١) المستدرك (٢/ ٢٦٢).

(٢) قال ياقوت الحموي: أيلة بالفتح مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام واشتقاقها قد ذكر في اشتقاق إيلياء. بعده قال أبو زيد: أيلة مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير وهي مدينة لليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة وخنازير، وبها في يد اليهود عهد لرسول الله ﷺ، وقال أبو المنذر: سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقال =

٣ ـ وحكى الرازي عن بعضهم أنه عنى بالباب جهة من جهات القبلة.

أما طريقة دخولهم فقال ابن عباس رضي الله عنهما: «فدخلوا على شق»، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «قيل لهم: ادخلوا الباب سجداً فدخلوا مقنعي رؤوسهم؛ أي: رافعي رؤوسهم خلاف ما أمروا».

أما قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾.

١ ـ فعن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَقُولُوا۟﴾ قال: «مغفرة استغفروا»، وروي عن عطاء والحسن وقتادة والربيع بن أنس نحوه.

٢ ـ وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ قال: «قولوا هذا الأمر حق كما قيل لكم».

٣ ـ وقال عكرمة: «**قولوا: لا إله إلا الله**».

٤ ـ وقال الأوزاعي: «كتب ابن عباس رضي الله عنهما إلى رجل قد سمَّاه فسأله عن قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ فكتب إليه أن أقر بالذنب».

٥ ـ وقال الحسن وقتادة: «أي: احطط عنا خطايانا».

وقوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩] روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً، وقولوا: حطة، فدخلوا يزحفون على أستاههم، فبدلوا وقالوا: حبة في شعرة**»[(١)].

وروى عبد الرزاق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً، وقولوا: حطة نغفر لكم خطاياكم، فبدلوا ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم، فقالوا: حبة في شعرة**». وهذا حديث

= أبو عبيدة: أيلة مدينة بين الفسطاط ومكة على شاطىء بحر القلزم تعد في بلاد الشام وقدم يوحنة بن روبة على النبي ﷺ من أيلة وهو في تبوك فصالحه على الجزية وقرر على كل حالم بأرضه في السنة ديناراً فبلغ ذلك ثلاثمائة دينار، واشترط عليهم قري من مر بهم من المسلمين وكتب لهم كتاباً أن يحفظوا ويمنعوا: معجم البلدان (١/ ٢٩٢).

(١) البخاري ح(٤٤٧٩).

صحيح رواه البخاري[1] عن إسحاق بن نصر، ومسلم[2] عن محمد بن رافع، والترمذي[3] عن عبد بن حميد كلهم عن عبد الرزاق به، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال محمد بن إسحاق: كان تبديلهم كما حدثني صالح بن كيسان عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة ﷺ وعمن لا أتهم عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**دخلوا الباب الذي أمروا أن يدخلوا فيه سجداً يزحفون على أستاههم وهم يقولون حنطة في شعيرة**»، وروى أبو داود عن أبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبي ﷺ: «**قال الله لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم**»[4].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: «سرنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كان من آخر الليل أجزنا في ثنية يقال لها: ذات الحنظل»، فقال رسول الله ﷺ: «**ما مثل هذه الثنية الليلة إلا كمثل الباب الذي قال الله لبني إسرائيل:** ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨]».

وقال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن البراء في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٢] قال: «اليهود قيل لهم: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ قال: ركعاً ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ أي: مغفرة فدخلوا على أستاههم وجعلوا يقولون حنطة حمراء فيها شعيرة، فذلك قول الله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩].

وعن ابن مسعود ﷺ: «﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ فقالوا: حنطة حبة حمراء فيها شعيرة، فأنزل الله: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾.

وعن ابن مسعود ﷺ أنه قال: «إنهم قالوا: هطاً سمعاناً أزبة مزبا، فهي بالعربية حبة حنطة حمراء مثقوبة فيها شعرة سوداء، فذلك قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾.

---

(١) البخاري (٣٤٠٣).
(٢) مسلم (٣٠١٥).
(٣) سنن الترمذي (٢٩٥٦).
(٤) سنن أبي داود (٤٠٠٦).

وعن ابن عباس ﵄ في قوله تعالى: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ قال: «ركعاً من باب صغير فدخلوا من قبل أستاههم وقالوا حنطة، فذلك قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ﴾، وهكذا روي عن عطاء ومجاهد وعكرمة والضحاك والحسن وقتادة والربيع بن أنس ويحيى بن رافع.

وحاصل ما ذكره المفسرون وما دل عليه السياق: أنهم بدلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل، فأمروا أن يدخلوا سجداً فدخلوا يزحفون على أستاههم، من قبل أستاههم، رافعي رؤوسهم، وأمروا أن يقولوا: حطة؛ أي: احطط عنا ذنوبنا وخطايانا، فاستهزأوا فقالوا حنطة في شعيرة! وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة، ولهذا أنزل الله بهم بأسه، وعذابه بفسقهم، وهو خروجهم عن طاعته، ولهذا قال: ﴿فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩]، وقال الضحاك عن ابن عباس ﵄: «كل شيء في كتاب الله من الرجس؛ يعني به: العذاب»، وهكذا روي عن مجاهد وأبي مالك والسدي والحسن وقتادة أنه العذاب، وقال أبو العالية: «الرجز الغضب»، وقال الشعبي: «الرجز إما الطاعون، وإما البرد»، وقال سعيد بن جبير: «الطاعون»، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن إبراهيم بن سعد؛ يعني: ابن أبي وقاص عن سعد بن مالك وأسامة بن زيد وخزيمة بن ثابت ﵃ قالوا: قال رسول الله ﷺ: **«الطاعون رجز أو عذاب عذب به من كان قبلكم»**، وهكذا رواه النسائي[(١)] من حديث سفيان الثوري به، وأصل الحديث في الصحيحين[(٢)] من حديث حبيب بن أبي ثابت: **«إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها»**.

وعن أسامة بن زيد عن رسول الله ﷺ قال: **«إن هذا الوجع والسقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم»**[(٣)].

---

(١) سنن النسائي (٢٥٢٣)، سنن البيهقي (٢٢١٨/٧٥٢٣).
(٢) صحيح البخاري (٥٧٢٨)، صحيح مسلم (٢٢١٨).
(٣) صحيح البخاري (٣٤٧٣)، صحيح مسلم (٢٢١٨)، ملخصاً من تفسير ابن كثير (١٤٨/١ ـ ١٥٠).

❖ المطلب السابع ❖

مضاعفة أجر من آمن منهم

أولاً: الآثـــار

۞ **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة].

(٦١) **٩٢٩** ـ حدثني المثنى قال: ثنا أبو صالح قال: حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ فأنزل الله تعالى بعد هذا: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران][(١)].

۞ **قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ **[الحديد]**.

(٦٢) **٢٦٠٨٦** ـ حدثني محمد بن سعد. قال: ثني أبي، ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ يعني: الذين آمنوا من أهل الكتاب[(٢)].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٢٣)، تفسير ابن كثير (١/ ١٠٤)، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (١٠/ ٤٤١).

(٢) تفسير الطبري (٢٧/ ٢٤٥)، تفسير الدر المنثور (٨/ ٦٧)، تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤١)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٨) إسناده مسلسل بالضعفاء ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٥٠٣): أن هذا إسناد ضعيف، وذكر الشيخ أحمد شاكر في =

❁ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [القصص].

(٦٣) **٢٠٩٥٣** ـ حدثنا ابن سنان، قال: ثنا حيان، قال: ثنا حماد، عن عمرو، عن يحيى بن جعدة، عن عطية القرظي قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ حتى بلغ: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٣] في عشرة أنا أحدهم، فكأن ابن عباس أراد بقوله: يعني: محمداً: لعلهم يتذكرون عهد الله في محمد إليهم، فيقرون بنبوته ويصدقونه[(١)].

(٦٤) **٢٠٩٥٦** ـ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [القصص] قال: كنا نحدث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق، يأخذون بها، وينتهون إليها، حتى بعث الله محمداً ﷺ، فآمنوا به، وصدقوا به، فأعطاهم الله أجرهم مرتين، بصبرهم على الكتاب الأول، واتباعهم محمداً ﷺ، وصبرهم على ذلك، وذكر أن منهم سلمان، وعبد الله بن سلام[(٢)].

ثانياً: الدراسة

وعد الله ـ تبارك وتعالى ـ من آمن من اليهود أو النصارى بمضاعفة أجره إن هو آمن برسالة محمد ﷺ، ويدل ذلك قوله ﷺ: «**ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله**

= تعليقه على تفسير الطبري (١/ ٢٦٣): أن هذا إسناد مسلسل بالضعفاء، من أسرة واحدة.

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٨٨)، تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٨٨)، تفسير الدر المنثور (٦/ ٤٢٢)، تفسير القرطبي (١٣/ ٢٩٦)، تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٤)، المعجم الكبير (٥/ ٥٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٨٩)، تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٩٠)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدَّبها فأحسن أدبها وعلَّمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران»[١].

وروى الإمام أحمد بسنده إلى ابن أبي أمامة قال: «إني لتحت راحلة رسول الله ﷺ يوم الفتح فقال قولاً حسناً جميلاً». وقال فيما قال: «**من أسلم من أهل الكتابين فله أجره مرتين، وله ما لنا وعليه ما علينا**»[٢].

ويؤيد ذلك ما ورد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص: ٥٤]، فقد ورد نزولها في طائفة آمنوا من اليهود كعبد الله بن سلام رضي الله عنه كما مر في الأثر.

وهنا إشكال وهو: هل لا بد لليهودي أن يؤمن بعيسى عليه السلام أولاً، ثم محمد حتى يضاعف أجره؟

الظاهر من النصوص السابقة عدم التحديد، ويؤيد ذلك ما رواه علي بن رفاعة القرظي قال: خرج عشرة من أهل الكتاب ـ منهم: أبي رفاعة ـ إلى النبي ﷺ فآمنوا به فأوذوا فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ الآيات [القصص][٣]. فهؤلاء من بني إسرائيل ولم يؤمنوا بعيسى، بل استمروا على اليهودية إلى أن آمنوا بمحمد ﷺ، وقد ثبت أنهم يؤتون أجرهم مرتين كما في الحديث.

قال الطيبي: فيحتمل إجراء الحديث على عمومه إذ لا يبعد أن يكون طريان الإيمان بمحمد ﷺ سبباً لقبول تلك الأديان وإن كانت منسوخة[٤].

ويمكن أن يقال في حق هؤلاء الذين كانوا بالمدينة: إنه لم تبلغهم دعوة عيسى عليه السلام؛ لأنها لم تنتشر في أكثر البلاد فاستمروا على يهوديتهم مؤمنين بنبيهم موسى عليه السلام إلى أن جاء الإسلام فآمنوا بمحمد ﷺ، فبهذا يرتفع

---

(١) متفق عليه وهذا لفظ البخاري (١/ ٣٢)، ومسلم (١/ ٤٦٤).
(٢) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٥٩).
(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٥/ ٥٣)، وصححه ابن حجر في فتح الباري (١٩١/١).
(٤) فتح الباري (١/ ١٩١).

الإشكال إن شاء الله تعالى[١].

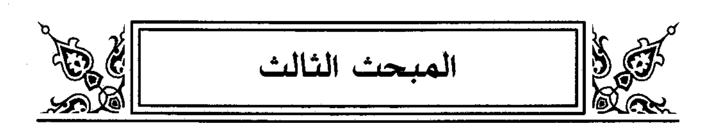
وكما ثبت هذا الأجر لمؤمني أهل الكتاب، فأمة محمد موعودة بالخيرية دائماً، فمن آمن بالله ورسوله فقد وعده الله بكفلين[٢] من رحمته. كما روى ابن ابي حاتم بسنده: عن مقاتل بن حيان قال: «لما نزلت: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [القصص: ٥٤] فَخِرَ مؤمنو أهل الكتاب على الصحابة رضي الله عنهم فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨]، فجعل لهم أجرين مثل أجور مؤمني أهل الكتاب»[٣].

---

(١) فتح الباري (١/ ١٩١).

(٢) قال الطبري: وأصل الكفل: الحظ، وأصله: ما يكتفل به الراكب، فيحبسه ويحفظه عن السقوط؛ يقول: يحصنكم هذا الكفل من العذاب، كما يحصن الكفل الراكب من السقوط، وقال ابن منظور: الكِفْل: الحَظُّ والضِّعف من الأجر والإِثم، وعم به بعضهم، ويقال له: كِفْلان من الأَجر. لسان العرب (١١/ ٥٩٠).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٩٠)، واستشهد به ابن كثير على أنها في حق المؤمنين (٤/ ٣١٨).



المبحث الثالث

الآثار الواردة في عقاب الله لهم

❖ المطلب الأول ❖

عقاب الله لهم في الدنيا

وفيه ثمان مسائل:

❋ المسألة الأولى: غضب الله عليهم

أولاً: الآثـــار

۞ **قوله تعالى:** ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة].

(٦٥) **١٦٦** - وحدثنا أبو كريب قال: حدثنا عثمان بن سعيد قال: حدثنا بشر بن عمار قال: حدثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ﴾ يعني: اليهود الذين غضب الله عليهم[(١)].

۞ **قوله تعالى:** ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ﴾ [البقرة: ٧٩].

(٦٦) **١١٥١** - حدثني المثنى بن إبراهيم قال: ثنا إبراهيم بن عبد السلام قال: ثنا علي بن جرير عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة

(١) تفسير الطبري (١/ ٨٠)، تفسير ابن كثير (١/ ٣١).

العدوي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ «**الويل: جبل في النار**». وهو الذي أنزل في اليهود؛ لأنهم حرَّفوا التوراة وزادوا فيها ما يحبون ومحوا منها ما يكرهون، ومحوا اسم محمد ﷺ من التوراة؛ فلذلك غضب الله عليهم فرفع بعض التوراة فقال: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[(١)].

(٦٧) **١٢٨٠** ـ حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠] غضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل وبعيسى، وغضب عليهم بكفرهم بالقرآن وبمحمد ﷺ[(٢)].

(٦٨) **١٢٨١** ـ حدثني المثنى قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ﴾ اليهود بما كان من تبديلهم التوراة قبل خروج النبي ﷺ، ﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ جحودهم النبي ﷺ وكفرهم بما جاء به[(٣)].

(٦٩) **١٢٨٢** ـ حدثنا المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ يقول: غضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل وعيسى عليه السلام، ثم غضبه عليهم بكفرهم بمحمد ﷺ وبالقرآن[(٤)].

(٧٠) **١٢٨٣** ـ حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ أما الغضب الأول: فهو حين غضب الله

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٧٩)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٠١)، تفسير ابن كثير (١/ ١١٨).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤١٧)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢١٨)، تفسير ابن كثير (١/ ١٢٦)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٤١٧)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢١٨)، وصحح إسناده الحافظ في الفتح (١٣/ ٤٩٤).

(٤) تفسير الطبري (١/ ٤١٧)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٧٣)، حسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/ ٣٦٦).

عليهم في العجل، وأما الغضب الثاني: فغضب عليهم حين كفروا بمحمد ﷺ[١].

(٧١) ١٢٨٤ ـ حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج وعطاء وعبيد بن عمير قوله: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ قال: غضب الله عليهم فيما كانوا فيه من قبل خروج النبي ﷺ من تبديلهم وكفرهم، ثم غضب عليهم في محمد ﷺ إذ خرج فكفروا به[٢].

قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾ [البقرة].

(٧٢) ١٢٨١ ـ حدثني المثنى قال: ثنا أبو حذيفة قال: ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ﴾ اليهود بما كان من تبديلهم التوراة قبل خروج النبي ﷺ ﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ جحودهم النبي ﷺ وكفرهم بما جاء به[٣].

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧].

(٧٣) ١٣٣٠ ـ حدثنا أبو كريب قال: ثنا يونس عن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: حضرت عصابة من اليهود رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي! فقال رسول الله ﷺ: «**سلوا عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيئاً فعرفتموه لتتابعنِّي على الإسلام**». فقالوا: ذلك لك. فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤١٧)، تفسير القرطبي (٢/ ٢٨)، تفسير ابن كثير (١/ ١٢٦).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٤١٧).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٤١٧)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢١٨)، وصحح إسناده الحافظ في الفتح (١٣/ ٤٩٤).

«**سلوني عما شئتم**»، فقالوا: أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن! أخبرنا أي الطعام حرَّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟ وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل، وكيف يكون الذكر منه والأنثى؟ وأخبرنا بهذا النبي الأمي في النوم ومن وليه من الملائكة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**عليكم عهد الله لئن أنا أنبأتكم لتتابعني**». فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق فقال: «**نشدتكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضاً شديداً فطال سقمه منه، فنذر نذراً لئن عافاه الله من سقمه ليحرمنَّ أحب الطعام والشراب إليه، وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل؟**» ـ قال أبو جعفر: فيما أرى: «**وأحب الشراب إليه ألبانها**» ـ فقالوا: اللَّهُمَّ نعم. فقال رسول الله ﷺ: «**أشهد الله عليكم وأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ، وأن ماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا كان له الولد والشبيه بإذن الله، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكراً بإذن الله، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله؟**» قالوا: اللَّهُمَّ نعم! قال: «**اللَّهُمَّ اشهد**». قال: «**وأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه؟**»، قالوا: اللَّهُمَّ نعم! قال: «**اللَّهُمَّ اشهد**». قالوا: أنت الآن تحدثنا من وليك من الملائكة؟ فعندها نتابعك أو نفارقك. قال: «**فإن وليي جبريل ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه**». قالوا: فعندها نفارقك لو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك. قال: «فما يمنعكم أن تصدقوه؟»، قالوا: إنه عدوُّنا. فأنزل الله ﷻ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧] إلى قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١]. فعندها باؤوا بغضب على غضب[١].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٣١ ـ ٤٣٢)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٠٤ ـ ٧٠٥)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٢١ ـ ٢٢٢).

❁ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الممتحنة].

(٧٤) ٢٦١٧٨ ـ حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [المجادلة: ١٤] إلى آخر الآية قال: هم المنافقون تولوا اليهود وناصحوهم(١).

(٧٥) ٢٦١٧٨أ ـ حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ﴿تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ قال: هم اليهود تولاهم المنافقون(٢).

❁ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران].

(٧٦) ٥٦٩٧ ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى قال: أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني يعقوب بن عبد الرحمٰن الزهري عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله ـ لا أراه إلا يحدثه عن أبيه ـ: أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقي عالماً من اليهود فسأله عن دينه، وقال: إني لعلّي أن أدين دينكم فأخبرني عن دينكم! فقال له اليهودي: إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله. قال زيد: ما أفر إلا من غضب الله ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً، وأنا لا أستطيع فهل تدلني على دين ليس فيه هذا؟ قال: ما أعلمه إلا أن تكون حنيفاً، قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم لم يك يهودياً ولا نصرانياً وكان لا يعبد إلا الله. فخرج من عنده فلقي عالماً من النصارى فسأله عن دينه فقال: إني لعلّي أن أدين دينكم فأخبرني عن دينكم! قال: إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله. قال: لا أحتمل من لعنة الله شيئاً ولا من غضب الله شيئاً أبداً، وأنا لا أستطيع فهل

---

(١) تفسير الطبري (٢٨/ ٢٣)، تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٨٠)، تفسير الدر المنثور (٨/٨٥)، وحسنه في التفسير الصحيح (٤/ ٤٥٩).

(٢) تفسير الطبري (٢٨/ ٢٣)، تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٨٠).

تدلني على دين ليس فيه هذا؟ فقال له نحواً مما قاله اليهودي: لا أعلمه إلا أن تكون حنيفاً. فخرج من عنده وقد رضي الذي أخبراه والذي اتفقا عليه من شأن إبراهيم، فلم يزل رافعاً يديه إلى الله وقال: اللَّهُمَّ إني أشهدك أني على دين إبراهيم(١).

ثانياً: الدراســـة

أمة الغضب، هذا هو الوصف الذي ينطبق على اليهود. واستحقوا غضب الله في الدنيا والآخرة كونهم عرفوا الحق ولم يتبعوه، وليسوا مثل النصارى الذين عبدوا الله على غير علم، بل هم أشد انحرافاً وعناداً استحقوا به غضب الله.

وهو أول وصف لليهود يقابلك في كتاب الله، بل في فاتحته: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، وهذه العقوبة هي سبب العقوبات الدنيوية والأخروية لهم.

واليهود الذين لُعنوا كانوا يعرفون الحق قبل أن يأتي من يخبرهم عنه، فلعن الذين كفروا من بني إسرائيل وليس كل بني إسرائيل، فقط الذين لا يتناهون عن المنكر مع معرفتهم بأنه منكر فهم مغضوب عليهم.

وكذلك هم مع محمد ﷺ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وكانوا يتوعدون العرب به، ولما جاء من غيرهم وعلى غير ما يخبرون به الأنصار جحدوا نبوته؛ لأنهم يكفرون بآيات الله، ولقتلهم الأنبياء بغير حق، وبما كانوا يعتدون، ولمثل هذا أمرنا ربنا تبارك وتعالى ان نستعيذ من طريق المغضوب عليهم والضالين في كل يوم سبعة عشر مرة في فاتحة الكتاب التي تتضمَّنها كل ركعة، وكان يكفي اليهود أن يؤمنوا بمحمد ﷺ حتى يحط الله عنهم لعنته وغضبه، ولكن أبت نفوس أكثرهم إلا الضلال.

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣٠٧)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٢٣٧)، صححه في التفسير الصحيح (٢/ ٣٥٢).

فعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: «انطلق النبي ﷺ وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيدهم، وكرهوا دخولنا عليهم»، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**يا معشر اليهود، أروني اثنى عشر رجلاً يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه**، قال: فأمسكوا وما أجابه منهم أحد، ثم رد عليهم فلم يجبه أحد، ثم ثلَّث فلم يجبه أحد، فقال: **أبيتم فوالله إني لأنا الحاشر وأنا العاقب وأنا المقفي آمنتم أو كذبتم**، ثم انصرف وأنا معه حتى دنا أن يخرج فإذا رجل من خلفنا يقول: كما أنت يا محمد، قال: فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود، قالوا: ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله ولا أفقه منك، ولا من أبيك من قبلك، ولا من جدك قبل أبيك، قال: فإني أشهد له بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة، قالوا: كذبت ثم ردوا عليه وقالوا له شراً، فقال رسول الله ﷺ: **كذبتم لن يقبل قولكم، أما آنفاً فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم، وأما إذا آمن كذبتموه وقلتم ما قلتم فلن يقبل قولكم**، قال: فخرجنا ونحن ثلاثة رسول الله ﷺ وأنا وعبد الله بن سلام»(١).

وقوله تبارك وتعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] لا شك أنه يعني: اليهود بالدرجة الأولى، وإن كان يصدق على كل ضال.

وقد استدل لذلك ابن جرير رحمه الله بالقرآن بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة].

وبالسُّنَّة بقوله ﷺ لعدي بن حاتم رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ: «**إن المغضوب عليهم اليهود**»(٢).

---

(١) مسند الإمام أحمد (٦/ ٢٥)، وابن حبان (١٦/ ١٢٠)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٧٠).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٣٧٨)، والترمذي (٢٩٥٣)، وابن حبان (٧٢٠٦)، وصححه أحمد شاكر في تخريجه للطبري برقم (١٩٣).

وقد تكرر غضب الله على اليهود، وذلك مع كل عصيان يظهرونه، كما قال تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾ [البقرة].

فهناك غضب أول، وهو على جرائمهم الأولى من عبادة العجل، والكفر بعيسى عليه السلام، وارتكاب المعاصي وتضييع التوراة. وهناك غضب ثان على كفرهم وتكذيبهم لمحمد ﷺ والقرآن.

❋ المسألة الثانية: اللعن

أولاً: الآثار

✿ قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المائدة].

(٧٧) ٩٦٠٠ ـ حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ قال: لعنوا بكل لسان؛ لعنوا على عهد موسى عليه السلام في التوراة، ولعنوا على عهد داود عليه السلام في الزبور، ولعنوا على عهد عيسى عليه السلام في الإنجيل، ولعنوا على عهد محمد ﷺ في القرآن[١].

(٧٨) حدثني المثنى قال: ثنا عبد الله بن صالح قال: ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ يقول: لعنوا في الإنجيل على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام، ولعنوا في الزبور على لسان داود عليه السلام[٢].

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٣١٧)، تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٨٢) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٣١٧)، تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٨٢)، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (١٠/ ٤٤١).

(٧٩) حدثنا ابن وكيع قال: ثنا ابن فضيل عن أبيه عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾ قال: خالطوهم بعد النهي في تجاراتهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، فهم ملعونون على لسان داود وعيسى ابن مريم عليه السلام[1].

(٨٠) ٩٦٠١ ـ حدثنا ابن وكيع قال: ثنا جرير عن حصين عن مجاهد: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾ قال: لعنوا على لسان داود عليه السلام فصاروا قردة، ولعنوا على لسان عيسى عليه السلام فصاروا خنازير[2].

ثانياً: الدراسة

لعن الله اليهود في كتابه العزيز في مواضع كثيرة، ولأسباب عديدة، بيّنَها الرب تبارك وتعالى، واللعنة يراد بها الإبعاد عن رحمة الله[3]، فأصل اللعن: الطرد والإبعاد عن الخير[4]، وهو الطرد والإبعاد على سبيل السخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء على غيره[5].

ولعن الله اليهود في كتابه الكريم مراراً، وبيَّن سبب اللعن، ولعنهم على لسان أنبيائه الكرام عليهم السلام، بل إنهم لعنوا في جميع الكتب السماوية كما في الآثار السابقة.

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٣١٧)، تفسير الدر المنثور (٣/ ١٢٦).
(٢) تفسير الطبري (٦/ ٣١٧)، تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٨٢)، تفسير الدر المنثور (١٢٦/٣).
(٣) قاله النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٤٨).
(٤) مختار الصحاح، مادة: (ل ع ن)، وفتح الباري (١٢/ ٧٧).
(٥) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني (٤٥١).

فلماذا استحقوا اللعن؟

١ ـ لعنوا بسبب كفرهم. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [البقرة].

٢ ـ ولعنوا بسبب تفضيلهم الشرك وعبادة الأوثان على ما جاء به الرحمٰن. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء].

٣ ـ ولعنوا لوصفهم الله بالصفات الرديئة، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة].

٤ ـ ولعنوا لتحريفهم كلام الله ومعصيتهم مع معرفتهم للحق. قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾ [النساء].

٥ ـ ولعنوا على لسان أنبياء الله كداود وعيسى عليهما السلام لمعصيتهم واعتدائهم وتركهم التناهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المائدة].

وهو في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل: كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال:** ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ﴾ إلى قوله: ﴿فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨١]، ثم قال: **كلا والله لتأمرنَّ بالمعروف**

ولتنهُونَّ عن المنكر، ولتأخذنَّ على يدي الظالم، ولتأطرنَّه على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً»[١].

٦ ـ ولعنوا على لسان محمد ﷺ لأمور منها:

أ ـ اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد: كما روت عائشة رضي الله عنها وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قالا: «لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه،» فقال وهو كذلك: «**لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا**»[٢].

ب ـ مخادعتهم في مسألة: تحريم الشحوم، وإذابتهم لها ثم بيعها على أنها سمن وليست شحم. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت عمر رضي الله عنه يقول: «قاتل الله فلاناً ألم يعلم أن النبي ﷺ قال: «**لعن الله اليهود؛ حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها**»[٣]»[٤].

❁ المسألة الثالثة: الصاعقة

أولاً: الآثـــار

۞ **قال تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم﴾ [البقرة: ٥٤].

(٨١) **٧٩٣** ـ حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق قال: لما رجع موسى عليه السلام إلى قومه وأحرق العجل وذرَّاه في اليم؛ خرج إلى ربه بمن اختار من قومه فأخذتهم الصاعقة ثم بعثوا. سأل موسى عليه السلام ربه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل فقال: لا إلا أن يقتلوا أنفسهم. قال: فبلغني أنهم قالوا لموسى: نصبر لأمر الله، فأمر موسى عليه السلام من لم يكن عَبَدَ العجل

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ١٢١)، وسنن البيهقي الكبرى (١٠/ ٩٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم (١٨٢٢).

(٢) صحيح البخاري (١/ ١٦٨).

(٣) صحيح البخاري (٣/ ١٢٧٥).

(٤) وللتفصيل ينظر: كتاب لماذا لعن اليهود؟ لأحمد الحاج عن دار ابن حزم (١٤١٥هـ).

أن يقتل مَن عَبَده، فجلسوا بالأفنية وأَصْلَتَ عليهم القوم السيوف فحملوا يقتلونهم، وبكى موسى عليه السلام وَبَهَش إليه النساء والصبيان يطلبون العفو عنهم، فتاب عليهم وعفا عنهم، وأمر موسى أن ترفع عنهم السيوف[1].

(٨٢) ٨٠١ ـ حدثت عن عمار بن الحسن قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ [البقرة: ٥٥] قال: سمعوا صوتاً فصعقوا. يقول: فماتوا[2].

(٨٣) ٨٠٢ ـ حدثني موسى بن هارون الهمداني قال: ثنا عمرو بن حماد قال: ثنا أسباط عن السدي: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ والصاعقة: نار[3].

(٨٤) ٨٠٣ ـ حدثنا به ابن حميد قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق قال: أخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعاً[4].

ثانياً: الدراسة

عاقب الله بني إسرائيل ـ حين طلبوا معاندين رؤية الله عياناً ـ بأن أنزل عليهم الصاعقة، وهؤلاء هم خيرة بني إسرائيل، ولما نظر بعضهم إلى بعض وهم يضربون بالصواعق، هرعوا الى موسى عليه السلام فطفق يدعو ربه حتى عفا عنهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [البقرة]، وكما قال تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ۖ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٨٧)، تفسير ابن كثير (١/ ٩٤) إسناده ضعيف.
(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٩٠)، تفسير ابن كثير (١/ ٩٤) إسناده ضعيف لجهالة شيخ المصنف.
(٣) تفسير الطبري (١/ ٢٩٠)، تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٠٤)، تفسير الدر المنثور (٤/٦٢٦)، تفسير ابن كثير (١/ ٩٤).
(٤) تفسير الطبري (١/ ٢٩٠) إسناده ضعيف.

قال الربيع بن أنس: «كان موتهم عقوبة لهم فبعثوا من بعد الموت ليستوفوا آجالهم»[١].

وفي هذه الآية كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «استعطاف من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لربه، وتوسل إليه بعفوه عنهم من قبل حين عبد قومه العجل ولم ينكروا عليهم، يقول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إنهم قد تقدم منهم ما يقتضي هلاكهم، ومع هذا فوسعهم عفوك ومغفرتك ولم تهلكهم، فليسعهم اليوم ما وسعهم من قبل، وهذا كما يقول من واخذه سيده بجرم: لو شئت واخذتني من قبل هذا بما هو أعظم من هذا الجرم، ولكن وسعني عفوك أولاً فليسعني اليوم»[٢].

وأصل الصاعقة: كل أمر هائل رآه أو عاينه أو أصابه، حتى يصير من هوله وعظيم شأنه إلى هلاك وعطب، وإلى ذهاب عقل وغمور فهم، أو فقد بعض آلات الجسم، صوتاً كان ذلك أو ناراً أو زلزلة أو رجفاً[٣].

وكما في الآثار الواردة فقد فسِّرت الصاعقة بالموت، وفسِّرت بالنار، وفسِّرت بالصيحة والرجفة.

قال الطبري: «وتكون الصاعقة صوتاً أو ناراً أو زلزلة أو رجفاً»[٤].

واحتج على أن الصاعقة لا يلزم منها الموت بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف] يعني: مغشياً عليه. ومنه قول جرير بن عطية:

وهل كان الفرزدق غير قرد ... أصابته الصواعق فاستدارا

فقد علم أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن حين غشي عليه وصعق ميتاً؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ أخبر عنه أنه لما أفاق قال: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ولا شبَّه جرير

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٢٣٩).
(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ٣٠٧).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٣٠).
(٤) تفسير الطبري (١/ ٣٣٠).

الفرزدق وهو حي بالقرد ميتاً، ولكن معنى ذلك ما وصفنا[١].

وأما سبب الصاعقة فهو طلبهم رؤية الله، وقد وردت الآثار باختلاف في السبب الذي من أجله طلبوا لقاء الله، ثم طلبوا رؤية الله، أقربها: ذهابهم للقاء الله والتوبة من عبادة العجل، وقد وردت أثار أخرى تذكر أسباباً غير ما سبق كما ورد عن علي رضي الله عنه قال: «لما حضر أجل هارون عليه السلام أوحى الله إلى موسى عليه السلام أن انطلق أنت وهارون وابن هارون إلى غار في الجبل فإنا قابضو روحه، فانطلق موسى وهارون وابن هارون فلما انتهوا إلى الغار دخلوا، فإذا سرير فاضطجع عليه موسى ثم قام عنه فقال: ما أحسن هذا المكان يا هارون فاضطجع هارون فقبض روحه، فرجع موسى وابن هارون إلى بني إسرائيل حزينين فقالوا له: أين هارون؟ قال مات. قالوا: بل قتلته؛ كنت تعلم أنا نحبه. فقال لهم موسى: ويلكم أقتل أخي؟ وقد سألته الله وزيراً، ولو أني أردت قتله أكان ابنه يدعني؟ قالوا له: بل قتلته حسدتناه. قال: فاختاروا سبعين رجلاً، فانطلق بهم فمرض رجلان في الطريق فخط عليهما خطاً، فانطلق موسى وابن هارون وبنو إسرائيل حتى انتهوا إلى هارون عليه السلام فقالوا: يا هارون من قتلك؟ قال: لم يقتلني أحد ولكني مت. قالوا: ما تقضي يا موسى؟ ادع لنا ربك يجعلنا أنبياء. قال: فأخذتهم الرجفة فصعقوا، وصعق الرجلان اللذان خلفوا، وقام موسى عليه السلام يدعو: رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا، فأحياهم الله فرجعوا إلى قومهم أنبياء»[٢].

وما رواه الحاكم في مستدركه: عن محمد بن جعفر عن أبيه قال: «كان علم الله وحكمته في ذرية إبراهيم عليه السلام، فعند ذلك آتى الله يوسف بن يعقوب عليه السلام ملك الأرض المقدسة، فملك اثنتين وسبعين سنة، وذلك قوله عز وجل: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٣٠).

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي رقم الحديث (٤٣٨١).

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية [يوسف: ١٠١] فعند ذلك بعث الله موسى وهارون عليهما السلام فأورثهما مشارق الأرض ومغاربها، وملكهما ملكاً ناعماً، فملك موسى عليه السلام ومن معه من بني إسرائيل ثمان وثمانين سنة، ثم إن الله تعالى أراد أن يرد ذلك عليهم، فملكهم مشارق الأرض ومغاربها، وآتاهم ملكاً عظيماً، حتى سألوا أن ينظروا إلى ربهم، فقالوا: أرنا الله جهرة، وذلك حين رأوا موسى عليه السلام كلمه ربه، وسمعوا فطلبوا الرؤية، وكان موسى عليه السلام انتقى خيارهم ليشهدوا له عند بني إسرائيل أن ربه قد كلمه، فقالوا: لن نشهد لك حتى ترينا الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون»[١].

قال الطبري: «ولا خبر عندنا بصحة شيء مما قاله من ذكرنا قوله في سبب قيلهم ذلك لموسى تقوم به حجة فتسلم لهم. وجائز أن يكون ذلك بعض ما قالوه، فإذا كان لا خبر بذلك تقوم به حجة فالصواب من القول فيه أن يقال: إن الله جل ثناؤه قد أخبر عن قوم موسى أنهم قالوا له: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] كما أخبر عنهم أنهم قالوه. وإنما أخبر الله عز وجل بذلك عنهم الذين خوطبوا بهذه الآيات توبيخاً لهم في كفرهم بمحمد ﷺ، وقد قامت حجته على من احتج به عليه ولا حاجة لمن انتهت إليه إلى معرفة السبب الداعي لهم إلى قيل ذلك. وقد قال الذين أخبرنا عنهم الأقوال التي ذكرناها وجائز أن يكون بعضها حقاً كما قال»[٢].

بقي أن يقال: إن مما يؤخذ من عذاب الله لليهود تنبيه لليهود والمسلمين أن يسألوا رسول الله أسئلة التعنت، وقد قال تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، وإن كان هذا السؤال نوعاً آخر لكن المقصود أن سؤال الأنبياء حتى سؤال العلم منهم فيه أنواع كثيرة محرمة، وإن كانوا قد يعطون السائل فلا

---

(١) مستدرك الحاكم (٢/ ٦٣٢) رقم الحديث (٤١٠٦).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٣٢).

يدل ذلك على أن السؤال مشروع هذا في حياتهم فكيف بعد مماتهم؟ ولم ينقل أحد من أهل العلم أن أحداً من السلف سأل النبي ﷺ شيئاً بعد موته لا عند قبره ولا عند غير قبره، وكذلك قوم عيسى لما سألوا المائدة قبل رفع عيسى إلى السماء لم يكونوا محمودين في مسألتهم، بل كان نزولها ضرراً عليهم، وكذلك قوم موسى سألوا موسى أن يريهم الله جهرة فأخذتهم الصاعقة، وقوم صالح عليه السلام سألوا صالحاً آية فكانت سبب هلاكهم، فالسؤال فتنة وشر للسائل وهو للمسؤول أجر وخير ومعجزة»[1].

❁ المسألة الرابعة: التيه (وأبرز ما حصل فيه)



أولاً: الآثار

۞ قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦].

(٨٥) ٩١٢٦ ـ حدثني المثنى قال: ثنا إسحاق قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال: لما قال لهم القوم ما قالوا ودعا موسى عليه السلام عليهم، أوحى الله إلى موسى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ وهم يومئذ فيما ذكر ستمائة ألف مقاتل، فجعلهم فاسقين بما عصوا، فلبثوا أربعين سنة في فراسخ ستة، أو دون ذلك، يسيرون كل يوم جادين لكي يخرجوا منها، حتى يمسوا وينزلوا فإذا هم في الدار التي منها ارتحلوا. وإنهم اشتكوا إلى موسى ما فعل بهم فأنزل عليهم المن والسلوى، وأعطوا من الكسوة ما هي قائمة لهم، ينشأ الناشئ فتكون معه على هيئته. وسأل موسى عليه السلام ربه أن يسقيهم، فأتى بحجر الطور، وهو حجر أبيض إذا ما نزل القوم ضربه بعصاه، فيخرج منه اثنتا عشرة عيناً، لكل سبط منهم عين، قد علم كل أناس مشربهم. حتى إذا خلت أربعون سنة، وكانت

(١) الرد على البكري لابن تيمية (١/ ٢٠٥).

عذاباً بما اعتدوا وعصوا، أوحى إلى موسى عليه السلام أن مرهم أن يسيروا إلى الأرض المقدسة، فإن الله قد كفاهم عدوهم، وقل لهم إذا أتوا المسجد أن يأتوا الباب ويسجدوا إذا دخلوا ويقولوا: حطة. وإنما قولهم: حطة أن يحط عنهم خطاياهم. فأبى عامة القوم، وعصوا وسجدوا على خدهم، وقالوا: حنطة، فقال الله جل ثناؤه: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩]. . . إلى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾[١].

(٨٦) ٩١٢٧ ـ حدثنا محمد بن بشار قال: ثنا سليمان بن حرب قال: ثنا أبو هلال عن قتادة في قول الله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ قال: أبداً[٢].

(٨٧) ٩١٢٩ ـ حدثنا المثنى قال: ثنا مسلم بن إبراهيم قال: ثنا هارون النحوي قال: ثني الزبير بن الخريت عن عكرمة في قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦] قال: التحريم لا منتهى له[٣].

(٨٨) ٩١٣١ ـ حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال: ثنا إبراهيم بن بشار قال: ثنا سفيان قال: قال أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما دعا موسى عليه السلام قال الله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال: فدخلوا التيه، فكل من دخل التيه ممن جاوز العشرين سنة مات في التيه. قال: فمات موسى عليه السلام في التيه ومات هارون عليه السلام قبله. قال: فلبثوا في تيههم أربعين سنة، فناهض يوشع بمن بقي معه مدينة الجبارين فافتتح يوشع المدينة[٤].

(٨٩) ٩١٣٢ ـ حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قال الله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ حرمت عليهم القرى، وكانوا لا يهبطون قرية، ولا يقدرون على ذلك، إنما يتبعون الأطواء أربعين سنة. وذكر

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ١٨١ ـ ١٨٢).
(٢) تفسير الطبري (٦/ ١٨٢)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٥١).
(٣) تفسير الطبري (٦/ ١٨٢).
(٤) تفسير الطبري (٦/ ١٨٣)، تفسير ابن كثير (٢/ ٤١).

لنا أن موسى ﷺ مات في الأربعين سنة، وأنه لم يدخل بيت المقدس منهم إلا أبناؤهم، والرجلان اللذان قالا ما قالا[١].

(٩٠) ٩١٣٣ - حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق قال: ثني بعض أهل العلم بالكتاب الأول قال: لما فعلت بنو إسرائيل ما فعلت من معصيتهم نبيهم، وهمهم بكالب ويوشع إذ أمراهم بدخول مدينة الجبارين، وقالا لهم ما قالا، ظهرت عظمة الله بالغمام على نار فيه الرمز على كل بني إسرائيل، فقال جل ثناؤه لموسى عليه السلام: إلى متى يعصيني هذا الشعب، وإلى متى لا يصدقون بالآيات كلها التي وضعت بينهم؟ أضربهم بالموت فأهلكهم وأجعل لك شعباً أشد منهم. فقال موسى عليه السلام: يسمع أهل المصر الذين أخرجت هذا الشعب بقوتك من بينهم، ويقول ساكنو هذه البلاد الذين قد سمعوا أنك أنت الله في هذا الشعب، فلو أنك قتلت هذا الشعب كلهم كرجل واحد لقالت الأمم الذين سمعوا باسمك: إنما قتل هذا الشعب من أجل لا يستطيع أن يدخلهم الأرض التي خلق لهم، فقتلهم في البرية، ولكن لترتفع أياديك ويعظم جزاؤك يا رب كما كنت تكلمت، وقلت لهم فإنه طويل صبرك، كثيرة نعمك، وأنت تغفر الذنوب فلا توبق، وإنك تحفظ الآباء على الأبناء وأبناء الأبناء إلى ثلاثة أجيال وأربعة، فاغفر أي رب آثام هذا الشعب بكثرة نعمك، كما غفرت لهم منذ أخرجتهم من أرض مصر إلى الآن! فقال الله جل ثناؤه لموسى ﷺ: قد غفرت لهم بكلمتك، ولكن قد أتى إني أنا الله وقد ملأت الأرض محمدتي كلها، ألا يرى القوم الذين قد رأوا محمدتي وآياتي التي فعلت في أرض مصر وفي القفار، سألوني عشر مرات ولم يطيعوني لا يرون الأرض التي خلقت لآبائهم ولا يراها من أغضبني؛ فأما عبدي كالب الذي كان روحه معي واتبع هواي فإني مُدخله الأرض التي دخلها ويراها خلفه. وكان العماليق والكنعانيون جلوساً في الجبال ثم غدوا فارتحلوا في

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ١٨٣)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٥٢)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

القفار في طريق يحرسون، وكلم الله ﷻ موسى وهارون عليهما السلام وقال لهما: إلى متى توسوس عليَّ هذه الجماعة جماعة السوء؟ قد سمعت وسوسة بني إسرائيل. وقال: لأفعلن بكم كما قلت لكم ولتلقين جيفكم في هذه القفار وحسابكم من بني عشرين سنة فما فوق ذلك من أجل أنكم وسوستم علي فلا تدخلوا الأرض التي دفعت إليها، ولا ينزل فيها أحد منكم غير كالب بن يوفنا ويوشع بن نون، وتكون أثقالكم كما كنتم الغنيمة. وأما بنوكم اليوم الذين لم يعلموا ما بين الخير والشر، فإنهم يدخلون الأرض، وإني بهم عارف لهم الأرض التي أردت لهم وتسقط جيفكم في هذه القفار، وتتيهون في هذه القفار على حساب الأيام التي جسستم الأرض أربعين يوماً، مكان كل يوم سنة، وتقتلون بخطاياكم أربعين سنة، وتعلمون أنكم وسوستم: قد أنى لي أنا الله فاعل بهذه الجماعة ـ جماعة بني إسرائيل ـ الذين وعدوا بأن يتيهوا في القفار فيها يموتون! فأما الرهط الذين كان موسى بعثهم يتجسسون الأرض، ثم حرشوا الجماعة فأفشوا فيهم خبر الشر فماتوا كلهم بغتة وعاش يوشع وكالب بن يوفنا من الرهط الذين انطلقوا يتحسسون الأرض. فلما قال موسى عليه السلام هذا الكلام كله لبني إسرائيل، حزن الشعب حزناً شديداً، وغدوا فارتفعوا على رأس الجبل وقالوا: نرتقي الأرض التي قال جل ثناؤه: من أجل أنا قد أخطأنا. فقال لهم موسى: لم تعتدون في كلام الله من أجل ذلك لا يصلح لكم عمل، ولا تصعدوا من أجل أن الله ليس معكم، فالآن تنكسرون من قدام أعدائكم من أجل العمالقة والكنعانيين أمامكم، فلا تقعوا في الحرب من أجل أنكم انقلبتم على الله فلم يكن الله معكم! فأخذوا يرقون في الجبل ولم يبرح التابوت الذي فيه مواثيق الله جل ذكره وموسى من المحلة؛ يعني: من الحكمة حتى هبط العماليق والكنعانيون في ذلك الحائط فحرقوهم وطردوهم وقتلوهم. فتيَّههم الله عز ذكره في التيه أربعين سنة بالمعصية حتى هلك من كان استوجب المعصية من الله في ذلك. قال: فلما شب النواشئ من ذراريهم وهلك آباؤهم، وانقضت الأربعون سنة التي تتيهوا فيها، وسار بهم موسى ومعه يوشع بن نون وكالب بن يوفنا، وكان فيما يزعمون على مريم ابنة

عمران أخت موسى وهارون، وكان لهما صهراً؛ قدم يوشع بن نون إلى أريحاء في بني إسرائيل فدخلها بهم، وقتل الجبابرة الذين كانوا فيها، ثم دخلها موسى ببني إسرائيل فأقام فيها ما شاء الله أن يقيم، ثم قبضه الله إليه لا يعلم قبره أحد من الخلائق(١).

❑ قصة البقرة:

(٩١) ٩٧٨ ـ حدثنا به محمد بن عبد الأعلى قال: ثنا المعتمر بن سليمان قال: سمعت أيوب عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال: كان في بني إسرائيل رجل عقيم أو عاقر قال: فقتله وليه ثم احتمله فألقاه في سبط غير سبطه. قال: فوقع بينهم فيه الشر حتى أخذوا السلاح. قال: فقال أولو النهى: أتقتتلون وفيكم رسول الله؟ قال: فأتوا نبي الله فقال: اذبحوا بقرة! فقالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ﴾ [البقرة: ٦٧ ـ ٦٨] إلى قوله: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ قال: فضُرب فأخبرهم بقاتله. قال: ولم تؤخذ البقرة إلا بوزنها ذهباً. قال: ولو أنهم أخذوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم فلم يورث قاتل بعد ذلك(٢).

(٩٢) ٩٧٩ ـ وحدثني المثنى قال: ثنا آدم قال: حدثني أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ قال: كان رجل من بني إسرائيل وكان غنياً، ولم يكن له ولد، وكان له قريب، وكان وارثه فقتله ليرثه ثم ألقاه على مجمع الطريق، وأتى موسى عليه السلام فقال له: إن قريبي قتل، وأتى إلي أمر عظيم، وإني لا أجد أحداً يبين لي من قتله غيرك يا نبي الله. قال: فنادى موسى في الناس: أنشد الله من كان عنده من هذا علم إلا بينه لنا! فلم يكن عندهم علمه، فأقبل القاتل على موسى فقال: أنت نبي الله فاسأل لنا ربك أن يبين لنا! فسأل ربه فأوحى الله إليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ١٨٣ ـ ١٨٤) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٣٧)، صححه في التفسير الصحيح (١/ ١٧٤).

تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ فعجبوا وقالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾ يعني: هرمة ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ يعني: ولا صغيرة ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: نصف بين البكر والهرمة ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ أي: صاف لونها ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ أي: تعجب الناظرين. ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾ أي: لم يذللها العمل ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ يعني: ليست بذلول فتثير الأرض ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ يقول: ولا تعمل في الحرث ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ يعني: مسلمة من العيوب ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ يقول: لا بياض فيها. ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾. قال: ولو أن القوم حين أمروا أن يذبحوا بقرة استعرضوا بقرة من البقر فذبحوها لكانت إياها ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم. ولولا أن القوم استثنوا فقالوا: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ لما هدوا إليها أبداً. فبلغنا أنهم لم يجدوا البقر التي نعتت لهم إلا عند عجوز عندها يتامى وهي القيّمة عليهم، فلما علمت أنهم لا يزكوا لهم غيرها، أضعفت عليهم الثمن، فأتوا موسى فأخبروه أنهم لم يجدوا هذا النعت إلا عند فلانة، وأنها سألتهم أضعاف ثمنها، فقال لهم موسى: إن الله قد كان خفف عليكم فشددتم على أنفسكم فأعطوها رضاها وحكمها! ففعلوا واشتروها فذبحوها. فأمرهم موسى أن يأخذوا عظماً منها فيضربوا به القتيل ففعلوا فرجع إليه روحه، فسمى لهم قاتله، ثم عاد ميتاً كما كان. فأخذوا قاتله وهو الذي كان أتى موسى فشكى إليه فقتله الله على سوء عمله[1].

□ وفاة هارون:

(٩٣) **١١٧٧٢** - حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا: ثنا يحيى بن يمان قال: ثنا سفيان قال: ثني أبو إسحاق عن عمارة بن عبد السلولي عن علي رضي الله عنه

---

(١) تفسير عبد الرزاق (١/ ٤٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦٩٥)، والبيهقي (٦/ ٢٢٠)، وابن كثير (١/ ٢٦٥)، حسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/ ٣٦٦).

قال: انطلق موسى وهارون عليهما السلام وشبر وشبير فانطلقوا إلى سفح جبل فنام هارون على سرير فتوفاه الله. فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا له: أين هارون؟ قال: توفاه الله. قالوا: أنت قتلته حسدتنا على خُلقه ولينه ـ أو كلمة نحوها ـ قال: فاختاروا من شئتم! قال: فاختاروا سبعين رجلاً. قال: فذلك قوله: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥﴾ [الأعراف] قال: فلما انتهوا إليه قالوا: يا هارون من قتلك؟ قال: ما قتلني أحد ولكنني توفاني الله. قالوا: يا موسى لن نعصي بعد اليوم! قال: فأخذتهم الرجفة. قال: فجعل موسى يرجع يميناً وشمالاً وقال: يا ﴿رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف] قال: فأحياهم الله وجعلهم أنبياء كلهم[1].

❑ قصة قارون:

(٩٤) ٢١٠٤٧ ـ حدثنا بشر بن هلال الصواف قال: ثنا جعفر بن سليمان الضبعي قال: ثنا علي بن زيد بن جدعان قال: خرج عبد الله بن الحارث من الدار ودخل المقصورة؛ فلما خرج منها جلس وتساند عليها وجلسنا إليه فذكر سليمان بن داود ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣٨﴾ [النمل]. . . إلى قوله: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾ [النمل: ٤٠]، ثم سكت عن ذكر سليمان فقال: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [القصص: ٧٦]، وكان قد أوتي من الكنوز ما ذكر الله في كتابه ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾ ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [القصص: ٧٨] قال: وعادى موسى عليه السلام وكان مؤذياً له وكان موسى يصفح عنه ويعفو للقرابة، حتى

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٧٣)، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥١)، وقال: هذا أثر غريب جداً وعمارة لا أعرفه وأيده الذهبي في الميزان (٣/ ١٧٧).

بنى داراً وجعل باب داره من ذهب، وضرب على جدرانه صفائح الذهب، وكان الملأ من بني إسرائيل يغدون عليه ويروحون، فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضحكونه، فلم تدعه شقوته والبلاء حتى أرسل إلى امرأة من بني إسرائيل مشهورة بالخنا، مشهورة بالسب، فأرسل إليها فجاءته فقال لها: هل لك أن أموِّلك وأعطيك وأخلطك في نسائي على أن تأتيني والملأ من بني إسرائيل عندي فتقولي: يا قارون ألا تنهى عني موسى ﷺ، قالت: بلى. فلما جلس قارون وجاء الملأ من بني إسرائيل، أرسل إليها فجاءت فقامت بين يديه فقلب الله قلبها وأحدث لها توبة فقالت في نفسها: لأن أحدث اليوم توبة أفضل من أن أوذي رسول الله ﷺ وأكذب عدو الله له. فقالت: إن قارون قال لي: هل لك أن أمولك وأعطيك وأخلطك بنسائي على أن تأتيني والملأ من بني إسرائيل عندي فتقولي: يا قارون ألا تنهى عني موسى فلم أجد توبة أفضل من أن لا أوذي رسول الله ﷺ وأكذب عدو الله؛ فلما تكلمت بهذا الكلام سقط في يدي قارون، ونكس رأسه، وسكت الملأ، وعرف أنه قد وقع في هلكة، وشاع كلامها في الناس حتى بلغ موسى؛ فلما بلغ موسى اشتد غضبه فتوضأ من الماء وصلى وبكى وقال: يا رب عدوك لي مؤذ، أراد فضيحتي وشيني، يا رب سلطني عليه. فأوحى الله إليه أن مر الأرض بما شئت تطعك. فجاء موسى إلى قارون؛ فلما دخل عليه عرف الشر في وجه موسى له فقال: يا موسى ارحمني؛ قال: يا أرض خذيهم، قال: فاضطربت داره وساخت بقارون وأصحابه إلى الكعبين، وجعل يقول: يا موسى فأخذتهم إلى ركبهم وهو يتضرع إلى موسى: يا موسى ارحمني؛ قال: يا أرض خذيهم، قال فاضطربت داره وساخت وخسف بقارون وأصحابه إلى سررهم، وهو يتضرع إلى موسى: يا موسى ارحمني؛ قال: يا أرض خذيهم فخسف به وبداره وأصحابه. قال: وقيل لموسى ﷺ: يا موسى ما أفظك. أما وعزتي لو إياي نادى لأجبته[1].

---

(١) تفسير الطبري (١١٨/٢٠)، حسن إسناده كما في قصص الأنبياء (ص٤٩٤).

ثانياً: الدراسة

كتب الله على بني إسرائيل التيه في أرض سيناء ضاعوا فيها أربعين سنة لا يستطيعون الخروج منها، وسبب التيه كما قص الله علينا: امتناع بني إسرائيل عن دخول الأرض المقدسة بعد أن قال لهم موسى عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ [المائدة].

وهذا العصيان موجب للعقوبة، قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [المائدة].

يقول تعالى لائماً بني إسرائيل على نكولهم عن الجهاد ودخولهم الأرض المقدسة لما قدموا من بلاد مصر فأمروا بدخول الأرض المقدسة التي هي ميراث لهم من أبيهم إسرائيل، وقتال من فيها من العماليق الكفرة، فنكلوا عن قتالهم وضعفوا واستحسروا، فرماهم الله في التيه عقوبة لهم[1].

وكما في الأثر عن الربيع: «وكانت عذاباً بما اعتدوا وعصوا» وكان عددهم كبيراً ومع ذلك احتجوا بقوة عدوهم، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المائدة][2].

ولما دعوا للقتال وليستعينوا بالله قالوا فحشاً من القول، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: ٢٤]، وهذه المقولة الشنيعة من بني إسرائيل هي التي ذكر بها المقداد بن الأسود رضي الله عنه النبي ﷺ يوم بدر، قال: «يا رسول الله

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥).

(٢) وردت آثار في تعداد بني إسرائيل كستمائة ألف وغيرها وهو عدد كبير لم يرد فيه توقيف، وردّ مثل هذه المجازفات غير واحد من أهل العلم ونسبوها إلى الإسرائيليات، وممن توسع في ذلك ابن خلدون في مقدمته (مقدمة ابن خلدون ١/ ١٠).

إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾، ولكن امض ونحن معك»[١].

❏ المراد بالأرض المقدسة:

وردت آثار مختلفة في المراد **بالأرض المقدسة**:

١ ـ فقيل: الطور.

٢ ـ وقيل: الشام.

٣ ـ وقيل: أريحا.

٤ ـ وقيل: دمشق وفلسطين وبعض الأردن. وقيل غير ذلك.

ولم أقف على دليل صحيح في هذه المسألة، ولكن لن تخرج عن أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر للإجماع أن هذه المنطقة هي الأرض المقدسة[٢].

وقال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١] كان هذا القول منهم في التيه، حين ملوا المن والسلوى، وتذكروا عيشهم الأول بمصر، قال الحسن: «كانوا نتانى، أهل كراث وأبصال وأعداس، فنزعوا إلى عكرهم عكر السوء، واشتاقت طباعهم إلى ما جرت عليه عادتهم، فقالوا: لن نصبر على طعام واحد»، وكنوا عن المن والسلوى بطعام واحد وهما اثنان؛ لأنهم كانوا يأكلون أحدهما بالآخر فلذلك قالوا: طعام واحد، وقيل: لتكرارهما في كل يوم غذاء، كما تقول لمن يداوم على الصوم والصلاة والقراءة هو على أمر واحد لملازمته لذلك، وقيل: المعنى لن نصبر على الغنى فلهذا فيكون جميعنا أغنياء، فلا يقدر بعضنا على الاستعانة ببعض، لاستغناء كل واحد منا بنفسه[٣].

---

(١) رواه البخاري في المغازي والتفسير (٣٩٥٢ و٤٦٠٩)، والنسائي في التفسير (١٦٠).

(٢) انظر الأقوال والترجيح في: تفسير الطبري (٤/ ٥١٢، ٥١٣)، وتفسير المنار (٣٢٥/٦).

(٣) تفسير القرطبي (١/ ٤٢٢).

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦] استجاب الله دعاءه وعاقبهم في التيه أربعين سنة، وأصل التيه في اللغة: الحيرة، يقال: (تاه يتيه تيهاً وتوهاً إذا تحير، وتيهته وتوهته بالياء والواو والياء أكثر، والأرض التيهاء التي لا يهتدى فيها، وأرض تيه وتيهاء)، فكانوا يسيرون في فراسخ قليلة. قيل في قدر ستة فراسخ يومهم وليلتهم فيصبحون حيث أمسوا ويمسون حيث أصبحوا، فكانوا سيارة لا قرار لهم، واختلف هل كان معهم موسى وهارون عليهما السلام؟

١ ـ فقيل: لا؛ لأن التيه عقوبة، وكان مدة التيه بعدد أيام العجل، فقوبلوا على كل يوم سنة، وقد قال موسى عليه السلام: فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين.

٢ ـ وقيل: كانا معهم لكن سهل الله الأمر عليهما، كما جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام؛ أي: أنهم ممنوعون من دخولها، كما يقال: حرم الله وجهك على النار، وحرمت عليك دخول الدار، فهو تحريم منع لا تحريم شرع عند أكثر أهل التفسير، كما قال الشاعر:

جالت لتصرعني فقلت لها اقصري إني امرؤ صرعي عليك حرام

أي: أنا فارس فلا يمكنك صرعي، وقال أبو علي: يجوز أن يكون تحريم تعبُّد.

فإن قيل: كيف يجوز على جماعة كثيرة من العقلاء أن يسيروا في فراسخ فلا يهتدوا للخروج منها؟ فالجواب: قال أبو علي: قد يكون ذلك بأن يحول الله الأرض التي هم عليها إذا ناموا فيردهم.

قلت: الله قادر على حجب الطريق الصحيح دون ما ذكره من افتراض، كما حجب عنا رؤية قوم يأجوج ومأجوج.

مما حصل في التيه:

أولاً: وفاة هارون:

ذكر وفاة هارون بن عمران عليه السلام فإنه مات قبل موسى عليه السلام.

عن وهب بن منبه قال: «نعى الله هارون لموسى عليه السلام حين أراد الله أن يقبضه، فلما نعاه له حزن، فلما قبض جزع جزعاً شديداً وبكى بكاء طويلاً، فلما عاد في ذلك أقبل الله تعالى عليه يعزيه ويعظه، فقال له: يا موسى ما كان ينبغي لك أن تحن إلى فقد شيء معي، ولا أن تستأنس بغيري، ولا أن تشد ركبك إلا بي، ولا أن يكون جزعك هذا الآن على هارون إلا لي، وكيف تستوحش إلى شيء من الأشياء وأنت تسمع كلامي، أم كيف تحن إلى فقد شيء من الدنيا بعد إذ اصطفيتك برسالاتي وبكلامي، وذكر مناجاة طويلة، قال: فأتى هارون وموسى ابن سبع عشرة ومائة سنة، قبل أن ينقضي التيه بثلاث سنين، فأتى هارون وهو ابن عشرين ومائة سنة بقي موسى بعده ثلاث سنين حتى تم له مائة وعشرون سنة، وبنو إسرائيل متفرقون عليه، يجتمعون عليه مرة، ويفترقون أخرى»[1].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام أني متوفى هارون فأت به جبل كذا وكذا، فانطلق موسى وهارون عليهما السلام نحو ذلك الجبل، فإذا هم بشجرة مثلها ببيت مبني، وإذا هم فيه بسرير عليه فرش، وإذا فيه ريح طيب، فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه، وقال: يا موسى إني لأحب أن أنام على هذا السرير، قال له موسى: فنم عليه. قال: إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي. قال له موسى: لا ترهب أنا أكفيك رب هذا البيت فنم. فقال: يا موسى بل نم معي، فإن جاء رب هذا البيت غضب علي وعليك جميعاً. فلما ناما أخذ هارون الموت فلما وجد حسه قال: يا موسى خدعتني، فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة، ورفع السرير إلى السماء، فلما رجع موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل وليس معه هارون، قالوا: إن موسى قتل هارون وحسده حب بني إسرائيل له، وكان هارون آلف عندهم وألين لهم من موسى عليه السلام، وكان في موسى بعض الغلظ عليهم، فلما بلغه ذلك، قال

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣/ ٤٦٣).

لهم: ويحكم إنه كان أخي، أفتروني أقتله، فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين، ثم دعا الله فنزل بالسرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدقوه»، هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه[١].

ثانياً: قصة موسى والخضر:

لقي نبي الله موسى ﷺ ـ في فترة التيه ـ[٢] الرجل الصالح الخضر وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «**إنما سمي الخضر أنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء**»[٣]. وقص الله ما دار بينهما في سورة الكهف، وتفصيلها كما في الصحيحين: عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: «إن نوفاً البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني إسرائيل إنما هو موسى آخر، فقال كذب عدو الله». حدثنا أُبي بن كعب عن النبي ﷺ: «**أن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسُئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فقال له: بلى لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: أي رب ومن لي به**، ـ وربما قال سفيان: أي رب وكيف لي به ـ **قال: تأخذ حوتاً فتجعله في مكتل، حيثما فقدت الحوت فهو ثم**، ـ وربما قال: فهو ثمة ـ **وأخذ حوتاً فجعله في مكتل، ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون، حتى أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فرقد موسى واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سرباً، فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار مثل الطاق، فقال: هكذا مثل الطاق، فانطلقا يمشيان بقية ليلتهما ويومهما، حتى إذا كان من الغد قال لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً، ولم يجد موسى النصب حتى جاوز حيث أمره الله. قال له فتاه:** ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥).

(٢) كان موسى في التيه فلما فارقه الخضر رجع إلى قومه وهم في التيه، وقيل: كانت قبل خروجه من مصر، والله أعلم. قاله العيني في عمدة القاري (٢/ ١٩٦).

(٣) رواه البخاري برقم (٣٤٠٢)، ووردت آثار في اسم الخضر فقيل: العزير، وقيل أرميا، وقيل غير ذلك كما في تفسير الطبري (٣/ ٢٨).

فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: ٦٣] **فكان للحوت سرباً ولهما عجباً قال له موسى:** ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤] **رجعا يقصّان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجى بثوب فسلّم موسى فرد عليه، فقال: وأنّى بأرضك السلام؟! قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلمني مما علِّمت رشداً، قال: يا موسى، إني على علم من علم الله علَّمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، قال: هل أتبعك؟** ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف] إلى قوله: ﴿أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩] **فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة كلَّموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول، فلما ركبا في السفينة جاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة أو نقرتين، قال له الخضر: يا موسى، ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر، إذ أخذ الفأس فنزع لوحاً، قال: فلم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحاً بالقدوم، فقال له موسى: ما صنعت؟ قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً!** ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾ [الكهف]، **فكانت الأولى من موسى نسياناً، فلما خرجا من البحر مروا بغلام يلعب مع الصبيان فأخذ الخضر برأسه فقلعه بيده هكذا** ـ وأومأ سفيان بأطراف أصابعه كأنه يقطف شيئاً ـ، **فقال له موسى:** ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف] **مائلاً أومأ بيده هكذا** ـ وأشار سفيان كأنه يمسح شيئاً إلى فوق، فلم أسمع سفيان يذكر مائلاً إلا مرة ـ، **قال: قوم أتيناهم فلم يطعمونا، ولم يضيفونا، عمدت إلى حائطهم لو شئت لاتخذت عليه أجراً،** ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾ [الكهف]».

قال النبي ﷺ: «**وددنا أن موسى كان صبر فقص الله علينا من خبرهما**»،

قال سفيان: قال النبي ﷺ: «**يرحم الله موسى، لو كان صبر لقص علينا من أمرهما**»، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: (أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً)، وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين، ثم قال لي سفيان: سمعته منه مرتين وحفظته منه، قيل لسفيان: حفظته قبل أن تسمعه من عمرو أو تحفظته من إنسان؟ فقال: ممن أتحفظه، ورواه أحد عن عمرو غيري، سمعته منه مرتين أو ثلاثاً وحفظته منه»[(١)].

ثالثاً: بقرة بني إسرائيل:

وفي التيه حصل ما قصَّ الله من خبر القتيل الذي طلب بني إسرائيل من موسى عليه السلام أن يخبرهم بقاتله وقد تقدم في الأثر السابق تفصيل القصة.

وفيها توبيخ من الله ليهود المدينة بسبب نقض آبائهم الميثاق الذي أخذه الله عليهم بطاعة أنبيائه، ويقول لهم اذكروا من نقضكم لميثاقي قصة آبائكم مع البقرة التي أمرهم موسى بذبحها.

قال ابن كثير: «أخبر تعالى عن تعنُّت بني إسرائيل، وكثرة سؤالهم لرسولهم، ولهذا لما ضيقوا على أنفسهم ضيق الله عليهم، ولو أنهم ذبحوا أي بقرة كانت لوقعت الموقع عنهم، كما قال ابن عباس وعبيدة وغير واحد ولكنهم شددوا فشُدِّد عليهم»[(٢)].

رابعاً: قصة قارون:

ذم الله تبارك وتعالى قارون في أكثر من آية، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/١٢٤٦/ح٣٢٢٠).
ومسلم في صحيحه (٤/١٨٥٠/ح٢٣٨٠)، (٤/١٨٥٢/ح٢٣٨٠)، (٤/١٨٥٤/ح٢٣٨٠).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦)، وقال بعد سياق الروايات الكثيرة في أسباب القصة: وهذه السياقات عن عبيدة وأبي العالية والسدي وغيرهم فيها اختلاف ما والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل وهي مما يجوز نقلها ولكن لا تصدق ولا تكذب فلهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا، والله أعلم.

كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت].

وألحق النبي ﷺ من ترك الصلاة بقارون، كما أخرج الإمام أحمد وغيره عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه ذكر الصلاة يوماً، فقال: «**من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً، ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له برهان ولا نور ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وهامان وفرعون وأبي بن خلف**»[1].

وقصة قارون هذه قد تكون قبل خروجهم من مصر لقوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١]، وهو الراجح للآتي:

١ ـ لأن إرسال موسى كان للطغاة الثلاثة: فرعون وهامان وقارون.

٢ ـ ولأن الآية نصَّت على خسف داره والدور لم تكن في الصحراء.

وقد توقف ابن كثير وأورد الاحتمالين. ووجَّه الدار الى أنها عبارة عن المحلة التي تضرب فيها الخيام، والله أعلم بالصواب[2].

خامساً: وفاة موسى عليه السلام:

مكث موسى عليه السلام ما شاء الله يربِّي أبناء الذين كتب عليهم التيه، ويعدُّهم لدخول الأرض المقدسة، ثم حان أجله، وكما في الحديث الصحيح أن الله يخير أنبيائه قبل موتهم، كما قالت عائشة رضي الله عنها: «كنت أسمع أنه لن

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢/ ١٦٩/ح٦٥٧٦). أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤/ ٣٢٩/ ح١٤٦٧).
وعبد بن حميد في مسنده (١/ ١٣٩/ح٣٥٣)، والدارمي في سننه (٢/ ٣٩١/ح٢٧٢١).
والطبراني في معجمه الأوسط (٢/ ٢١٣/ح١٧٦٧).

(٢) قصص القرآن لابن كثير (٣٧٥).

يموت نبي حتى يخير بين الدنيا والآخرة»، قالت: فسمعت النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه وأخذته بُحَّة يقول: «﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] قالت فظننته خيِّر حينئذ»[١].

وهكذا موسى عليه السلام جاءه الملك يخيِّره، وخبر ذلك ما قصَّه لنا نبينا محمد ﷺ.

ففي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **«أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله عليه عينه، وقال: ارجع فقل له: يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر»**، قال: قال رسول الله ﷺ: **«فلو كنت ثمّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر»**[٢].

وهذا هو الصحيح من موته عليه السلام في التيه بدليل طلبه أن يدنيه من الأرض المقدسة. وفي المسند في سياق حديث الإسراء قال ﷺ: **«لما أسري بي مررت بموسى وهو قائم يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر»**[٣].

وتحديد الكثيب الأحمر خارج الأرض المقدسة يكذب ادعاء وجود قبره داخل فلسطين، وأن بني إسرائيل نقلوا جثمانه معهم ودفنوه بين أريحا وبيت المقدس[٤].

---

(١) صحيح البخاري (٤١٧١)، وصحيح مسلم (٢٤٤٤).

(٢) صحيح البخاري (١٢٧٤)، ومسلم (٣٩٩).

(٣) مسند أحمد (٣/١٤٨/ح١٢٥٢٦). أخرجه النسائي في سننه (٣/٢١٥/ح١٦٣١)، (٣/٢١٦/ح١٦٣٢)، والطبراني في معجمه الكبير (١١/١١١/ح١١٢٠٧). وللتفصيل قصص الأنبياء لابن كثير (٥٠٩).

(٤) يدعي ذلك الإسرائيليون الصهاينة ويتابعهم بعض المسلمين. انظر: القصص القرآني د. صلاح الخالدي (٣/٣٤١).

سادساً: غير ذلك من الإسرائيليات فيما حصل في التيه:

قال الإمام ابن كثير: «وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا آثاراً فيها مجازفات كثيرة باطلة، يدل العقل والنقل على خلافها: من أنهم كانوا أشكالاً هائلة ضخاماً جداً، حتى إنهم ذكروا أن رسل بني إسرائيل لما قدموا عليهم تلقاهم رجل من رسل الجبارين فجعل يأخذهم واحداً واحداً ويلفهم في أكمامه وحجزة سراويله وهم اثنا عشر رجلاً، فجاء بهم فنثرهم بين يدي ملك الجبارين، فقال: ما هؤلاء ولم يعرف أنهم من بني آدم حتى عرفوه، وكل هذه هذيانات وخرافات لا حقيقة لها، وأن الملك بعث معهم عنباً كل عنبة تكفي الرجل، وشيئاً من ثمارهم ليعلموا ضخامة أشكالهم، وهذا ليس بصحيح، وذكروا ههنا أن عوج بن عنق خرج من عند الجبارين إلى بني إسرائيل ليهلكهم وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلث ذراع هكذا ذكره البغوي[1] وغيره، وليس بصحيح كما قدمنا بيانه عند قوله ﷺ: «**إن الله خلق آدم عليه السلام طوله ستون ذراعاً، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن**»[2]، قالوا: فعمد عوج إلى قمة جبل فاقتلعها ثم أخذها بيديه ليلقيها على

---

(١) معالم التنزيل (٢/ ٢٥).

(٢) البداية والنهاية (١/ ١٤٤)، وله هنا تعليق لطيف أنقله لفائدته في النقل عن أهل الكتاب قال رحمه الله: المقصود أن الله لم يبق من الكافرين ديَّاراً، فكيف يزعم بعض المفسرين أن عوج بن عنق، ويقال: ابن عناق كان موجوداً من قبل نوح إلى زمان موسى، ويقولون: كان كافراً متمرداً جباراً عنيداً، ويقولون: كان لغير رشدة بل ولدته أمه عنق بنت آدم من زنا، وإنه كان يأخذ من طوله السمك من قرار البحار ويشويه في عين الشمس، وإنه كان يقول لنوح وهو في السفينة ما هذه القصيعة التي لك ويستهزىء به ويذكرون أنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاث مائة وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلثاً إلى غير ذلك من الهذيانات التي لولا أنها مسطرة في كثير من كتب التفاسير وغيرها من التواريخ وأيام الناس لما تعرضنا لحكايتها لسقاطتها وركاكتها، ثم إنها مخالفة للمعقول والمنقول.

أما المعقول فكيف يسوغ فيه أن يهلك الله ولد نوح لكفره وأبوه نبي الأمة وزعيم أهل الإيمان ولا يهلك عوج بن عنق، ويقال: عناق وهو أظلم وأطغى على ما ذكروا، وكيف لا يرحم الله منهم أحداً ولا أم الصبي ولا الصبي ويترك هذا الدعي الجبار العنيد الفاجر الشديد الكافر الشيطان المريد على ما ذكروا، وأما المنقول فقد =

جيش موسى فجاء طائر فنقر تلك الصخرة فخرقها فصارت طوقاً في عنق عوج بن عنق، ثم عمد موسى إليه فوثب في الهواء عشرة أذرع وطوله عشرة أذرع، وبيده عصاه وطولها عشرة أذرع، فوصل إلى كعب قدمه فقتله، يروى هذا عن عوف البكالي ونقله ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي إسناده إليه نظر، ثم هو مع هذا كله من الإسرائيليات، وكل هذه من وضع جهال بني إسرائيل، فإن الأخبار الكاذبة قد كثرت عندهم، ولا تمييز لهم بين صحتها وباطلها، ثم لو كان هذا صحيحاً لكان بنو إسرائيل معذورين في النكول عن قتالهم، وقد ذمهم الله على نكولهم وعاقبهم بالتيه على ترك جهادهم ومخالفتهم رسولهم[(١)].

❊ المسألة الخامسة: التسليط عليهم وتشريدهم في الارض

أولاً: الآثـــار

✿ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ [الأعراف].

(٩٥) ١١٨٨٤ ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا

= قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾، وقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾، ثم هذا الطول الذي ذكروه مخالف لما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن**»، فهذا نص الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى أنه لم يزل الخلق ينقص حتى الآن؛ أي: لم يزل الناس في نقصان في طولهم من آدم إلى يوم أخره بذلك وهلم جر إلى يوم القيامة، وهذا يقتضي أنه لم يوجد من ذرية آدم من كان أطول منه، فكيف يترك هذا يذهل عنه ويصار إلى أقوال الكذبة الكفرة من أهل الكتاب الذين بدلوا كتب الله المنزلة وحرفوها وأولوها ووضعوها على غير مواضعها، فما ظنك بما هم يستقلون بنقله أو يؤتمنون عليه، وما أظن أن هذا الخبر عن عوج بن عناق إلا اختلاقاً من بعض زنادقتهم وفجّارهم الذين كانوا أعداء الأنبياء، والله أعلم.

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٢٧٨).

عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ قال: أمر ربك[١].

(٩٦) ١١٨٨٥ ـ حدثني المثنى بن إبراهيم وعلي بن داود قالا: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ قال: هي الجزية، والذين يسومونهم: محمد ﷺ وأمته إلى يوم القيامة[٢].

(٩٧) ١١٨٨٦ ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ فهي المسكنة، وأخذ الجزية منهم[٣].

(٩٨) حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ قال: يهود، وما ضرب عليهم من الذلة والمسكنة[٤].

(٩٩) ١١٨٨٧ ـ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ قال: فبعث الله عليهم هذا الحي من العرب، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة[٥].

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ١٠٢)، صححه في التفسير الصحيح (٢/ ٣٥٨).

(٢) تفسير الطبري (٩/ ١٠٢)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٥٩٢)، حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٣٥٩).

(٣) تفسير الطبري (٩/ ١٠٢) إسناده ضعيف.

(٤) تفسير الطبري (٩/ ١٠٢).

(٥) تفسير الطبري (٩/ ١٠٢)، مصنف عبد الرزاق (٦/ ٢٢)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

(١٠٠) ١١٨٨٨ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، قال: بعث عليهم هذا الحي من العرب، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة. وقال عبد الكريم الجزري: يستحب أن تبعث الأنباط في الجزية[١].

(١٠١) ١١٨٨٩ - حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا إسحاق بن إسماعيل، عن يعقوب، عن جعفر، عن سعيد: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ قال: العرب. ﴿سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩] قال: الخراج. وأول من وضع الخراج موسى ﷺ، فجبى الخراج سبع سنين[٢].

(١٠٢) حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ قال: العرب. ﴿سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ قال: الخراج. قال: وأول من وضع الخراج موسى، فجبى الخراج سبع سنين[٣].

(١٠٣) حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ قال: هم أهل الكتاب، بعث الله عليهم العرب يجبونهم الخراج إلى يوم القيامة، فهو سوء العذاب، ولم يَجْبِ نبي الخراج قط إلا موسى ﷺ ثلاث عشرة سنة ثم أمسك، وإلا النبي ﷺ[٤].

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ١٠٣)، تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٤٠)، صححه في التفسير الصحيح (٣/ ٢٦٢).

(٢) تفسير الطبري (٩/ ١٠٣)، تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٠٤).

(٣) تفسير الطبري (٩/ ١٠٣)، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٦٠) إسناده ضعيف.

(٤) تفسير الطبري (٩/ ١٠٣)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٥٩٢)، صححه في التفسير الصحيح (١/ ١٦٤).

(١٠٤) ١١٨٩٠ ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٧)﴾ قال: يبعث عليهم هذا الحي من العرب، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة[١].

(١٠٥) ١١٨٩١ ـ قال: أخبرنا معمر، قال: أخبرني عبد الكريم، عن ابن المسيب، قال: يستحب أن تبعث الأنباط في الجزية[٢].

(١٠٦) ١١٨٩٢ ـ حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٧)﴾ يقول: إن ربك يبعث على بني إسرائيل العرب، فيسومونهم سوء العذاب: يأخذون منهم الجزية ويقتلونهم[٣].

(١٠٧) ١١٨٩٣ ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٧)﴾: ليبعثن على يهود[٤].

قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨].

(١٠٨) ١١٨٩٤ ـ حدثنا ابن وكيع قال: ثنا إسحاق بن إسماعيل عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ قال: في كل أرض يدخلها قوم من اليهود[٥].

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ١٠٢)، مصنف عبد الرزاق (٦/ ٢٢) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٩/ ١٠٣).

(٣) تفسير الطبري (٩/ ١٠٣)، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٦٠)، حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٢٨١).

(٤) تفسير الطبري (٩/ ١٠٣)، تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٠٤)، حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٣٥٢).

(٥) تفسير الطبري (٩/ ١٠٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٠٥)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٥٩٢).

۞ قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣﴾ [الحشر].

(١٠٩) ٢٦٢٠٢ - حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ خروج الناس من البلد إلى البلد[1].

(١١٠) ٢٦٢٠٤ - حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا ابن ثور عن معمر عن الزهري قال: كان النضير من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي[2].

(١١١) ٢٦٢٠٥ - حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة قال: ثني محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ وكان لهم من الله نقمة ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ أي: بالسيف ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ مع ذلك[3].

ثانياً: الدراسة

كتب الله على اليهود بسبب عصيانهم لأوامره - تبارك وتعالى - من يسومهم العذاب بأخذ الجزية منهم وتشتيتهم في الأرض كما قال ابن عباس ﵄ وغيره من السلف.

قال ابن كثير ﵀: «ويقال أن موسى ﵇ ضرب الخراج سبع سنين، وقيل: ثلاث عشرة سنة، وكان أول من ضرب الخراج، ثم كانوا في قهر الملوك من اليونانيين والكشدانيين والكلدانيين، ثم صاروا إلى قهر النصارى، وإذلالهم إياهم، وأخذهم منهم الجزية والخراج، ثم جاء الإسلام ومحمد ﷺ

---

(١) تفسير الطبري (٢٨/ ٣١)، تفسير الدر المنثور (٨/ ٩٨)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٤)، حسنه في التفسير الصحيح (٤/ ٤٦٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٨/ ٣١)، تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٨٢)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٣)، المستدرك على الصحيحين (٢/ ٥٢٥)، وله شواهد صحيحة. انظر: التفسير الصحيح (٤/ ٤٦٣).

(٣) تفسير الطبري (٢٨/ ٣١) إسناده ضعيف.

فكانوا تحت قهره وذمته يؤدون الخراج والجزية»[١].

وقد أجاب القرطبي عن إشكال يفهم من السياق فقال: «فإن قيل: فقد مُسخوا، فكيف تؤخذ منهم الجزية؟ فالجواب: أنها تؤخذ من أبنائهم وأولادهم، وهم أذل قوم، وهم اليهود»[٢].

ثم كتب الله عليهم التقطيع في الأرض والشتات، فقطعهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً، فلن يكون لهم أمة واحدة مجتمعة مستقرة، ولا يعتد باتفاق مؤقت، فإن الأصل التفرق، ففي أيام ملكهم الكبير أيام داود وسليمان عليهما السلام ما لبثوا أن تفرقوا إلى مملكتين؛ مملكة (يهوذا) ومملكة إسرائيل، ولم يقم لهم كيان متماسك الى أن قامت دولة إسرائيل المعاصرة ـ عجل الله زوالها ـ فهذا قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٠].

وهناك التقطيع الثاني: وهو تفريقهم أمماً، فهم موزعون في شتى الأرض، فلا يخل منهم قطر، وتجدهم في كل أصقاع المعمورة[٣].

وقد مر اليهود عبر التاريخ بأدوار كانت غاية بالسوم والاضطهاد، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ وهي تتحدث عن تعقب هؤلاء اليهود على مر العصور، ولو لم تكن بهم صفات تخالف صفات الآدميين، وأنهم اصطبغوا بما لم يصطبغ به غيرهم من التعنت والصلف والكبرياء والخسة والغدر والخيانة لما خصَّهم الله ـ وهو أعلم بهم سبحانه ـ بكثير من آياته التي تكشف أعمالهم الخاطئة، وتصرفاتهم الهوجاء، وتبين زيفهم الذي يظهرهم على حقيقتهم، وما جبلوا عليه من فسق وفجور، ولقد مرت بهم حالات كانوا فيها هدفاً للاضطهاد والاحتقار، منبوذين أينما ثقفوا، فقد تحدث القرآن الكريم عن معاملة فرعون لهم، وكيف أنه كان يسومهم سوء العذاب، يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٢).

(٢) تفسير القرطبي (٧/ ٢١٠).

(٣) التفسير المنير للزحيلي (٩/ ١٥٠)، وتذكير النفس بحديث القدس للعفان (٣/ ١١٧) بتصرف.

يستعبدهم ويستذلهم، يتسلط عليهم ويقهرهم، وسلط الله عليهم الملك (سرجون) ملك آشور فقضى على مملكة إسرائيل، وشتت شملهم وفرق جموعهم سنة ٧٢١ق.م[١].

ويذكر المؤرخون كيف غزا (بختنصر) بيت المقدس، وخربها واستحل أهلها، وقاد أكثرهم أسرى حوالي سنة ٥٨٦ق.م، ثم غزاها ثانياً فقتل المقاتلة وسبى الذرية[٢]، في سنة ٢٠٣ق.م. اضطهد حكام سوريا اليهود حين استحلوا بلادهم، وأثقلوهم بالضرائب وفتنوهم عن دينهم.

وقد استولى أحد الرومان (بومبيه) على مملكة يهوذا وجعلها أقليماً رومانياً[٣]، وفي سنة ٧٠ للميلاد ثار اليهود على الرومان فاضطروا للاستيلاء على (أورشليم)، وأصدر الإمبراطور (تيتوس) أمراً بإحراق معبدهم، وذبح معظم أهلها، وبيع من بقي منهم، وفي سنة ١٣٥م قامت ثورة ضد الرومان وكانت قد أنشئت مدينة اليهود من جديد، مما جعل الإمبراطور الروماني (آريان) يأمر بهدم المدينة من أساسها، والقضاء على اليهود، وقد ذبح منهم ٥٠٠,٠٠٠ وتم بيع الباقين، وتشريدهم في أرجاء الأرض[٤].

أجلى الرسول ﷺ بعض قبائلهم من المدينة المنورة، وقضى على أخرى بعد أن تبين له غدرهم وخيانتهم وتآمرهم مع أعداء المسلمين، وقاتلهم في خيبر حتى استحل بلادهم حين عرف أنهم يكيدون له ويجمعون له الجموع. وسيأتي مزيد تفصيل لذلك في الباب الثالث بإذن الله.

وأجلاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه من كافة جزيرة العرب متمثلاً قول الرسول ﷺ: **«لا يجتمع دينان في جزيرة العرب»**[٥].

---

(١) مقارنة الأديان (اليهودية ٨٥).

(٢) تفسير الطبري (١/٥٣٨)، ومقارنة الأديان (٨٥)، اليهود في القرآن (٨٨).

(٣) اليهود في القرآن (٨٨).

(٤) مقارنة الأديان (٩٠)، اليهود في القرآن (٨٩).

(٥) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٨٩٢)، والبيهقي في سننه (٦/ ١١٥)، وبنحوه في مسند أحمد (٦/ ٢٧٤).

«وقد لبثوا عدة قرون يسامون الخسف من قبل الأمم المسيحية الذين يرون أن مطاردتهم واضطهادهم إنما هو عنوان الصلاح والتقوى عندهم، فقد هاجموهم وامتهنوهم واحتقروهم حتى لم ينجّهم منهم إلا الإسلام يتفيئون ظلاله في الأندلس، ولكنه حين قلص هذا الظل واستولى النصارى على الحكم لم يعد ذلك الملاذ لهم، فقرروا إخراج اليهود وتعقبوهم في كل مدن الأندلس، وقدم بذلك رجال الكنيسة الكاثوليكية كل جهودهم في سبيل طرد العنصر اليهودي، فكان أن أرغم جميع اليهود الذين لم يعتنقوا المسيحية على مغادرة البلاد الإسبانية وإلا حكم عليهم بالإعدام، وقد وقع كثيرون منهم في يد القراصنة، فجردوهم من أموالهم واتخذوهم عبيداً أرقاء، وقد لجأ كثير منهم إلى البرتغال، ولكن القساوسة أثاروا الرأي العام عليهم، فتم إبعاد جميع البالغين منهم، أما الأولاد التي لا تتجاوز أعمارهم أربعة عشر عاماً فقد انتزعوا من أحضان أمهاتهم لكي يربوا، وينشؤوا على مبادئ الدين المسيحي»[1]، ولم يقتصر طرد اليهود من إسبانيا والبرتغال، بل طردوا وشردوا من جميع دول أوروبا.

- ففي انجلترا طرد الملك (إدوارد) اليهود سنة ١٢٩٠م.

- وفي فرنسا طردهم الملك (فيليب) سنة ١٣٠٦م، وسمح لعدد ضئيل منهم بالعودة، ولكنهم طردوا بعد ذلك سنة ١٣٩٤م.

- ومن المجر طردوا سنة ١٣٦٠م، ولكنهم ما لبثوا أن عادوا حتى طردوا سنة ١٥٨٢م.

- وفي سنة ١٣٧٠م طردوا من بلجيكا.

- وفي تشيكوسلوفاكيا شردوا من براغ سنة ١٣٨٠م، وكثيرون منهم عادوا فاستوطنوها سنة ١٥٦٢م، وفي سنة ١٧٤٤م طردتهم الإمبراطورة (ماريا تيريزا)[2].

- وقد تم طردهم من النمسا على يد الملك (البريخت الخامس) سنة ١٤٢٠م.

---

(١) اليهود في القرآن (٩٠) بتصرف.
(٢) اليهود في القرآن (٩٠).

ـ وفي سنة ١٤٤٤م طردوا من أتوريخت في هولندا.

ـ ومن إيطاليا طردوا من مملكة نابلي وسردينيا سنة ١٥٤٠م.

ـ ونفوا من بافاريا في ألمانيا سنة ١٥٥١م، ثم كثر اضطهادهم على يد النازيين في الحرب العالمية الثانية، وأزهقت أرواح مئات الألوف منهم.

ـ أما في روسيا فقد طردوا منها سنة ١٥١٠م، ثم عادوا تدريجياً إليها متعرضين لأنواع شتى من الاضطهادات وأبرزها ما حصل في أوكرانيا عام ١٩١٩م[(١)].

وسيستمر أمر الله فيهم حتى يذوقوا المهانة والقتل على يد المسلمين قال ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»**[(٢)].

❁ المسألة السادسة: المسخ قردة وخنازير

أولاً: الآثـــــار

✿ **قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ [البقرة].

(١١٢) **٩٥٠** ـ حدثنا أبو كريب قال: ثنا عثمان بن سعيد قال: ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ يقول: ولقد عرفتم وهذا تحذير لهم من المعصية يقول: احذروا أن يصيبكم ما أصاب أصحاب السبت إذ عصوني ﴿ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ يقول: اجترؤوا في السبت. قال: لم يبعث الله نبياً إلا أمره بالجمعة وأخبره بفضلها

---

(١) اليهود في القرآن (٩٠ ـ ٩١).

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٢٣٩).

وعظمها في السماوات وعند الملائكة وأن الساعة تقوم فيها، فمن اتبع الأنبياء فيما مضى كما اتبعت أمة محمد ﷺ محمداً قبل الجمعة وسمع وأطاع وعرف فضلها وثبت عليها بما أمره الله تعالى به ونبيه ﷺ، ومن لم يفعل ذلك كان بمنزلة الذين ذكر الله في كتابه فقال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾. وذلك أن اليهود قالت لموسى حين أمرهم بالجمعة وأخبرهم بفضلها: يا موسى كيف تأمرنا بالجمعة وتفضلها على الأيام كلها والسبت أفضل الأيام كلها؛ لأن الله خلق السمٰوات والأرض والأقوات في ستة أيام وسبت له كل شيء مطيعاً يوم السبت وكان آخر الستة؟ قال: وكذلك قالت النصارى لعيسى ابن مريم حين أمرهم بالجمعة قالوا له: كيف تأمرنا بالجمعة وأفضل الأيام أفضلها وسيدها والأول أفضل والله واحد والواحد الأول أفضل؟ فأوحى الله إلى عيسى أن دعهم والأحد ولكن ليفعلوا فيه كذا وكذا مما أمرهم به. فلم يفعلوا فقص الله تعالى قصصهم في الكتاب بمعصيتهم. قال: وكذلك قال الله لموسى حين قالت له اليهود ما قالوا في أمر السبت: أن دعهم والسبت فلا يصيدوا فيه سمكاً ولا غيره ولا يعملون شيئاً كما قالوا. قال: فكان إذا كان السبت ظهرت الحيتان على الماء فهو قوله: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣] يقول: ظاهرة على الماء ذلك لمعصيتهم موسى. وإذا كان غير يوم السبت صارت صيداً كسائر الأيام فهو قوله: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾. ففعلت الحيتان ذلك ما شاء الله؛ فلما رأوها كذلك طمعوا في أخذها وخافوا العقوبة فتناول بعضهم منها فلم تمتنع عليه وحذر العقوبة التي حذرهم موسى من الله تعالى. فلما رأوا أن العقوبة لا تحل بهم عادوا وأخبر بعضهم بعضاً بأنهم قد أخذوا السمك ولم يصبهم شيء، فكثروا في ذلك وظنوا أن ما قال لهم موسى كان باطلاً وهو قول الله جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ [البقرة]، يقول لهؤلاء الذين صادوا السمك فمسخهم الله قردة بمعصيتهم يقول: إذا لم يحيوا في الأرض إلا ثلاثة

أيام ولم تأكل ولم تشرب ولم تنسل، وقد خلق الله القردة والخنازير وسائر الخلق في الستة الأيام التي ذكر الله في كتابه، فمسخ هؤلاء القوم في صورة القردة وكذلك يفعل بمن شاء كما يشاء ويحوله كما يشاء[١].

(١١٣) ٩٥٥ ـ حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ قال: لم يمسخوا، إنما هو مثل ضربه الله لهم مثل ما ضرب مثل الحمار يحمل أسفاراً[٢].

(١١٤) ٩٥٦ ـ حدثنا بشار قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري قال: حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥] قال: صاغرين[٣].

(١١٥) ٩٥٧ ـ حدثني الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة: ﴿خَٰسِـِٔينَ﴾ قال: صاغرين[٤].

۞ قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا﴾ [البقرة: ٦٦].

(١١٦) ٩٦٠ ـ حدثنا به أبو كريب قال: حدثنا عثمان بن سعيد قال: حدثنا بشر بن عمارة قال: حدثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾ فجعلنا تلك العقوبة وهي المسخة نكالاً[٥].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠)، تفسير ابن كثير (١/ ١٠٦ ـ ١٠٧).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٣٢)، تفسير الدر المنثور (١/ ١٨٥)، تفسير ابن كثير (١/ ١٠٦).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٣٣)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٣٣)، تفسير ابن كثير (١٠٧/١).
(٤) تفسير الطبري (١/ ٣٣٣)، تفسير عبد الرزاق (٤٨/١)، تفسير ابن أبي حاتم (١٣٣/١)، تفسير ابن كثير (١/ ١٠٧)، صححه في التفسير الصحيح (١/ ١٧٢).
(٥) تفسير الطبري (١/ ٣٣٣)، تفسير الدر المنثور (١/ ١٨٥)، رواه ابن أبي حاتم بسند جيد عن أبي العالية. انظر: التفسير الصحيح (١/ ١٧٢).

۞ قوله تعالى: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ [البقرة: ٦٦].

(١١٧) ٩٦٩ ـ حدثني به موسى بن هارون قال: حدثنا عمرو قال: حدثنا أسباط عن السدي: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ قال: أما ما بين يديها: فما سلف من عملهم ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ فمن كان بعدهم من الأمم أن يعصوا فيصنع الله بهم مثل ذلك[١].

۞ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: ٦٠].

(١١٨) ٩٥٣٢ ـ حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عن عمرو بن كثير بن أفلح مولى أبي أيوب الأنصاري قال: حُدثت أن المسخ في بني إسرائيل من الخنازير كان أن امرأة من بني إسرائيل كانت في قرية من قرى بني إسرائيل، وكان فيها ملك بني إسرائيل، وكانوا قد استجمعوا على الهلكة إلا أن تلك المرأة كانت على بقية من الإسلام، متمسكة به فجعلت تدعو إلى الله حتى إذا اجتمع إليها ناس فتابعوها على أمرها قالت لهم: إنه لا بد لكم من أن تجاهدوا عن دين الله، وأن تنادوا قومكم بذلك فاخرجوا فإني خارجة! فخرجت وخرج إليها ذلك الملك في الناس، فقتل أصحابها جميعاً وانفلتت من بينهم. قال: ودعت إلى الله حتى تجمع الناس إليها، حتى إذا رضيت منهم أمرتهم بالخروج، فخرجوا وخرجت معهم وأصيبوا جميعاً وانفلتت من بينهم. ثم دعت إلى الله حتى إذا اجتمع إليها رجال استجابوا لها أمرتهم بالخروج فخرجوا وخرجت فأصيبوا جميعاً وانفلتت من بينهم. فرجعت وقد أيست وهي تقول: سبحان الله لو كان لهذا الدين ولي وناصر لقد أظهره بعد! قال: فباتت محزونة وأصبح أهل القرية يسعون في نواحيها خنازير وقد مسخهم الله في ليلتهم تلك، فقالت حين أصبحت ورأت ما رأت: اليوم أعلم أن الله قد أعز دينه وأمر دينه! قال: فما كان مسخ الخنازير في بني إسرائيل إلا على يدي تلك المرأة[٢].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٣٥).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٢٩٣) إسناده ضعيف.

(١١٩) ٩٥٣٣ - حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ﴾ قال: مسخت من يهود[١].

(١٢٠) ٩٦٠١ - حدثنا ابن وكيع قال: ثنا جرير عن حصين عن مجاهد: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾ [المائدة: ٧٨] قال: لعنوا على لسان داود فصاروا قردة ولعنوا على لسان عيسى فصاروا خنازير[٢].

(١٢١) حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج عن ابن جريج قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ بكل لسان؛ لعنوا على عهد موسى عليه السلام في التوراة، وعلى عهد داود عليه السلام في الزبور، وعلى عهد عيسى عليه السلام في الإنجيل، ولعنوا على لسان محمد ﷺ في القرآن[٣].

(١٢٢) قال ابن جريج: وقال آخرون: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾ على عهده فلعنوا بدعوته. قال: مر داود عليه السلام على نفر منهم وهم في بيت فقال: من في البيت؟ قالوا: خنازير، قال: اللَّهُمَّ اجعلهم خنازير! فكانوا خنازير؛ ثم أصابتهم لعنته. ودعا عليهم عيسى عليه السلام فقال: اللَّهُمَّ العن من افترى عليَّ وعلى أمي واجعلهم قردة خاسئين[٤].

ثانياً: الدراسة

مما ابتلى الله به بني إسرائيل يوم السبت، وما منعهم الله من صيد الحيتان فيه كما هو مفصَّل في ما سبق من الآثار.

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٢٩٣)، تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٦٥).
(٢) تفسير الطبري (٦/ ٣١٧)، تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٨٢)، تفسير الدر المنثور (١٢٦/٣).
(٣) تفسير الطبري (٦/ ٣١٧)، تفسير الدر المنثور (٣/ ١٢٦).
(٤) تفسير الطبري (٦/ ٣١٧).

وأمام هذه المعصية صار القوم ثلاثة أصناف:

١ ـ صنف وقف عند حدود الله ونهى الآخرين عن المعصية.

٢ ـ وصنف أمسك عن المعصية ولكنه سكت عن العصاة.

٣ ـ وصنف وقع في المعصية وانتهك حدود الله.

ووقع خلاف بين السلف عن من وقع عليه الهلاك فيجزمون أن العاصين مسخوا ويختلفون في الذين أمسكوا وقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف: ١٦٤].

وقد فصَّل ذلك ابن كثير ثم قال: «فنص على نجاة الناهين وهلاك الظالمين وسكت عن الساكتين؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فهم لا يستحقون مدحاً فيمدحوا ولا ارتكبوا عظيماً فيذموا»(١).

١ ـ وقد مسخ الله العصاة وتحولوا الى قردة خاسئين لها أذناب تتعاوى بعدما كانوا رجالاً ونساءً، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وجمع من التابعين.

٢ ـ وذهب مجاهد رحمه الله الى أن المسخ معنوي كما رواه الطبري، وأنه مسخ لأرواحهم وقلوبهم، وهو مثل ضربه الله كمثل الحمار الذي ضربه يحمل أسفاراً.

قال القرطبي: ولم يقله غيره من المفسرين فيما أعلم(٢).

وقد خالفه الطبري وبيَّن مخالفته للإجماع، وعلَّل أن فهمه هذا مخالف لظاهر القرآن، وليس بجيد فقال: «وهذا القول الذي قاله مجاهد قول مخالف لظاهر ما دل عليه كتاب الله، وذلك: أن الله أخبر في كتابه أنه جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت، كما أخبر عنهم أنهم قالوا لنبيهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]، وأن الله ـ تعالى ذكره ـ أصعقهم عند مسألتهم ذلك ربهم، وأنهم عبدوا العجل فجعل توبتهم قتل أنفسهم، وأنهم أمروا بدخول الأرض المقدسة فقالوا لنبيهم: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤).
(٢) تفسير القرطبي (١/ ٣٠٠).

قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] فابتلاهم بالتيه. فسواء قال قائل: هم لم يمسخهم قردة، وقد أخبر جل ذكره أنه جعل منهم قردة وخنازير، وآخر قال: لم يكن شيء مما أخبر الله عن بني إسرائيل أنه كان منهم من الخلاف على أنبيائهم والعقوبات والأنكال التي أحلها الله بهم. ومن أنكر شيئاً من ذلك وأقر بآخر منه سئل البرهان على قوله وعورض فيما أنكر من ذلك بما أقر به، ثم يسأل الفرق من خبر مستفيض أو أثر صحيح. هذا مع خلاف قول مجاهد قول جميع الحجة التي لا يجوز عليها الخطأ والكذب فيما نقلته مجمعة عليه، وكفى دليلاً على فساد قوله إجماعها على تخطئته»[(١)].

ومما يؤيد أن المسخ حقيقي ولا يستغرب قوله ﷺ في حديث أم حبيبة ﵂ وفيه: فقال رجل: «يا رسول الله القردة والخنازير هي مما مسخ»، فقال النبي ﷺ: **«إن الله ﷻ لم يهلك قوماً أو يعذب قوماً فيجعل لهم نسلاً، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك»**[(٢)].

وهذا الذي عاقبهم به الله ذكر أن أصحابه هم من أشر خلق الله: لعنهم وطردهم من رحمته ومسخهم كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُولَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة].

كل ذلك تحذيراً لبني إسرائيل المعاصرين لرسول الله ﷺ، ولمن جاء بعدهم، وللمسلمين حتى يطيعوا أمر الله ولا يتعدوا حدوده، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء][(٣)].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٧٣).

(٢) صحيح مسلم (٣٦٦٣)، وابن حبان (٢٩٦٩).

(٣) يذكر بعض الكُتّاب أن من الأمور التي دعت اليهودي (دارون) إلى القول بنظرية التطور وأن أصل الإنسان في بعض أطواره كان قرداً تكذيب القرآن، تقول الباحثة إنعام قدوح: فلقد كانت اليهودية رائدة علم الطبيعيات الذي وضع أصوله (دارون) =

❁ المسألة السابعة: تحريم بعض الطيبات

أولاً: الآثار

۞ قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠].

(١٢٣) ٨٥١٧ ـ حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ...﴾ الآية، عوقب القوم بظلم ظلموه وبغي بغوه حرمت عليهم أشياء ببغيهم وبظلمهم[(١)].

۞ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

(١٢٤) ١٠٩٦٢ ـ حدثني المثنى وعلي بن داود قالا: ثنا عبد الله بن صالح قال: ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ وهو البعير والنعامة[(٢)].

(١٢٥) حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ قال: البعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب[(٣)].

(١٢٦) ١٠٩٦٣ ـ حدثنا ابن وكيع قال: ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن

= على أساس زعمه أن الإنسان أصله قرد؛ ولا يخفى أن الغاية من وراء هذا الزعم هي «تكذيب القرآن في بيان هذه العلة وهي أن الله مسخ عصاة اليهود في عهد نبيه موسى عليه السلام وجعلهم قردة خاسئين». انظر: أسباب ظهور العلمانية في العالم الإسلامي، مقال للباحثة في موقع مجلة البلاغ في الشبكة العنكبوتية.

(١) تفسير الطبري (٦/ ٢٣)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٨/ ٧٢)، صحيح البخاري معلقاً (٤/ ١٦٩٥)، تفسير الدر المنثور (٣٧٧/٣)، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (١٠/ ٤٤١)، وحسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٢٨١).

(٣) تفسير الطبري (٨/ ٧٣) إسناده ضعيف.

عطاء عن سعيد: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ قال: هو ليس الذي بمنفرج الأصابع[١].

(١٢٧) ١٠٩٦٩ - حدثني الحارث قال: ثنا عبد العزيز قال: ثنا شيخ عن مجاهد في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ قال: النعامة والبعير شقّاً شقّاً. قال: قلت: «ما شقّاً شقّاً؟» قال: كل ما لم تفرج قوائمه لم يأكله اليهود البعير والنعامة؛ والدجاج والعصافير تأكلها اليهود لأنها قد فرجت[٢].

(١٢٨) ١٠٩٧٠ - حدثني به يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾: الإبل فقط[٣].

۞ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

(١٢٩) ١٠٩٧٤ - حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ قال: إنما حرم عليهم الثروب والكليتين. هكذا هو في كتابي عن يونس، وأنا أحسب أنه الكلى[٤].

۞ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [النحل].

(١٣٠) ١٦٥٨٠ - حدثني يعقوب قال: ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ قال: في سورة الأنعام[٥].

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٧٣)، تفسير الدر المنثور عن ابن عباس (٣/ ٣٧٧).
(٢) تفسير الطبري (٨/ ٧٣)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٣٧٧).
(٣) تفسير الطبري (٨/ ٧٣)، صححه في التفسير الصحيح (٢/ ٣٥٢).
(٤) تفسير الطبري (٨/ ٧٤)، صححه في التفسير الصحيح (٢/ ٣٥٢).
(٥) تفسير الطبري (١٤/ ١٨٩)، تفسير الدر المنثور (٥/ ١٧٥).

ثانياً: الدراسة

ومما عاقب الله به بني إسرائيل بسبب ظلمهم وبغيهم: أن حرم عليهم طيبات كانت حلالاً لهم، وهو ما عناه الله بقوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ يعني: في سورة الأنعام وهو قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام].

والمعنى: وحرمنا على اليهود كل ذي ظفر، وهو من البهائم والطير ما لم يكن مشقوق الأصابع؛ كالإبل، والأنعام، والأوز، والبط.

قال مجاهد: «كل ما لم تفرج قوائمه لم يأكله اليهود: البعير والنعامة؛ والدجاج والعصافير تأكلها اليهود لأنها قد فرجت».

ثم حرم الله عليهم شحوم البقر والغنم، واستثنى من ذلك: ﴿مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾، والحوايا جمع، واحدها حاوياء وحاوية وحويه: وهي ما تحوَّى من البطن فاجتمع واستدار، وهي بنات اللبن، وهي المباعر، وتسمى المرابض، وفيها الأمعاء. ومعنى الكلام: ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو ما حملت الحوايا[(١)].

ثم بيَّن ﷻ أن هذا التحريم كان نتيجة لطغيانهم. فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ أي: هذا الذي حرَّمناه على الذين هادوا من الأنعام والطير، ومن البقر والغنم، وهذا التضييق الذي حكمنا به عليهم، إنما ألزمناهم به، بسبب بغيهم وظلمهم، وتعديهم حدود الله تعالى.

قال قتادة: «إنما حرم الله ذلك عليهم عقوبة ببغيهم فشدد عليهم بذلك وما هو بخبيث»[(٢)].

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٧٦).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٤١١)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٣٧٩).

﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ أي: وإنا لعادلون فيما جازيناهم به قال الطبري: وإنا لصادقون فيما أخبرناك به يا محمد من تحريمنا ذلك عليهم لا كما زعموا من أن إسرائيل هو الذي حرمه على نفسه(١).

ومع أن الشحوم جميعها باستثناء ما أحله الله لهم منها محرمة عليهم، فإنهم تحايلوا على شرع الله، وأخذوا يذيبونها ويستعملونها ويتبايعونها بينهم ويأكلون ثمنها، ولقد لعنهم النبي ﷺ بسبب هذا التحايل.

من ذلك ما رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان قاعداً خلف المقام، فرفع بصره إلى السما وقال: «**لعن الله اليهود ـ ثلاثاً ـ إن الله حرم عليهم الشحوم فباعوها، وأكلوا ثمنها، وإن الله لم يحرم على قوم أكل شيء إلا حرَّم عليهم ثمنه**»(٢).

وعن جابر بن عبد الله، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول عام الفتح: «**إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام**». فقيل: «يا رسول الله: أرأيت شحوم الميتة فإنها يدهن بها الجلود، وتطلى بها السفن، ويستصبح بها الناس». فقال: «**لا. هو حرام**». ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: «**قاتل الله اليهود. إن الله لما حرم عليهم شحومها جملوها** ـ أي: أذابوها ـ **ثم باعوها وأكلوا ثمنها**»(٣).

ثم حذرهم الله من الكفر والطغيان، فقال الله: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الأنعام] أي: فإن كذبك ـ يا محمد ـ هؤلاء اليهود، وأمثالهم من المشركين، فيما أخبرناك عنه، مِن أنَّا حرَّمنا على هؤلاء اليهود بعض الطيبات، عقوبة لهم، فقل لهم: إن الله ـ تعالى ـ ذو رحمة واسعة حقاً، ورحمته وسعت كل شيء. ومن مظاهر رحمته: أنه لا يعاجل من كفر به بالعقوبة، ولا من عصاه بالنقمة. ولكن ذلك

(١) تفسير الطبري (٤/٣).
(٢) صحيح مسلم (٣/١٢٠٧)، وصحيح ابن حبان (١١/٣١٢) واللفظ له.
(٣) صحيح البخاري (٢/٧٧٩)، صحيح مسلم (٣/١٢٠٧).

لا يقتضي أن يرد بأسه، أو يمنع عقابه عن القوم المصرِّين على إجرامهم، المستمرِّين على اقتراف المنكرات، وارتكاب السيئات[(١)].

وقد ذكر الله تبارك وتعالى السبب الذي من أجله حُرِّمت هذه الطيبات فقال: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ [النساء].

ففي الآية تعليل للعقوبات التي حلَّت بهم، فقد بينت هذه الآية الكريمة أن الله تعالى عاقب اليهود، بتحريم طيبات أحلت لهم، بسبب ظلم عظيم ارتكبوه، وجرائم خطيرة صدرت عنهم، وقد تكفلت الآيات السابقة واللاحقة بتفصيل هذا الظلم، الذي من أجله عاقبهم الله ﷻ في الدنيا والآخرة.

ومن ضروب هذا الظلم الذي ذكره الله ـ تعالى ـ في الآيات السابقة: نقضهم لمواثيقهم، وكفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء بغير حق، وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً، وتفاخرهم بقتل عيسى عليه السلام في زعمهم. أما تلك العقوبات التي عاقبهم الله بها من أجل تلك الجرائم، والموبقات فبعضها دنيوي، أشار إليها القرآن الكريم بقوله: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ وبعضها أخروي وهو ما سنشير إليه في الفصل القادم.

❊ المسألة الثامنة: الرِّجز

أولاً: الآثـــار

❁ **قوله تعالى:** ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ **[البقرة: ٥٩].**

(١٣١) ٨٧٠ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال: أنا عبد الرزاق قال: أنا

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/١٨٦) بتصرف.

معمر عن قتادة في قوله: ﴿رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ قال: عذاباً[(١)].

(١٣٢) ٨٧١ ـ حدثني المثنى قال: حدثنا آدم العسقلاني قال: حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قال: الرجز: الغضب[(٢)].

(١٣٣) ٨٧٢ ـ حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قالا: قال ابن زيد: لما قيل لبني إسرائيل: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ بعث الله ﷻ عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحداً. وقرأ: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ قال: وبقي الأبناء ففيهم الفضل والعبادة التي توصف في بني إسرائيل والخير وهلك الآباء كلهم أهلكهم الطاعون[(٣)].

(١٣٤) ٨٧٣ ـ حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: الرجز: العذاب وكل شيء في القرآن رجز فهو عذاب[(٤)].

(١٣٥) ٨٧٤ ـ حدثت عن المنجاب قال: حدثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ قال: كل شيء في كتاب الله من الرجز؛ يعني به: العذاب[(٥)].

ثانياً: الدراسة

مما عاقب الله به بني إسرائيل (الرجز) يوم أن أمروا أن يدخلوا القرية

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٠٥)، تفسير عبد الرزاق (١/ ٤٥)، تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٥٨)، صححه في التفسير الصحيح (١/ ١٦٤).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٠٥)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٢٠)، تفسير ابن كثير (١/ ١٠٠)، حسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/ ٣٦٦).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٠٥).

(٤) تفسير الطبري (١/ ٣٠٥).

(٥) تفسير الطبري (١/ ٣٠٦)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٢٠)، تفسير الدر المنثور (١/ ١٧٤) إسناده ضعيف.

وأن يقولوا حطة: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [البقرة].

واختلف في تفسير الرجز فقيل:

١ ـ العذاب مطلقاً، وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كل شيء في كتاب الله من الرجز؛ يعني: العذاب»، وهو قول جماعة من السلف كالحسن وقتادة[١].

٢ ـ وقيل: الغضب كما هو المروي عن أبي العالية.

٣ ـ وقيل: هو الطاعون وهو الذي رجَّحه الطبري، وله شاهد في الصحيحين: عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنهما أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد رضي الله عنه: «ماذا سمعت من رسول الله ﷺ في الطاعون». فقال أسامة: قال رسول الله ﷺ: «**الطاعون رجز أو عذاب أرسل على بني إسرائيل، أو على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه**»[٢].

وسواء أكان الطاعون أم غيره، فإن الرجز يطلق على العذاب الذي نزل بهم.

قال الطبري: «وقد دلَّلنا على أن تأويل (الرجز) العذاب. وعذاب الله جل ثناؤه أصناف مختلفة، وقد أخبر الله جل ثناؤه أنه أنزل على الذين وصفنا أمرهم الرجز من السماء، وجائز أن يكون ذلك طاعوناً، وجائز أن يكون غيره، ولا دلالة في ظاهر القرآن ولا في أثر عن الرسول ﷺ ثابت أي أصناف ذلك كان»[٣].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٠٥)، وتفسير الحسن البصري (١/ ٩٦)، وابن قتيبة في غريب القرآن (٥٠).

(٢) رواه البخاري (٣/ ١٢٨١)، و مسلم (٤/ ١٧٣٧).

(٣) تفسير الطبري (٢/ ١١٨).

❖ المطلب الثاني ❖

عقاب الله لهم في الآخرة

وفيه مسألتان:

❁ المسألة الأولى: لا ينظر الله إليهم

أولاً: الآثـــار

✡ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران].

(١٣٦) **٥٧٥٣** ـ حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قال: نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ في أبي رافع وكنانة بن أبي الحقيق، وكعب بن الأشرف، وحيي بن أخطب[١].

❁ المسألة الثانية: عذاب النار والخلود فيها

✡ قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٧٩].

(١٣٧) **١١٥١** ـ حدثني المثنى بن إبراهيم قال: ثنا إبراهيم بن عبد السلام قال: ثنا علي بن جرير عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة العدوي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ «**الويل: جبل في النار**». وهو الذي أنزل في اليهود؛ لأنهم حرَّفوا التوراة وزادوا فيها ما يحبون، ومحوا منها ما يكرهون،

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣٢١).

ومحوا اسم محمد ﷺ من التوراة؛ فلذلك غضب الله عليهم فرفع بعض التوراة فقال: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[١].

۞ **قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠].**

(١٣٨) ١١٥٥ ـ حدثنا به أبو كريب قال: ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ قال: ذلك أعداء الله اليهود قالوا: لن يدخلنا الله النار إلا تحلة القسم الأيام التي أصبنا فيها العجل أربعين يوماً، فإذا انقضت عنا تلك الأيام انقطع عنا العذاب والقسم[٢].

(١٣٩) ١١٥٩ ـ حدثني محمد بن سعد قال: حدثني أبي قال: حدثني عمي قال: حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ الآية. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ذكر أن اليهود وجدوا في التوراة مكتوباً: «إن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة، إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم نابتة في أصل الجحيم»، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: إن الجحيم سقر وفيه شجرة الزقوم فزعم أعداء الله أنه إذا خلا العدد الذي وجدوا في كتابهم أياماً معدودة، وإنما يعني بذلك: المسير الذي ينتهي إلى أصل الجحيم فقالوا: إذا خلا العدد انتهى الأجل فلا عذاب وتذهب جهنم وتهلك؛ فذلك قوله: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ يعنون بذلك الأجل. فقال ابن عباس: لما اقتحموا من باب جهنم ساروا في العذاب حتى انتهوا إلى شجرة الزقوم آخر يوم من الأيام المعدودة قال لهم خزان سقر: زعمتم أنكم لن تمسَّكم النار إلا أياماً معدودة فقد خلا العدد وأنتم في الأبد! فأخذ بهم في الصعود في جهنم يرهقون[٣].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٧٩)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٠١)، تفسير ابن كثير (١/ ١١٨).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٨١).
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٥٦)، تفسير القرطبي (٢/ ١٠)، تفسير ابن كثير (١/ ١١٩) إسناده ضعيف.

(١٤٠) ١١٦١ ـ حدثني المثنى قال: ثنا إسحاق قال: ثنا حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة قال: خاصمت اليهود رسول الله ﷺ فقالوا: لن ندخل النار إلا أربعين ليلة وسيخلفنا فيها قوم آخرون! يعنون محمداً ﷺ وأصحابه. فقال رسول الله ﷺ بيده على رؤوسهم: «**بل أنتم فيها خالدون لا يخلفكم فيها أحد**»، فأنزل الله جل ثناؤه: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[1].

(١٤١) ١١٦٤ ـ حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كانت يهود يقولون: إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الله الناس يوم القيامة بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً من أيام الآخرة، وإنها سبعة أيام. فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[2].

(١٤٢) ١١٦٣ ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: حدثني أبي أن رسول الله ﷺ قال لهم: «**أنشدكم بالله وبالتوراة التي أنزلها الله على موسى يوم طور سيناء، مَن أهل النار الذين أنزلهم الله في التوراة؟**»، قالوا: إن ربهم غضب عليهم غضبة، فنمكث في النار أربعين ليلة، ثم نخرج فتخلفوننا فيها. فقال رسول الله ﷺ: «**كذبتم والله! لا نخلفكم فيها أبداً**». فنزل القرآن تصديقاً لقول النبي ﷺ، وتكذيباً لهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ إلى قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١][3].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٨٢)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٥٦)، تفسير ابن كثير (١/١١٩).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٨٣)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٥٥).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٨٢)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٠٧)، صححه في التفسير الصحيح (٢/ ٣٥٢).

۞ قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [البقرة: ١٧١].

(١٤٣) ٢٠٣٧ ـ حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: حدثني حجاج عن ابن جريج قال: قال لي عطاء في هذه الآية: هم اليهود الذين أنزل الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلى قوله: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٤ ـ ١٧٥][(١)].

۞ قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣﴾ [الحشر].

(١٤٤) ٢٦٢٠٧ ـ حُدثت عن الحسين قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ أهل النضير حاصرهم نبي الله ﷺ حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوا نبي الله ﷺ ما أراد، ثم ذكر نحوه وزاد فيه: فهذا الجلاء[(٢)].

۞ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ١٣].

(١٤٥) ٢٦٣٧٥ ـ حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا ابن ثور عن معمر قال: قال الكلبي: قد يئسوا من الآخرة؛ يعني: اليهود والنصارى يقول: قد يئسوا من ثواب الآخرة وكرامتها كما يئس الكفار الذين قد ماتوا فهم في القبور من الجنة حين رأوا مقعدهم من النار[(٣)].

(١٤٦) ٢٦٣٧٥ ـ حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا ابن ثور عن معمر قال: قال الكلبي: قد يئسوا من الآخرة؛ يعني: اليهود والنصارى يقول: قد

(١) تفسير الطبري (٢/ ٨٢)، تفسير الدر المنثور (١/ ٤٠٦).
(٢) تفسير الطبري (٢٨/ ٣٢) إسناده ضعيف.
(٣) تفسير الطبري (٢٨/ ٨٢).

يئسوا من ثواب الآخرة وكرامتها كما يئس الكفار الذين قد ماتوا فهم في القبور من الجنة حين رأوا مقعدهم من النار[١].

✿ **قوله تعالى:** ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ **[الأعراف: ١٥٦].**

(١٤٧) **١١٨٠٤** ـ حدثني عبد الكريم قال: ثنا إبراهيم بن بشار قال: قال سفيان: قال أبو بكر الهذلي: فلما نزلت: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ قال إبليس: أنا من الشيء. فنزعها الله من إبليس قال: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ فقال اليهود: نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا. فنزعها الله من اليهود فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧].. الآيات كلها. قال: فنزعها الله من إبليس ومن اليهود وجعلها لهذه الأمة[٢].

ثانياً: الدراسة

توعَّد الله اليهود بالعذاب في الآخرة، بعد أن قالوا: أنهم أبناء الله وأحباؤه، ولن يلبثوا في النار الا أياماً معدودة، كما ذكر الله ذلك في كتابه الكريم فقدم لهم عقوبة الدنيا كما مرّ معنا وأعد لهم تبارك وتعالى عقوبة الآخرة، وأول ما يرد عليهم في ذلك تعذيبهم في القبور كما قال ﷺ لما خرج وقد وجبت الشمس فسمع صوتاً فقال ﷺ: **«يهود تعذب في قبورها»**[٣].

ثم إن الله سيعاقبهم بالعطش يوم القيامة قبل أن يكبَّهم في النار كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن أناساً في زمن النبي ﷺ قالوا: «يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟» قال النبي ﷺ: **«نعم، هل تضارون**

---

(١) تفسير الطبري (٢٨/ ٨٢).
(٢) تفسير الطبري (٩/ ٧٩).
(٣) رواه البخاري (١٣٧٥)، ومسلم (٢٢٩)، والنسائي (٤/ ١٠٢)، وأحمد في المسند (٥/ ٤١٧).

في رؤية الشمس بالظهيرة، ضوء ليس فيها سحاب. قالوا: لا، قال: **وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر، ضوء ليس فيها سحاب.** قالوا: لا، قال النبي ﷺ: **ما تضارون في رؤية الله ﷻ يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: تتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار. حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله، بر أو فاجر، وغبرات[(١)] أهل الكتاب، فيدعى اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عُزيراً ابن الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ فقالوا: عطشنا ربنا فاسقنا، فيشار: ألا تَرِدون؟ فيحشرون إلى النار، كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار. ثم يدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ما تبغون؟ فكذلك مثل الأول. حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله، من بر أو فاجر، أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها، فيقال: ماذا تنتظرون، تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: فارقنا الناس في الدنيا على أفقر ما كنا إليهم لم نصاحبهم، ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: لا نشرك بالله شيئاً. مرتين أو ثلاثاً»**[(٢)].

وأما دخولهم النار وخلودهم فيها فكانوا يزعمون أنهم لن يدخلوها إلّا تحلة القسم، وبعدد محدود قدّروه بعدد الأيام التي عبدوا فيها العجل، وربما قالوا: سبعة أيام؛ لأن الدنيا عندهم سبعة آلاف عام، سيدخلون بكل ألف عام يوماً واحداً، أو أربعين يوماً كما قلنا بعدد الأيام التي عبدوا بها العجل وغير ذلك مما يتخرَّصونه[(٣)].

---

(١) الغُبَّرات البَقايا، واحدها غابِرٌ، ثم يجمع غُبَّرا، ثم غُبَّرات جمع الجمع، لسان العرب (٤/ ٤)، والنهاية لابن لأثير (٣/ ٣٣٨).

(٢) رواه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١/ ١٣٤).

(٣) وهنا نكتة، ففي آية البقرة ﴿مَّعۡدُودَةٗ﴾ [البقرة: ٨٠]، وفي آية آل عمران: ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ﴾، ولعل الاختلاف في اللفظ إشارة الى اختلافهم في العدد، ففي البقرة إشارة =

ولكن النبي ﷺ أكذب ظنهم، وبشَّرهم بالنار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لما فتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم»، فقال النبي ﷺ: «**اجمعوا إلي من كان ها هنا من يهود**. فجُمعوا له، فقال: **إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقيَّ عنه**. فقالوا: نعم، قال لهم النبي ﷺ: «**من أبوكم؟**». قالوا: فلان، فقال: «**كذبتم، بل أبوكم فلان**». قالوا: صدقت، قال: «**فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه؟**». فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا، فقال لهم: «**من أهل النار؟**». قالوا: نكون فيها يسيراً، ثم تخلفونا فيها، فقال النبي ﷺ: «**اخسؤوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبداً**». ثم قال: «**هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟**». فقالوا: نعم يا أبا القاسم، قال: «**هل جعلتم في هذه الشاة سماً؟**». قالوا: نعم، قال: «**ما حملكم على ذلك**». قالوا: أردنا إن كنت كاذباً نستريح، وإن كنت نبياً لم يضرك»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٧].

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ﴾ [الرعد: ٣٦] أي: يكفر ببعضه وهم اليهود والنصارى. فيفسره قوله ﷺ: «**لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني، ثم يموت قبل أن يؤمن بي إلا دخل النار**».

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول في هذا الحديث: «فجعلت أقول أين تصديقها في كتاب الله، وقلما سمعت حديثاً عن رسول الله ﷺ إلا وجدت تصديقه في القرآن حتى وجدت هذه الآية: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ﴾ [هود: ١٧] قال: الأحزاب الملل كلها».

= الى السبعة وفي آل عمران إشارة الى الأربعين ـ ذكر ذلك الشيخ محمد المسند ـ وقال: ولم أر من أشار إلى ذلك. انظر: (أساليب المجرمين في التصدي لدعوة المرسلين لمحمد المسند ص١٣٨).

(١) رواه البخاري (٢٩٩٨)، وأحمد (٢/ ٤٥١)، وللتفصيل انظر: تفسير ابن كثير (٢٧٨/١).

ولما قالوا: إن الجنة لهم هم والنصارى قال الله لهم: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [البقرة].

قال عنهم رسول الله ﷺ: «**إن اليهود لو تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار**» الحديث(١).

وقال ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار**»(٢).

هذا ما أبطله الله ورسوله ﷺ من مزاعم يهود، وهذا هو مقتضى العدل الإلـهي: أن من آمن يأمن، ومن كفر وأعرض وتمنى على الله الأماني خاب وخسر، كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء].

وقال الله في حق اليهود: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران].

□ أثر الفتون الطويل وفيه جامع لأحوال بني إسرائيل(٣):

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ [مريم].

(١٤٨) **١٨١٩٢** ـ حدثني العباس بن الوليد الآملي قال: ثنا يزيد بن

(١) رواه أحمد (١/ ٢٤٨)، عن ابن عباس، وصححه أحمد شاكر إسناده كما في المسند (٤/ ٥١).

(٢) رواه مسلم (١٨١٣٤)، وأحمد (٢/ ٣٧١).

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ١٦٤)، تفسير الدر المنثور (٥/ ٥٦٩)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٩).

هارون قال: أخبرنا أصبغ بن زيد الجهني قال: أخبرنا القاسم بن أيوب قال: ثني سعيد بن جبير قال: سألت عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن قول الله لموسى عليه السلام: ﴿وَفَتَنَّكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٠] فسألته على الفتون ما هي؟ فقال لي: استأنف النهار يا ابن جبير فإن لها حديثاً طويلاً قال: فلما أصبحت غدوت على ابن عباس لأنتجز منه ما وعدني قال: فقال ابن عباس رضي الله عنهما: تذاكر فرعون وجلساؤه ما وعد الله إبراهيم أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكاً، فقال بعضهم: إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك وما يشكون، ولقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب؛ فلما هلك قالوا: ليس هكذا كان الله وعد إبراهيم، فقال فرعون: فكيف ترون؟ قال: فأتمروا بينهم وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالاً معهم الشفار يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه؛ فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم وأن الصغار يذبحون؛ قالوا: يوشك أن تفنوا بني إسرائيل فتصيرون إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم فاقتلوا عاماً كل مولود ذكر فيقل أبناؤهم ودعوا عاماً لا تقتلوا منهم أحداً، فتشب الصغار مكان من يموت من الكبار فإنهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم فتخافون مكاثرتهم إياكم، ولن يقلوا بمن تقتلون فأجمعوا أمرهم على ذلك. فحملت أم موسى بهارون في العام المقبل الذي لا يذبح فيه الغلمان، فولدته علانية آمنة، حتى إذا كان العام المقبل حملت بموسى فوقع في قلبها الهم والحزن وذلك من الفتون، يا ابن جبير!

مما دخل عليه في بطن أمه مما يراد به فأوحى الله إليها: ﴿وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، وأمرها إذا ولدته أن تجعله في تابوت ثم تلقيه في اليم؛ فلما ولدته فعلت ما أمرت به حتى إذا توارى عنها ابنها، أتاها إبليس فقالت في نفسها: ما صنعت بابني لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إلي من أن ألقيه بيدي إلى حيتان البحر ودوابه، فانطلق به الماء حتى أوفى به عند فرضة مستقى جواري آل فرعون، فرأينه فأخذنه فهممن أن يفتحن الباب، فقال بعضهن لبعض: إن في هذا مالاً وإنا إن

فتحناه لم تصدقنا امرأة فرعون بما وجدنا فيه، فحملنه كهيئته لم يحركن منه شيئاً، حتى دفعنه إليها؛ فلما فتحته رأت فيه الغلام فألقي عليه منها محبة لم يلق مثلها منها على أحد من الناس، ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ [القصص] من كل شيء إلا من ذكر موسى. فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا إلى امرأة فرعون بشفارهم. يريدون أن يذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير!

فقالت للذبَّاحين: انصرفوا عني فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل، فآتي فرعون فأستوهبه إياه فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم وإن أمر بذبحه لم ألمكم. فلما أتت به فرعون قالت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ٩] قال فرعون: يكون لك وأما أنا فلا حاجة لي فيه. فقال: والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت به لهداه الله به كما هدى به امرأته، ولكن الله حرمه ذلك. فأرسلت إلى من حولها من كل أنثى لها لبن لتختار له ظئراً فجعل كلما أخذته امرأة منهم لترضعه لم يقبل ثديها، حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت، فحزنها ذلك فأمرت به فأخرج إلى السوق مجمع الناس ترجو أن تصيب له ظئراً يأخذ منها فلم يقبل من أحد. وأصبحت أم موسى فقالت لأخته: قصِّيه واطلبيه هل تسمعين له ذكراً، أحيٌّ ابني أو قد أكلته دواب البحر وحيتانه؟ ونسيت الذي كان الله وعدها، فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون، فقالت من الفرح حين أعياهم الظؤورات: أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون، فأخذوها وقالوا: وما يدريك ما نصحهم له؟ هل يعرفونه؟ حتى شكوا في ذلك وذلك من الفتون يا ابن جبير!

فقالت: نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في ظؤورة الملك، ورجاء منفعته فتركوها؛ فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر فجاءت؛ فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها حتى امتلأ جنباه، فانطلق البشراء إلى امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئراً، فأرسلت إليها فأتيت بها وبه؛ فلما رأت ما يصنع بها قالت: امكثي عندي حتى ترضعي ابني هذا فإني لم أحب حبه

شيئاً قط؛ قال: فقالت: لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع، فإن طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آلوه خيراً فعلت، وإلا فإني غير تاركة بيتي وولدي! وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت أن الله تبارك وتعالى منجز وعده، فرجعت بابنها إلى بيتها من يومها فأنبته الله نباتاً حسناً، وحفظه لما قضى فيه، فلم يزل بنو إسرائيل وهم مجتمعون في ناحية المدينة، يمتنعون به من الظلم والسخرة التي كانت فيهم. فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى: أزيريني ابني. فوعدتها يوماً تزيرها إياه فيه، فقالت لخواصها وظؤورتها وقهارمتها: لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابني بهدية وكرامة ليرى ذلك، وأنا باعثة أمينة تحصي كل ما يصنع كل إنسان منكم؛ فلم تزل الهدية والكرامة والتحف تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون. فلما دخل عليها نحلته وأكرمته وفرحت به وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه، وقالت: انطلقن به إلى فرعون فلينحله وليكرمه. فلما دخلوا به عليه جعلته في حجره فتناول موسى لحية فرعون حتى مدها، فقال عدو من أعداء الله: ألا ترى ما وعد الله إبراهيم أنه سيصرعك ويعلوك فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه! وذلك من الفتون يا ابن جبير!

بعد كل بلاء ابتلي به وأريد به. فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون فقالت: ما بدا لك في هذا الصبي الذي قد وهبته لي؟ قال: ألا ترين يزعم أنه سيصرعني ويعلوني، فقالت: اجعل بيني وبينك أمراً تعرف فيه الحق، ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقربهن إليه فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين علمت أنه يعقل؛ وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين فاعلم أن أحداً لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل، فقرب ذلك إليه فتناول الجمرتين فنزعوهما منه مخافة أن تحرقا يده، فقالت المرأة: ألا ترى؟ فصرفه الله عنه بعد ما قد همَّ به، وكان الله بالغاً فيه أمره. فلما بلغ أشده وكان من الرجال، لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل امتناع. فبينما هو يمشي ذات يوم في ناحية المدينة إذ هو برجلين

يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل والآخر من آل فرعون، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، فغضب موسى واشتد غضبه؛ لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل، وحفظه لهم ولا يعلم الناس إلا أنما ذلك من قبل الرضاعة غير أم موسى، إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره؛ فوكز موسى الفرعوني فقتله، وليس يراهما أحد إلا الله والإسرائيلي، فقال موسى حين قتل الرجل: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٥]، ثم قال: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦] ﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [القصص]، فأتي فرعون فقيل له: إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلاً من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك، فقال: ابغوني قاتله ومن شهد عليه لأنه لا يستقيم أن يقضي بغير بينة ولا ثبت فطلبوا له ذلك؛ فبينما هم يطوفون لا يجدون ثبتاً إذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس وكره الذي رأى فغضب موسى فمد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني، قال للإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم: ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾، فنظر الإسرائيلي موسى بعد ما قال فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعوني فخاف أن يكون بعد ما قال له ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ أن يكون إياه أراد ولم يكن أراده، وإنما أراد الفرعوني فخاف الإسرائيلي فحاجز الفرعوني فقال: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص: ١٩]، وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله فتتاركا؛ فانطلق الفرعوني إلى قومه فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس؟ فأرسل فرعون الذباحين فسلك موسى الطريق الأعظم فطلبوه وهم لا يخافون أن يفوتهم. وجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة فاختصر طريقاً قريباً حتى سبقهم إلى موسى فأخبره الخبر وذلك من الفتون يا ابن جبير!

فخرج موسى متوجهاً نحو مدين لم يلق بلاء قبل ذلك وليس له علم إلا حسن ظنه بربه تعالى، فإنه قال: ﴿عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [القصص] يعني بذلك: حابستين عنهما فقال لهما: ما خطبكما معتزلتين لا تسقيان مع الناس فقالتا: ليس لنا قوة نزاحم القوم، وإنما ننتظر فضول حياضهم، فسقى لهما فجعل يغترف في الدلو ماء كثيراً حتى كان أول الرعاء بغنمها إلى أبيهما، وانصرف موسى عليه السلام فاستظل بشجرة وقال: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، والحاصل واستنكر أبوهما سرعة صدورهما حفلاً بطاناً فقال: إن لكما اليوم لشأناً فأخبرتاه بما صنع موسى، فأمر إحداهما أن تدعوه، فأتت موسى فدعته فلما كلمه قال: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥] ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ولسنا في مملكته، فقالت إحداهما: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين، فاحتملته الغيرة على أن قال لها ما يدريك ما قوته وما أمانته، قالت: أما قوته فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا، لم أر رجلاً قط أقوى في ذلك السقي منه، وأما الأمانة فإنه نظر إلي حين أقبلت إليه وشخصت له، فلما علم أني امرأة صوب رأسه فلم يرفعه حتى بلغته رسالتك، ثم قال لي: امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلم يفعل هذا الأمر إلا وهو أمين، فسُرِّي عن أبيها وصدقها وظن به الذي قالت، فقال له: هل لك ﴿أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧] ففعل فكانت على نبي الله موسى ثماني سنين واجبة، وكانت سنتان عِدَة منه، فقضى الله عنه عدته فأتمها عشراً.

قال سعيد: فلقيني رجل من أهل النصرانية من علمائهم قال: هل تدري أي الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا وأنا يومئذ لا أدري. فلقيت ابن عباس رضي الله عنهما فذكرت ذلك له فقال: أما علمت أن ثمانياً كانت على نبي الله واجبة لم يكن نبي الله ﷺ لينقص منها شيئاً، ويعلم أن الله كان قاضياً عن موسى عِدته التي

وعده فإنه قضى عشر سنين. فلقيت النصراني فأخبرته ذلك، فقال: الذي سألته فأخبرك أعلم منك بذلك، قلت: أجل وأولى، فلما سار موسى بأهله كان من أمر الناس والعصا ويده ما قص الله عليك في القرآن فشكا إلى الله سبحانه ما يتخوف من آل فرعون في القتيل وعقدة لسانه، فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير الكلام، وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له ردءاً ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه، فآتاه الله سؤله وحل عقدة من لسانه، وأوحى الله إلى هارون وأمره أن يلقاه فاندفع موسى بعصاه حتى لقي هارون عليه السلام فانطلقا جميعاً إلى فرعون، فأقاما على بابه حيناً لا يؤذن لهما ثم أذن لهما بعد حجاب شديد فقالا: إنا رسولا ربك. قال: فمن ربكما؟ فأخبراه بالذي قص الله عليك في القرآن قال: فما تريدان وذكره القتيل فاعتذر بما قد سمعت قال: أريد أن تؤمن بالله وترسل معي بني إسرائيل، فأبى عليه وقال: ائت بآية إن كنت من الصادقين، فألقى عصاه فإذا هي حية عظيمة فاغرة فاها مسرعة إلى فرعون، فلما رآها فرعون قاصدة إليه خافها فاقتحم عن سريره واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل، ثم أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء - يعني من غير برص - ثم ردها فعادت إلى لونها الأول، فاستشار الملأ حوله فيما رأى فقالوا له: هذان ساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى؛ يعني: ملكهم الذي هم فيه والعيش، فأبوا على موسى أن يعطوه شيئاً مما طلب وقالوا له: اجمع لهما السحرة فإنهم بأرضك كثير حتى يغلب سحرك سحرهما فأرسل في المدائن فحشر له كل ساحر متعالم، فلما أتوا فرعون قالوا: بم يعمل هذا الساحر قالوا: يعمل بالحيات. قالوا: فلا والله ما أحد في الأرض يعمل بالسحر بالحيات والحبال والعصي الذي نعمل، وما أجرنا إن نحن غلبنا؟ قال لهم: أنتم أقاربي وخاصتي، وأنا صانع إليكم كل شيء أحببتم، فتواعدوا يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى.

قال سعيد: فحدثني ابن عباس أن يوم الزينة اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة هو يوم عاشوراء، فلما اجتمعوا في صعيد قال الناس بعضهم لبعض: انطلقوا فلنحضر هذا الأمر لعلنا نتبع السحرة إن كانوا

هم الغالبين يعنون موسى وهارون استهزاء بهما، فقالوا: يا موسى ـ لقدرتهم بسحرهم ـ إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين قال: بل ألقوا فألقوا حبالهم وعصيهم، وقالوا: بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون، فرأى موسى من سحرهم ما أوجس في نفسه خيفة، فأوحى الله إليه أن ألق عصاك فلما ألقاها صارت ثعباناً عظيماً فاغرة فاها فجعلت العصا تلبس بالحبال حتى صارت جرزاً على الثعبان تدخل فيه حتى ما أبقت عصاً ولا حبلاً إلا ابتلعته، فلما عرف السحرة ذلك قالوا: لو كان هذا سحراً لم يبلغ من سحرنا كل هذا ولكنه أمر من الله آمنا بالله وبما جاء به موسى ونتوب إلى الله مما كنا عليه، فكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن وأتباعه وظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين، وامرأة فرعون بارزة تدعو الله بالنصر لموسى على فرعون وأشياعه، فمن رآها من آل فرعون ظن أنها إنما ابتذلت للشفقة على فرعون وأشياعه، وإنما كان حزنها وهمها لموسى، فلما طال مكث موسى بمواعيد فرعون الكاذبة كلما جاءه بآية وعده عندها أن يرسل معه بني إسرائيل فإذا مضت أخلف موعده.

وقال: هل يستطيع ربك أن يصنع غير هذا، فأرسل الله ﷻ على قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات كل ذلك يشكو إلى موسى ويطلب إليه أن يكفها عنه ويوافقه على أن يرسل معه بني إسرائيل، فإذا كف ذلك عنه أخلف موعده ونكث عهده حتى أمر موسى بالخروج بقومه فخرج بهم ليلاً، فلما أصبح فرعون فرأى أنهم قد مضوا أرسل في المدائن حاشرين فتبعه بجنود عظيمة كثيرة وأوحى الله تعالى إلى البحر إذا ضربك عبدي موسى بعصاه فانفرق اثنتي عشرة فرقة حتى يجاوز موسى ومن معه، ثم التق على من بقي بعد من فرعون وأشياعه، فنسي موسى أن يضرب البحر بالعصا فانتهى إلى البحر وله قصيف مخافة أن يضربه موسى بعصاه وهو غافل فيصير عاصياً لله، فلما تراءى الجمعان تقاربا قال قوم موسى: إنا لمدركون افعل ما أمرك به ربك؛ فإنه لم يكذب ولم تكذب قال: وعدني ربي إذا أتيت البحر انفرق اثنتي عشرة فرقة حتى أجاوزه، ثم ذكر بعد ذلك العصا فضرب

البحر بعصاه حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى فانفرق البحر كما أمره ربه وكما وعد موسى، فلما أن جاز موسى وأصحابه كلهم البحر ودخل فرعون وأصحابه التقى عليهم البحر كما أمر، فلما جاوز موسى البحر قال أصحابه: إنا نخاف ألا يكون فرعون غرق ولا نؤمن بهلاكه فدعا ربه فأخرجه له ببدنه حتى استيقنوا هلاكه، ثم مروا بعد ذلك على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا: يا موسى اجعل لنا إلـٰهاً كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون، إن هؤلاء مُتَبَّرٌ ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون، قد رأيتم من العبر وسمعتم ما يكفيكم ومضى.

فأنزلهم موسى منزلاً وقال لهم: أطيعوا هارون فإني قد استخلفته عليكم فإني ذاهب إلى ربي وأجَّلهم ثلاثين يوماً أن يرجع إليهم فيها، فلما أتى ربه أراد أن يكلمه في ثلاثين يوماً وقد صامهن ليلهن ونهارهن وكره أن يكلم ربه وريحُ فيه ريح فم الصائم، فتناول موسى من نبات الأرض شيئاً فمضغه، فقال له ربه حين أتاه: لم أفطرت وهو أعلم بالذي كان. قال: يا رب إني كرهت أن أكلمك إلا وفمي طيب الريح قال: أوما علمت يا موسى أن ريح فم الصائم أطيب من ريح المسك ارجع فصم عشراً ثم ائتني، ففعل موسى عليه السلام ما أمره به فلما رأى قوم موسى أنه لم يرجع إليهم في الأجل ساءهم ذلك وكان هارون قد خطبهم، وقال: إنكم خرجتم من مصر ولقوم فرعون عندكم عواري وودائع ولكم فيهم مثل ذلك وأنا أرى أن تحتسبوا ما لكم عندهم ولا أحل لكم وديعة استودعتموها ولا همام ولسنا برادين إليهم شيئاً من ذلك ولا ممسكيه لأنفسنا فحفر حفيراً وأمر كل قوم عندهم من ذلك من متاع أو حلية أن يقذفوه في ذلك الحفير، ثم أوقد عليه النار فأخرجه فقال: لا يكون لنا ولا لهم. وكان السامري من قوم يعبدون البقر جيران لبني إسرائيل ولم يكن من بني إسرائيل، فاحتمل مع موسى وبني إسرائيل حين احتملوا فقضي له أن رأى أثراً فأخذ منه قبضة فمر بهارون فقال له هارون عليه السلام: يا سامري ألا تلقي ما في يدك وهو قابض عليه لا يراه أحد طوال ذلك فقال: هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر فلا ألقيها بشيء إلا أن تدعو الله إذا ألقيت أن

يكون ما أريد فألقاها ودعا له هارون، فقال: أريد أن تكون عجلاً فاجتمع ما كان في الحفرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصار عجلاً أجوف ليس فيه روح له خوار.

قال ابن عباس: لا والله ما كان قط إنما كانت الريح تدخل من دبره وتخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك، فتفرق بنو إسرائيل فرقاً فقالت فرقة: يا سامري ما هذا وأنت أعلم به؟ قال: هذا ربكم ولكن موسى أضل الطريق. فقالت فرقة: لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى فإن كان ربنا لم نكن ضيعناه وعجزنا فيه حين رأينا، وإن لم يكن ربنا فإنا نتبع قول موسى، وقالت فرقة: هذا عمل الشيطان وليس بربنا ولن نؤمن به ولا نصدق، وأشرب فرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري في العجل وأعلنوا التكذيب به. فقال لهم هارون: يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمٰن، قالوا: فما بال موسى وعدنا ثلاثين يوماً ثم أخلفنا، هذه أربعون قد مضت، فقال سفهاؤهم: أخطأ ربه فهو يطلبه ويتبعه، فلما كلم الله موسى عليه السلام وقال له ما قال أخبره بما لقي قومه من بعده فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً، قال لهم ما سمعتم في القرآن، وأخذ برأس أخيه يجره إليه وألقى الألواح من الغضب، ثم إنه عذر أخاه بعذره له فانصرف إلى السامري فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: قبضت قبضة من أثر الرسول وفطنتُ إليها وعَمِيتْ عليكم فقذفتها وكذلك سوَّلت لي نفسي. قال: فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول: لا مساس، وإن لك موعداً لن تخلفه، وانظر إلى إلـٰهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً، ولو كان إلـٰهاً لم نخلص إلى ذلك منه فاستيقن بنو إسرائيل بالفتنة واغتبط الذين كان رأيهم فيه مثل رأي هارون، فقالوا لجماعتهم: يا موسى سل لنا ربك أن يفتح لنا باب توبة نصنعها ما عملنا فاختار موسى قومه سبعين رجلاً لذلك لا يألو الخير خيار بني إسرائيل ومن لم يشرك في العجل فانطلق بهم يسأل لهم التوبة فرجفت بهم الأرض واستحيا نبي الله ﷺ من قومه ومن وفده حين فعل بهم ما فعل فقال: لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا، وفيهم من كان الله يتحقق

منه على ما أشرب قلبه من حب العجل وإيمان به فلذلك رجفت بهم الأرض فقال: رحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، فقال: يا رب سألتك التوبة لقومي فقلت: إن رحمتي كتبتها لقوم غير قومي، هلا أخرتني حتى تخرجني في أمة ذلك الرجل المرحومة؟ فقال له: إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم كل من لقي من والد وولد فيقتله بالسيف لا يبالي من قتل في ذلك الموطن، ويأتي أولئك الذين كان خفي على موسى وهارون واطلع الله من ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلوا ما أمروا وغفر الله للقاتل والمقتول.

ثم سار بهم موسى ﷺ متوجهاً نحو الأرض المقدسة وأخذ الألواح بعدما سكت عنه الغضب فأمرهم بالذي أمر به أن يبلغهم من الوظائف فثقل ذلك عليهم وأبوا أن يقروا بها، فنتق الله عليهم الجبل كأنه ظلة ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم فأخذوا الكتاب بأيمانهم وهم مصطفون ينظرون إلى الجبل والكتاب بأيديهم وهو من وراء الجبل مخافة أن يقع عليهم ثم مضوا.

حتى أتوا الأرض المقدسة فوجدوا مدينة فيها قوم جبارون خلقهم خلق منكر، وذكر من ثمارهم أمراً عجيباً من عظمها، فقالوا: يا موسى إن فيها قوماً جبارين لا طاقة لنا بهم ولا ندخلها ما داموا فيها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون، قال رجلان من الذين يخافون، قيل ليزيد: هكذا قرأه؟ قال: نعم، من الجبارين: آمنا بموسى وخرجا إليه فقالوا: نحن أعلم بقومنا إن كنتم إنما تخافون من ما رأيتم من أجسامهم وعددهم فإنهم لا قلوب لهم ولا منعة عندهم، فادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون، ويقول أناس: إنهما من قوم موسى، فقال إنما عني بذلك الذين يخافهم بنو إسرائيل (كما في مجمع الزوائد) قالوا: يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، فأغضبوا موسى عليه السلام فدعا عليهم وسَمَّاهم فاسقين، ولم يدع عليهم قبل ذلك لما رأى منهم من المعصية وإساءتهم حتى كان يومئذ، فاستجاب الله تعالى له وسماهم كما سمَّاهم موسى فاسقين، فحرَّمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض

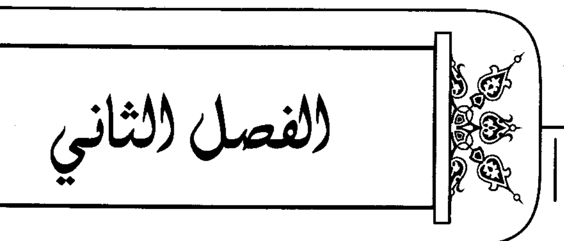
يصبحون كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار، ثم ظلل عليهم الغمام في التيه وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل لهم ثياباً لا تبلى ولا تتسخ، وجعل بين أظهرهم حجراً مربعاً وأمر موسى فضربه بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً في كل ناحية ثلاثة أعين وأعلم كل سبط عينهم التي يشربون منها فلا يرتحلون من منقلة إلا وجدوا ذلك الحجر بالمكان الذي كان فيه بالأمس.

رفع ابن عباس رضي الله عنهما هذا الحديث إلى النبي ﷺ وصدق ذلك عندي أن معاوية سمع ابن عباس رضي الله عنهما حدث هذا الحديث فأنكر عليه أن يكون الفرعوني الذي أفشى على موسى أمر القتيل الذي قتل فقال: كيف يفشي عليه ولم يكن علم به ولا ظهر عليه إلا الإسرائيلي الذي حضر ذلك، فغضب ابن عباس فأخذ بيد معاوية فانطلق به إلى سعد بن مالك الزهري فقال له: يا أبا إسحاق هل تذكر يوماً حدثنا عن رسول الله ﷺ عن قتيل موسى الذي قتل من آل فرعون الإسرائيلي أفشى عليه أم الفرعوني؟ قال: أنما أفشى عليه الفرعوني ما سمع من الإسرائيلي شهد على ذلك وحضره[1].

---

(١) رواه ابن ابي حاتم في تفسيره (٥/ ٣٧٧)، والطحاوي في مشكل الآثار (٦٦)، وأبو يعلى في مسنده (٢٦١٨)، وابن عدي في الكامل (١/ ٤٠٠)، وعلق ابن كثير على هذا بقوله: والأشبه ـ والله أعلم ـ أنه موقوف وكونه مرفوعاً فيه نظر وغالبه متلقى من الإسرائيليات وفيه شيء يسير مصرح برفعه في أثناء الكلام وفي بعض ما فيه نظر ونكارة والأغلب أنه من كلام كعب الأحبار، وقد سمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك، والله أعلم.

وعقب عليه ابن حجر في الفتح (٦/ ٤٢٧)، وقال: كأنه لم يثبت عنده في ذلك من المرفوعات على شرطه، وأصح ما ورد في جميع ذلك ما أخرجه النسائي وأبو يعلى بإسناد حسن عن عباس في حديث الفتون الطويل، وانظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٣٧٧). «وقال أحمد شاكر: هذا موقوف. وإسناده صحيح إلى ابن عباس. أما صحة المتن، فلا نستطيع أن نجزم بها، لعله مما كان يتحدث به الصحابة عن التاريخ القديم نقلاً عن أهل الكتاب». انظر: جامع البيان (٢/ ٤٢)، حاشية (٣).



الآثار الواردة في أبرز صفات اليهود

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الواردة في قسوة قلوبهم.

المبحث الثاني: الآثار الواردة في اتباعهم الهوى.

المبحث الثالث: الآثار الواردة في تزكيتهم أنفسهم.

المبحث الرابع: الآثار الواردة في نقضهم العهود.

المبحث الخامس: الآثار الواردة في كذبهم وافترائهم.

المبحث السادس: الآثار الواردة في حسدهم.

المبحث الأول

الآثار الواردة في قسوة قلوبهم

أولاً: الآثـــــار

۞ قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ [البقرة].

(١٤٩) ٢٥٥ ـ حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي الحسين بن الحسن، عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ والغشاوة على أبصارهم[1].

(١٥٠) ٢٥٦ ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، قال: حدثنا ابن جريج قال: الختم على القلب والسمع، والغشاوة على البصر، قال الله تعالى ذكره: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الشورى: ٢٤]، وقال: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣][2].

(١٥١) ٢٥٧ ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو عن

---

(١) تفسير الطبري (١/ ١١٤)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٤٢)، تفسير الدر المنثور (١/٧٣)، تفسير ابن كثير (١/ ٤٧) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (١/ ١١٤)، تفسير ابن كثير (١/ ٤٦).

سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ أي: عن الهدى أن يصيبوه أبداً بغير ما كذبوك به من الحق الذي جاءك من ربك، حتى يؤمنوا به، وإن آمنوا بكل ما كان قبلك[1].

(١٥٢) ٢٥٨ ـ حدثني موسى بن هارون الهمداني، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ يقول: فلا يعقلون، ولا يسمعون ويقول: وجعل على أبصارهم غشاوة، يقول: على أعينهم فلا يبصرون[2].

۞ **قوله تعالى:** ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٧٤﴾ [البقرة].

(١٥٣) ١٠٨٨ ـ حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما ضرب المقتول ببعضها ـ يعني: ببعض البقرة ـ جلس حياً، فقيل له: من قتلك؟ فقال: بنو أخي قتلوني. ثم قبض، فقال بنو أخيه حين قبض: والله ما قتلناه. فكذبوا بالحق بعد إذ رأوه، فقال الله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ يعني: بني أخي الشيخ، ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[3].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ١١٥)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٤١)، تفسير الدر المنثور (١/ ٧٢) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (١/ ١١٥)، تفسير الدر المنثور (١/ ٧٣)، تفسير ابن كثير (١/ ٤٧).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٦٢)، تفسير ابن كثير (١/ ١١٤) إسناده ضعيف.

(١٥٤) **١٠٨٩** ـ حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ يقول: من بعد ما أراهم الله من إحياء الموتى، وبعد ما أراهم من أمر القتيل ما أراهم، فهي كالحجارة أو أشد قسوة[١].

۞ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

(١٥٥) **١٠٩٢** ـ حدثني بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ ثم عذر الحجارة ولم يعذر شقي ابن آدم، فقال: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[٢].

۞ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [البقرة].

(١٥٦) **١٢٣٨** ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير بن سلمان، قال: ثنا عمرو بن قيس الملائي، عن عمرو بن مرة الجملي، عن أبي البختري، عن حذيفة قال: القلوب أربعة. ثم ذكرها، فقال فيما ذكر: وقلب أغلف: معصوب عليه، فذلك قلب الكافر[٣].

(١٥٧) **١٢٣٩** ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة،

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٦٢)، تفسير الدر المنثور (١/ ١٩٧)، وصححه في التفسير الصحيح (١/ ١٧٦).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٦٤)، تفسير الدر المنثور (١/ ١٩٧)، تفسير القرطبي (١/ ٤٦٤)، وصححه في التفسير الصحيح (١/ ١٧٦ ـ ١٧٧).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٤٠٦)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢١٤)، تفسير ابن كثير (١/ ١٢٤) إسناده ضعيف.

عـن ابـن عـبـاس رضي الله عنهما: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ أي: في أكنة[(١)].

(١٥٨) حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ فهي القلوب المطبوع عليها[(٢)].

(١٥٩) ١٢٤٠ ـ حدثني عباس بن محمد، قال: ثنا حجاج، قال: قال ابن جريج، أخبرني عبد الله بن كثير، عن مجاهد قوله: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ عليها غشاوة[(٣)].

(١٦٠) ١٢٤١ ـ حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي، قال: ثنا أبو أحمد الزبيري، قال: ثنا شريك عن الأعمش قوله: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ قال: هي في غلف[(٤)].

(١٦١) ١٢٤٢ ـ حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ أي: لا تفقه[(٥)].

(١٦٢) ١٢٤٣ ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ قال: هو كقوله: ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت: ٦][(٦)].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٠٦)، تفسير ابن أبي حاتم بنحوه (٤/ ١٢٧٥)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٢٦٠)، تفسير ابن كثير (١/ ١٢٤) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤٠٦) إسناده ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (١/ ٤٠٦)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢١٤).

(٤) تفسير الطبري (١/ ٤٠٧).

(٥) تفسير الطبري (١/ ٤٠٧)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٧٠)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢١٤)، تفسير ابن كثير (١/ ١٢٤)، وحسنه في التفسير الصحيح (١/ ١٩٤).

(٦) تفسير الطبري (١/ ٤٠٧)، تفسير القرطبي (٢/ ٢٥)، تفسير ابن كثير (١/ ١٢٤)، وحسنه في التفسير الصحيح (١/ ١٩٤).

(١٦٣) ١٢٤٤ - حدثني المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ أي: لا تفقه[١].

(١٦٤) ١٢٤٥ - حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ قال: يقولون: عليها غلاف وهو الغطاء[٢].

(١٦٥) ١٢٤٦ - حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ قال: يقول قلبي في غلاف، فلا يخلص إليه مما تقول. وقرأ: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ [فصلت: ٥][٣].

(١٦٦) ١٢٤٧ - حدثني عبيد بن أسباط بن محمد، قال: ثنا أبي، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ قال: أوعية للذكر.

(١٦٧) حدثني محمد بن عمارة الأسدي، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا فضيل، عن عطية في قوله: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ قال: أوعية للعلم[٤].

(١٦٨) ١٢٤٨ - حدثت عن المنجاب، قال: ثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾. قال: مملوءة علماً لا تحتاج إلى محمد ﷺ ولا غيره[٥].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٠٧)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٧٠)، تفسير ابن أبي حاتم (١١٠٨/٤)، تفسير ابن كثير (١/ ١٢٤)، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/ ٣٦٦)، وحسنه في التفسير الصحيح (١/ ١٩٤).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤٠٧)، تفسير ابن كثير (١/ ١٢٤)، صححه في التفسير (٢/ ٣٠٢).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٤٠٧)، تفسير ابن كثير (١/ ١٢٤)، صححه في التفسير (٢/ ٣٠٢).

(٤) تفسير الطبري (١/ ٤٠٧)، تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٠٨)، تفسير القرطبي (٢٥/٢)، تفسير ابن كثير (١/ ١٢٥).

(٥) تفسير الطبري (١/ ٤٠٧)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢١٤) إسناده ضعيف.

ثانياً: الدراســة

من أبرز الصفات التي وصف الله بها اليهود: قسوة قلوبهم، وبُعدها عن قَبول الحق، وهذا الوصف القرآني جاء في عدة آيات منها:

﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]، وقسوة القلب غلظته، يقال: قسا القلب يقسو قساء، والقسوة: الصلابة في كل شيء، وحجر قاس: صلب، وأرض قاسية: لا تنبت شيئاً، وتأويل قست في اللغة: غلظت ويبست وعست، فتأويل القسوة في القلب: ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه، وقسا قلبه قسوة وقساوة وقساء بالفتح والمد وهو: غلظ القلب وشدته[١].

وفي (قاسية) قراءة أخرى هي (قسية)[٢] ومعنى «قسية» غير معنى القسوة؛ وإنما القسية في هذا الموضع: القلوب التي لم يخلص إيمانها بالله، ولكن يخالط إيمانها كفر كالدراهم القسية، وهي التي يخالط فضتها غش من نحاس أو رصاص وغير ذلك، كما قال أبو زبيد الطائي:

لها صواهل في صم السلام كما   صاح القسيات في أيدي الصياريف

يصف بذلك وقع مساحي الذين حفروا قبر عثمان على الصخور، وهي السلام.

قال الطبري رحمه الله: «وأعجب القراءتين إلي في ذلك قراءة من قرأ: (وجعلنا قلوبهم قسية) على فعيلة؛ لأنها أبلغ في ذم القوم من قاسية».

وقد بيَّن الله ـ تبارك وتعالى ـ أن قسوة قلوبهم هي أشد من قساوة أنواع من الحجارة كما في قصة القتيل في سورة البقرة: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور (١٥/ ١٨١)..

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي كما نبه عليها الطبري، وانظر: القراءات العشر المتواترة على هامش المصحف لعلوي بلفقيه (ص١٠٩).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول تعالى توبيخاً لبني إسرائيل وتقريعاً لهم على ما شاهدوه من آيات الله تعالى وإحيائه الموتى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ كله فهي كالحجارة التي لا تلين أبداً، ولهذا نهى الله المؤمنين عن مثل حالهم فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد](١).

والقسوة في قلوبهم صفة لازمة لهم كما قال تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١] قال القرطبي: أي: لم يرد الله أن يطهر قلوبهم من الطبع عليها والختم، كما طهر قلوب المؤمنين ثواباً لهم(٢). فهي عقوبة لازمة لهم؛ إذ لما قست قلوبهم كان الجزاء أن طبع الله عليها وختم وكل ذلك بأسباب كثيرة من ذنوبهم وإعراضهم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «.. هذا الطبع والختم على القلوب، وكذلك الأغلال في الأعناق والسد من بين أيديهم ومن خلفهم: أن جميع تلك الموانع المانعة من الإيمان ووصول الخير إلى القلوب: أن الله إنما جعلها عليهم بسبب مسارعتهم لتكذيب الرسل، والتمادي على الكفر، فعاقبهم الله على ذلك بطمس البصائر، والختم على القلوب والطبع عليها، والغشاوة على الأبصار؛ لأن من شؤم السيئات أن الله جل وعلا يعاقب صاحبها عليها بتماديه على الشر، والحيلولة بينه وبين الخير، جزاه الله بذلك على كفره جزاء وفاقاً»(٣).

ووصف الله لقلوبهم أنها أشد من الحجارة قسوة بيَّنه الله من سيرتهم مع الحجارة فيما قص ﷻ: فأورد للمخاطب منهم مقارنة بين قلوبهم القاسية وما نكرته من الحق وبين الحجارة التي شاهدوها في مسيرتهم وذلك في قوله:

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٦٠)، التفسير الكبير، الرازي (١١/ ١٤٨).
(٢) تفسير القرطبي (٦/ ١٨٢).
(٣) أضواء البيان، الشنقيطي (٦/ ٢٨٩).

﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ﴾، وقد شاهدوا هذا عندما استسقوا موسى ﷺ فأمره الله فضرب الحجر فتشقق وخرج منه اثنتا عشرة عيناً، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ﴾ وهو ما شاهدوه عندما رجف جبل الطور ورفعه الله فوق رؤوسهم، ومن قبله ما أخبرهم موسى ﷺ من دك الجبل وهبوطه لما تجلى الله له، وعلى هذا يخلص إلى أن الحجارة ألين من قلوبهم.

هذا وصف الله لقلوب اليهود، أما هم فقد وصفوا قلوبهم بوصف آخر على عادتهم في تحريف الكلم وصرفه حسياً ومعنوياً عن مراده، فقالوا عن قلوبهم إنها (غلف)، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ﴾ [البقرة: ٨٨].

قال الطبري رحمه الله: «اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعضهم: (وقالوا قلوبنا غلْف) مخففة اللام ساكنة، وهي قراءة عامة الأمصار في جميع الأقطار، وقرأه بعضهم: (وقالوا قلوبنا غلُف) مثقلة اللام مضمومة، فأما الذين قرءوها بسكون اللام وتخفيفها فإنهم تأولوها أنهم قالوا: قلوبنا في أكنة وأغطية وغلف، والغلف على قراءة هؤلاء جمع أغلف وهو الذي في غلاف وغطاء، كما يقال للرجل الذي لم يختتن: أغلف، والمرأة: غلفاء[١]».

ولكن اليهود يقولون: غلف؛ أي: أوعية للعلم وهي في حصن أن يصلها شيء فلا يخلص إليه مما تقول. وهي أوعية للعلم فلا حاجة بنا إلى علم سوى ما عندنا، فكذبوا الأنبياء بهذا القول، وهذا من قسوة قلوبهم وضلالهم عن الطريق.

ويكفي في ذلك رد الله عليهم في ختمه وطبعه على قلوبهم كقوله تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥].

قال الشنقيطي رحمه الله: «وذلك الختم والأكنة على القلوب جزاء من الله تعالى لهم على مبادرتهم إلى الكفر وتكذيب الرسل باختيارهم ومشيئتهم، كما دلت عليه آيات كثيرة كقوله: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥]،

---

(١) تفسير الطبري (١/٤٠٦).

وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ﴾ [الصف: ٥]، وقوله: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ﴾ [البقرة: ١٠]، وقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ﴾ [التوبة: ١٢٥]، وقوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ [الأنعام: ١١٠] إلى غير ذلك من الآيات[1].

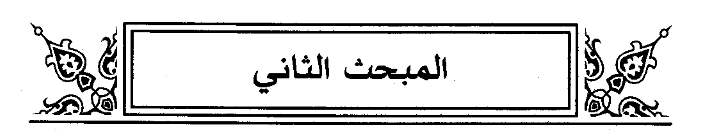
ويلاحظ وصف الله لقلوبهم بالختم مرة وبالطبع مرة، فهل بينهما فرق؟

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الختم يكون محسوساً كما بينا، ومعنى كما في هذه الآية: فالختم على القلوب عدم الوعي عن الحق سبحانه مفهوم مخاطباته، والفكر في آياته، وعلى السمع عدم فهمهم للقرآن إذا تلي عليهم، أو دعوا إلى وحدانيته، وعلى الأبصار عدم هدايتها للنظر في مخلوقاته، وعجائب مصنوعاته»[2].

وفصَّل الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنواع القلوب فقال: «القلوب أربعة: قلب أغلف فذلك قلب الكافر، وقلب مصفح فذلك قلب المنافق، وقلب أجرد فيه مثل السراج فذلك قلب المؤمن، وقلب فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان كمثل شجرة يمدها ماء طيب، ومثل النفاق كمثل قرحة يمدها القيح والدم، فأي المادتين غلبت صاحبتها أهلكته»[3]. وهذه قلوب اليهود مغلفة عن قبول الحق وأشد من الحجر قسوة.

---

(١) أضواء البيان، الشنقيطي (٢/ ١٧٦).
(٢) تفسير القرطبي (١/ ١٨٦).
(٣) الدر المنثور (١/ ٢١٤).



المبحث الثاني

الآثار الواردة في اتباعهم الهوى

أولاً: الآثـــــار

✿ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة].

(١٦٩) ٩٥٩٨ ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ قال: يهود[١].

(١٧٠) ٩٥٩٩ ـ حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ فهم أولئك الذين ضلوا وأضلوا أتباعهم. ﴿وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ عن عدل السبيل[٢].

✿ قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة].

(١٧١) ٧٠٢ ـ حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٣١٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٨١)، تفسير القرطبي (٦/ ٢٥٢).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٣١٦)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٠٤)، تفسير الدر المنثور (٣/ ١٢٤)، حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٢٨١).

إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ أي: تنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة، وتتركون أنفسكم؛ أي: وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي إليكم في تصديق رسولي، وتنقضون ميثاقي، وتجحدون ما تعلمون من كتابي[١].

(١٧٢) ٧٠٣ ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ يقول: أتأمرون الناس بالدخول في دين محمد ﷺ، وغير ذلك مما أمرتم به من إقام الصلاة ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٢].

(١٧٣) ٧٠٥ ـ وحدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر عن قتادة في قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ قال: كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر ويخالفون، فعيرهم الله[٣].

(١٧٤) ٧٠٧ ـ حدثني به يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: هؤلاء اليهود كان إذا جاء الرجل يسألهم ما ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء، أمروه بالحق، فقال الله لهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[٤].

---

(١) تفسير الطبري (١/٢٥٨)، تفسير ابن أبي حاتم (١/١٠١)، تفسير ابن كثير (١/٨٦) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (١/٢٥٨)، تفسير الدر المنثور (١/١٥٦)، تفسير ابن كثير (١/٨٦).

(٣) تفسير الطبري (١/٢٥٨)، تفسير عبد الرزاق (١/٤٤)، تفسير ابن أبي حاتم (١/١٠١)، تفسير ابن كثير (١/٨٦)، وصححه في التفسير الصحيح (١/١٤٩).

(٤) تفسير الطبري (١/٢٥٨).

❁ **قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].**

(١٧٥) **٧١٠** ـ حدثنا به محمد بن العلاء، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يقول: أفلا تفهمون، فنهاهم عن هذا الخُلق القبيح[1].

❁ **قوله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١].**

(١٧٦) **٩٠٠** ـ حدثنا بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة قال: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ يقول: أتستبدلون الذي هو شر بالذي هو خير منه[2].

(١٧٧) **٩٠١** ـ حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدثني حجاج عن ابن جريج، عن مجاهد قوله: ﴿ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾ قال: أردأ[3].

❁ **قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [البقرة: ٨٥].**

(١٧٨) **١٢١٢** ـ حدثنا محمد بن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ إلى أهل الشرك حتى تسفكوا دماءهم معهم، وتخرجوهم من ديارهم معهم. فقال: أنَّبهم الله على ذلك من فعلهم، وقد حرم عليهم في التوراة سفك دمائهم، وافترض

---

(١) تفسير الطبري (١/٢٥٩)، تفسير الدر المنثور (١/١٥٦).

(٢) تفسير الطبري (١/٣١٢)، تفسير ابن أبي حاتم (١/١٢٤)، وصححه في التفسير الصحيح (١/١٦٧).

(٣) تفسير الدر المنثور (١/١٧٧)، تفسير الطبري (١/٣١٣)، صححه في التفسير الصحيح (٣/١٢٢).

عليهم فيها فداء أسراهم؛ فكانوا فريقين طائفة منهم من بني قينقاع حلفاء الخزرج، والنضير وقريظة حلفاء الأوس، فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس، يظاهر كل من الفريقين حلفاءه على إخوانه حتى يتسافكوا دماءهم بينهم وبأيديهم التوراة يعرفون منها ما عليهم وما لهم، والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان لا يعرفون جنة ولا ناراً، ولا بعثاً، ولا قيامة، ولا كتاباً، ولا حراماً، ولا حلالاً؛ فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم، تصديقاً لما في التوراة وأخذاً به بعضهم من بعض: يفتدي بنو قينقاع ما كان من أسراهم في أيدي الأوس، وتفتدي النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم، ويُطِلّونَ ما أصابوا من الدماء وقتلوا من قتلوا منهم فيما بينهم مظاهرة لأهل الشرك عليهم. يقول الله تعالى ذكره حين أنَّبهم بذلك: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ﴾ أي: تفادونه بحكم التوراة وتقتلونه؛ وفي حكم التوراة أن لا يقتل ولا يخرج من ذلك، ولا يظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الأوثان من دونه ابتغاء عَرَض من عرض الدنيا. ففي ذلك من فعلهم مع الأوس والخزرج فيما بلغني نزلت هذه القصة[١].

(١٧٩) **١٢١٩** ـ حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، قال: قال أبو جعفر: كان قتادة يقول في قوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ فكان إخراجهم كفراً وفداؤهم إيماناً[٢].

(١٨٠) **١٢٢١** ـ حدثني المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، قال: ثنا الربيع بن أنس، قال: أخبرني أبو العالية: أن عبد الله بن سلام ﷺ مر على رأس الجالوت[٣] بالكوفة وهو يفادي من النساء من لم يقع عليه العرب،

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٩٧)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٦٤)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢١١)، وحسنه في التفسير الصحيح (١/ ١٨٩ ـ ١٩٠).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٩٩)، وصححه في التفسير الصحيح (١/ ١٩٠).

(٣) رأس الجالوت اسم يطلق على كبير اليهود وكان يدعى سابقاً ـ القطنون ـ فتح الباري (١٠/ ٥٩٣)، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٧٦٦).

ولا يفادي من وقع عليه العرب، فقال له عبد الله بن سلام: أما إنه مكتوب عندك في كتابك أن فادوهن كلهن(١).

(١٨١) ١٢٢٢ ـ حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ﴾ قال: كفرهم القتل والإخراج، وإيمانهم الفداء. قال ابن جريج: يقول: إذا كانوا عندكم تقتلونهم وتخرجونهم من ديارهم. وأما إذا أسروا تفدونهم؟ وبلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال في قصة بني إسرائيل: إن بني إسرائيل قد مضوا وإنكم أنتم تعنون بهذا الحديث(٢).

۞ قوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [النساء: ٤٦].

(١٨٢) ٧٦٦٥ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمٰن، عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد، في قوله: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣] قال: قالت اليهود: سمعنا ما تقول، ولا نطيعك(٣).

۞ قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

(١٨٣) ١١٩٤٤ ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٩٩)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢١٢) مصنف ابن أبي شيبة (٥٥٨/٦)، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/ ٣٦٦).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٩٩).
(٣) تفسير الطبري (٥/ ١١٨)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٥)، تفسير ابن كثير (١/ ٥٠٨) إسناده ضعيف.

عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ قال: بلعام بن باعر، من بني إسرائيل[١].

(١٨٤) ١١٩٥٥ ـ حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثنا أبو تميلة، عن أبي حمزة، عن جابر، عن مجاهد وعكرمة، عن ابن عباس ﵄، قال: كان في بني إسرائيل بلعام بن باعر أوتي كتاباً[٢].

(١٨٥) ١١٩٦٤ ـ حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: انطلق رجل من بني إسرائيل يقال له: بلعم، فأتى الجبارين فقال: لا ترهبوا من بني إسرائيل، فإني إذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم! فخرج يوشع يقاتل الجبارين في الناس. وخرج بلعم مع الجبارين على أتانه وهو يريد أن يلعن بني إسرائيل، فكلما أراد أن يدعو على بني إسرائيل دعا على الجبارين، فقال الجبارون: إنك إنما تدعو علينا! فيقول: إنما أردت بني إسرائيل. فلما بلغ باب المدينة أخذ ملك بذنب الأتان، فأمسكها فجعل يحركها فلا تتحرك، فلما أكثر ضربها تكلمت فقالت: أنت تنكحني بالليل وتركبني بالنهار؟ ويلي منك! ولو أني أطقت الخرج لخرجت، ولكن هذا الملك يحبسني. وفي بلعم يقول الله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا...﴾ الآية[٣].

(١٨٦) ١١٩٧١ ـ حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو تميلة، عن أبي حمزة، عن جابر، عن مجاهد وعكرمة، عن ابن عباس ﵄، قال: كان في بني إسرائيل بلعام بن باعر أوتي كتاباً، فأخلد إلى شهوات الأرض ولذتها وأموالها، لم ينتفع بما جاء به[٤].

(١٨٧) ١١٩٧٩ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد، عن

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ١٢٠)، تفسير ابن أبي حاتم (٥/١٦١٨)، تفسير الدر المنثور (٣/٦١٠).
(٢) تفسير الطبري (٩/ ١٢٢)، صححه في التفسير الصحيح (٣/ ١٢٢).
(٣) تفسير الطبري (٩/ ١٢٦).
(٤) تفسير الطبري (٩/ ١٢٢).

سالم أبي النظر: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦] يعني: بني إسرائيل، إذ قد جئتهم بخبر ما كان فيهم مما يخفون عليك، لعلهم يتفكرون، فيعرفون أنه لم يأت بهذا الخبر عما مضى فيهم إلا نبي يأتيه خبر السماء[(١)].

❁ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥١﴾ [القصص].

(١٨٨) **٢٠٩٥٣** ـ حدثنا ابن سنان، قال: ثنا حيان، قال: ثنا حماد، عن عمرو، عن يحيى بن جعدة، عن عطية القرظي قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥١﴾ حتى بلغ: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ﴾ [القصص: ٥١ ـ ٥٣] في عشرة أنا أحدهم[(٢)].

ثانياً: الدراسة

من أبرز صفات اليهود التي جرى عليهم بسببها غضب الله ومقته: اتباعهم لأهوائهم؛ والهوى: كل ما خالف الحق، وللنفس فيه حظ ورغبة من الأقوال والأفعال والمقاصد، فالهوى ميل النفس إلى الشهوة، ثم يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية كما قال الشعبي: «إنما سميت الأهواء؛ لأنها تهوي بصاحبها في النار»[(٣)].

وقد ذم الله اليهود لاتباعهم لأهوائهم، حيث قادهم ذلك إلى تبديل شرع الله والكفر بالرسول ﷺ، وما جاء به من الوحي؛ وسبب ذلك اتباعهم لأهوائهم، قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]. وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ١٣٠)، تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٢١) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٨٨)، تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٨٨)، تفسير الدر المنثور (٦/ ٤٢٢)، تفسير القرطبي (١٣/ ٢٩٦)، تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٤)، المعجم الكبير (٥/ ٥٣).

(٣) رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السُّنَّة (١/ ١٤٧).

إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المائدة].

قال الطبري: «يقول الله جل ثناؤه لهم: يا معشر يهود بني إسرائيل، لقد آتينا موسى عليه السلام التوراة، وتابعنا من بعده بالرسل إليكم، وآتينا عيسى ابن مريم البينات والحجج إذ بعثناه إليكم، وقويناه بروح القدس. وأنتم كلما جاءكم رسول من رسلي بغير الذي تهواه نفوسكم استكبرتم عليهم تجبراً وبغياً استكبار إمامكم إبليس؛ فكذبتم بعضاً منهم، وقتلتم بعضاً، فهذا فعلكم أبداً برسلي»[(١)].

واتباع الهوى: مما ذمه الله ـ تبارك وتعالى ـ في كتابه الكريم، إذ أن من اتبع هواه، فهو مخالف لأمر الله ونهيه، بل وصف الله بعض متبعي أهوائهم عباداً لها كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية]، وقوله: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان].

ويترتب على من من اتبع هواه، وترك اتباع أمر الله ونهيه، وآثر هوى نفسه على طاعة ربه، فأمره إلى هلاك كما قال تعالى لنبيه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

ووصف الله اليهود باتباع الهوى ثم حذر رسوله ﷺ منهم وأن السبب في عدم استجابتهم له هو اتباعهم لهواهم: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص] أي: آراء قلوبهم وما يستحسنونه ويحببه لهم الشيطان، وإنه لا حجة لهم، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ أي: لا أحد أضل منه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١][(٢)].

وحذَّر الله النصارى من مشابهة اليهود في اتباع الهوى فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٠٦).

(٢) تفسير القرطبي (١٣/ ٢٩٥).

ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة].

قال الطبري: «قل يا محمد لهؤلاء الغالية من النصارى في المسيح: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني بالكتاب: الإنجيل، ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ يقول: لا تفرطوا في القول فيما تدينون به من أمر المسيح، فتجاوزوا فيه الحق إلى الباطل، فتقولوا فيه: هو الله، أو هو ابنه؛ ولكن قولوا: هو عبد الله كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾ ويقول: ولا تتبعوا أيضاً في المسيح أهواء اليهود الذين قد ضلوا قبلكم عن سبيل الهدى في القول فيه، فتقولون فيه كما قالوا: هو لغير رشدة»[1].

وتبهتوا أمه كما يبهتونها بالفرية، وهي صديقة. ﴿وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: وأضل هؤلاء اليهود كثيراً من الناس، فحادوا بهم عن طريق الحق وحملوهم على الكفر بالله والتكذيب بالمسيح. ﴿وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ يقول: وضل هؤلاء اليهود عن قصد الطريق، وركبوا غير محجة الحق، وإنما يعني تعالى ذكره بذلك: كفرهم بالله وتكذيبهم رسله عيسى ومحمداً ﷺ، وذهابهم عن الإيمان وبعدهم منه. وذلك كان ضلالهم الذي وصفهم الله به[2].

وقد ضرب الله مثلاً لما في اليهود من ضلال في اتباعهم أهوائهم حتى لمن نسب إلى الصلاح منهم، كما أخبرنا ـ جل وعلا ـ عن رجل من بني اسرائيل ممن اتبع هواه في قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

---

(١) قال ابن الأثير: يقال هذا ولَد رِشْدة إذا كان لِنِكاح صحيح كما يقال في ضِدّه وِلدُ زِنْية بالكسر فيهما، وقال الأزهري في فَصْل: بَغي كلامُ العرب المعروف فلان ابن زَنْية وابن رَشْدة، وقيل: قيل زِنْية ورِشْدة والفتحُ أفصحُ اللُّغتين: (النهاية ٢/ ٢٢٥).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٣١٦).

واختلفت الروايات في تعيين اسم الرجل الذي آتاه الله الآيات وبعض الآثار تنص على أنه من بني إسرائيل وورد غير ذلك. وليس عندنا دليل من الكتاب أو السُّنَّة صريح يمكن الاعتماد عليه، ليكون حجة. وغالب الظن أن هذا التعيين متلقى من الإسرائيليات.

قال الطبري معقباً على ما جاء في سبب النزول: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر نبيه ﷺ أن يتلو على قومه خبر رجل كان آتاه حججه وأدلته، وهي (الآيات)... وجائز أن يكون الذي كان الله آتاه ذلك (بلعم) ـ وجائز أن يكون (أمية) ...ـ ولا خبر بأي الرجلين المعني، يوجب الحجة، ولا في العقل دلالة على أي ذلك المعني به من أي. فالصواب: أن يقال فيه ما قال الله، ونُقر بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحي من الله»[1].

وخطَّأ ابن كثير من قال: إن بلعم قد أوتي النبوة فانسلخ منها. قال رحمه الله: «وأغرب، بل أبعد، بل أخطأ من قال: كان قد أوتي النبوة فانسلخ منها، حكاه ابن جرير عن بعضهم ولا يصح»[2].

وفيما ورد من وصف القوم الذين كذبوا واتبعوا أهوائهم من بني إسرائيل، وما حصل منهم، هو للعبرة والعظة لليهود المعاصرين لرسول الله ﷺ، وللمسلمين من في كل زمان ومكان.

قال الطبري رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: هذا المثل الذي ضربته لهذا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، مثل القوم الذين كذبوا بحججنا وأعلامنا وأدلتنا، فسلكوا في ذلك سبيل هذا المنسلخ من آياتنا الذي آتيناها إياه في تركه العمل بما آتيناه من ذلك.

وأما قوله: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾ [الأعراف: ١٧٦] فإنه يقول لنبيه محمد ﷺ: فاقصص يا محمد هذا القصص، الذي قصصته عليك من نبأ الذي آتيناه آياتنا،

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠) بتصرف.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٩).

وأخبار الأمم التي أخبرتك أخبارهم في هذه السورة وقصصت عليك نبأهم ونبأ أشباههم، وما حل بهم من عقوبتنا ونزل بهم، حين كذبوا رسلنا من نقمتنا على قومك من قريش ومن قبلك من يهود بني إسرائيل، ليتفكروا في ذلك فيعتبروا وينيبوا إلى طاعتنا، لئلا يحل بهم مثل الذي حل بمن قبلهم من النقم والمثلات، ويتدبره اليهود من بني إسرائيل فيعلموا حقيقة أمرك وصحة نبوتك، إذ كان نبأ الذي آتيناه آياتنا من خفي علومهم ومكنون أخبارهم لا يعلمه إلا أحبارهم ومن قرأ الكتب ودرسها منهم، وفي علمك بذلك وأنت أمي لا تكتب ولا تقرأ ولا تدرس الكتب ولم تجالس أهل العلم الحجة البينة لك عليهم بأنك لله رسول، وأنك لم تعلم ما علمت من ذلك، وحالك الحال التي أنت بها إلا بوحي من السماء(١).

واتباع الهوى هو ما كان يريده اليهود زمن الرسول ﷺ منه، ومن أمته ولذلك تتابع تحذير الله من كيدهم فقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ﴾ يا محمد هوى هؤلاء اليهود والنصارى، فيما يرضيهم عنك من تهود وتنصر، فصرت من ذلك إلى إرضائهم، ووافقت فيه محبتهم من بعد الذي جاءك من العلم بضلالتهم وكفرهم بربهم، ومن بعد الذي اقتصصت عليك من نبئهم في هذه السورة، ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾ يعني بذلك: ليس لك يا محمد من ولي يلي أمرك، وقيم يقوم به، ولا نصير ينصرك من الله، فيدفع عنك ما ينزل بك من عقوبته، ويمنعك من ذلك أن أحل بك ذلك ربك(٢).

والخطاب في التحذير من متابعة اليهود والنصارى معهم، هو لرسول الله ﷺ ولأمته من بعده كما ذكره المفسرون.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي هذا الخطاب وجهان: **أحدهما**: أنه

(١) تفسير الطبري (٩/ ١٣٠).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٥١٨).

للرسول ﷺ، لتوجه الخطاب إليه. **والثاني**: أنه للرسول ﷺ والمراد به أمته، وعلى الأول يكون فيه تأديب لأمته، إذ منزلتهم دون منزلته. وسبب الآية أنهم كانوا يسألون المسالة والهدنة، ويعدون النبي ﷺ بالإسلام، فأعلمه الله أنهم لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم، وأمره بجهادهم»[١].

وقال السعدي رحمه الله: «فهذا فيه النهي العظيم عن اتباع أهواء اليهود والنصارى، والتشبه بهم فيما يختص به دينهم، والخطاب وإن كان لرسول الله ﷺ فإن أمته داخلة في ذلك؛ لأن الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص المخاطب، كما أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»[٢].

وقد امتثل رسول الله ﷺ أمر ربه وحذر أمته مما حذره ربه فقال ﷺ: **«ثلاث مهلكات: شحٌّ مطاع، وهوىً متَّبع، وإعجابُ المرء بنفسه من الخُيلاء»**[٣].

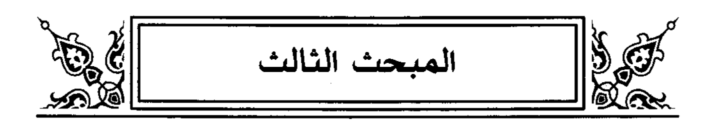
ومن بعده ﷺ حذر أصحابه كذلك، فعن علي رضي الله عنه قال: **«إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل؛ أما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة»**[٤].

ولأن اليهود هم اليهود في كل زمان لا تنفعهم الموعظة، فهذا مثال بعد زمن النبوة بقليل والكاشف له من أعلم الناس باليهود، كيف وقد كان من علمائهم؛ أعني: عبد الله بن سلام رضي الله عنه وقصته مع كبير اليهود، حين مر عليه بالكوفة قال رضي الله عنه: «شهدت فتح نهاوند فجاءني رأس الجالوت[٥] فجعل يشتري من كان يهودياً، فمرت به جارية صبيحة مع رجل فقال لها: هل أتاكِ هذا؟ قال: فظننت أنه حين رأى صباحتها فقلت: لقد أثمت بمسألتك إياها بما في

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٩٤). (٢) تفسير السعدي (١/ ٦٥).
(٣) رواه الطبراني المعجم الأوسط (٥/ ٣٢٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٠٤٥).
(٤) رواه البيهقي شعب الإيمان (٧/ ٣٦٩).
(٥) رأس الجالوت اسم يطلق على كبير اليهود، وكان يدعى سابقاً ـ القطنون ـ فتح الباري (١٠/ ٥٩٣)، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٧٦٦).

كتابك، قال: وما يدريك ما في كتابي؟ قلت: أنا أعلم بكتابك منك. سل عني فأخبرك، فلما أتى منزله دعا بدابة وسألني أن آتيه، فرجوت أن ينفعه الله بي ويهديه للإسلام فأتيته فذاكرته كتابه وأخبرته بصفة النبي ﷺ في كتابه، فقال: إني لأعرف ما تقول. قلت: فما يمنعك من الإسلام فإذا الرجل مستكبر راغب في منزلته فلم يسلم»[١].

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٥٥٨)، ودلائل النبوة للأصبهاني (١/ ٩٩).



المبحث الثالث

الآثار الواردة في تزكيتهم أنفسهم

❖ المطلب الأول ❖

قصر الجنة عليهم

أولاً: الآثار

❁ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [البقرة].

(١٨٩) ١٣٠٠ ـ حدثني بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد بن زريع قال: حدثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ﴾، وذلك بأنهم قالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]، وقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨]، فقيل لهم: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤][(١)].

(١٩٠) ١٣٠١ ـ حدثني المثنى قال: حدثنا آدم قال: حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال: قالت اليهود: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]، وقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨]، فقال الله: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٢٥)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٧٧)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [البقرة] فلم يفعلوا[١].

(١٩١) ١٣٠٢ ـ حدثني المثنى قال: حدثنا إسحاق قال: حدثني أبو جعفر عن الربيع قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً﴾ الآية، وذلك بأنهم قالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ وقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾[٢].

(١٩٢) ١٣٠٣ ـ حدثنا أبو كريب قال: ثنا عثمان بن سعيد قال: ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ﴾ قال: قل يا محمد لهم ـ يعني: اليهود ـ: إن كانت لكم الدار الآخرة ـ يعني: الخير ـ ﴿عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً﴾ يقول: خاصة لكم[٣].

(١٩٣) ١٣٠٤ ـ حدثنا أبو كريب قال: ثنا عثمان بن سعيد قال: ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ يقول: من دون محمد ﷺ وأصحابه الذين استهزأتم بهم وزعمتم أن الحق في أيديكم وأن الدار الآخرة لكم دونهم[٤].

۞ قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ [البقرة: ١١١].

(١٩٤) ١٤٩٢ ـ حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد بن زريع قال: ثنا سعيد عن قتادة: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ أماني يتمنونها على الله كاذبة[٥].

(١٩٥) ١٤٩٣ ـ حدثني المثنى قال: ثنا إسحاق قال: ثنا ابن أبي جعفر

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٢٥)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٧٧)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٢٠)، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/ ٣٦٦).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٧٧)، تفسير ابن كثير (١/ ١٢٨).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٤٢٦)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٢٠)، تفسير ابن كثير (١/ ١٢٩).
(٤) تفسير الطبري (١/ ٤٢٦).
(٥) تفسير الطبري (١/ ٤٩٢)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

عن أبيه عن الربيع: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ قال: أماني تمنوا على الله بغير الحق[(١)].

(١٩٦) ١٤٩٦ ـ حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١١١] قال: حجتكم[(٢)].

❖ المطلب الثاني ❖

قصر الهدى عليهم

۞ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٣٥].

(١٩٧) ١٧٢٦ ـ حدثنا أبو كريب قال: ثنا يونس بن بكير وحدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة جميعاً عن ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عبد الله بن صوريا الأعور لرسول الله ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد! وقالت النصارى مثل ذلك. فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾[(٣)].

❖ المطلب الثالث ❖

زعمهم محبة الله لهم

۞ قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨].

(١٩٨) ٩٠٦٠ ـ حدثنا أبو كريب قال: ثنا يونس بن بكير عن محمد بن

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٩٢)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٠٧).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤٩٣)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٥٧)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٦٣)، تفسير ابن كثير (١/ ١٥٥)، صححه في التفسير الصحيح (٣/ ١٢٢).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٥٦٤)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٤١)، تفسير الدر المنثور (١/ ٣٣٧)، تفسير ابن كثير (١/ ١٨٧) إسناده ضعيف.

إسحاق قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: ثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتى رسول الله ﷺ نعمان بن أضاء وبحري بن عمرو وشأس بن عدي فكلموه فكلمهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته فقالوا: ما تخوفنا يا محمد نحن والله أبناء الله وأحباؤه! كقول النصارى، فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ...﴾ إلى آخر الآية[١].

(١٩٩) ٩٠٦١ ـ حدثني محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن مفضل قال: ثنا أسباط عن السدي: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ أما أبناء الله فإنهم قالوا: إن الله أوحى إلى إسرائيل أن ولداً من ولدك أدخلهم النار فيكونون فيها أربعين يوماً حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادي مناد: أن أخرجوا كل مختون من ولد إسرائيل فأخرجهم. فذلك قوله: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [آل عمران: ٢٤]، وأما النصارى فإن فريقاً منهم قال للمسيح: ابن الله[٢].

❖ المطلب الرابع ❖

زعمهم النجاة من النار

۞ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠].

(٢٠٠) ١١٥٥ ـ حدثنا به أبو كريب قال: ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ قال ذلك أعداء الله اليهود قالوا: لن يدخلنا الله النار إلا تحلة القسم الأيام التي أصبنا فيها العجل أربعين يوماً، فإذا انقضت عنا تلك الأيام انقطع عنا العذاب والقسم[٣].

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ١٦٤)، تفسير القرطبي (٦/ ١٢٠)، تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦).
(٢) تفسير الطبري (٦/ ١٦٤)، تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦)، حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٢٨١).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٨١).

(٢٠١) ١١٥٦ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة في قوله: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ قالوا: أياماً معدودة بما أصبنا في العجل[١].

(٢٠٢) ١١٥٧ ـ حدثنا موسى قال: ثنا عمرو قال: ثنا أسباط عن السدي: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ قال: قالت اليهود: إن الله يدخلنا النار فنمكث فيها أربعين ليلة حتى إذا أكلت النار خطايانا واستنقتنا نادى مناد: أخرجوا كل مختون من ولد بني إسرائيل، فلذلك أمرنا أن نختتن. قالوا: فلا يَدَعون منا في النار أحداً إلا أخرجوه[٢].

(٢٠٣) ١١٥٨ ـ حدثني المثنى قال: ثنا آدم قال: ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال: قالت اليهود: إن ربنا عتب علينا في أمرنا فأقسم ليعذبنا أربعين ليلة ثم يخرجنا. فأكذبهم الله. حدثني المثنى قال: ثنا آدم قال: ثنا أبو جعفر عن قتادة قال: قالت اليهود: لن ندخل النار إلا تحلة القسم عدد الأيام التي عبدنا فيها العجل[٣].

(٢٠٤) ١١٥٩ ـ حدثني محمد بن سعد قال: حدثني أبي قال: حدثني عمي قال: حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ الآية. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ذكر أن اليهود وجدوا في التوراة مكتوباً: «إن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم نابتة في أصل الجحيم». وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: إن الجحيم سقر وفيه شجرة الزقوم، فزعم أعداء الله أنه إذا خلا العدد الذي وجدوا في كتابهم أياماً معدودة. وإنما يعني بذلك: المسير الذي ينتهي إلى أصل الجحيم فقالوا: إذا خلا العدد انتهى الأجل فلا عذاب وتذهب جهنم وتهلك؛ فذلك قوله: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ يعنون بذلك الأجل. فقال ابن

---

(١) تفسير عبد الرزاق (١/ ٥١)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٥٦)، تفسير ابن كثير (١١٩/١)، صححه في التفسير الصحيح (١/ ١٦٤).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٨١).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٨١)، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/ ٣٦٦).

عباس: لما اقتحموا من باب جهنم ساروا في العذاب حتى انتهوا إلى شجرة الزقوم آخر يوم من الأيام المعدودة قال لهم خزان سقر: زعمتم أنكم لن تمسكم النار إلا أياماً معدودة، فقد خلا العدد وأنتم في الأبد! فأخذ بهم في الصعود في جهنم يرهقون[١].

(٢٠٥) ١١٦٠ ـ حدثني محمد بن سعد قال: حدثني أبي قال: حدثني عمي قال: حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ إلا أربعين ليلة[٢].

(٢٠٦) ٥٣٣٦ ـ حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [آل عمران: ٢٤] قالوا: لن تمسنا النار إلا تحلة القسم التي نصبنا فيها العجل ثم ينقطع القسم والعذاب عنا. قال الله عز وجل: ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [عمران: ٢٤] أي قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه[٣].

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾ [آل عمران].

(٢٠٧) ٥٢٤١ ـ أبا كريب حدثنا قال: ثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر فقدم المدينة جمع يهود في سوق بني قينقاع فقال: «**يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً**»، فقالوا: يا محمد لا تغرنك نفسك إنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٥٦)، تفسير القرطبي (٢/ ١٠)، تفسير ابن كثير (١/ ١١٩) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٨١)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٥٦)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٠٧)، تفسير ابن كثير (١/ ١١٩) إسناده ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٢١٩)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

الناس وأنك لم تأت مثلنا! فأنزل الله ﷻ في ذلك من قولهم: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾[1].

(٢٠٨) ٥٧٣٢ ـ حدثنا محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن المفضل قال: ثنا أسباط عن السدي: قال الله ﷻ لمحمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٣] يقول: مثل ما أوتيتم يا أمة محمد أو يحاجوكم عند ربكم تقول اليهود: فعل الله بنا كذا وكذا من الكرامة حتى أنزل علينا المن والسلوى فإن الذي أعطيتكم أفضل فقولوا: ﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الآية[2].

❁ قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران].

(٢٠٩) ٦٦٤٨ ـ حدثنا محمد قال: ثنا أحمد قال: ثنا أسباط عن السدي قال: كتموا اسم محمد ﷺ وفرحوا بذلك حين اجتمعوا عليه وكانوا يزكون أنفسهم فيقولون: نحن أهل الصيام وأهل الصلاة وأهل الزكاة ونحن على دين إبراهيم ﷺ. فأنزل الله فيهم: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا﴾ من كتمان محمد ﷺ: ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أحبوا أن تحمدهم العرب بما يزكون به أنفسهم وليسوا كذلك[3].

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ١٩٢)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٠٤)، تفسير الدر المنثور (١٥٨/٢)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٥١)، سنن البيهقي الكبرى (٩/ ١٨٣).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٣١٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٨٢)، تفسير الدر المنثور (٢٤٢/٢)، حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٢٨١).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٦)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٤١٦).

۞ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [البقرة].

(٢١٠) ١٣٠٤ ـ حدثنا أبو كريب قال: ثنا عثمان بن سعيد قال: ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ يقول: من دون محمد ﷺ وأصحابه الذين استهزأتم بهم وزعمتم أن الحق في أيديكم وأن الدار الآخرة لكم دونهم[1].

❖ المطلب الخامس ❖

زعمهم براءتهم وأولادهم من الذنوب

۞ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النساء].

(٢١١) ٧٦٩٧ ـ حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ وهم أعداء الله اليهود زكوا أنفسهم بأمر لم يبلغوه فقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا: لا ذنوب لنا[2].

(٢١٢) ٧٦٩٨ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن الحسن في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ قال: هم اليهود والنصارى قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨]، وقالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١][3].

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٢٦).
(٢) تفسير الطبري (٥/ ١٢٦)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).
(٣) تفسير الطبري (٥/ ١٢٦)، تفسير عبد الرزاق (١/ ١٦٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٢)، =

(٢١٣) ٧٦٩٩ ـ وحدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثنا أبو تميلة عن عبيد بن سليمان عن الضحاك قال: قالت يهود: ليست لنا ذنوب إلا كذنوب أولادنا يوم يولدون فإن كانت لهم ذنوب فإن لنا ذنوباً فإنما نحن مثلهم قال الله تعالى ذكره: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾ [النساء][1].

(٢١٤) ٧٧٠٠ ـ حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ قال: قال أهل الكتاب: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، وقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨]، وقالوا: نحن على الذي يحب الله. فقال تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ حين زعموا أنهم يدخلون الجنة وأنهم أبناء الله وأحباؤه وأهل طاعته[2].

(٢١٥) ٧٧٠١ ـ حدثنا محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن مفضل قال: ثنا أسباط عن السدي: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ نزلت في اليهود قالوا: إنا نعلّم أبناءنا التوراة صغاراً فلا تكون لهم ذنوب وذنوبنا مثل ذنوب أبنائنا ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل[3].

(٢١٦) ٧٧٠٢ ـ حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ

= تفسير الدر المنثور (٢/ ٥٦٠)، تفسير ابن كثير (١/ ٥١٢)، صححه في التفسير الصحيح (٢/ ٦٠).

(١) تفسير الطبري (٥/ ١٢٦)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٥٦٢).
(٢) تفسير الطبري (٥/ ١٢٧)، صححه في التفسير الصحيح (٢/ ٣٥٢).
(٣) تفسير الطبري (٥/ ١٢٧)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٥٦١)، حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٢٨١).

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ قال: يهود كانوا يقدِّمون صبيانهم في الصلاة فيؤمُّونهم يزعمون أنهم لا ذنوب لهم. فتلك التزكية(١).

(٢١٧) ٧٧٠٣ - حدثنا ابن وكيع قال: ثنا أبي عن سفيان عن حصين عن أبي مالك في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ قال: نزلت في اليهود كانوا يقدِّمون صبيانهم يقولون: ليست لهم ذنوب(٢).

(٢١٨) ٧٧٠٤ - حدثنا ابن وكيع قال: ثنا أبي عن أبي مكين عن عكرمة في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ قال: كان أهل الكتاب يقدِّمون الغلمان الذين لم يبلغوا الحنث يصلون بهم يقولون ليس لهم ذنوب، فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ الآية(٣).

(٢١٩) ٧٧٠٥ - حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ وذلك أن اليهود قالوا: إن أبناءنا قد توفوا وهم لنا قربة عند الله وسيشفعون ويزكوننا. فقال الله لمحمد: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾(٤).

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾ **[الشورى]**.

(٢٢٠) ٢٣٦٧٥ - حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ١٢٧)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٢)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٥٦٠)، تفسير ابن كثير (١/ ٥١٢).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ١٢٧)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٥٦٠).

(٣) تفسير الطبري (٥/ ١٢٧)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٥٦٠).

(٤) تفسير الطبري (٥/ ١٢٧)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٥٦٠) إسناده ضعيف.

وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ قال: هم اليهود والنصارى، قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن خير منكم[(١)].

۞ **قوله تعالى:** ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الأعراف].

(٢٢١) ١١٨٩٧ ـ حدثنا أحمد بن المقدام قال: ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ قال: يعملون الذنب ثم يستغفرون الله، فإن عرض ذلك الذنب أخذوه[(٢)].

(٢٢٢) ١١٩٠٢ ـ حدثني محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن المفضل قال: ثنا أسباط عن السدي قوله: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾.. إلى قوله: ﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾ قال: كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضياً إلا ارتشى في الحكم. وإن خيارهم اجتمعوا فأخذ بعضهم على بعض العهود أن لا يفعلوا ولا يرتشوا، فجعل الرجل منهم إذا استقضي ارتشى فيقال له: ما شأنك ترتشي في الحكم؟ فيقول: سيغفر لي! فيطعن عليه البقية الآخرون من بني إسرائيل فيما صنع. فإذا مات أو نزع وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فيرتشي يقول: وإن يأت الآخرين عرض الدنيا يأخذوه. وأما عرض الأدنى فعرض الدنيا من المال[(٣)].

---

(١) تفسير الطبري (٢٥/ ١٩)، تفسير عبد الرزاق (٣/ ١٩١)، تفسير الدر المنثور (٧/ ٣٤٢)، تفسير القرطبي (١٦/ ١٤).

(٢) تفسير الطبري (٩/ ١٠٥)، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٦١).

(٣) تفسير الطبري (٩/ ١٠٦)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٥٩٤)، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٦١)، حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٢٨١).

ثانياً: الدراســـة

لم يكتفِ اليهود بمبارزة الله بالمعصية والكفر، بل ذهب صلفهم وغرورهم إلى تزكيتهم لأنفسهم، وذلك كما فسره السلف لنا بعدة أمور منها:

١ ـ قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه.

٢ ـ وقالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى.

٣ ـ وقالوا: لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة.

٤ ـ وقالوا: إن الهدى مقصور عليهم وحدهم، وليس لغيرهم إلا اتباعهم، حتى ولو كان رسول الله ﷺ.

٥ ـ وقالوا: إن أبناءنا لا ذنوب لهم فنقدمهم في الصلاة وسيشفعوا لنا.

وأظهر هذه المعاني في معنى تزكيتهم أنفسهم أنهم لا ذنوب لهم، وهم أبناء الله وأحباؤه، وقد رد الله عليهم قولهم ذلك بعد سياق كل تزكية قالوها، فكان ذلك كافياً في الرد عليهم وتقريعهم من الله ﷻ:

فقال لمن زكى نفسه منهم: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩].

وقال لمن قال: نحن أبناء الله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

وقال لمن ادعى أنه لن يدخل الجنة معهم أحد: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة].

وقال لمن قال: إنه لن يدخل النار الا أياماً يسيرةً: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠].

وساق ابن أبي حاتم بسنده الى ابن عباس رضي الله عنهما في الرد على من قال أن أبناءه سيشفعون له قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان اليهود يقدمون صبيانهم يصلون بهم ويقربون قربانهم ويزعمون أنهم لا خطايا لهم ولا ذنوب وكذبوا، قال الله: إني لا أطهر ذا ذنب بآخر لا ذنب له، وأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ

أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ٤٩]»[١].

وقد أثرت هذه العقيدة عن اليهود؛ أعني: تزكيتهم أنفسهم، وأنهم فوق البشر، حتى ترسخت في أجيالهم، خاصة إذا جمع معها تفضيل الله لأسلافهم على عالمي زمانهم، فنتج عن هذا مقولة: (شعب الله المختار)[٢]، وهي التي شجعتهم عبر العصور، خاصة المتأخر منها على العدوان، واستغلال الغير، والاستهانة في المعاصي، اتكالاً على هذا التفضيل، ولمز كل من يتعرض لهم من قريب أو بعيد، وما تهمة: (معاداة السامية) المعاصرة عنا ببعيد.

وتوراتهم المعاصرة هي معتمدهم في ذلك، فقد جاء في سفر التثنية (١٤/ ٢): «لأنك شعب مقدَّس للرب إلـٰهك. وقد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض». والفكرة نفسها تتواتر في سفر اللاويين (٢٠/ ٢٤، ٢٦): «أنا الرب إلـٰهكم الذي ميَّزكم من الشعوب... وتكونون لي قديسين لأني قدوس. أنا الرب، وقد ميَّزتكم من الشعوب لتكونوا لي».

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٢)، وتفسير ابن كثير (١/ ٥١٢).

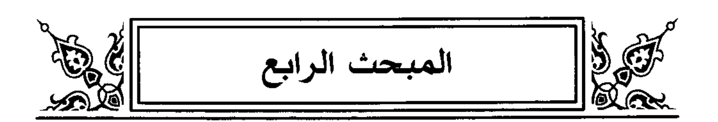
(٢) تقدم في فصل ـ تفضيلهم على العالمين ـ مناقشة بعض جوانب تزكيتهم لأنفسهم وينطلق اليهود المعاصرون في تعاملهم مع الأمم من منطلق أنهم (الشعب المختار) فماذا يعني هذا المصطلح؟

يجيب الدكتور عبد الوهاب المسيري في موسوعة اليهود واليهودية بقوله: «مصطلح «الشعب المختار» ترجمة للعبارة العبرية «هاعم هنفحار»، ويوجد معنى الاختيار في عبارة أخرى مثل: «أتَّا بحرتانو»، والتي تعني: «اخترتنا أنت»، و«عم سيجولاه»، أو «عم نيحلاه» أي: «شعب الإرث» أي: «الشعب الكنز». وإيمان بعض اليهود بأنهم شعب مختار مقولة أساسية في النسق الديني اليهودي، وتعبير آخر عن الطبقة الحلولية التي تشكلت داخل التركيب الجيولوجي اليهودي وتراكمت فيه. والثالوث الحلولي مُكوَّن من الإلـه والأرض والشعب، فيحل الإلـه في الأرض، لتصبح أرضاً مقدَّسة ومركزاً للكون، ويحل في الشعب ليصبح شعباً مختاراً، ومقدَّساً وأزلياً (وهذه بعض سمات الإلـه). ولهذا السبب، يُشار إلى الشعب اليهودي بأنه «عم قادوش» أي: «الشعب المقدَّس»، و«عم عولام» أي: «الشعب الأزلي»، و«عم نيتسح» أي: «الشعب الأبدي».

وفكرة الاستعلاء والعنصرية اليهودية من أسوء أنواع العنصرية في العالم فهي «تتسم بسمات تخالف بها جميع العنصريات عند الأمم كتزييف التاريخ ومصادرة الفكر ـ اللاسامية ـ واستغلال الدين»[1].

---

(١) العنصرية اليهودية (٤/ ٤٥٠)، وللتوسع في العنصرية اليهودية ينظر في الدراسة المتميزة للدكتور أحمد الزغيبي وفقه الله بعنوان: العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها في أربعة مجلدات شافية في جميع جوانب الموضوع ودراسة الدكتور زياد عليان بعنوان: الخطاب اليهودي بين الماضي والحاضر، وعنه نقلت نصوص التوراة.



المبحث الرابع

الآثار الواردة في نقضهم العهود والمواثيق

أولاً: الآثـــار

۞ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران].

(٢٢٣) ٥٧٥٣ ـ حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قال: نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ في أبي رافع وكنانة بن أبي الحقيق وكعب بن الأشرف وحيي بن أخطب[1].

۞ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران].

(٢٢٤) ٦٦٣٠ ـ حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة أنه حدثه، عن ابن عباس ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣٢١).

لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٧ - ١٨٨] يعني: فنحاص وأشيع وأشباههما من الأحبار(١).

(٢٢٥) ٦٦٣١ - حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ كان أمرهم أن يتبعوا النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته، وقال: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] فلما بعث الله محمداً ﷺ قال: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] عاهدهم على ذلك، فقال حين بعث محمداً: صدقوه، وتلقون الذي أحببتم عندي(٢).

(٢٢٦) ٦٦٣٩ - حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا يحيى بن أيوب البجلي، عن الشعبي في قوله: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ قال: إنهم قد كانوا يقرؤونه إنما نبذوا العمل به(٣).

(٢٢٧) ٦٦٤٠ - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ قال: نبذوا الميثاق(٤).

(٢٢٨) ٦٦٤١ - حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ أخذوا طمعاً، وكتموا اسم محمد ﷺ(٥).

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢٠٢)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٤٠١)، وحسنه في التفسير الصحيح (١/ ٤٨٩).
(٢) تفسير الطبري (٤/ ٢٠٢)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٣٥)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٤٠٢) إسناده ضعيف.
(٣) تفسير الطبري (٤/ ٢٠٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٣٧)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٤٠٣)، وحسنه في التفسير الصحيح (١/ ٤٩١).
(٤) تفسير الطبري (٤/ ٢٠٤)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٤٠٣).
(٥) تفسير الطبري (١/ ٢٥٣)، تفسير الدر المنثور (١/ ٤٠٨)، تفسير ابن كثير (١/ ٨٤)، =

✿ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [البقرة].

(٢٢٩) ٩٣٠ ـ حدثني به يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: لما رجع موسى عليه السلام من عند ربه بالألواح قال لقومه بني إسرائيل: إن هذه الألواح فيها كتاب الله، وأمره الذي أمركم به، ونهيه الذي نهاكم عنه، فقالوا: ومن يأخذه بقولك أنت؟ لا والله حتى نرى الله جهرة حتى يطلع الله علينا فيقول: هذا كتابي فخذوه! فما له لا يكلمنا كما كلمك أنت يا موسى فيقول: هذا كتابي فخذوه؟ قال: فجاءت غضبة من الله فجاءتهم صاعقة فصعقتهم، فماتوا أجمعون. قال: ثم أحياهم الله بعد موتهم، فقال لهم موسى: خذوا كتاب الله! فقالوا: لا، قال: أي شيء أصابكم؟ قالوا: متنا ثم حيينا، قال: خذوا كتاب الله! قالوا: لا. فبعث ملائكته فنتقت الجبل فوقهم، فقيل لهم: أتعرفون هذا؟ قالوا: نعم، هذا الطور، قال: خذوا الكتاب وإلا طرحناه عليكم! قال: فأخذوه بالميثاق. وقرأ قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ۝٨٣﴾ حتى بلغ: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٣ ـ ٨٥] قال: ولو كانوا أخذوه أول مرة لأخذوه بغير ميثاق[١].

✿ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٦].

(٢٣٠) ١١٠٨ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة،

= حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٢٨١).

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٩٢)، تفسير ابن كثير (١/ ٩٥)، صححه في التفسير الصحيح (٣٥٢/٢).

عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة] أي: بصاحبكم رسول الله ﷺ، ولكنه إليكم خاصة، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا: لا تحدثوا العرب بهذا فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم، فكان منهم. فأنزل الله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ أي: تقرون بأنه نبي، وقد علمتم أنه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه، وهو يخبرهم أنه النبي ﷺ الذي كنا ننتظر ونجده في كتابنا؟ اجحدوه ولا تقروا لهم به. يقول الله: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [البقرة][1].

۞ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [البقرة: ٨٣].

(٢٣١) **١١٩٢** - حدثني به ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: ميثاقكم ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾[2].

(٢٣٢) **١١٩٣** - حدثني المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: أخذ مواثيقهم أن يخلصوا له وأن لا يعبدوا غيره[3].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٧٠)، تفسير الدر المنثور (١/ ١٩٨)، تفسير ابن كثير (١/ ١١٦) إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٨٨)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٥٩)، تفسير الدر المنثور (٢٠٩/١) إسناده ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٨٩)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٢٩)، تفسير الدر المنثور (٢٠٩/١)، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/ ٣٦٦)، وحسنه في التفسير الصحيح (١/ ١٨٦).

(٢٣٣) ١١٩٤ ـ حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: أخبرنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قال: أخذنا ميثاقهم أن يخلصوا لله ولا يعبدوا غيره[١].

(٢٣٤) ١١٩٥ ـ حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ قال: الميثاق الذي أخذ عليهم في المائدة[٢].

۞ قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣].

(٢٣٥) ١١٩٦ ـ حدثنا به أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ أمرهم أيضاً بعد هذا الخلق أن يقولوا للناس حسناً: أن يأمروا بلا إلـه إلا الله من لم يقلها ورغب عنها حتى يقولوها كما قالوها، فإن ذلك قربة من الله جل ثناؤه[٣].

(٢٣٦) ١١٩٧ ـ حدثني المثنى، قال: ثنا آدم، قال ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ قال: قولوا للناس معروفاً[٤].

(٢٣٧) ١١٩٩ ـ حدثت عن يزيد بن هارون، قال: سمعت سفيان

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٨٩).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٥٠)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٦٠).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٩٢).

(٤) تفسير الطبري (١/ ٣٩٢)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٦١)، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/ ٣٦٦)، وحسنه في التفسير الصحيح (١/ ١٨٨).

الثوري، يقول في قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ قال: مروهم بالمعروف، وانهوهم عن المنكر[١].

(٢٣٨) ١٢٠١ ـ حدثنا أبو كريب، قال: ثنا القاسم، قال: أخبرنا عبد الملك، عن أبي جعفر وعطاء بن أبي رباح في قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ قال: للناس كلهم[٢].

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٣].

(٢٣٩) ١٢٠٢ ـ حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ هذه، وإقامة الصلاة تمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والإقبال عليها فيها[٣].

(٢٤٠) ١٢٠٣ ـ حدثنا به أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ قال: إيتاء الزكاة ما كان الله فرض عليهم في أموالهم من الزكاة، وهي سُنَّة كانت لهم غير سُنَّة محمد ﷺ؛ كانت زكاة أموالهم قرباناً تهبط إليه نار فتحملها، فكان ذلك تقبله، ومن لم تفعل النار به ذلك كان غير متقبل. وكان الذي قرب من مكسب لا يحل من ظلم أو غشم، أو أخذ بغير ما أمر الله به وبينه له[٤].

(٢٤١) ١٢٠٤ ـ حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ يعني بالزكاة: طاعة الله والإخلاص[٥].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٩٢)، تفسير القرطبي (٢/ ١٦) إسناده ضعيف.
(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٩٢)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٦١).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٩٢).
(٤) تفسير الطبري (١/ ٣٩٣).
(٥) حسنه في التفسير الصحيح (١/ ١٨٨).

۞ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣].

(٢٤٢) ١٢٠٥ ـ حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك عن ابن عباس ﷺ، قال: لما فرض الله ﷻ عليهم ـ يعني: على هؤلاء الذين وصف الله أمرهم في كتابه من بني إسرائيل ـ هذا الذي ذكر أنه أخذ ميثاقهم به، أعرضوا عنه استثقالاً وكراهية، وطلبوا ما خف عليهم إلا قليلاً منهم، وهم الذين استثنى الله فقال: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ يقول: أعرضتم عن طاعتي ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ قال: القليل الذين اخترتهم لطاعتي، وسيحل عقابي بمن تولى وأعرض عنها؛ يقول: تركها استخفافاً بها(١).

(٢٤٣) ١٢٠٦ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عن عكرمة، عن ابن عباس ﷺ: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ أي: تركتم ذلك كله(٢).

۞ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [البقرة].

(٢٤٤) ١٢٠٧ ـ حدثنا بشر بن معاذ، قال ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ أي: لا يقتل بعضكم بعضاً، ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ ونفسك يا ابن آدم أهل ملتك(٣).

(٢٤٥) ١٢٠٨ ـ حدثني المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٩٣).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٩٣)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٦٢) إسناده ضعيف.
(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٩٤)، وحسنه في التفسير الصحيح (١/ ١٨٩).

يقول: لا يقتل بعضكم بعضاً ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ يقول: لا يخرج بعضكم بعضاً من الديار[1].

(٢٤٦) حدثني المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن قتادة في قوله: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ يقول: لا يقتل بعضكم بعضاً بغير حق ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ فتسفك يا ابن آدم دماء أهل ملتك ودعوتك[2].

(٢٤٧) ١٢٠٩ ـ حدثنا المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ يقول: أقررتم بهذا الميثاق[3].

(٢٤٨) ١٢١٠ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾ أن هذا حق من ميثاقي عليكم[4].

(٢٤٩) ١٢١١ ـ حدثني المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ يقول: وأنتم شهود[5].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٩٤)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢١١)، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/ ٣٦٦)، وحسنه في التفسير الصحيح (١/ ١٨٩).
(٢) حسنه في التفسير الصحيح (١/ ١٨٩).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٩٥)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٦٣)، تفسير الدر المنثور (٢١١/١)، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/ ٣٦٦)، وحسنه في التفسير الصحيح (١٨٩/١).
(٤) تفسير الطبري (١/ ٣٩٥)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٦٣)، تفسير الدر المنثور (٢١١/١) إسناده ضعيف.
(٥) تفسير الطبري (١/ ٣٩٥)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٦٣)، تفسير الدر المنثور (٢١١/١)، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/ ٣٦٦)، وحسنه في التفسير الصحيح (١٨٩/١).

✿ قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [البقرة].

(٢٥٠) ١٣٦٠ ـ حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير. قال: ثنا ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال مالك بن الصيف حين بعث رسول الله ﷺ وذكر ما أخذ عليهم من الميثاق وما عهد الله إليهم فيه: والله ما عهد إلينا في محمد ﷺ ـ وما أخذ له علينا ميثاقاً! فأنزل الله جل ثناؤه: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[١].

(٢٥١) ١٣٦١ ـ حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: نقضه فريق منهم[٢].

(٢٥٢) ١٣٦٢ ـ حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج قوله: ﴿نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال: لم يكن في الأرض عهد يعاهدون عليه إلا نقضوه، ويعاهدون اليوم وينقضون غداً[٣].

✿ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

(٢٥٣) ١١٩٠٥ ـ حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ قال: فيما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها[٤].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٨٣)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٣٢)، وحسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٠٤).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٨٤)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٣٢)، تفسير ابن كثير (١٣٥/١)، وصححه في التفسير الصحيح (١/ ٢٠٤).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٤٤٧)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٣٢).
(٤) تفسير الطبري (٩/ ١٠٧).

❁ **قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ **[الأعراف].**

(٢٥٤) **١١٩١٠** ـ حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي عن ابن عباس ﵄، قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ فهو قوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ [النساء] فقال: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وإلا أرسلته عليكم[1].

❁ **قوله تعالى:** ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ **[الأحزاب: ١٠].**

(٢٥٥) **٢١٦٢٣** ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان مولى آل الزبير، عن عروة بن الزبير، وعمن لا أتهم، عن عبيد الله بن كعب بن مالك، وعن الزهري، وعن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وعن محمد بن كعب القرظي، وعن غيرهم من علمائنا: «أنه كان من حديث الخندق، أن نفراً من اليهود، منهم سلام بن أبي الحقيق النضري، وحيي بن أخطب النضري، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي، في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قدموا مكة على قريش، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه، حتى نستأصله. فقالت لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه. قال: فهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ١٠٩)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٥٩٥)، وحسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٣٦٠).

ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء] إلى قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء]، فلما قالوا ذلك لقريش، سرَّهم ما قالوا، ونشطوا لما دعوهم له من حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا لذلك، واتعدوا له.

ثم خرج أولئك النفر من اليهود، حتى جاؤوا غطفان من قيس عيلان، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك، فاجتمعوا فيه، فأجابوهم فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة، ومشعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان، فيمن تابعه من قومه من أشجع؛ فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وبما اجتمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة؛ فلما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم، ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد، حتى نزلوا بذنب نقمى إلى جانب أُحد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالذراري والنساء، فرفعوا في الآطام، وخرج عدو الله حيي بن أخطب النضري، حتى أتى كعب بن أسد القرظي، صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه، وعاهده على ذلك وعاقده، فلما سمع كعب بحيي بن أخطب، أغلق دونه حصنه، فاستأذن عليه، فأبى أن يفتح له، فناداه حيي: يا كعب افتح لي، قال: ويحك يا حيي، إنك امرؤ مشؤوم، إني قد عاهدت محمداً، فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً؛ قال: ويحك افتح لي أكلمك، قال: ما أنا بفاعل. قال: والله إن أغلقت دوني إلا تخوفت على جشيشتك أن آكل معك منها، فأحفظ الرجل، ففتح له، فقال:

يا كعب جئتك بعز الدهر، وببحر طم، جئتك بقريش على قاداتها وساداتها، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قاداتها وساداتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أُحد، قد عاهدوني وعاقدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه، فقال له كعب بن أسد: جئتني والله بذل الدهر، وبجهام قد هراق ماءه، يرعد ويبرق، ليس فيه شيء، فدعني ومحمداً وما أنا عليه، فلم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء؛ فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاهم عهداً من الله وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك.

فنقض كعب بن أسد عهده، وبرئ مما كان عليه، فيما بينه وبين رسول الله ﷺ؛ فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر، وإلى المسلمين، بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس، أحد بني الأشهل، وهو يومئذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة بن ديلم أخي بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، وهو يومئذ سيد الخزرج، ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بلحرث بن الخزرج، وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف، فقال: «**انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟، فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه، ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم، فاجهروا به للناس**».

فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، ونالوا من رسول الله ﷺ وقالوا: لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه، وكان رجلاً فيه حدة، فقال له سعد بن معاذ: دع عنك مشاتمتهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة.

ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله ﷺ، فسلموا عليه، ثم قالوا: عضل والقارة؛ أي: كغدر عضل والقارة بأصحاب رسول الله ﷺ أصحاب الرجيع خبيب بن عدي وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين**»، وعظم عند ذلك البلاء، واشتد الخوف، وأتاهم

عدوهم من فوقهم، ومن أسفل منهم، حتى ظن المسلمون كل ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط، وحتى قال أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحارث: يا رسول الله إن بيوتنا لعورة من العدو، وذلك عن ملإ من رجال قومه، فأذن لنا فلنرجع إلى دارنا، وإنها خارجة من المدينة، فأقام رسول الله ﷺ بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر، ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالنبل والحصار»[1].

✿ **قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾ [الأحزاب].**

(٢٥٦) ٢١٦٨٨ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، قال: لما انصرف رسول الله ﷺ عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون، ووضعوا السلاح، فما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله ﷺ ـ معتجراً بعمامة من إستبرق، على بغلة عليها رحاله، عليها قطيفة من ديباج ـ؛ فقال: أقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: «**نعم**»، قال جبريل: ما وضعت الملائكة السلاح بعد، ما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة، وأنا عامد إلى بني قريظة، فأمر رسول الله ﷺ منادياً، فأذن في الناس: «**إن من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة**».

وقدَّم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه برايته إلى بني قريظة وابتدرها الناس، فسار علي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى إذا دنا من الحصون، سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ منهم فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخباث، قال: «**لم؟ أظنك سمعت لي منهم أذى؟**»، قال: نعم يا رسول الله. قال: «**لو قد**

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٢٩) إسناده ضعيف.

رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً. فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال: «**يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟**» قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً؛ ومر رسول الله ﷺ على أصحابه بالصورين قبل أن يصل إلى بني قريظة، فقال: «**هل مر بكم أحد؟**» فقالوا: يا رسول الله، قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج، فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك جبرائيل بعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب في قلوبهم**»؛ فلما أتى رسول الله ﷺ قريظة؛ نزل على بئر من آبارها في ناحية من أموالهم يقال لها: بئر أنا، فتلاحق به الناس، فأتاه رجال من بعد العشاء الآخرة، ولم يصلوا العصر لقول رسول الله ﷺ: «**لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة**»، فصلوا العصر فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عنفهم به رسوله[1].

قوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة].

(٢٥٧) **١٠١٣٢** ـ حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي معشر، عن إسحاق بن عبد الله: أن المائدة نزلت على عيسى ابن مريم، عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات، يأكلون منها ما شاؤوا. قال: فسرق بعضهم منها، وقال: لعلها لا تنزل غداً! فرفعت[2].

(٢٥٨) **١٠١٣٣** ـ حدثنا المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن سماك بن حرب، عن رجل من بني عجل قال: صليت إلى جنب عمار بن ياسر، فلما فرغ، قال: هل تدري كيف كان شأن مائدة بني إسرائيل؟ قال: فقلت: لا. قال: إنهم سألوا عيسى ابن مريم مائدة يكون عليها طعام يأكلون منه لا ينفد، قال: فقيل لهم: فإنها مقيمة لكم ما لم تخبئوا أو تخونوا أو

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٥١) إسناده ضعيف.
(٢) تفسير الطبري (٧/ ١٣٣)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٢٣٦)، تفسير ابن كثير (٢/ ١١٨).

ترفعوا، فإن فعلتم فإني أعذبكم عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين. قال: فما تم يومهم حتى خبئوا ورفعوا وخانوا، فعذبوا عذاباً لم يعذبه أحداً من العالمين. وإنكم معشر العرب كنتم تتبعون أذناب الإبل والشاء، فبعث الله فيكم رسولاً من أنفسكم تعرفون حسبه ونسبه، وأخبركم على لسان نبيكم أنكم ستظهرون على العرب، ونهاكم أن تكنزوا الذهب والفضة، وايم الله لا يذهب الليل والنهار حتى تكنزوهما ويعذبكم عذاباً أليماً![1].

(٢٥٩) ١٠١٣٥ ـ حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن سعيد، عن قتادة، عن خلاس بن عمرو، عن عمار، قال: نزلت المائدة، وعليها ثمر من ثمر الجنة، فأمروا أن لا يخبئوا ولا يخونوا ولا يدخروا. قال: فخان القوم وخبئوا وادخروا، فحولهم الله قردة وخنازير.

(٢٦٠) ١٠١٣٦ ـ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أنها كانت مائدة ينزل عليها الثمر من ثمار الجنة، وأمروا أن لا يخبئوا ولا يخونوا ولا يدخروا لغد، بلاء ابتلاهم الله به، وكانوا إذا فعلوا شيئاً من ذلك أنبأهم به عيسى، فخان القوم فيه فخبئوا وادخروا لغد[2].

ثانياً: الدراسة

يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ معظماً أمر العهد: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، وأثنى على أهل الوفاء وعدهم هم أولوا الألباب فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾﴾ [الرعد].

قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الله: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩] فبيَّن من هم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾﴾ [الرعد] فعليكم بوفاء العهد، ولا تنقضوا هذا الميثاق، فإن الله تعالى قد نهى وقدم فيه أشد التقدمة،

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ١٣٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٥٦)، تفسير القرطبي (٦/ ٣٧٢).
(٢) تفسير الطبري (٧/ ١٣٤)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٢٣٧)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

فذكره في بضع وعشرين موضعاً، نصيحة لكم وتقدمة إليكم وحجة عليكم، وإنما يعظم الأمر بما عظمه الله به عند أهل الفهم والعقل، فعظموا ما عظم الله[(١)].

قال ابن منظور: «العَهْدُ كل ما عُوهِدَ اللهُ عليه، وكلُّ ما بين العبادِ من المواثِيقِ، فهو عَهد، والعهد: الوفاء. وفي التنزيل: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ [الأعراف: ١٠٢]؛ أي: من وفاء؛ قال أبو الهيثم: العهْدُ جمع العُهْدَةِ وهو الميثاق واليمين التي تستوثقُ بها ممن يعاهدُك»[(٢)].

وقال: «المَوْثِقُ والمِيثاقُ: العهد، صارت الواو ياء لانكسار ما قبلها، والجمع المَواثِيقُ على الأصل، المُوَاثقة: المعاهدة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ [المائدة: ٧] والمِيثاقُ: العهد، مِفْعال من الوَثاقِ، وهو في الأَصل حبل أَو قَيْد يُشدّ به الأَسير والدابة. وفي التهذيب: «المِيثاقُ من المُواثَقةِ والمعاهدة؛ ومنه المَوْثِقُ. تقول: واثَقْتُه بالله لأَفْعَلَنَّ كذا وكذا. ويقال: اسْتَوْثَقْت من فلان وتَوَثَّقْتُ من الأَمر إذا أَخذت فيه بالوَثاقةِ»[(٣)].

لقد قصّ لنا القرآن عشرات العهود والمواثيق التي نقضها اليهود وهدموها وخرجوا عليها ولم يرعوها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [البقرة].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يقول تعالى مذكِّراً بني إسرائيل ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق بالإيمان به وحده لا شريك له واتّباع رسله، وأخبر تعالى أنّه لمّا أخذ عليهم الميثاق رفع الجبل فوق رؤوسهم ليقروا بما عوهدوا عليه، ويأخذوه بقوة وحزم وامتثال، قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: إنهم لما امتنعوا عن الطاعة رُفع عليهم الجبل ليسمعوا. وقال السُّدي: فلمّا أبَوْا أن يسجدوا أمر الله الجبل أن يقع عليهم فنظروا إليه وقد غَشِيَهم فسقطوا سُجَّداً فسجدوا على شقٍّ ونظروا

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ١٣٩)، تفسير الدر المنثور (٤/ ٦٣٦)، تفسير القرطبي (٩/ ٣٠٧).
(٢) لسان العرب (٣/ ٣١١).
(٣) لسان العرب (١٠/ ٣٧١).

بالشقّ الآخر فرحمهم الله فكشفه عنهم، فقالوا: والله ما سجدةٌ أحبّ إلى الله من سجدةٍ كشف بها العذاب عنهم فهم يسجدون كذلك... فأقروا بذلك أنّهم يأخذون ما أوتوا به بقوّة... قال أبو العالية والربيع: ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٦٣] يقول: اقرءوا ما في التوراة واعملوا به، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ﴾ ثم بعد هذا الميثاق المؤكد العظيم تولّيتم عنه وانثنيتم ونقضتموه»(١).

ويقول تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [البقرة]. فقد بيّن الله تعالى أنّه أخذ الميثاق على بني إسرائيل بأن لا يعبدوا إلّا الله، وبأن يحسنوا للوالدين وذي القربى واليتامى والمساكين، وأن لا يسفكوا الدماء، وقد أقرُّوا بهذا الميثاق واعترفوا به وشهدوا على أنفسهم. وبعد هذا كُلّه نقضوا عهد الله وميثاقه الذي واثقهم به، فسفكوا الدّماء وقتل بعضهم بعضاً وأخرجوا بعضهم من ديارهم. وقد نزلت هذه الآيات في معرض الإنكار على اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله ﷺ بالمدينة وما كانوا يعانونه من القِتال مع الأوس والخزرج.

يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «وذلك أنّ الأوس والخزرج، وهم الأنصار، كانوا في الجاهلية عُبّاد أصنامٍ وكانت بينهم حروب كثيرة، وكانت يهود المدينة ثلاث قبائل: بنو قينقاع وبنو النضير حلفاء الخزرج، وبنو قريظة حلفاء الأوس فكانت الحرب إذا نشبت بينهم قاتل كل فريقٍ مع حلفائه فيقتل اليهودي أعداءه، وقد يقتل اليهودي الآخر من الفريق الآخر، وذلك حرامٌ عليهم في دينهم ونصّ كتابهم... . وذلك أنّ أهل الملّة الواحدة بمنزلة النفس الواحدة... ﴿ثُمَّ

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٤١).

﴿أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أي: ثم أقررتم بمعرفة هذا الميثاق وصحّته وأنتم تشهدون به ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حربٌ خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس، يُظاهر كلّ واحدٍ من الفريقين حُلفاءه على إخوانه، حتّى تَسَافكُوا دماءَهم بينهم وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم»(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة].

وهكذا يقصّ علينا القرآن نقضهم المواثيق التي بينهم وبين الله. وإن كانوا قد نقضوا عهودهم مع الله فقد نقضوها مع أنبيائه ورُسُله. وحسبنا من ذلك أن نذكُر جُملةً من العهود والمواثيق التي أبرموها مع نبينا محمد بن عبد الله ﷺ ثمّ نقضوها.

١ ـ أحبار اليهود ينقضون العهد مع رسول الله ﷺ:

«حضرت عصابةٌ من اليهود رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم حدِّثنا عن خِلالٍ نسألك عنهنّ لا يعلمهنّ إلا نبي، فقال رسول الله ﷺ: «**سلوا عمّا شئتم ولكن اجعلوا لي ذمّة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن حدَّثْتُكم عن شيءٍ فعرفتموه لتتابعُنني على الإسلام**». فقالوا: ذلك لك، فقال رسول الله ﷺ: «**سلوا عمّا شئتُم**». قالوا: أخبرنا عن أربع خلالٍ نسألك عنهُنّ، أخبرنا أيّ الطعام حَرَّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تُنزل التوراة؟ وأخبرنا كيف ماء

---

(١) المصدر السابق.

المرأةِ وماء الرّجل وكيف يكون الذكر منه والأنثى؟ وأخبرنا بهذا النبي الأمّي في التوراة ومن وليّه من الملائكة.

فقال النبي ﷺ: **«عليكم عهد الله لئن أنا أنبأتكم لتتابعنني؟»**، فأعطوه ما شاء الله من عهد وميثاق، فقال: **«نشدتكم بالذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أنّ إسرائيل يعقوب مرض مرضاً شديداً فطال سقمه منه فنذر لله نذراً لئن عافاه الله من مرضه ليُحَرِّمَنّ أحبّ الطعام والشراب إليه»**. وكان أحبّ الطعام إليه لحوم الإبل وأحبّ الشراب إليه ألبانها، فقالوا: اللّٰهُمَّ نعم. فقال رسول الله ﷺ: **«اللّٰهُمَّ اشهد عليهم. وأنشدُكم بالله الذي لا إلـه إلّا هو الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أنّ ماء الرجل غليظٌ أبيض وأنّ ماء المرأة رقيق أصفر فأيُّهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله ﷻ، وإذا علا ماء الرّجل ماء المرأة كان الولد ذكراً بإذن الله، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله ﷻ»**، قالوا: اللّٰهُمَّ نعم. قال: **«اللّٰهُمَّ اشهد. وأنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أنّ هذا النبي الأميَّ تنام عيناه ولا ينام قلبه»**. قالوا: اللّٰهُمَّ نعم. قال: **«اللّٰهُمَّ اشهد»**.

قالوا: أنت الآن فحدّثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك. قال: **«فإن وليي جبريل ولم يبعث الله نبياً قَطُّ إلا وهو وليّه»**. قالوا: فعندها نفارقك، ولو كان وليُّك سواه من الملائكة تابعناك وصدّقناك. قال: **«فما يمنعُكم أن تُصدِّقوه؟»**. قالوا: إنّه عدوّنا. فأنزل الله ﷻ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [البقرة] إلى قوله: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢] فعندها باؤوا بغضبٍ على غضب»[1].

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: (١/ ١٧٢ ـ ١٧٣)، وقد نقله عن ابن جرير الطبري وعزاه إلى مسند الإمام أحمد، وقد ورد بعض المناظرات في صحيح الإمام مسلم وفيها السؤال عن ماء الرجل والمرأة والشبه، وفيها السؤال عن أول طعام أهل الجنة ونحو ذلك.

٢ ـ قبائل اليهود نَبَذت العهود والمواثيق:

«لمّا قدمَ النبي ﷺ المدينة... وكتب بينهم وبينه كتاب أمنٍ، وكانوا ثلاث طوائف حول المدينة: بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، فحاربته بنو قينقاع بعد ذلك بعد بدرٍ وقد شرقوا بوقعة بدر، وأظهروا البغي والحسد فسارت إليهم جنود الله يقدمهم عبد الله ورسوله... وحاصرهم خمس عشرة ليلةً ـ وهُم أوّل من حارب من اليهود ـ وتحصّنوا في حصونهم، فحاصرهم أشدّ الحِصار، وقذف الله في قلوبهم الرُّعب، فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ في رقابهم وأموالهم، ونسائهم وذريتهم، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها. فخرجوا إلى أذْرِعات من أرض الشام. فقلّ أن لبثوا فيها حتّى هلك أكثرهم»[1].

ثمّ نَقَضَ العهد بنو النضير: قال البخاري: وكان ذلك بعد بدرٍ بستّة أشهر، قاله عروة. وسبَبُ ذلك أنّه ﷺ خرج إليهم في نفرٍ من أصحابه، وكلّمهم أن يعينوه في دية الكِلابِيَيْنِ الذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري، فقالوا: نفعل يا أبا القاسم. اجلس هاهنا حتى نقضي حاجتك وخلا بعضهم ببعض، وسوّل لهم الشيطان الشقاء الذي كُتِبَ عليهم فتآمروا بقتله ﷺ، وقالوا: أيّكم يأخذ هذه الرّحى ويصعَدُ فيلقيها على رأسه يشدخه بها؟ فقال أشقاهم عمرو بن جحاش: أنا. فقال لهم سلام بن مشكم: لا تفعلوه فوالله لَيُخبَرَنّ بما هممتم به، وإنّه لنقض العهد الذي بيننا وبينه، وجاء الوحي على الفور إليه من ربّه تبارك وتعالى بما هَمُّوا به فنهض مُسرِعاً وتوجه إلى المدينة ولحقه أصحابه... وبعث إليهم رسول الله ﷺ أن اخرجوا من المدينة ولا تساكنوني بها وقد أجّلتُكُم عشراً. فمن وجدت بعد ذلك بها ضربتُ عنقه، فأقاموا أيّاماً يتجهّزون. وأرسل إليهم المنافق عبد الله بن أُبي أن لا تخرجوا من دياركم فإنّ معي ألفين يدخلون معكم حِصنَكم فيموتون دونكم، وتنصركم

---

(١) ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي، زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/١٢٦ ـ ١٢٧)، طبع مؤسسة الرسالة، الطبعة الثلاثون، ١٤١٨هـ.

قريظة وحُلفاؤكم من غطفان. فبعثوا إلى رسول الله: إنّا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك.

فكبّر رسول الله ﷺ وأصحابه ونهضوا إليهم. وعلي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه يحمل اللواء، فلمّا انتهى إليهم، قاموا على حصونهم يرمون بالنّبل والحجارة. واعتزلتهم قريظة وخانهم ابن أُبي وحلفاؤهم من غطفان... فحاصرهم رسول الله ﷺ وقطع نخلهم وحرّق، فأرسلوا إليه: نحن نخرج عن المدينة، فأنزلهم على أن يخرجوا عنها بنفوسهم وذراريهم وأنّ لهم ما حملت الإبل إلّا السلاح»[(١)]..

«وأمّا قريظة فكانت أشدّ اليهود عداوةً لرسول الله ﷺ، وأغلظهم كفراً ولذلك جرى عليهم ما لم يجر على إخوانهم، وذلك لمّا أغراهم حييّ بن أخطب بقوله: جئتكم بقريشٍ على سادتها، وغطفان على قادتها، وأنتم أهل الشوكة والسلاح، فهلمَّ حتىّ نناجز محمداً ونفرغ منه... فأجابوه إلى ما دعاهم إليه، ونقضوا عهد رسول الله ﷺ وأظهروا سبّه، فبلغ رسولَ الله ﷺ الخبر، فأرسل يستعلم الأمر، فوجدهم قد نقضوا العهد، فكبّر وقال: **«أبشروا يا معشر المسلمين»**. فلمّا انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة لم يكن إلّا أن وضع سلاحه، فجاءه جبريل عليه السلام فقال: أوضعت السلاح، والله إنّ الملائكة لم تضع أسلحتها فانهض بمن معك إلى بني قريظة، فإني سائرٌ أمامك أزلزل بهم حصونهم وأقذف في قلوبهم الرُّعب، فسار جبريل في موكبه من الملائكة ورسول الله ﷺ على أثره في موكبه من المهاجرين والأنصار، وأعطى رسول الله ﷺ الراية علي بن أبي طالب رضي الله عنه... ونازل حصون بني قريظة وحصرهم خمساً وعشرين ليلة، ولمّا اشتدّ عليهم الحصار عرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد ثلاث خصال، فأبوا عليه أن يجيبوه إلى واحدةٍ مِنهن. وانتهى أمرهم إلى سعد بن معاذ رضي الله عنه إذ اختاره رسول الله ﷺ قائلاً: **«ألا ترضون أن يحكم فيهم رجلٌ منكم، فذاك إلى سعد بن معاذ»**، وجيء بسعد رضي الله عنه فكان

---

(١) المصدر السابق (٣/ ١٢٧ ـ ١٢٨)، وأصل القصة في الصحيحين.

حكمه أن تُقتَّل الرجال وتُسبى النساء وتُقسَّم الأموال. فقال رسول الله ﷺ: «**لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات**»»[١].

«وكان هذا هو هدي النبي ﷺ إذا صالح قوماً فنقض بعضهم عهده وصلحه وأقرّهم الباقون ورضوا به، غزا الجميع وجعلهم كلهم ناقضين»[٢].

وهذا ما أكَّدَه التاريخ قديماً وحديثاً فقد عاهدهم رسول الله ﷺ في المدينة كما مَرّ معنا ونقضوا عهودهم في خسَّةٍ ونذالةٍ. وأمّا في العصر الحديث فالعالم كُلّه شاهدٌ على نقض العهود والوعود، بل إنّ اليهود يتخذون الوعود والمواثيق أسلوباً وسبيلاً للوصول إلى أغراضهم، فقد يعقدون المعاهدة حتى يلتقطوا أنفاسهم ويُعِدُّوا أنفسهم. فإذا تحقق لهم ما أرادوا ينكثون العهد والوعد كعادتهم.

ومما ينبغي أن نشير إليه، ونحن نستعرض شهادة القُرآن على اليهود، أنّ القرآن الكريم قد أكّد على ثبات هذه الصِّفة في اليهود قديماً وحديثاً، فالآيات القرآنية تربط بين اليهود المعاصرين للنبي ﷺ وبين آبائهم وأجدادهم الأولين في مختلف أدوارهم ربطاً محكماً كأنّما هي تُقِرُّ أنّ ما عليه اليهود من أخلاقٍ وأحوالٍ وما وقفوه من مواقف إنّما هي مظهرٌ من أصول جِبِلَّةٍ خُلُقِيَّةٍ راسخةٍ يتوارثها الأبناء عن الآباء، بل هذا ما شهدت به التوراة والإنجيل.

شهادة التوراة والإنجيل:

مع أنّ التوراة كتابهم المقدّس، وبرغم تحريفها وتعرُّضها للتزييف على أيديهم إلّا أنهّا لم تخلُ من الإشارة إلى أخلاقهم الذميمة، سيما خلق الغدر والخيانة ونبذ العهود.

ففي سِفرِ التثنيةِ من الإصحاح ٣٢ عدد ١٩: «إنّهم جيلٌ مُتقلّب أولادٌ لا أمانَة فيهم».

---

(١) المصدر السابق، بتصرّف، (٣/ ١٢٩ ـ ١٣٤)، والرواية في الصحيحين وآخرها: «**لقد حكمت فيهم بحكم الله**».

(٢) المصدر السابق (ص١٣٦).

وإنّك لتعجب حينما تقرأ في سفر أشعيا الإصحاح ٥٩ ما نصّه: «خيوطُهم لا تصير ثوباً، ولا يكتسون بأعمالهم، أعمالهم أعمالُ إثم، وفعل الظُلم في أيديهم، أرجلهم إلى الشرِّ تجري وتسرع إلى سفك الدّم. أفكارُهُم أفكار إثم، في طرقهم اغتصاب وسحق، طريق السلام لم يعرفوه، وليس في مسالكهم عدل، جعلوا لأنفسهم سبيلاً معوجّةً كُلّ من يسير فيها لا يعرف سلاماً».

أمّا الإنجيل فقد شهد عليهم بأنّهم سَفَكة دماء وأولاد أفاعي.

ففي إنجيل متّى الإصحاح ٢٣ العدد ٢٥: «يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات، وأنتم أشرار، فإنّه من فضلة القلب يتكلم اللسان».

وفي إنجيل متّى أيضاً الإصحاح ٢٣ فقرة ٣٩: «يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها..».

فالذي نخلص إليه مما سبق أنّ نقض العهود صفةٌ ملازمةٌ لليهود في كلّ العهود. إذ إنّ اليهود سلسلةٌ وسلالةٌ واحدةٌ متشابهةٌ في حلقاتها مهما تباعدت الأزمنة وتنوَّعت البيئات. ولعلّ من إعجاز القرآن الكريم أنّ المرء يراهم في أخلاقهم اليوم صورةً طبق الأصل لما وصفهم به القرآن الكريم من صفاتٍ وأخلاق، ولم تزدهم الأيّام فيها إلّا رسوخاً.

يقول الدكتور عبد الستّار فتح الله: «وإنه لأمرٌ عجيب أن توجد أمّةٌ من البشر على هذا النمط وتمتد في سلسلة واحدةٍ عبر الأزمنة والأمكنة وتتأصّل في أجيالها جميعاً كلّ خلائق السوء إلى هذا الحدّ الرهيب، ويكاد العقل ينكر هذا للوهلة الأولى ولا يصدّق استمرار هذا السعار النفسي في الجيل بعد الجيل على امتداد أكثر من ثلاثة آلاف سنة، ولكن هذا فعلاً هو الواقع، اليهود ودينهم بل هو دينهم الذي وضعوه لأنفسهم، وأُشرِبَته قلوبهم على تعاقب القرون والأجيال حتّى كأنّه صار سليقةً مُكتَسَبةً»[١].

---

(١) صالح، د. سعد الدين السيد، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، (ص٢٨)، دار التابعين، عين شمس، الطبعة الثانية.

اليهود نقضة عهود ومواثيق، وأول آية توافيك في الميثاق ونقضه هي في حق اليهود كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة].

قال الطبري: «وأولى الأقوال عندي بالصواب في ذلك قول من قال: إن هذه الآيات نزلت في كفار أحبار اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله ﷺ وما قرب منها من بقايا بني إسرائيل»[1].

وقد فصَّل لنا الله ـ تبارك وتعالى ـ المواثيق والعهود التي نقضوها ولكن أظهر آية في بيان أن هذا الخلق متأصل في النفس اليهودية وأن فيه خاصية الاستمرار في أجيالهم ولكي يلتفت المسلمون ولا يغيب عنهم هذا التحذير طرفة عين قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [البقرة].

وكان من أول الناقضين المعاصرين لنبينا ﷺ ما فعله مالك بن الصيف[2]، حين بعث رسول الله ﷺ وذكر ما أخذ عليهم من الميثاق وما عهد الله إليهم فيه: والله ما عهد إلينا في محمد ﷺ ـ وما أخذ له علينا ميثاقاً.

والمواثيق التي نقضوها مع الله كثيرة نذكر منها أمثلة تدل على المقصود فمن ذلك:

ميثاق العمل بما في التوراة وأخذها بقوة وتطبيق ما فيها كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [البقرة]، قال ابن كثير: «يقول تعالى مذكراً بني إسرائيل ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق؛ بالإيمان به وحده لا شريك له، واتباع رسله، وأخبر تعالى أنه لما أخذ عليهم الميثاق رفع الجبل فوق رؤوسهم ليقروا

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٢١٩).

(٢) من أحبار اليهود وهو الذي عناه النبي ﷺ بقوله: «**الحبر السمين**» جلى مع قومه بنو قينقاع في السنة الثانية للهجرة.

بما عوهدوا عليه ويأخذوه بقوة وحزم وامتثال، قال السدي: فلما أبوا أن يسجدوا أمر الله الجبل يقع عليهم فنظروا إليه وقد غشيهم فسقطوا سجداً فسجدوا على شق ونظروا بالشق الآخر، فرحمهم الله فكشفه عنهم، فقالوا: والله ما سجدة أحب إلى الله من سجدة كشف بها العذاب عنهم فهم يسجدون كذلك[١].

ولكن النتيجة هي التولي عن أمر الله، قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [البقرة].

ميثاق الله عليهم بتوحيده والبر بالوالدين والإحسان الى الأقارب ومخاطبة الناس بالحسن من القول مع إقام الصلاة وإيتاء الزكاة كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٨٣].

والنتيجة ممن تعوّدوا الانحراف عن ما أخذ عليهم: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣]، وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن يهود بني إسرائيل أنهم نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه، بعدما أخذ الله ميثاقهم على الوفاء له بأن لا يعبدوا غيره، وأن يحسنوا إلى الآباء والأمهات، ويصلوا الأرحام، ويتعطفوا على الأيتام، ويؤدوا حقوق أهل المسكنة إليهم، ويأمروا عباد الله بما أمرهم الله به ويحثوهم على طاعته، ويقيموا الصلاة بحدودها وفرائضها، ويؤتوا زكاة أموالهم. فخالفوا أمره في ذلك كله، وتولوا عنه معرضين، إلا من عصمه الله منهم فوفى لله بعهده[٢].

ميثاق الله لهم مع بني جنسهم بعدم القتل والإخراج من الديار.

كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [البقرة].

وقد أجاب الطبري عن تساؤل مفترض وهو: «أو كان القوم يقتلون

(١) تفسير ابن كثير (١/٢٥٦ ـ ٢٥٧).
(٢) تفسير الطبري (١/٤٣٧ ـ ٤٣٨).

أنفسهم، ويخرجونها من ديارها، فنهوا عن ذلك؟ فأجاب: ليس الأمر في ذلك على ما ظننت، ولكنهم نهوا عن أن يقتل بعضهم بعضاً، فكان في قتل الرجل منهم الرجل قتل نفسه، إذ كانت ملتهما بمنزلة رجل واحد»[1]. وقال القرطبي: «وإنما كان الأمر أن الله تعالى قد أخذ على بني إسرائيل في التوراة ميثاقاً ألا يقتل بعضهم بعضاً، ولا ينفيه ولا يسترقه، ولا يدعه يسرق، إلى غير ذلك من الطاعات»[2].

وما كان منهم إلّا إفساد الميثاق كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة: ٨٥].

وهذا الميثاق وغيره عده المفسرون موجه لليهود المعاصرين للنبي ﷺ، وحكاية عن أسلافهم كما صرح بذلك الطبري بقوله: «وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب عندي أن يكون قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ خبراً عن أسلافهم، وداخلاً فيه المخاطبون منهم الذين أدركوا رسول الله ﷺ، كما كان قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ خبراً عن أسلافهم وإن كان خطاباً للذين أدركوا رسول الله ﷺ؛ لأن الله تعالى أخذ ميثاق الذين كانوا على عهد رسول الله موسى ﷺ من بني إسرائيل على سبيل ما قد بيَّنه لنا في كتابه، فألزم جميع من بعدهم من ذريتهم من حكم التوراة مثل الذي ألزم منه من كان على عهد موسى منهم. ثم أنَّب الذين خاطبهم بهذه الآيات على نقضهم ونقض سلفهم ذلك الميثاق، وتكذيبهم ما وكَّدوا على أنفسهم له بالوفاء من العهود بقوله: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾، فإذا كان خارجاً على وجه الخطاب للذين كانوا على عهد نبينا ﷺ منهم، فإنه معني به كل من واثق بالميثاق منهم على عهد موسى ومن بعده، وكل من شهد منهم بتصديق ما في التوراة؛ لأن الله جل

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٣٨).

(٢) تفسير القرطبي (١/ ١٨).

ثناؤه لم يخصص بقوله: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ وما أشبه ذلك من الآي بعضهم دون بعض؛ والآية محتملة أن يكون أريد بها جميعهم. فإذا كان ذلك كذلك فليس لأحد أن يدعي أنه أريد بها بعض منهم دون بعض. وكذلك حكم الآية التي بعدها؛ أعني قوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية؛ لأنه قد ذكر لها أن أوائلهم قد كانوا يفعلون من ذلك ما كان يفعله أواخرهم الذين أدركوا عصر نبينا محمد ﷺ»[١].

وهو ـ والله أعلم ـ لجنس اليهود فهو يذكر كل يهودي بما أخذ عليه وعلى أسلافه فهو يتلى إلى يوم القيامة، وفيه أيضاً عظة وعبرة لأمة محمد ﷺ حتى يعتبروا بمن قبلهم.

ميثاق السمع والطاعة لما يؤمرون به كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [البقرة].

وانظر كيف لم يأخذوا الميثاق الّا تحت التهديد بالعذاب أن يكون الجبل العظيم من فوقهم، ومع ذلك سمعوا وعصوا وأشركوا بالعجل حتى تشرَّبته قلوبهم، كما قال الطبري: وإذ أخذنا ميثاقكم أن خذوا ما آتيناكم بقوة، واعملوا بما سمعتم، وأطيعوا الله، ورفعنا فوقكم الطور من أجل ذلك[٢].

مواثيقهم الكثيرة مع الرسول ﷺ لا خلاف بين أي فريق منهم، فمرة قريظة، ومرة بنو النضير نقضوا العهد فأعانوا مشركي مكة بالسلاح، ثم اعتذروا فقالوا: نسينا، فعاهدهم! ثانية فنقضوا يوم الخندق. وقد وصفهم الله (بشرِّ الدواب)، وأنهم كالرجل الواحد سلفهم وخلفهم كما قال الطبري: «يقول الله لنبيه ﷺ: لا تستعظموا أمر الذين هموا ببسط أيديهم إليكم من

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٤٠)، وإن كان ابن كثير يميل الى أنه موجه للمعاصرين زمن النبي ﷺ (١/ ٢٨٢).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٤٦٦).

هؤلاء اليهود بما هموا به لكم، ولا أمر الغدر الذي حاولوه وأرادوه بكم، فإن ذلك من أخلاق أوائلهم وأسلافهم، لا يعدون أن يكونوا على منهاج أولهم وطريق سلفهم. وهكذا كما سيأتي في الآثار الواردة عنهم في حق نبينا محمد ﷺ».

مواثيق أخرى ذكرها الله لبعض أفرادهم كالنقباء الذين أرسلهم موسى ليتجسسوا على العماليق وقد بعث النقباء من بني إسرائيل أمناء على الاطلاع على الجبارين والسبر لقوتهم ومنعتهم؛ فساروا ليختبروا حال من بها، ويعلموه بما اطلعوا عليه فيها حتى ينظر في الغزو إليهم؛ فأطلعوا من الجبارين على قوة عظيمة وظنوا أنهم لا قبل لهم بها؛ فتعاقدوا بينهم على أن يخفوا ذلك عن بني إسرائيل، وأن يعلموا به موسى عليه السلام، فلما انصرفوا إلى بني إسرائيل خان منهم عشرة فعرفوا قراباتهم، ومن وثقوه على سرهم؛ ففشا الخبر حتى اعوج أمر بني إسرائيل فقالوا: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤][1]. فلم يحافظوا على ما تواثقوا عليه.

ونقول أخيراً: إن اليهود قد وُعدوا وعداً حسناً مشروطاً لو أخذوا به لجاءهم موعود الله لهم وهو قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠].

ويستفاد من ذلك ما نبَّه اليه الرازي عند قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾ [المائدة] قال: «اعلم أن في اتصال هذه الآية بما قبلها وجوهاً:

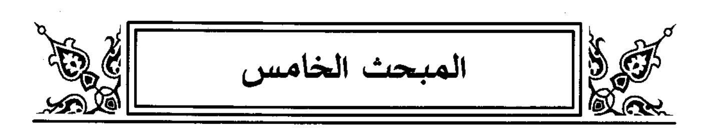
١ ـ **الأول**: أنه تعالى خاطب المؤمنين فيما تقدم فقال: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ﴾ [المائدة: ٧]، ثم ذكر الآن أنه أخذ الميثاق من بني إسرائيل لكنهم نقضوه وتركوا الوفاء به،

(١) كما في تفسير القرطبي (٦/ ١١٢) بتصرف يسير.

فلا تكونوا أيها المؤمنون مثل أولئك اليهود في هذا الخُلق الذميم لئلا تصيروا مثلهم فيما نزل بهم من اللعن والذلة والمسكنة.

٢ ـ **والثاني**: أنه لما ذكر قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ [المائدة: ١١]، وقد ذكرنا في بعض الروايات أن هذه الآية نزلت في اليهود وأنهم أرادوا إيقاع الشر برسول الله ﷺ، فلما ذكر الله تعالى ذلك أتبعه بذكر فضائحهم وبيان أنهم أبداً كانوا مواظبين على نقض العهود والمواثيق»[١].

(١) التفسير الكبير، الرازي (١١/ ١٤٥).



المبحث الخامس

الآثار الواردة في كذبهم وافترائهم

أولاً: الآثار

۞ قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

(٢٦١) ٥٧٥٠ ـ حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي: فيقول على الله الكذب، وهو يعلم؛ يعني: الذي يقول منهم إذا قيل له: ما لك لا تؤدي أمانتك؟ ليس علينا حرج في أموال العرب، قد أحلها الله لنا[١].

۞ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [البقرة].

(٢٦٢) ٦٩٠ ـ حدثنا به أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ قال: لا تخلطوا الصدق بالكذب[٢].

(٢٦٣) ٦٩١ ـ حدثني المثنى، قال: حدثنا آدم، قال: حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣١٩)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٨٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/٦٨٥).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٥٤)، تفسير الدر المنثور (١/ ١٥٥)، تفسير ابن كثير (١/ ٨٥).

يقول: لا تخلطوا الحق بالباطل، وأدوا النصيحة لعباد الله في أمر محمد عليه الصلاة والسلام[(١)].

(٢٦٤) ٦٩٢ - وحدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال مجاهد: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ اليهودية والنصرانية بالإسلام[(٢)].

(٢٦٥) ٦٩٤ - حدثنا به أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يقول: ولا تكتموا الحق وأنتم تعلمون[(٣)].

(٢٦٦) ٦٩٦ - حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، عن عيسى بن ميمون، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال: كتموا بعثة محمد ﷺ[(٤)].

۞ قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١].

(٢٦٧) ١٠٦٨ - حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن القوم بعد أن أحيا الله الميت فأخبرهم بقاتله، أنكرت قتلته قتله، فقالوا: والله ما قتلناه، بعد أن رأوا الآية والحق[(٥)].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٥٥)، تفسير ابن أبي حاتم (١/٩٨)، تفسير ابن كثير (١/ ٨٥)، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/ ٣٦٦)، وحسنه في التفسير الصحيح (١/ ١٤٧).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٥٥)، تفسير الدر المنثور (١/ ١٥٥)، تفسير القرطبي (١/ ٣٤٢)، تفسير ابن كثير (١/ ٨٥)، ورواه ابن أبي حاتم بسند صحيح عن قتادة. انظر: التفسير الصحيح (١/ ١٤٨).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٢٥٤)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٩٨)، تفسير الدر المنثور (١/ ١٥٥).

(٤) تفسير الطبري (١/ ٢٥٥)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٩٨)، تفسير الدر المنثور (١/ ١٥٥)، تفسير ابن كثير (١/ ٨٥)، وصححه في التفسير الصحيح (١/ ١٤٨).

(٥) تفسير الطبري (١/ ٣٥٦) إسناده ضعيف.

✿ قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

(٢٦٨) ١٠٩٧ ـ حدثني به محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ﴾ فالذين يحرفونه والذين يكتمونه: هم العلماء منهم(١).

(٢٦٩) ١٠٩٨ ـ حدثني موسى، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ قال: هي التوراة حرفوها(٢).

(٢٧٠) ١٠٩٩ ـ حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال: التوراة التي أنزلها عليهم يحرفونها، يجعلون الحلال فيها حراماً والحرام فيها حلالاً، والحق فيها باطلاً والباطل فيها حقاً، إذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب فهو فيه محق، وإن جاء أحد يسألهم شيئاً ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء أمروه بالحق، فقال لهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٤٤﴾ [البقرة](٣).

(٢٧١) ١١٠٠ ـ حديث عن عمار بن الحسن، قال: أخبرنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٦٧)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٤٩)، تفسير الدر المنثور (١/١٩٨)، تفسير ابن كثير (١/ ١١٦)، وصححه في التفسير الصحيح (١/ ١٧٨).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٦٧)، تفسير الدر المنثور (١/ ١٩٨).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٦٧)، تفسير ابن كثير (١/ ١١٦)، صححه في التفسير الصحيح (٢/ ٣٥٢).

﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فكانوا يسمعون من ذلك كما يسمع أهل النبوة، ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون[1].

(٢٧٢) ١١٠١ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق في قوله: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ الآية، قال: ليس قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ يسمعون التوراة، كلهم قد سمعها؛ ولكنهم الذين سألوا موسى رؤية ربهم، فأخذتهم الصاعقة فيها[2].

(٢٧٣) ١١٠٢ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: بلغني عن بعض أهل العلم أنهم قالوا لموسى: يا موسى قد حيل بيننا وبين رؤية الله ﷻ، فأسمعنا كلامه حين يكلمك! فطلب ذلك موسى إلى ربه، فقال: نعم، فمرهم فليتطهروا وليطهروا ثيابهم ويصوموا! ففعلوا، ثم خرج بهم حتى أتى الطور، فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى ﵇، فوقعوا سجوداً، وكلمه ربه فسمعوا كلامه يأمرهم وينهاهم، حتى عقلوا ما سمعوا، ثم انصرف بهم إلى بني إسرائيل، فلما جاؤوهم حرَّف فريق منهم ما أمرهم به، وقالوا حين قال موسى لبني إسرائيل: إن الله قد أمركم بكذا وكذا، قال ذلك الفريق الذي ذكرهم الله: إنما قال كذا وكذا خلافاً لما قال الله ﷻ لهم. فهم الذين عنى الله لرسوله محمد ﷺ[3].

۞ قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٧﴾ [البقرة].

(٢٧٤) ١١١٧ ـ حدثني المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٧﴾

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٦٧)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٤٨).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٦٧)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٤٨)، تفسير ابن كثير (١/ ١١٦) إسناده ضعيف. ورواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس بسند صحيح (١/ ١٧٨).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٦٧)، تفسير ابن كثير (١/ ١١٦) إسناده ضعيف.

يعني: ما أسروا من كفرهم بمحمد ﷺ وتكذيبهم به، وهم يجدونه مكتوباً عندهم. ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يعني: ما أعلنوا حين قالوا للمؤمنين آمنّا[(١)].

❁ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].

(٢٧٥) ١١٣٥ ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ إلا يكذبون[(٢)].

❁ قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

(٢٧٦) ١١٤٥ ـ حدثني موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ قال: كان ناس من اليهود كتبوا كتاباً من عندهم يبيعونه من العرب، ويحدثونهم أنه من عند الله ليأخذوا به ثمناً قليلاً[(٣)].

(٢٧٧) ١١٤٦ ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: الأميون قوم لم يصدقوا رسولاً أرسله الله، ولا كتاباً أنزله الله، فكتبوا كتاباً بأيديهم، ثم قالوا لقوم سفلة جهال: ﴿هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ قال: عرضاً من عرض الدنيا[(٤)].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٧٣)، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/ ٣٦٦)، وحسنه في التفسير الصحيح (١/ ١٧٩).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٧٧)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٥٢)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٠١)، تفسير ابن كثير (١/ ١١٨)، وصححه في التفسير الصحيح (١/ ١٨١).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٧٨)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٥٤)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٠٣)، تفسير ابن كثير (١/ ١١٨).
(٤) تفسير الطبري (١/ ٣٧٩).

(٢٧٨) ١١٤٧ ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ قال: هؤلاء الذين عرفوا أنه من عند الله يحرفونه[1].

(٢٧٩) ١١٤٨ ـ حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، عن قتادة: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ الآية، وهم اليهود[2].

(٢٨٠) ١١٤٩ ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قال: كان ناس من بني إسرائيل كتبوا كتاباً بأيديهم ليتآكلوا الناس، فقالوا: هذا من عند الله، وما هو من عند الله[3].

(٢٨١) ١١٥٠ ـ حدثني المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ قال: عمدوا إلى ما أنزل الله في كتابهم من نعت محمد ﷺ، فحرَّفوه عن مواضعه يبتغون بذلك عرضاً من عرض الدنيا، فقال: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[4].

❁ **قوله تعالى:** ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ **[البقرة: ٨٠]**.

(٢٨٢) ١١٦٦ ـ حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، عن

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٧٩)، وصححه في التفسير الصحيح (١/ ١٨٣).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٧٩)، تفسير ابن كثير (١/ ١١٨)، وصححه في التفسير الصحيح (١/ ١٨٢).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٧٨)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٠٣)، وصححه في التفسير الصحيح (١/ ١٨٢).
(٤) تفسير الطبري (١/ ٣٧٩)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٥٥)، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/ ٣٦٦).

عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ أي: موثقاً من الله بذلك أنه كما تقولون[(١)].

(٢٨٣) ١١٦٩ - حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط عن السدي، قال: لما قالت اليهود ما قالت، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾، وقال في مكان آخر: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤]، ثم أخبر الخبر فقال: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة][(٢)].

✿ قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

(٢٨٤) ١٢٣٧ - حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ اليهود من بني إسرائيل[(٣)].

✿ قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [البقرة].

(٢٨٥) ١٣٠٦ - حدثني محمد بن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد فيما يروي أبو جعفر، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس ﵄: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً﴾ الآية [البقرة: ٩٤]؛ أي: ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب، فأبوا ذلك على رسول الله ﷺ. يقول الله لنبيه محمد ﷺ:

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٨٣)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٥٧)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٠٨)، وصححه في التفسير الصحيح (١/ ١٨٤).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٨٤).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٤٠٥)، تفسير ابن كثير (١/ ١٢٦).

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾ أي: لعلمهم بما عندهم من العلم بك والكفر بذلك[1].

(٢٨٦) ١٣٠٧ ـ حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، قال: ثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يقول: يا محمد ولن يتمنوه أبداً لأنهم يعلمون أنهم كاذبون، ولو كانوا صادقين لتمنوه ورغبوا في التعجيل إلى كرامتي، فليس يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم[2].

(٢٨٧) ١٣٦٥ ـ حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ١٠١] يقول: نقض فريق ﴿مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١] أي: أن القوم كانوا يعلمون. ولكنهم أفسدوا علمهم وجحدوا وكفروا وكتموا[3].

۞ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠].

(٢٨٨) ١٧٥٩ ـ فحدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ قال: في قول يهود لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ومن ذكر معهما إنهم كانوا يهوداً أو نصارى. فيقول الله: لا تكتموا مني شهادة إن كانت عندكم فيهم. وقد علم أنهم كاذبون[4].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٢٦)، وحسنه في التفسير الصحيح (١/ ١٩٩).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٤٢٧).
(٣) تفسير الطبري (٢/ ١٨٤)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٨٤)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٣٢)، تفسير ابن كثير (١/ ١٣٥)، وحسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٠٤).
(٤) تفسير الطبري (١/ ٥٧٤)، تفسير الدر المنثور (١/ ٣٤١)، وصححه في التفسير الصحيح (١/ ٢٤٨).

(٢٨٩) ١٧٦٠ ـ حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدثني إسحاق، عن أبي الأشهب، عن الحسن أنه تلا هذه الآية: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قال الحسن: والله لقد كان عند القوم من الله شهادة أن أنبياءه برآء من اليهودية والنصرانية، كما أن عند القوم من الله شهادة أن أموالكم ودماءكم بينكم حرام، فبم استحلوها؟[1].

(٢٩٠) ١٧٦١ ـ حدثنا عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً﴾ أهل الكتاب، كتموا الإسلام وهم يعلمون أنه دين الله، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل: أنهم لم يكونوا يهوداً ولا نصارى، وكانت اليهودية والنصرانية بعد هؤلاء بزمان.

❁ **قوله تعالى: ﴿وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦].**

(٢٩١) ٧٦٧٦ ـ حدثت عن المنجاب، قال: ثنا بشر، قال: أبو روق، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ قال: تحريفاً بالكذب[2].

(٢٩٢) ١٠٦٥٥ ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠] قال: كذبوا[3].

(٢٩٣) ١٠٦٥٦ ـ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة،

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٥٧٤).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ١١٩)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٧)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٥٥٤) إسناده ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٢٩٧)، تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٦٠)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٣٣٤)، تفسير القرطبي (٧/ ٥٣)، تفسير ابن كثير (٢/ ١٦١).

قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠)﴾ كذبوا، سبحانه وتعالى عما يصفون وعما يكذبون! أما العرب فجعلوا له البنات ولهم ما يشتهون من الغلمان، وأما اليهود فجعلوا بينه وبين الجِنَّة نسباً، ولقد علمت الجِنَّة أنهم لمحضرون[١].

(٢٩٤) **٩٣٢٢** ـ حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ﴾ [المائدة: ٤١] كان بنو إسرائيل أنزل الله عليهم: إذا زنى منكم أحد فارجموه. فلم يزالوا بذلك حتى زنى رجل من خيارهم؛ فلما اجتمعت بنو إسرائيل يرجمونه، قام الخيار والأشراف فمنعوه. ثم زنى رجل من الضعفاء، فاجتمعوا ليرجموه، فاجتمعت الضعفاء فقالوا: لا ترجموه حتى تأتوا بصاحبكم فترجمونهما جميعاً! فقالت بنو إسرائيل: إن هذا الأمر قد اشتد علينا، فتعالوا فلنصلحه! فتركوا الرجم، وجعلوا مكانه أربعين جلدة بحبل مقير ويحممونه ويحملونه على حمار ووجهه إلى ذنبه، ويسودون وجهه، ويطوفون به. فكانوا يفعلون ذلك حتى بعث النبي ﷺ وقدم المدينة، فزنت امرأة من أشراف اليهود، يقال لها: بسرة، فبعث أبوها ناساً من أصحابه إلى النبي ﷺ، فقال: سلوه عن الزنا وما نزل إليه فيه؛ فإنا نخاف أن يفضحنا ويخبرنا بما صنعنا، فإن أعطاكم الجلد فخذوه وإن أمركم بالرجم فاحذروه. فأتوا رسول الله ﷺ فسألوه، فقال: «**الرجم**». فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ٤١] حين حرفوا الرجم فجعلوه جلداً[٢].

(٢٩٥) **٩٣٢٣** ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [المائدة: ٤١] قال:

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٢٩٧)، تفسير عبد الرزاق (٣/ ١٥٧)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٢٣٥)، تفسير القرطبي (٦/ ١٧٩)، حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٢٨١).

لقوم آخرين لم يأتوك من أهل الكتاب، هؤلاء سماعون لأولئك القوم الآخرين الذين لم يأتوه، يقولون لهم الكذب: محمد كاذب، وليس هذا في التوراة، فلا تؤمنوا به[(١)].

(٢٩٦) ٩٣٣٥ - حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢] قال: كان هذا في حكام اليهود بين أيديكم، كانوا يسمعون الكذب ويقبلون الرشا[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

(٢٩٧) ٩٠٤١ - حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة في قوله: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ قال: على خيانة وكذب وفجور[(٣)].

ثانياً: الدراسة

من صفات اليهود التي اشتهروا بها قول الكذب، وسماع الكذب ونقله، كما حكى الله عنهم في كتابه، فقد كذبوا على الله وعلى أنبيائه، وكذب بعضهم من علمائهم على بعض؛ فقد كذبوا على الله:

- باختلاقهم أن له ولد بغير علم، كما قال مجاهد رحمه الله، فهم قد تخرَّصوا لله كذباً، فافتعلوا له بنين وبنات بغير علم منهم بحقيقة ما يقولون، ولكن جهلاً بالله وبعظمته وأنه لا ينبغي لمن كان إلـٰهاً أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة، ولا أن يشركه في خلقه شريك.

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٢٣٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٣١)، صححه في التفسير الصحيح (٢/ ٣٥٢).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٢٣٩)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ١٥٦)، تفسير عبد الرزاق (١/ ١٨٦)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٤٢)، تفسير القرطبي (٦/ ١١٦)، صححه في التفسير الصحيح (١/ ١٦٤).

ـ وكذبوا على الله: بكتمان الحق والعلم، حتى وإن كان وحياً منزلاً من الله تعالى لهم، فإنهم لا يتورعون عن جحده وكتمانه ما دام لا يخدم أغراضهم وغاياتهم الفاسدة، قال الله تعالى عنهم يعاتبهم على ذلك: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ [آل عمران].

ـ وكذبوا على الله: بتحريف كلامه وشرعه والكذب على الله بما يتفق مع أهوائهم وأغراضهم الفاسدة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران].

ومعنى هذه الآيات الفاضحة لهم: وإن من أهل الكتاب، وهم اليهود الذين كانوا حوالي مدينة رسول الله ﷺ، على عهده من بني إسرائيل، يحرفون ﴿أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧٨] يعني: لتظنوا أن الذي يحرفونه بكلامهم من كتاب الله وتنزيله، يقول الله ﷻ: وما ذلك الذي لووا به ألسنتهم، فحرفوه وأحدثوه من كتاب الله، ويزعمون أن ما لووا به ألسنتهم من التحريف والكذب والباطل فألحقوه في كتاب الله من عند الله، يقول: مما أنزله الله على أنبيائه، وما هو من عند الله، يقول: وما ذلك الذي لووا به ألسنتهم، فأحدثوه مما أنزله الله إلى أحد من أنبيائه، ولكنه مما أحدثوه من قبل أنفسهم، افتراء على الله. يقول ﷻ: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥] يعني بذلك: أنهم يتعمدون قيل الكذب على الله، والشهادة عليه بالباطل، والإلحاق بكتاب الله ما ليس منه طلباً للرياسة والخسيس من حطام الدنيا(١).

ـ وكذبوا على الله حين زعموا أن الله عهد إليهم في كتبهم أن لا يؤمنوا لرسول حتى يكون من معجزاته أن من تصدق بصدقة من أمته فتقبلت منه أن تنزل نار من السماء تأكلها، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣٢٣).

نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ [آل عمران].

وهنا كذبتان كبيرتان:

١ ـ **الأولى**: كذبهم في نسبتهم ما طلبوه الى الله افتراءً عليه.

٢ ـ **الثانية**: أنهم كذبوا في ادعائهم تصديق النبي إذا أرسل، فقد جاءهم رسل حققوا لهم ما تمنوه ومع ذلك كذبوهم بل وقتلوهم، ثم جاءهم محمد ﷺ وكذبوه أيضاً.

«وإنما أعلم الله عباده بهذه الآية، أن الذين وصف صفتهم من اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، لن يعدوا أن يكونوا في كذبهم على الله، وافترائهم على ربهم، وتكذيبهم محمداً ﷺ وهم يعلمونه صادقاً محقاً، وجحودهم نبوته، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في عهد الله تعالى إليهم أنه رسوله إلى خلقه، مفروضة طاعته، إلا كمن مضى من أسلافهم الذين كانوا يقتلون أنبياء الله بعد قطع الله عذرهم بالحجج التي أيدهم الله بها، والأدلة التي أبان صدقهم بها، افتراء على الله، واستخفافاً بحقوقه».

وكذب من يعدون من صلاحهم الذين اختارهم موسى عليه السلام لميقات الله، فقالوا لقومهم غير ما سمعوه من الوصايا، ودأب علماؤهم على الكذب وتغيير أحكام الله بحسب الرشوة التي يأخذونها من المتحاكمين لهم، بل أنهم كذبوا على المسلمين بعدم آداء الأمانة اليهم بحجة أن الله قد سمح لهم بهذا، فقال تعالى عنهم: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [آل عمران].

وإن كان سياق الآية فيه أمر طبيعي قد ينسحب على كل الناس: فمنهم الأمين ومنهم دون ذلك، ولكن هنا تنبيه لرسول الله ﷺ وأمته، أن هؤلاء اليهود يرون عدم الوفاء للمسلمين أمراً من أمور دينهم التي أذن الله بها لهم كذباً على الله، «إنما أراد ﷻ بإخباره المؤمنين خبرهم على ما بينه في كتابه بهذه الآيات تحذيرهم أن يأتمنوهم على أموالهم، وتخويفهم الاغترار بهم،

لاستحلال كثير منهم أموال المؤمنين»[١].

وكان ﷺ يبين لأمته ما كانت اليهود تكذب به وتلبس على المسلمين، كما في حديث أبي سعيد الخدري قال: قيل للنبي ﷺ «إن اليهود تقول: إن العزل هو الموؤودة الصغرى». فقال رسول الله ﷺ: **«كذبت يهود، كذبت يهود، لو أراد الله خلقها لم يستطع عزلها»**[٢].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كانت يهود يقولون من أتى امرأته وهي مجبية من دُبرها في قُبُلها كان ولده أحول». فذكر ذلك لرسول الله فقال: **«كذبت يهود»**[٣].

وقد صرح ﷺ بأنهم يكذبون وهم على الله أكذب كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «إن يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة إليها شيئاً من المعروف إلا قالت لها اليهودية وقاك الله عذاب القبر، قالت: فدخل رسول الله ﷺ علي فقلت: يا رسول الله هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة. قال: **«لا وعم ذاك؟»**، قالت: هذه اليهودية لا نصنع إليها من المعروف شيئاً إلا قالت: وقاك الله عذاب القبر. قال: **«كذبت يهود وهم على الله ﷻ أكذب لا عذاب دون يوم القيامة»**، قالت: ثم مكث بعد ذاك ما شاء الله أن يمكث فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملاً بثوبه، محمرة عيناه، وهو ينادي بأعلى صوته: **«أيها الناس أظلتكم الفتن كقطع الليل المظلم، أيها الناس لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً وضحكتم قليلاً، أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر فإن عذاب القبر حق»**[٤].

بل إن كذبهم على رسول الله استمر بعد وفاته ﷺ، ولكن كان لهم

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣١٩).

(٢) رواه الإمام أحمد المسند (٢/ ٣٢٩)، وأبو داود (٢/ ٢٥٢)، وأبي يعلى (١٠/ ٤٠٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٨١) بألفاظ متقاربة.

(٣) رواه النسائي (٥/ ٣١٣، ٨٥).

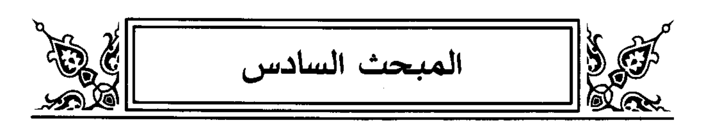
(٤) رواه أحمد (٦/ ٨١)، وقال ابن كثير: هذا إسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه، التفسير (٤/ ٨٠).

عمر ﷺ بالمرصاد، فعن ابن عمر ﷺ قال: «لما فدع أهل خيبر عبد الله بن عمر ﷺ قام عمر ﷺ خطيباً، فقال: إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أموالهم، وقال: «**نقرّكم ما أقرّكم الله**»، وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك فعدي عليه من الليل ففدعت يداه ورجلاه، وليس لنا هناك عدو غيرهم هم عدونا وتهمتنا وقد رأيت إجلاءهم».

فلما أجمع عمر ﷺ على ذلك أتاه أحد بني أبي الحقيق فقال: يا أمير المؤمنين أتخرجنا وقد أقرنا محمد ﷺ، وعاملنا على الأموال وشرط ذلك لنا؟ فقال عمر ﷺ: أظننت أني نسيت قول رسول الله ﷺ: «**كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة**». فقال: كانت هذه هُزيلة من أبي القاسم قال: «كذبت يا عدو الله». فأجلاهم عمر ﷺ(١).

وهكذا هم إلى اليوم أهل بهت وكذب لا ينبغي الثقة بهم طرفة عين.

(١) صحيح البخاري (٢/ ٩٧٣).



المبحث السادس

الآثار الواردة في حسدهم

أولاً: الآثـــار

✿ قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩)﴾ [البقرة].

(٢٩٨) ١٤٧٩ ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري في قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ هو كعب بن الأشرف(١).

(٢٩٩) ١٤٨١ ـ حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة قال: حدثني ابن إسحاق. وحدثنا أبو كريب قال: ثنا يونس بن بكير قال: ثنا محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسداً إذ خصهم الله برسوله ﷺ وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا فأنزل الله فيهما: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾ الآية(٢).

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٨٧)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٠٤)، تفسير الدر المنثور (١/٢٦١).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤٨٨)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٠٤)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٦٠) إسناده ضعيف.

(٣٠٠) ١٤٨٣ ـ حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد بن زريع قال: حدثنا سعيد عن قتادة: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ من بعد ما تبين لهم أن محمداً رسول الله ﷺ والإسلام دين الله[(١)].

(٣٠١) ١٤٨٤ ـ حدثني المثنى قال: ثنا إسحاق قال: ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبي العالية: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ يقول: تبين لهم أن محمداً رسول الله ﷺ يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل[(٢)].

(٣٠٢) حدثت عن عمار قال: ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله؛ وزاد فيه: فكفروا به حسداً وبغياً إذ كان من غيرهم[(٣)].

(٣٠٣) ١٤٨٦ ـ حدثنا أبو كريب قال: ثنا عثمان بن سعيد قال: ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ يقول الله تعالى ذكره: من بعد ما أضاء لهم الحق لم يجهلوا منه شيئاً ولكن الحسد حملهم على الجحد. فعيرهم الله ولامهم ووبخهم أشد الملامة.

۞ قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [آل عمران: ٧٣].

(٣٠٤) ٥٧٣١ ـ حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾: حسداً من يهود أن تكون النبوة في غيرهم وإرادة أن يتبعوا على دينهم.

(٣٠٥) ٥٧٣٣ ـ حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله:

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤١٢)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٥٦)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٥٦)، حسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/ ٣٦٦).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٢٥٦)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٥٦)، تفسير الدر المنثور (١/ ١٥٥) إسناده ضعيف.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ يقول: لما أنزل الله كتاباً مثل كتابكم وبعث نبياً مثل نبيكم حسدتموهم على ذلك؛ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[1].

✿ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [آل عمران].

(٣٠٦) **٥٩٤٥** ـ حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال: ثني الثقة عن زيد بن أسلم قال: مر شاس بن قيس وكان شيخاً قد عسا في الجاهلية عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من أصحاب رسول الله ـ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه ـ. فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتى شاباً من اليهود وكان معه فقال: اعمد إليهم فاجلس معهم وذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار. وكان يوم بعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج. ففعل فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحرث من الأوس وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم والله رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان وقالوا: قد فعلنا السلاح موعدكم الظاهرة ـ والظاهرة: الحرة ـ فخرجوا إليها وتحاور الناس فانضمت الأوس بعضها إلى بعض والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال: «**يا معشر المسلمين الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى**

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣١٥)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

الإسلام، وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً» فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً. ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس وما صنع، فأنزل الله في شاس بن قيس وما صنع: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ الآية [آل عمران]. . . وأنزل الله ﷻ في أوس بن قيظي وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا مما أدخل عليهم شاس بن قيس من أمر الجاهلية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥][(١)].

۞ قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٩].

(٣٠٧) ٢٦١٠٤ ـ حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ الآية قال: لما نزلت هذه الآية حسد أهل الكتاب المسلمين عليها فأنزل الله ﷻ: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾ الآية، قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «**إنما مثلنا ومثل أهل الكتابين قبلنا كمثل رجل استأجر أجراء يعملون إلى الليل على قيراط فلما انتصف النهار سئموا عمله وملوا فحاسبهم فأعطاهم على قدر ذلك، ثم استأجر أجراء إلى الليل على قيراطين يعملون له بقية عمله فقيل له: ما شأن هؤلاء أقلهم عملاً وأكثرهم أجراً؟ قال: مالي أعطي من شئت فأرجو أن نكون نحن أصحاب القيراطين**»[(٢)].

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢٢)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٢٧٨) إسناده ضعيف.
(٢) تفسير الطبري (٢٧/ ٢٤٦)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

۞ قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ [الحج].

(٣٠٨) ١٨٨٨٩ ـ حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قوله: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ قال: هم أهل الكتاب، قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله، وأقدم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم. وقال المؤمنون: نحن أحق بالله، آمنا بمحمد، وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب، فأنتم تعرفون كتابنا ونبينا، ثم تركتموه وكفرتم به حسداً. وكان ذلك خصومتهم في ربهم[1].

۞ قوله: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الناس].

(٣٠٩) ٢٩٦٧٦ ـ حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ قال: يهود لم يمنعهم أن يؤمنوا به إلا حسدهم[2].

ثانياً: الدراسة

ومن صفات اليهود التي ظهرت بجلاء بعد مبعثه ﷺ: صفة الحسد المقيت للنبي ﷺ إذ لم يكن منهم، كما كان حسدهم للمسلمين الذين هداهم الله ومنّ عليهم باتباع هذا النبي الكريم ﷺ، فقال الله تعالى عنهم: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة].

يقول الطبري: وفي هذه الآية دلالة بينة على أن الله تبارك وتعالى نهى المؤمنين عن الركون إلى أعدائهم من أهل الكتاب والمشركين، والاستماع من قولهم وقبول شيء مما يأتونهم به، على وجه النصيحة لهم منهم؛ بإطلاعه جل

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ١٣٢)، تفسير الدر المنثور (٦/ ٢٠) إسناده ضعيف.
(٢) تفسير الطبري (٣٠/ ٣٥٤)، صححه في التفسير (٢/ ٣٥٢).

ثناؤه إياهم على ما يستبطنه لهم أهل الكتاب والمشركون من الضغن والحسد وإن أظهروا بألسنتهم خلاف ما هم مستبطنون[١].

وأما قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة]، فقد ورد أنه في آحاد بعض اليهود بعينهم كما في الآثار السابقة، ولكن الإمام الطبري لا يراها خاصة في كعب أو غيره، بل هي عامة لمن ظهرت أمارات الحسد عليهم في مواطن كثيرة فقال: وليس لقول القائل عنى بقوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ كعب بن الأشرف معنى مفهوم؛ لأن كعب بن الأشرف واحد وقد أخبر الله جل ثناؤه أن كثيراً منهم يودون لو يردون المؤمنين كفاراً بعد إيمانهم. لأن الله جل ثناؤه قد وصفهم بصفة الجماعة فقال: ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾ فذلك دليل على أنه عنى الكثرة في العدد[٢]. ونبَّه تعالى أن حسدهم هذا لم يؤمروا به في كتابهم كما قال الربيع بن أنس: إنه من قبل أنفسهم. فعلى أي شيء يحسدون المسلمين؟

نقول: يحسدوننا على نبينا ﷺ، وعلى ديننا، وعلى يسر شريعتنا، وعلى كوننا آخر الأمم، والتي اختارها الله لتكون شاهدة على باقي الأمم، وعلى مضاعفة الله لأجرنا مع قلة عملنا، كما قال ﷺ: «**إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس، ومثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط فعملت اليهود، فقال: من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر فعملت النصارى، ثم أنتم تعملون من العصر إلى المغرب بقيراطين قيراطين قالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاء، قال: هل ظلمتكم من حقكم؟ قالوا: لا. قال: فذاك فضلي أوتيه من شئت**»[٣].

(١) تفسير الطبري (١/ ٥٢٠). (٢) تفسير الطبري (١/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥).
(٣) رواه البخاري من أبي موسى رضي الله عنه (٢/ ٧٩٢).

بل ويحسدوننا على ثلاث يغفل عن فضلها بعض المسلمين ويتمنَّاها اليهود كما بيَّنها الرسول ﷺ في حديث عائشة رضي الله عنها المشهور في قولهم: السام عليكم، وفيه: «دخل اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك يا محمد، فقال النبي ﷺ: **وعليك**، فقالت عائشة رضي الله عنها: فهممت أن أتكلم فعلمت كراهية النبي ﷺ لذلك فسكت، ثم دخل آخر فقال: السام عليك، فقال: **عليك**، فهممت أن أتكلم فعلمت كراهية النبي ﷺ لذلك، ثم دخل الثالث فقال: السام عليك، فلم أصبر حتى قلت: وعليك السام وغضب الله ولعنته إخوان القردة والخنازير، أتحيون رسول الله ﷺ بما لم يحيه الله! فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش قالوا قولاً فرددنا عليهم، إن اليهود قوم حسد وهم لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على السلام وعلى آمين**».

وفي رواية: «**لا حسدونا على شيء كما يحسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين**»[1].

وفي رواية: «**إن اليهود قوم سئموا دينهم وهم قوم حسد، ولم يحسدوا المسلمين على أفضل من ثلاث: رد السلام، وإقامة الصفوف، وقولهم خلف إمامهم في المكتوبة: آمين**»[2].

وفي آمين ورد أيضاً قوله ﷺ: «**ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على آمين فأكثروا من قول آمين**»[3].

وبعد أن نبَّه عليه الصلاة والسلام أمته ما بلغه حسد اليهود لهم ناسب أن يحذرهم من الحسد، وأنه سبب ضياع الدين فيمن قبلهم، وما أداه حسد

---

(١) رواه الإمام أحمد (٦/ ١٣٤ ـ ١٣٥)، وابن خزيمة في صحيحة (٥٧٤)، والبيهقي (٢/٥٦) بألفاظ متقاربة، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٩٩٧).

(٢) رواه الطبراني المعجم الأوسط (٥/ ١٤٧)، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١١٣): وإسناده حسن، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٩٤).

(٣) رواه ابن ماجه (١/ ٢٧٩) رقم (٨٥٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٦١٣).

اليهود وغيرهم، وأنه منقلب عليهم بسوء فقال ﷺ: «**دب إليكم داء الأمم قبلكم؛ الحسد والبغضاء والبغضاء هي الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم**»[١].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ـ أو قال: ـ العشب**»[٢].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سيصيب أمتي داء الأمم**، قالوا: يا نبي الله وما داء الأمم؟ قال: **الأشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي ثم الهرج**»[٣].

وسيأتي مزيد من العرض لبعض هذه الصفات وغيرها في الفصول القادمة بإذن الله.

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٦٦٤)، وأورده الالباني في صحيح الجامع رقم (٣٣٦١)، وفي إرواء الغليل برقم (٧٧٧) مع علة يسيرة.

(٢) سنن أبي داود (٤/ ٢٧٦) وهو في ضعيف الجامع للألباني رقم (٢١٩٧).

(٣) رواه الحاكم، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٦٥٨).






الباب الثاني

الآثار الواردة عن السلف في عقيدة اليهود في أصول الإيمان

وفيه خمسة فصول:

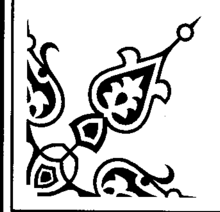
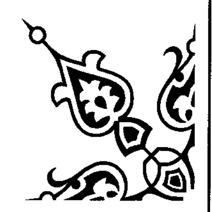
الفصل الأول: الآثار الواردة في موقفهم من الإيمان بالله.

الفصل الثاني: الآثار الواردة في موقفهم من الإيمان بالملائكة.

الفصل الثالث: الآثار الواردة في موقفهم من الإيمان بالكتب.

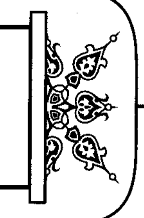
الفصل الرابع: الآثار الواردة في موقفهم من الإيمان بالأنبياء.

الفصل الخامس: الآثار الواردة في موقفهم من الإيمان باليوم الآخر والقدر.







الفصل الأول

الآثار الواردة في عقيدة اليهود في الإيمان بالله

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الواردة في إيمان بعضهم بالله.

المبحث الثاني: الآثار الواردة في وصفهم الله بالنقائص.

المبحث الثالث: الآثار الواردة في شركهم بالله.

المبحث الأول

الآثار الواردة في إيمان بعضهم بالله

أولاً: الآثـــار

❁ قوله تعالى: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨].

(٣١٠) ١٢٤٩ - حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد بن زريع قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ فلعمري لمن رجع من أهل الشرك أكثر ممن رجع من أهل الكتاب إنما آمن من أهل الكتاب رهط يسير[١].

(٣١١) ١٢٥٠ - حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ قال: لا يؤمن منهم إلا قليل[٢].

❁ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ [آل عمران].

(٣١٢) ٦٦٨٢ - حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج عن ابن جريج قال: نزلت - يعني: هذه الآية - في عبد الله بن سلام ومن معه[٣].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٠٨)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).
(٢) تفسير عبد الرزاق (١/ ٥١)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٧١)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢١٥)، صححه في التفسير الصحيح (١/ ١٦٤).
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٦)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٤١٦).

(٣١٣) ٦٦٨٤ ـ حدثني المثنى قال: ثنا أبو حذيفة قال: ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾ من اليهود والنصارى وهم مسلمة أهل الكتاب[(١)].

ثانياً: الدراسة

أرسل الله ـ تبارك وتعالى ـ رسله لدعوة الخلق، لإفراده بالعبادة، والإيمان به، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١٣٦)﴾ [النساء].

ومعلوم كثرة ما أرسل إلى اليهود من الأنبياء، ومع ذلك فقد كثر فيهم الكفر والشرك وقتل الأنبياء، ـ حتى اشتهروا به ـ وتكذيب الكتب والرسل، وقلة الإيمان باليوم الآخر، كل ذلك فصَّله الله ـ تبارك وتعالى ـ في كتابه الكريم.

ولأن الله يأمر بالعدل، فقد أنصف من آمن منهم واستثناه من الكفر، فلم يلعن إلّا الذين كفروا من بني إسرائيل كما قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨)﴾ [المائدة].

ويستثني القليل من المؤمنين منهم، فلا يدخلهم في عموم الذم، أو الوعيد، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ (٨٣)﴾ [البقرة].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٣/٨٤٦)، تفسير الدر المنثور (٢/٤١٦)، وصحح إسناده الحافظ في الفتح (١٣/ ٤٩٤).

وقد أجمل ذلك ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ۝١٥٩﴾ [الأعراف] فقال: «يقول تعالى مخبراً عن بني إسرائيل: إن منهم طائفة يتبعون الحق ويعدلون به كما قال تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝١١٣﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝١٩٩﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝٥٣﴾ الآية [القصص]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ﴾ [البقرة: ١٢١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝١٠٩﴾ [الإسراء]»[(١)].

وأخبر ـ تبارك وتعالى ـ أن علماءهم يعلمون أن القرآن منزل من عند الله كما قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝١١٤﴾ [الأنعام]، وقوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٩٤﴾ [يونس].

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فإن كنت يا محمد في شك من حقيقة ما أخبرناك وأُنزل إليك من أن بني إسرائيل لم يختلفوا في نبوتك قبل أن تبعث رسولاً إلى خلقه؛ لأنهم يجدونك عندهم مكتوباً ويعرفونك بالصفة التي أنت بها موصوف في كتابهم في التوراة والإنجيل؛ فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك من أهل التوراة والإنجيل كعبد الله بن

(١) تفسير ابن كثير (٣/٥٣٨ ـ ٥٣٩).

سلام ونحوه من أهل الصدق والإيمان بك منهم دون أهل الكذب والكفر بك منهم»[١].

واحتج القرآن بأهل الكتاب على المعاندين من مشركي مكة كما قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء].

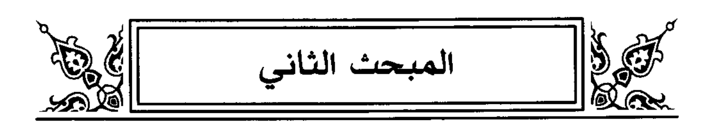
قال الطبري: «وإن تكفروا به، فإن الذين أوتوا العلم بالله وآياته من قبل نزوله من مؤمني أهل الكتابين، إذا يتلى عليهم هذا القرآن يخرُّون ـ تعظيماً له وتكريماً، وعلماً منهم بأنه من عند الله ـ لأذقانهم سجداً بالأرض»[٢].

هكذا يستثني الله ـ تبارك وتعالى ـ المؤمنين منهم ويشيد بالصالحين منهم وكثير منهم كافرون وهم من سنتعرض لهم عند بيان موقفهم من أركان الإيمان، فالحكم هنا على الأعم الأغلب ونستثني من استثناهم الله ـ تبارك وتعالى ـ في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة].

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ١٦٨).

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ١٨٠).



المبحث الثاني

الآثار الواردة في وصفهم الله بالنقائص

وفيه أربعة مطالب:

❖ المطلب الأول ❖

نسبة الولد الى الله

وفيه ثلاث مسائل:

❁ المسألة الأولى: قولهم: العُزير ابن الله

أولاً: الآثـــار

✿ قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة: ٣٠].

(٣١٤) ١٢٩١٣ ـ حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج عن ابن جريج قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ قال: قالها رجل واحد قالوا: إن اسمه فنحاص وقالوا: هو الذي قال: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران](١).

(٣١٥) ١٢٩١٤ ـ حدثنا أبو كريب قال: ثنا يونس بن بكير قال: ثنا محمد بن إسحاق قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: ثني

(١) تفسير الطبري (١٠/ ١١٠)، تفسير الدر المنثور عن ابن جريج (٤/ ١٧١).

سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتى رسول الله ﷺ سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشأس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله؟ فأنزل في ذلك من قولهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾... إلى: ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[1].

(٣١٦) ١٢٩١٥ ـ حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾، وإنما قالوا: هو ابن الله من أجل أن عزيراً كان في أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم يعملون بها ما شاء الله أن يعملوا ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق. وكان التابوت فيهم؛ فلما رأى الله أنهم قد أضاعوا التوراة وعملوا بالأهواء رفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم وأرسل الله عليهم مرضاً فاستطلقت بطونهم حتى جعل الرجل يمشي كبده حتى نسوا التوراة ونسخت من صدورهم وفيهم عزير. فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم، وكان عزير قبلُ من علمائهم، فدعا عزير الله وابتهل إليه أن يرد إليه الذي نسخ من صدره من التوراة. فبينما هو يصلي مبتهلاً إلى الله نزل نور من الله فدخل جوفه فعاد إليه الذي كان ذهب من جوفه من التوراة، فأذَّن في قومه فقال: يا قوم قد آتاني الله التوراة وردها إلي! فعلق يعلمهم فمكثوا ما شاء الله وهو يعلمهم. ثم إن التابوت نزل بعد ذلك وبعد ذهابه منهم؛ فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان عزير يعلمهم فوجدوه مثله فقالوا: والله ما أوتي عزير هذا إلا أنه ابن الله[2].

(٣١٧) ١٢٩١٦ ـ حدثني محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن المفضل قال: ثنا أسباط عن السدي: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ إنما قالت ذلك:

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ١١٠)، تفسير الدر المنثور (٤/ ١٧١).

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ١١٢)، تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٨١)، تفسير الدر المنثور (١٧١/٤) إسناده ضعيف.

لأنهم ظهرت عليهم العمالقة فقتلوهم وأخذوا التوراة وذهب علماؤهم الذين بقوا فدفنوا كتب التوراة في الجبال. وكان عزير غلاماً يتعبد في رؤوس الجبال لا ينزل إلا يوم عيد فجعل الغلام يبكي ويقول: رب تركت بني إسرائيل بغير عالم! فلم يزل يبكي حتى سقطت أشفار عينيه. فنزل مرة إلى العيد؛ فلما رجع إذا هو بامرأة قد مثلت له عند قبر من تلك القبور تبكي وتقول: يا مطعماه ويا كاسياه! فقال لها: ويحك من كان يطعمك ويكسوك ويسقيك وينفعك قبل هذا الرجل؟ قالت: الله. قال: فإن الله حي لم يمت. قالت: يا عزير فمن كان يعلم العلماء قبل بني إسرائيل؟ قال: الله. قالت: فلم تبكي عليهم؟ فلما عرف أنه قد خصم ولى مدبراً فدعته فقالت: يا عزير إذا أصبحت غداً فأت نهر كذا وكذا فاغتسل فيه ثم اخرج فصل ركعتين فإنه يأتيك شيخ فما أعطاك فخذه! فلما أصبح انطلق عزير إلى ذلك النهر فاغتسل فيه ثم خرج فصلى ركعتين فجاءه الشيخ فقال: افتح فمك! ففتح فمه فألقى فيه شيئاً كهيئة الجمرة العظيمة مجتمعاً كهيئة القوارير ثلاث مرار. فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة فقال: يا بني إسرائيل إني قد جئتكم بالتوراة. فقالوا: يا عزير ما كنت كذاباً. فعمد فربط على كل أصبع له قلماً وكتب بأصابعه كلها فكتب التوراة كلها. فلما رجع العلماء أخبروا بشأن عزير فاستخرج أولئك العلماء كتبهم التي كانوا دفنوها من التوراة في الجبال وكانت في خواب[1] مدفونة فعارضوها بتوراة عزير فوجدوها مثلها فقالوا: ما أعطاك الله هذا إلا أنك ابنه[2].

(٣١٨) ١٢٩١٧ ـ حدثني المثنى قال: ثنا أبو صالح قال: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ يقول: يشبهون[3].

(٣١٩) ١٢٩١٨ ـ حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة

---

(١) جمع خوبة، وهي الأرض التي لم تمطر بين أرضين ممطورتين. اللسان (١/ ٣٦٨).

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ١١١)، تفسير الدر المنثور (٤/ ١٧٢). حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٢٨١).

(٣) تفسير الطبري (١٠/ ١١٢)، تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٨٣).

قوله: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم(١).

(٣٢٠) ١٢٩١٩ - حدثني محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن المفضل قال: ثنا أسباط عن السدي: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ النصارى يضاهئون قول اليهود في عزير(٢).

(٣٢١) ١٢٩٢٠ - حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثنا حجاج عن ابن جريج: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ يقول: النصارى يضاهئون قول اليهود(٣).

(٣٢٢) ١٢٩٢١ - حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ﵄ قوله: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ يقول: قالوا مثل ما قال أهل الأوثان(٤).

❁ المسألة الثانية: قولهم: نحن ابناء الله

۞ قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨].

(٣٢٣) ٩٠٦٠ - حدثنا أبو كريب قال: ثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: ثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس ﵄ قال: أتى رسول الله ﷺ نعمان بن أضاء وبحري بن عمرو وشأس بن عدي فكلموه فكلمهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته فقالوا: ما تخوفنا يا محمد نحن والله أبناء الله وأحباؤه! كقول النصارى فأنزل الله ﷻ فيهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ١١٢)، تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٧١)، تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨٣/٦)، تفسير الدر المنثور (٤/ ١٧٣)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).
(٢) تفسير الطبري (١٠/ ١١٢)، تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٨٢)، حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٢٨١).
(٣) تفسير الطبري (١٠/ ١١٣)، تفسير الدر المنثور (٤/ ١٧٣).
(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٨٣)، تفسير الدر المنثور (١٧٣/٤) إسناده ضعيف.

﴿أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾[(١)].

(٣٢٤) ٩٠٦١ - حدثني محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن مفضل قال: ثنا أسباط عن السدي: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ أما أبناء الله فإنهم قالوا: إن الله أوحى إلى إسرائيل أن ولداً من ولدك أدخلهم النار فيكونون فيها أربعين يوماً حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادي مناد: أن أخرجوا كل مختون من ولد إسرائيل فأخرجهم. فذلك قوله: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [آل عمران: ٢٤]، وأما النصارى فإن فريقاً منهم قال للمسيح: ابن الله[(٢)].

(٣٢٥) ٩٠٦٢ - حدثنا محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن مفضل قال: ثنا أسباط عن السدي: قوله: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] يقول: يهدي منكم من يشاء في الدنيا فيغفر له ويميت من يشاء منكم على كفره فيعذبه[(٣)].

۞ قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة].

(٣٢٦) ١٢٩١٣ - حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج عن ابن جريج قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ قال: قالها رجل واحد قالوا: إن اسمه فنحاص وقالوا: هو الذي قال: ﴿إِنَّ

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ١٦٤)، تفسير القرطبي (٦/ ١٢٠)، تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ١٦٤)، تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦)، حسنه في التفسير الصحيح (٢٨١/٢).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ١٦٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٢٩)، تفسير الدر المنثور (٤٥/٣)، حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٢٨١).

ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١][(١)].

(٣٢٧) حدثنا أبو كريب قال: ثنا يونس بن بكير قال: ثنا محمد بن إسحاق قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: ثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتى رسول الله ﷺ سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشأس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله؟ فأنزل في ذلك من قولهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة][(٢)].

(٣٢٨) ١٢٩١٥ ـ حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ وإنما قالوا: هو ابن الله من أجل أن عزيراً كان في أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم يعملون بها ما شاء الله أن يعملوا ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق. وكان التابوت فيهم؛ فلما رأى الله أنهم قد أضاعوا التوراة وعملوا بالأهواء رفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم وأرسل الله عليهم مرضاً فاستطلقت بطونهم حتى جعل الرجل يمشي كبده حتى نسوا التوراة ونسخت من صدورهم وفيهم عزير. فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم وكان عزير قبل من علمائهم فدعا عزير الله وابتهل إليه أن يرد إليه الذي نسخ من صدره من التوراة. فبينما هو يصلي مبتهلاً إلى الله نزل نور من الله فدخل جوفه فعاد إليه الذي كان ذهب من جوفه من التوراة فأذن في قومه فقال: يا

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ١١٠)، تفسير الدر المنثور (٤/ ١٧١).
(٢) تفسير الطبري (١٠/ ١١٠)، تفسير الدر المنثور (٤/ ١٧١).

قوم قد آتاني الله التوراة وردها إلي! فعلق يعلمهم فمكثوا ما شاء الله وهو يعلمهم. ثم إن التابوت نزل بعد ذلك وبعد ذهابه منهم؛ فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان عزير يعلمهم فوجدوه مثله فقالوا: والله ما أوتي عزير هذا إلا أنه ابن الله[١].

(٣٢٩) ١٢٩١٦ ـ حدثني محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن المفضل قال: ثنا أسباط عن السدي: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ إنما قالت ذلك؛ لأنهم ظهرت عليهم العمالقة فقتلوهم وأخذوا التوراة وذهب علماؤهم الذين بقوا فدفنوا كتب التوراة في الجبال. وكان عزير غلاماً يتعبد في رؤوس الجبال لا ينزل إلا يوم عيد، فجعل الغلام يبكي ويقول: رب تركت بني إسرائيل بغير عالم! فلم يزل يبكي حتى سقطت أشفار عينيه. فنزل مرة إلى العيد؛ فلما رجع إذا هو بامرأة قد مثلت له عند قبر من تلك القبور تبكي وتقول: يا مطعماه ويا كاسياه! فقال لها: ويحك من كان يطعمك ويكسوك ويسقيك وينفعك قبل هذا الرجل؟ قالت: الله. قال: فإن الله حي لم يمت. قالت: يا عزير فمن كان يعلم العلماء قبل بني إسرائيل؟ قال: الله. قالت: فلم تبكي عليهم؟ فلما عرف أنه قد خصم ولى مدبراً فدعته فقالت: يا عزير إذا أصبحت غداً فأت نهر كذا وكذا فاغتسل فيه ثم أخرج فصل ركعتين فإنه يأتيك شيخ فما أعطاك فخذه! فلما أصبح انطلق عزير إلى ذلك النهر فاغتسل فيه ثم خرج فصلى ركعتين فجاءه الشيخ فقال: افتح فمك! ففتح فمه فألقى فيه شيئاً كهيئة الجمرة العظيمة مجتمعاً كهيئة القوارير ثلاث مرار. فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة فقال: يا بني إسرائيل إني قد جئتكم بالتوراة. فقالوا: يا عزير ما كنت كذاباً. فعمد فربط على كل أصبع له قلماً وكتب بأصابعه كلها فكتب التوراة كلها. فلما رجع العلماء أخبروا بشأن عزير فاستخرج أولئك العلماء كتبهم التي كانوا

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٨١)، تفسير الدر المنثور (٤/ ١٧١). إسناده ضعيف.

دفنوها من التوراة في الجبال وكانت في خواب مدفونة فعارضوها بتوراة عزير فوجدوها مثلها فقالوا: ما أعطاك الله هذا إلا أنك ابنه[١].

❁ المسألة الثالثة: نسبة الجن والملائكة إليه

۞ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الصافات].

(٣٣٠) ٢٢٧٦٥ ـ حدثنا عمرو بن يحيى بن عمران بن عفرة قال: ثنا عمرو بن سعيد الأشج عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الصافات] قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى تزوج إلى الجن فخرج منهما الملائكة قال: سبحانه سبح نفسه[٢].

ثانياً: الدراســـة

لما استولى بختنصر على بني اسرائيل قتل رجالهم وسبى ذراريهم وأحرق أسفار التوراة حتى لم يبق فيهم من يحفظ التوراة، وزعموا أن الله ألهم عزيراً عليه السلام حتى قرأه من صدره، ولم يكن أحد قرأه حفظاً لا قبله ولا بعده؛ ولهذا قالوا بأنه ابن الله وعبدوه كما في الآثار السابقة، فمدار الأمر على إخراج التوراة بعد اندراسها؛ فلذلك قالت بنو إسرائيل: لم يستطع موسى أن يأتينا بها إلا في كتاب وأتانا بها عزير من غير كتاب، فرماه طوائف منهم فقالوا هو ابن الله جل الله وعلا[٣].

والعزير من ذرية هارون عليه السلام[٤]، وفي سيرته روايات كثيرة يغلب عليها

---

(١) تفسير الدر المنثور (٤/ ١٧٢)، حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٢٨١).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٠٨)، تفسير القرطبي (١٥/ ١٣٤).

(٣) تاريخ مدينة دمشق (٤٠/ ٣٢٨).

(٤) قاله ابن عساكر في تاريخ دمشق وساق نسبه إليه (٤٠/ ٣١٧).

الوضع كما بيَّن ذلك ابن كثير[١]، وفيها من الإسرائيليات الشيء الكثير والمشهور أنه الذي مرّ على القرية كما في سورة البقرة عند أكثر المفسرين، وذكر الطبري أنه إرميا، وقيل غير ذلك في الذي مر على القرية، ثم قال: «ولا بيان عندنا من الوجه الذي يصح من قبله البيان على اسم قائل ذلك، وجائز أن يكون ذلك عزيراً وجائز أن يكون إرميا، ولا حاجة بنا إلى معرفة اسمه إذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك[٢]».

قال بعض أهل العلم أن الذي يقول ذلك بعض اليهود وليس كلهم بل الصدوقية من اليهود[٣] وباقي الطوائف تنكر هذا. قال ابن حجر: «ويمكن أن يجاب: بأن خصوص هذا الخطاب لمن كان متصفاً بذلك، ومن عداهم يكون جوابهم ذكر من كفروا به»[٤].

لكن الله ذكر ذلك عنهم باسمهم المعرف فنحن ننسبه إليهم كما نسبه الله إليهم، فليس كلهم قال: إن الله فقير، وليس كلهم عبد العجل وهكذا.

قال القرطبي: «قال النقاش: لم يبق يهودي يقولها بل انقرضوا، فإذا قالها واحد فيتوجه أن تلزم الجماعة شنعة المقالة، لأجل نباهة القائل فيهم. وأقوال النبهاء أبداً مشهورة في الناس يحتج بها. فمن ههنا صح أن تقول الجماعة قول نبيها»[٥].

وقد مر في الآثار أن القائل غير واحد، فقيل: فنحاص وقيل سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشأس بن قيس ومالك بن الصيف.

وقد رد الله عليهم قولهم الشنيع فقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠﴾ [التوبة].

---

(١) قصص الأنبياء (ص٦٣١) وما بعده. (٢) تفسير الطبري (٣/ ٢٩).

(٣) طائفة من اليهود نسبوا إلى رجل يقال له: صدوق وهم يقولون من بين سائر اليهود إن العزير ابن الله وكانوا بجهة اليمن. انظر: الفصل في الملل، لابن حزم (١/ ٨٢)، والجواب الصحيح لابن تيمية (٤/ ٤٧٦).

(٤) فتح الباري (١١/ ٤٤٩). (٥) تفسير القرطبي (٨/ ١١٧).

وقوله: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾: يشبهون من سبقهم من الذين كفروا، وللعلماء فيهم ثلاثة أقوال:

١ ـ **الأول:** قول عبدة الأوثان: اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى.

٢ ـ **الثاني:** قول الكفرة: الملائكة بنات الله.

٣ ـ **الثالث:** قول أسلافهم، فقلدوهم في الباطل واتبعوهم على الكفر، كما أخبر عنهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢][(١)].

❖ المطلب الثاني ❖

نسبة الفقر والبخل والتعب الى الله

وفيه ثلاث مسائل:

❁ المسألة الأولى: نسبة الفقر الى الله

أولاً: الآثـــار

✿ قـولـه تـعـالـى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران].

(٣٣١) ٦٦١٥ ـ حدثنا أبو كريب قال: ثنا يونس بن بكير قال: ثنا محمد بن إسحاق قال: ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه بيت المدراس فوجد من يهود ناساً كثيراً قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص كان من علمائهم وأحبارهم ومعه حبر يقال له: أشيع. فقال أبو بكر رضي الله عنه لفنحاص: ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم! فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل! قال

(١) تفسير القرطبي (٨/ ١١٨).

فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا وإنا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنياً ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان غنياً عنا ما أعطانا الربا. فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله، فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين! فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك! فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**وما حملك على ما صنعت؟**» فقال: يا رسول الله إن عدو الله قال قولاً عظيماً زعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه. فجحد ذلك فنحاص وقال: ما قلت ذلك. فأنزل الله تبارك وتعالى فيما قال فنحاص رداً عليه وتصديقاً لأبي بكر: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨١] وفي قول أبي بكر وما بلغه في ذلك من الغضب: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦][1].

❋ المسألة الثانية: نسبة البخل الى الله

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ **[المائدة: ٦٤]**.

(٣٣٢) **٩٥٥٠** ـ حدثني المثنى قال: ثنا عبد الله بن صالح قال: ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ قالا: ليس يعنون بذلك أن يد الله موثقة ولكنهم يقولون: إنه بخيل أمسك ما عنده. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً[2].

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ١٩٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/٨٢٩)، تفسير الدر المنثور (٢/٣٩٦).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٣٠٠)، تفسير الدر المنثور (٣/ ١١٣)، تفسير ابن كثير (٢/٧٦)، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (١٠/ ٤٤١).

(٣٣٣) ٩٥٥١ ـ حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ قال: لقد يجهدنا الله يا بني إسرائيل حتى جعل الله يده إلى نحره. وكذبوا(١).

(٣٣٤) ٩٥٥٢ ـ حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ قالوا: الله بخيل غير جواد، قال الله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾(٢).

(٣٣٥) ٩٥٥٣ ـ حدثنا محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن مفضل قال: ثنا أسباط عن السدي: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ قالوا: إن الله وضع يده على صدره فلا يبسطها حتى يرد علينا ملكنا(٣).

❁ المسألة الثالثة: نسبة التعب الى الله

۞ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق].

(٣٣٦) ٢٤٧٦٤ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي سنان، عن أبي بكر، قال: جاءت اليهود إلى النبي ﷺ، فقالوا: يا محمد أخبرنا ما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة؟ فقال: «**خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق المدائن والأقوات والأنهار وعمرانها وخرابها يوم الأربعاء، وخلق السمٰوات والملائكة يوم الخميس إلى ثلاث ساعات**، ـ يعني: من يوم الجمعة ـ **وخلق في أول الثلاث الساعات الآجال، وفي الثانية الآفة، وفي الثالثة آدم**»، قالوا: صدقت إن أتممت، فعرف النبي ﷺ ما يريدون، فغضب، فأنزل الله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾

(١) تفسير الطبري (٦/ ٣٠٠).
(٢) تفسير الطبري (٦/ ٣٠٠)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).
(٣) تفسير الطبري (٦/ ٣٠٠)، تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٦٨) حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٢٨١).

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [ق: ٣٨، ٣٩]»[(١)].

(٣٣٧) ٢٤٧٦٩ ـ حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الآية، أكذب الله اليهود والنصارى وأهل القرى على الله؛ وذلك أنهم قالوا: إن الله خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام ثم استراح يوم السابع وذلك عندهم يوم السبت، وهم يسمونه يوم الراحة[(٢)].

(٣٣٨) ٢٤٧٦٧ ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه؛ عن ابن عباس ﷺ: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ يقول: وما مسنا من نصب[(٣)].

ثانياً: الدراسة

وصف اليهود الله ـ تبارك وتعالى ـ بصفات تنم عن نفسية خبيثة، وافتروا عليه، وألحدوا في صفاته ـ جل وعلا ـ كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١].

فوصفوه بأنه فقير ومحتاج إليهم، ثم أمعنوا بالكفر ووصفوه بالبخل، ثم جرَّدوه من صفات الكمال ووصفوه بالتعب والإعياء.

ولشناعة مقولتهم، كان التصرف الفطري من أبي بكر الصديق ﷺ، هو التصرف الصحيح، مع الطاغوت فنحاص اليهودي.

ولما أنكر أنه قال ذلك ـ كعادتهم بالمراوغة ـ أكذبه الله بالوحي، فقال

---

(١) تفسير الطبري (٢٦/ ١٧٩)، تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢١٠)، تفسير الدر المنثور (٧/٣١٦)، المستدرك على الصحيحين (٢/ ٥٩٢)، تفسير ابن كثير (٤/ ٩٥)، إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٢٦/ ١٧٩)، تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٠)، فتح الباري (٦/ ٢٨٨)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٤٠)، تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٤)، تفسير الدر المنثور (٧/ ٣٠)، إسناده ضعيف.

تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران].

ومرة أخرى: ينسب ما يقوله بعضهم إليهم جميعاً، وقد مرّ معنا ذلك في أكثر من موضع، قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد ذكرت الآثار التي رويت، أن الذين عنوا بقوله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ بعض اليهود الذين كانوا على عهد نبينا محمد ﷺ، ولم يكن من أولئك أحد قتل نبياً من الأنبياء؛ لأنهم لم يدركوا نبياً من أنبياء الله فيقتلوه؟ قيل: إن معنى ذلك على غير الوجه الذي ذهبت إليه، وإنما قيل ذلك كذلك لأن الذين عنى الله تبارك وتعالى بهذه الآية كانوا راضين بما فعل أوائلهم من قتل من قتلوا من الأنبياء، وكانوا منهم، وعلى منهاجهم، من استحلال ذلك واستجازته. فأضاف جل ثناؤه فعل ما فعله من كانوا على منهاجه وطريقته إلى جميعهم، إذ كانوا أهل ملة واحدة، ونحلة واحدة، وبالرضا من جميعهم فعل ما فعل فاعل ذلك منهم على ما بينا من نظائره فيما مضى قبل»(١).

ما الذي جعلهم يقولون هذه المقولة الشنيعة؟

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: لما نزل قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] قالت اليهود: يا محمد أفتقر ربك فسأل عباده القرض، فأنزل الله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١](٢).

وقد توعدهم الله جزاء هذه الفرية، فقال: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

ونبين هنا الفرق بين فهم اليهود السقيم لطلب الله منهم الإنفاق في سبيله، وبين من فهم معنى الإقراض لله من أصحاب رسول الله ﷺ، فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: لما نزلت: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ١٩٦).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٤٣٤).

قال أبو الدحداح[(١)]: «يا رسول الله إن الله يريد منا القرض؟ قال: «**نعم يا أبا الدحداح**». قال: أرنا يدك، قال: فناوله يده، قال: «قد أقرضت ربي حائطي ـ وحائطه فيه ستمائة نخلة ـ فجاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه وعيالها فنادى: يا أم الدحداح، قالت: لبيك، قال: اخرجي فقد أقرضته ربي»[(٢)].

وفي رواية: أنها قالت: «**ربح بيعك يا أبا الدحداح**». ونقلت منه متاعها وصبيانها وإن رسول الله ﷺ قال: «**كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح**»، وفي لفظ: «**رُبَّ نخلة مدلاة عروقها در وياقوت لأبي الدحداح في الجنة**»[(٣)].

ثم زعموا ـ عليهم لعنة الله ـ أن يد الله مغلولة واصفين الله بالبخل!!

قال الطبري: «يعنون: أن خير الله ممسك، وعطاءه محبوس عن الاتساع عليهم، كما قال تعالى ذكره في تأديب نبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وإنما وصف تعالى ذكره اليد بذلك، والمعنى: العطاء؛ لأن عطاء الناس وبذل معروفهم الغالب بأيديهم. ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] يعني: بذلك أنهم قالوا: إن الله يبخل علينا ويمنعنا فضله فلا يفضل؛ كالمغلولة يده الذي لا يقدر أن يبسطها بعطاء ولا بذل معروف»[(٤)].

ولأن مرادهم من ذلك وصفه ـ تعالى ـ بالبخل كما قال ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا يعنون بذلك أن يد الله موثقة، ولكن يقولون بخيل؛ يعني: أمسك ما عنده بخلاً، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً[(٥)]، ردّ الله عليهم مقولتهم بوصفه

---

(١) قال ابن حجر: أبو الدحداح الأنصاري حليف لهم قال أبو عمر: لم أقف على اسمه ولا نسبه أكثر من أنه من الأنصار حليف لهم، وقال: عاش الى زمن معاوية، الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ١١٩).

(٢) قال الهيثمي: رواه أبو يعلى والطبراني ورجالهما ثقات ورجال أبي يعلى رجال الصحيح مجمع الزوائد (٩/ ٣٢٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٠٨).

(٤) تفسير الطبري (٦/ ٢٩٩).

(٥) تفسير ابن كثير (٢/ ٧٦).

نفسه بالإنفاق وأن يداه مبسوطتان بذلك قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وما قدروا الله حق قدره، قال ﷺ: «**إن يمين الله ملأى، لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض؟ فإنه لم ينقص ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الفيض أو القبض يرفع ويخفض**»(١).

وذهب السدي إلى أن مرادهم بذلك أن يده مغلولة حتى يرد علينا ملكنا كما رواه الطبري عنه.

وقال الحسن بن أبي الحسن: «قولهم ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ إنما يريدون عن عذابهم، فهي على هذا في معنى قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾»(٢).

لكن المشهور الذي وردت به النصوص ودل عليه سياق الآيات وصفهم الله بالبخل.

ثم ذكر الله زعماً آخر من مزاعمهم السيئة وقلة تقديرهم لعظمة الله فزعموا: أن الله خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام، ففرغ من الخلق يوم الجمعة، واستراح في اليوم السابع وهو يوم السبت، وهم يسمونه يوم الراحة(٣).

وإلى اليوم واليهود لا يعملون شيئاً من أعمالهم اليومية يوم السبت تأثراً بهذا الاعتقاد، ولهم في هذا تكلف عجيب حتى أنهم لا يستعملون المواصلات ولا يباشرون شيئاً مما يشغل ويستفاد منه إلا بواسطة على طريقة خداعهم يوم السبت.

---

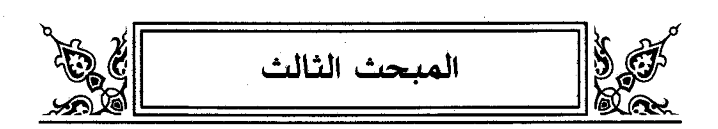
(١) رواه البخاري (٨/ ١٧٥).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـ الأندلسي (٢/ ٢١٥).

(٣) في سفر التكوين [فأكملت السموات والأرض وكل جندها وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح من جميع عمله لذي عمل وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله] ـ تكوين (٢/ ٣).

وقد أكذبهم الله بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف].

وبقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق].



المبحث الثالث

الآثار الواردة في شركهم بالله

أولاً: الآثـــار

✪ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن].

(٣٣٩) ٢٧٢٢٩ - حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه أن يوحِّد الله وحده[(١)].

❁ المسألة الأولى: عبادة العجل

✪ قوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف].

(٣٤٠) ١١٦٩٠ - حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ﴾ قال ابن جريج: على أصنام لهم قال: تماثيل بقر، فلما كان عجل السامري شبه لهم أنه من تلك البقر، فذلك كان أهل شأن العجل: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[(٢)].

---

(١) تفسير الدر المنثور (٨/ ٣٠٦)، تفسير القرطبي عن مجاهد (١٩/ ٢٢)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤٣٢)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٤٥)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٥٣٣)، تفسير القرطبي (٧/ ٢٧٣).

۞ **قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ **[البقرة].**

(٣٤١) **٧٨٦** ـ حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال: حدثنا إبراهيم بن بشار قال: حدثنا سفيان بن عيينة قال: قال أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال موسى عليه السلام لقومه: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ قال: أمر موسى عليه السلام قومه عن أمر ربه عز وجل أن يقتلوا أنفسهم قال: فاحتبى الذين عكفوا على العجل فجلسوا وقام الذين لم يعكفوا على العجل وأخذوا الخناجر بأيديهم وأصابتهم ظلمة شديدة فجعل يقتل بعضهم بعضاً. فانجلت الظلمة عنهم وقد أجلوا عن سبعين ألف قتيل كل من قتل منهم كانت له توبة وكل من بقي كانت له توبة[(١)].

(٣٤٢) **٧٨٨** ـ حدثني محمد بن عمرو الباهلي قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ قال: كان موسى أمر قومه ـ عن أمر ربه ـ أن يقتل بعضهم بعضاً بالخناجر فجعل الرجل يقتل أباه ويقتل ولده فتاب الله عليهم[(٢)].

(٣٤٣) **٧٨٩** ـ حدثني المثنى قال: حدثنا آدم قال: حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم﴾ الآية. قال: فصاروا صفين فجعل يقتل بعضهم بعضاً، فبلغ القتلى ما شاء الله، ثم قيل لهم: قد تيب على القاتل والمقتول[(٣)].

۞ **قوله تعالى:** ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾ **[طه].**

(٣٤٤) **١٨٣١٧** ـ حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٨٦)، تفسير الدر المنثور (١/ ١٦٨)، تفسير ابن كثير (١/ ٩٣).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٨٧)، تفسير ابن كثير (١/ ٩٣).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٢٨٧)، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/ ٣٦٦).

قال الله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ﴾ ذلك العجل الذي اتخذوه ﴿قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩][١].

(٣٤٥) ١٢٩٠ ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: ثنا معمر، عن قتادة: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣] قال: أشربوا حبه حتى خلص ذلك إلى قلوبهم[٢].

❁ المسألة الثانية: عبادة العُزير

✡ قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات].

(٣٤٦) ٢٢٤٦٩ ـ حدثنا محمد بن بشار قال: ثنا عبد الرحمٰن قال: ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال: ثنا أبو الزعراء قال: كنا عند عبد الله فذكر قصة ثم قال: يتمثل الله للخلق فيلقاهم فليس أحد من الخلق كان يعبد من دون الله شيئاً إلا وهو مرفوع له يتبعه قال: فيلقى اليهود فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد عزيراً، قال: فيقول: هل يسركم الماء؟ فيقولون: نعم فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب ثم قرأ: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الكهف] قال: ثم يلقى النصارى فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: المسيح، فيقول: هل يسركم الماء؟ فيقولون: نعم فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب، ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئاً ثم قرأ عبد الله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾[٣].

❁ المسألة الثالثة: عبادة (بعل) وهم قوم إلياس من بني إسرائيل

(٣٤٧) ٢٢٦٩٠ ـ حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن محمد بن إسحاق

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٢٠٢)، تفسير ابن كثير عن ابن عباس (٣/ ١٦٣)، تفسير القرطبي عن ابن عباس أيضاً (١١/ ٢٣٦)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤٢٢)، تفسير عبد الرزاق (١/ ٥٢)، تفسير ابن أبي حاتم (١/١٧٦)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢١٩)، تفسير ابن كثير (١/ ١٢٧)، صححه في التفسير الصحيح (١/ ١٦٤).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٨)، تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦٧)، تفسير الدر المنثور (٨/ ٢٦٠)، المستدرك على الصحيحين (٤/ ٥٤٢)، مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٥١١).

عن وهب بن منبه قال: إن الله قبض حزقيل وعظمت في بني إسرائيل الأحداث ونسوا ما كان من عهد الله إليهم حتى نصبوا الأوثان وعبدوها دون الله، فبعث الله إليهم إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران نبيّاً. وإنما كانت الأنبياء من بني إسرائيل بعد موسى يبعثون إليهم بتجديد ما نسوا من التوراة فكان إلياس مع ملك من ملوك بني إسرائيل يقال له: أخاب كان اسم امرأته: أربل وكان يسمع منه ويصدقه، وكان إلياس يقيم له أمره وكان سائر بني إسرائيل قد اتخذوا صنماً يعبدونه من دون الله يقال له: بعل[1].

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الصافات].

(٣٤٨) **٢٢٦٨٨** ـ حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الصافات] قال: بعل: صنم كانوا يعبدون، كانوا ببعلبك، وهم وراء دمشق، وكان بها البعل الذي كانوا يعبدون[2].

المسألة الرابعة: عبادة الأحبار والرهبان

قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة].

(٣٤٩) **١٢٩٢٤** ـ حدثنا ابن وكيع قال: ثنا أبي عن سلمة عن الضحاك: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾ قال: قراءهم وعلماءهم[3].

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٥٩٦)، تفسير الدر المنثور (١/ ٧٥٠)، إسناده ضعيف.
(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٩٢)، تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢٥)، تفسير الدر المنثور (١١٩/٧)، صححه في التفسير الصحيح (٢/ ٣٥٢).
(٣) تفسير الطبري (١٠/ ١١٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٨٤).

(٣٥٠) ١٢٩٢٦ ـ حدثنا محمد بن بشار قال: ثنا عبد الرحمٰن بن مهدي قال: ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري عن حذيفة أنه سئل عن قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ كانوا يعبدونهم؟ قال: لا كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرَّموا عليهم شيئاً حرَّموه[١].

(٣٥١) ١٢٩٢٧ ـ قال: ثنا جرير وابن فضيل عن عطاء عن أبي البختري: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال: انطلقوا إلى حلال الله فجعلوه حراماً، وانطلقوا إلى حرام الله فجعلوه حلالاً، فأطاعوهم في ذلك فجعل الله طاعتهم عبادتهم، ولو قالوا لهم اعبدونا لم يفعلوا[٢].

(٣٥٢) ١٢٩٢٨ ـ حدثنا ابن وكيع قال: ثنا ابن أبي عدي عن أشعث عن الحسن: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا﴾ قال: في الطاعة[٣].

(٣٥٣) ١٢٩٢٩ ـ حدثني محمد بن الحسين قال: ثنا أحمد بن المفضل قال: ثنا أسباط عن السدي: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: لم يأمروهم أن يسجدوا لهم ولكن أمروهم بمعصية الله فأطاعوهم فسمَّاهم الله بذلك أرباباً[٤].

(٣٥٤) ١٢٩٣٠ ـ حدثنا ابن وكيع قال: ثنا ابن نمير عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا﴾ قال: قلت لأبي العالية: كيف كانت الربوبية التي كانت في بني إسرائيل؟ قال قالوا: ما أمرونا به ائتمرنا وما نهونا عنه انتهينا! لقولهم: وهم يجدون في كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه، فاستنصحوا الرجال ونبذوا

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ١١٤)، تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٧٢)، تفسير الدر المنثور (١٧٤/٤)، تفسير القرطبي (٨/ ١٢٠).

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ١١٥)، تفسير الدر المنثور (٤/ ١٧٤)، تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨٤/٦).

(٣) تفسير القرطبي (٤/ ١٠٥).

(٤) تفسير الطبري (١٠/ ١١٥)، تفسير ابن كثير بمعناه (٢/ ٣٥٠) حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٢٨١).

كتاب الله وراء ظهورهم[١].

❁ المسألة الخامسة: التحاكم إلى الجبت والطاغوت

✿ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠].

(٣٥٥) ٧٨١٦ ـ حدثني محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن عامر في هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ قال: كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة، فكان المنافق يدعو إلى اليهود لأنه يعلم أنهم يقبلون الرشوة، وكان اليهودي يدعو إلى المسلمين لأنه يعلم أنهم لا يقبلون الرشوة، فاصطلحا أن يتحاكما إلى كاهن من جهينة، فأنزل الله فيه هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ...﴾ حتى بلغ: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥][٢].

(٣٥٦) ٧٨١٧ ـ حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر في هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ فذكر نحوه، وزاد فيه: فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني: المنافقين ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ يعني: اليهود ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ يقول: إلى الكاهن ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ أمر هذا في كتابه، وأمر هذا في كتابه أن يكفر بالكاهن[٣].

(٣٥٧) ٧٨١٨ ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: زعم حضرمي أن رجلاً من اليهود كان قد أسلم، فكانت بينه وبين رجل من اليهود مدارأة في حق، فقال اليهودي له: انطلق إلى

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ١١٥)، تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٨٤).
(٢) تفسير الطبري (٥/ ١٥٢).
(٣) تفسير الطبري (٥/ ١٥٣).

نبي الله! فعرف أنه سيقضي عليه. قال: فأبى، فانطلقا إلى رجل من الكهان، فتحاكما إليه. قال الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾(١).

(٣٥٨) ٧٨٢٠ ـ حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ قال: كان ناس من اليهود قد أسلموا ونافق بعضهم، وكانت قريظة والنضير في الجاهلية إذا قتل الرجل من بني النضير قتلته بنو قريظة قتلوا به منهم، فإذا قتل الرجل من بني قريظة قتلته النضير، أعطوا ديته ستين وسقاً من تمر. فلما أسلم ناس من بني قريظة والنضير، قتل رجل من بني النضير رجلاً من بني قريظة، فتحاكموا إلى النبي ﷺ، فقال النضيري: يا رسول الله إنا كنا نعطيهم في الجاهلية الدية، فنحن نعطيهم اليوم ذلك. فقالت قريظة: لا، ولكنا إخوانكم في النسب والدين، ودماؤنا مثل دمائكم، ولكنكم كنتم تغلبوننا في الجاهلية، فقد جاء الله بالإسلام فأنزل الله يعيرهم بما فعلوا. فقال: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥] فعيرهم، ثم ذكر قول النضيري: كنا نعطيهم في الجاهلية ستين وسقاً ونقتل منهم ولا يقتلون، فقال: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]. وأخذ النضيري فقتله بصاحبه. فتفاخرت النضير وقريظة، فقالت النضير: نحن أكرم منكم، وقالت قريظة: نحن أكرم منكم، ودخلوا المدينة إلى أبي برزة الكاهن الأسلمي، فقال المنافق من قريظة والنضير: انطلقوا إلى أبي برزة ينفر بيننا! وقال المسلمون من قريظة والنضير: لا، بل النبي ﷺ ينفر بيننا، فتعالوا إليه! فأبى المنافقون، وانطلقوا إلى أبي برزة فسألوه، فقال: أعظموا اللقمة! يقول: أعظموا الخطر. فقالوا: لك عشرة أوساق، قال: لا، بل مائة وسق ديتي، فإني أخاف أن أنفر النضير فتقتلني

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ١٥٣)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٥٨٠).

قريظة، أو أنفر قريظة فتقتلني النضير فأبوا أن يعطوه فوق عشرة أوساق، وأبى أن يحكم بينهم، فأنزل الله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ وهو أبو برزة، وقد أمروا أن يكفروا به، إلى قوله: ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥][(١)].

(٣٥٩) ٨٨٢٤ ـ حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ قال: تنازع رجل من المؤمنين ورجل من اليهود، فقال اليهودي: اذهب بنا إلى كعب بن الأشرف، وقال المؤمن: اذهب بنا إلى النبي ﷺ، فقال الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ...﴾ إلى قوله: ﴿صُدُودًا﴾ [النساء: ٦٠ ـ ٦١] قال ابن جريج: يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك، قال: القرآن، وما أنزل من قبلك، قال: التوراة. قال: يكون بين المسلم والمنافق الحق، فيدعوه المسلم إلى النبي ﷺ ليحاكمه إليه، فيأبى المنافق ويدعوه إلى الطاغوت. قال ابن جريج: قال مجاهد: الطاغوت: كعب بن الأشرف[(٢)].

ثانياً: الدراســـة

توحيد الله وإفراده بالعبادة هو ما بعث الله به موسى وبقية أنبياء بني إسرائيل إلى آخرهم عيسى عليه السلام.

وقد بدأ بهم الكفر بالله والشرك به في أول عهدهم بمجاوزة البحر ونجاتهم من فرعون من الغرق كما قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف].

فكان أول استعدادهم للشرك تمثال بقرة شاهدوه فطلبوا من موسى عليه السلام

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ١٥٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٩١)، تفسير الدر المنثور (٢/٥٨١)، حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٢٨١).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ١٥٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٩١)، تفسير الدر المنثور (٢/٥٨٢)، تفسير القرطبي (٥/ ٢٦٣)، صححه في التفسير الصحيح (٣/ ١٢٢).

أن يجعل لهم مثله ولما أنكر عليهم وبيَّن لهم خطر ما يطلبون لم تلبث قلوبهم المشربة بالشرك أن يتحينوا أول فرصة فكان ذلك يوم ذهب موسى ﷺ لموعده مع ربه فكانت المناسبة لهذه القلوب المريضة كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾ [البقرة]، ولشناعة فعلهم هذا وتأثيره في من جاء بعدهم فقد ذكره الله في نحو سبعة مواضع من القرآن لعظم ما اقترفوه في: سورة البقرة أربع مرات، وفي النساء والأعراف وطه[1].

وسبب عبادتهم للعجل ذكره الله بقوله: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه].

ذهب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه فعمد رجل منهم يقال له:

---

(١) أورد الطبري نحواً من خمسين أثراً في العجل والسامري اختصرت الكلام عليها مع إبعاد الإسرائيليات التي نبه عليها العلماء كابن كثير وغيره.

(السامري)[١] فأخذ ما كان استعاره من الحلي فصاغ منه عجلاً وألقى فيه قبضة من التراب كان أخذها من أثر فرس جبريل عليه السلام حين رآه يوم أغرق الله فرعون على يديه، فلما ألقاها فيه خار كما يخور العجل الحقيقي، فراحوا يرقصون حوله ويفرحون، وقالوا: هذا إلـٰهكم وإلـٰه موسى فنسي؛ أي: فنسي موسى ربه عندنا وذهب يتطلبه وهو ههنا.

قال الله تعالى ـ مبيناً بطلان ما ذهبوا إليه وما عوّلوا عليه من إلـٰهية هذا الذي قصاراه أن يكون حيواناً بهيماً وشيطاناً رجيماً ـ: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ [طه]، وقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، فذكر أن هذا الحيوان لا يتكلم، ولا يرد جواباً، ولا يملك ضراً، ولا نفعاً، ولا يهدي إلى رشد، اتخذوه وهم ظالمون لأنفسهم وعالمون في أنفسهم بطلان ما هم عليه من الجهل والضلال، ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٤٩] أي: ندموا على ما صنعوا ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٩]، ولما رجع موسى عليه السلام إليهم، ورأى ما هم عليه من عبادة العجل، ومعه الألواح المتضمنة التوراة ألقاها مع عظمتها، ولكن الأمر جلل، كما قال ﷺ: **«ليس الخبر كالمعاينة إن الله خبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح»**[٢].

ثم أقبل عليهم فعنفهم، ووبخهم، في صنيعهم هذا القبيح فاعتذروا إليه بما ليس بصحيح وقالوا: حملنا أوزاراً من زينة القوم التي خرجنا بها معنا من مصر، فهم تحرجوا من تملك حلي آل فرعون وهم أعدائهم، ولم يتحرجوا بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم من عبادة العجل الجسد الذي له خوار، ثم أقبل

---

(١) وردت آثار في تعريف السامري ـ اسمه، وأصله، وحبه عبادة البقر. . . وغير ذلك. كله من الإسرائيليات لما فيها من المبالغات وعدم دقة المصدر اللَّهُمَّ إلا كتب أهل الكتاب.

(٢) قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، المستدرك على الصحيحين (٢/٣٥١).

على أخيه هارون عليه السلام: هلا لما رأيت ما صنعوا اتبعتني فأعلمتني بما فعلوا! فقال: خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل فتركتهم وجئتني وأنت قد استخلفتني فيهم، وقد كان هارون عليه السلام نهاهم عن هذا بقوله: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ﴾ [طه: ٩٠] أي: إنما قدر الله أمر هذا العجل، وجعله يخور فتنة واختباراً لكم وأن ربكم الله، قالوا: لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى.

وقد شهد الله لهارون عليه السلام أنه نهاهم وزجرهم عن ذلك فلم يطيعوه ولم يتبعوه؛ لأن اليهود يزعمون: أنّ هارون عليه السلام هو السّامريّ الذي صنع العجل لبني إسرائيل، وأمرهم بعبادته، وهذا ليس غريباً عنهم في كذبهم على الأنبياء[١].

ثم أقبل موسى على السامري الذي قال: رأيت جبرائيل وهو راكب فرساً فقبضت قبضة من أثر فرس جبريل، ولما ألقاه في هذا العجل المصنوع من الذهب كان من أمره ما كان، ولهذا قال: فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي، قال له موسى: فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس، وهذا دعاء عليه بأن لا يمس أحداً معاقبة له على مسه ما لم يكن له مسه، هذا معاقبة له في الدنيا ثم توعده في الأخرى فقال: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدًا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا﴾ [طه: ٩٧] فعمد موسى عليه السلام إلى هذا العجل، فحرقه بالنار، وقيل: بالمبارد، ثم ذراه في البحر[٢].

ومحبتهم للعجل وصفها الله بوصف معجز بقوله: أشربوا، وهذا يعني: جعلت قلوبهم تشربه، وهذا تشبيه عن تمكن أمر العجل في قلوبهم. حتى غلب عليه وخالط قلبه[٣].

---

(١) كما ورد في سفر الخروج، الإصحاح (٣٢). انظر: الفصل في الملل (١/ ١٤٠)، اليهودية لأحمد شلبي (١٨٢).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٢٨٦ ـ ٢٨٨) بتصرف. انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٦١)، واليهودية لأحمد شلبي ١٨٠ وما بعدها.

(٣) تفسير القرطبي (٢/ ٣١).

قال البغوي: «أدخل في قلوبهم حب العجل وخالطها كإشراب اللون لشدة الملازمة، يقال: فلان أشرب اللون إذا اختلط بياضه بالحمرة»[١].

وتوعد الله الذين لم يتوبوا من عبادة العجل بالغضب والذلة بالدنيا، والنار بالآخرة.

ووردت آثار كثيرة في كيفية تنفيذهم للتوبة وكانت: قتلهم أنفسهم لكي يتوب الله عليهم، ولم يبين ﷻ كيفية ذلك القتل، بل اكتفى بقوله: ﴿فَاقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]. كما لم ينقل عن النبي ﷺ ما يفصل ذلك. ولكن ورد بعض التفصيلات لكيفية ذلك القتل في بعض الآثار، وذكر عدد القتلى من جراء القتل وغالب هذه التفصيلات منقولة عن كتب بني إسرائيل.

وفي سياق ما حصل من اليهود السابقين: خاطب الله اليهود في كل زمان «عن فعل آبائهم وأسلافهم وتكذيبهم رسلهم وخلافهم أنبياءهم، مع تتابع نعمه عليهم وسبوغ آلائه لديهم، معرِّفهم بذلك أنهم من خلافهم محمداً ﷺ وتكذيبهم به وجحودهم لرسالته، مع علمهم بصدقه على مثل منهاج آبائه وأسلافهم، ومحذرهم من نزول سطوته بهم بمقامهم على ذلك من تكذيبهم ما نزل بأوائلهم المكذبين بالرسل من المسخ واللعن وأنواع النقمات»[٢].

وأما عن عبادتهم للعزير، فهو ما سيبعث عليه فئام منهم، ففي الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أن أناساً في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟» قال النبي ﷺ: «**نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوء ليس فيها سحاب**»؟ قالوا: لا. قال: «**وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس فيها سحاب**»؟ قالوا: لا. قال النبي ﷺ: «**ما تضارون في رؤية الله ﷻ يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما. إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن تتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله بر أو فاجر وغبرات أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟**

(١) تفسير البغوي (١/ ٩٥).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٨١).

قالوا: كنا نعبد عزيراً ابن الله فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون؟ فقالوا: عطشنا ربنا فاسقنا فيشار ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار. ثم يدعى النصارى فيقال لهم: من كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فكذلك مثل الأول حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر أو فاجر أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها فيقال: ماذا تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: فارقنا الناس في الدنيا على أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً»[1].

وأما عبادتهم (لبعل) فإن إلياس عليه السلام دعى قومه من بني إسرائيل إلى إفراد الله بالعبادة، وأنكر عليهم عبادتهم لغيره فقال: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الصافات].

١ ـ وبعل هنا: هو الرب في لغة أهل اليمن، تقول: مَن بعل هذا الثور؟ أي: من ربه؟

٢ ـ وقيل: هو صنم كان لهم يسمى بعلاً.

٣ ـ وقيل: امرأة كانوا يعبدونها.

قال السّيوطيّ: «وكلّ ما في القرآن من ذكر البعل فهو الزّوج إلّا ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ فهو الصّنم»[2].

وقد وردت آثار طويلة في قصة إلياس مع قومه حاصلها، أنهم كذبوه وعبدوا بعلاً، وورد في بعض الآثار، أنهم هم أهل بعلبك[3]، ومن هنا جاءت التسمية.

---

(١) رواه البخاري (٤/ ١٦٧٢).
(٢) الإتقان (١/ ٤١٧).
(٣) مدينة بالشّام وهي من مدن لبنان الآن، وهي قديمة البناء، فتحت بصلح في زمن عمر رضي الله عنه سنة (١٤هـ)، وكان لأهلها صنمٌ يدعى (بعْلاً) فسمِّيت به لعبادة أهلها له، واسم الموضع (بَك). معجم البلدان (١/ ٤٥٣)، بتصرف يسير.

ومع دعوته لهم، إلا أنهم كذبوه، قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الصافات] أي: للعذاب يوم الحساب ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ أي: الموحدين منهم(١).

وأما عبادتهم للأحبارهم والرهبان، فهي كما قال ﷺ: «**بطاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام**». وكما قال الحسن: ﴿أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٦٤] في الطاعة.

والأحبار: جمع حبر، وهو الذي يحسن القول وينظمه ويتقنه بحسن البيان عنه. ومنه ثوب محبَّر؛ أي: جمع الزينة.

والرهبان جمع راهب مأخوذ من الرهبة، وهو الذي حمله خوف الله تعالى على أن يخلص له النية دون الناس، ويجعل زمانه له وعمله معه وأنسه به(٢).

وقال الضحاك: الأحبار: قراؤهم، ورهبانهم: علماؤهم(٣).

وقصة قدوم عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه، برواياتها المتعددة تجلي كيف فسَّر ﷺ عبادتهم لهم، وكيف صاروا لهم أرباباً، قال رضي الله عنه: «أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب»، فقال: «**يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك**». قال: فطرحته وانتهيت إليه وهو يقرأ في سورة براءة، فقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، قال: قلت: يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم! فقال: «**أليس يحرِّمون ما أحل الله فتحرِّمونه، ويحلُّون ما حرَّم الله فتحلُّونه؟**»، قال: قلت: بلى. قال: «**فتلك عبادتهم**»(٤).

وكما قال حذيفة رضي الله عنه: «كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرَّموا عليهم شيئاً حرَّموه».

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢١)، وسيأتي مزيداً من التفصيل عند الكلام عن أنبيائهم بإذن الله.
(٢) تفسير القرطبي (٨/ ١١٩)، لسان العرب ابن منظور (٤/ ١٥٨).
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٨٤).
(٤) رواه أحمد (٤/ ٣٧٨)، والترمذي (٢٩٥٣).

وقال أيضاً رضي الله عنه: «أما إنهم لم يكونوا يصومون لهم، ولا يصلون لهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً أحله الله لهم حرموه، فتلك كانت ربوبيتهم»، وقال: «لم يعبدوهم، ولكنهم أطاعوهم في المعاصي».

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «لم يأمروهم أن يسجدوا لهم، ولكن أمروهم بمعصية الله، فأطاعوهم، فسمَّاهم الله بذلك أرباباً».

وقال أبو البختري رحمه الله[١]: «انطلقوا إلى حلال الله فجعلوه حراماً، وانطلقوا إلى حرام الله فجعلوه حلالاً، فأطاعوهم في ذلك، فجعل الله طاعتهم عبادتهم، ولو قالوا لهم اعبدونا لم يفعلوا».

وسئل أبو العالية رحمه الله: «كيف كانت الربوبية التي كانت في بني إسرائيل؟ قال: قالوا: ما أمرونا به ائتمرنا، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم: وهم يجدون في كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه، فاستنصحوا الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم»[٢].

وهم إلى اليوم يطيعون علماءهم، حتى في نبذهم التوراة وما أمروا فيها، والاستعاضة عنها بالتلمود الذي عملتها أيديهم الآثمة.

ويتبع ما سبق تحاكمهم إلى طواغيت الأرض، وترك حكم الله، وهذا من الشرك الأكبر الذي أمروا أن يجتنبوه، وذلك يوم أن شاورت قريش بعض أحبارهم في المفاضلة بينهم وبين ما جاء به النبي ﷺ ففضلوا الكهنة والشياطين ممثلة بحيي بن أخطب وكعب بن الأشرف وكل طاغوت: على ما جاء به رسول الله ﷺ، ثم قالوا: إنكم أهدى من محمد سبيلاً، بل توَّجوا ذلك بسجودهم للأصنام كما في الأثر: «أن كعب بن الأشرف انطلق إلى

---

(١) سعيد بن فيروز أبو البختري ـ بفتح الموحدة والمثناة بينهما معجمة ـ بن أبي عمران الطائي مولاهم الكوفي، ثقة ثبت فيه تشيع قليل كثير الإرسال من الثالثة، مات سنة ثلاث وثمانين، تقريب التهذيب (١/ ٢٤٠).

(٢) انظر للروايات المتعددة في: تفسير الطبري (١٠/ ١١٥).

المشركين من كفار قريش، فاستجاشهم على النبي ﷺ، وأمرهم أن يغزوه، وقال: إنا معكم نقاتله، فقالوا: إنكم أهل كتاب، وهو صاحب كتاب، ولا نأمن أن يكون هذا مكراً منكم، فإن أردت أن نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما! ففعل، ولأن هذا منطبق عليهم كجنس.

قال الطبري رحمه الله بعد أن ساق أسباب النزول للآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [النساء: ٥١]... إلى قوله: ﴿وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٢].

«وأولى الأقوال بالصحة في ذلك قول من قال: إن ذلك خبر من الله جل ثناؤه عن جماعة من أهل الكتاب من اليهود، وجائز أن يكون كانت الجماعة الذين سماهم ابن عباس رضي الله عنهما في الخبر الذي رواه محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعد أو يكون حيياً وآخر معه، إما كعباً وإما غيره»(١).

ففضل علماء وكبار اليهود حكم الطاغوت وشرك الجاهليين على الإيمان والتوحيد الذي بعث الله به محمداً ﷺ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء].

ومعنى الآية: إن الله وصف الذين أوتوا نصيباً من الكتاب من اليهود بتعظيمهم غير الله بالعبادة والإذعان له بالطاعة في الكفر بالله ورسوله ومعصيتهما، وأنهم قالوا: إن أهل الكفر بالله أولى بالحق من أهل الإيمان به، وإن دين أهل التكذيب لله ولرسوله أعدل وأصوب من دين أهل التصديق لله ولرسوله، وذكر أن ذلك من صفة كعب بن الأشرف، وأنه قائل ذلك(٢).

ويمكن الجمع بينها كما قال الطبري: يصدقون بمعبودَين من دون الله يعبدونهما من دون الله، ويتخذونهما إلٰهين؛ وذلك أن الجبت والطاغوت اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله، أو طاعة أو خضوع له، كائناً ما كان ذلك المعظم من حجر أو إنسان أو شيطان.

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ١٣٨).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ١٣٣).

وإذ كان ذلك كذلك وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدها كانت معظمة بالعبادة من دون الله فقد كانت جبوتاً وطواغيت، وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولاً منهما ما قالا في أهل الشرك بالله، وكذلك حيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف؛ لأنهما كانا مطاعين في أهل ملتهما من اليهود في معصية الله والكفر به وبرسوله، فكانا جبتين وطاغوتين(١).

هذا ما وصف الله به اليهود، ولم يفرق بين أولهم وآخرهم ومن عاصروا الرسول ﷺ ومن سبقه، وأن سلسلة الكفر والشك والشرك ماضية بينهم على قدر كبير فوصفهم وصف عام، ولو بان أن سبب النزول في مقولة الشرك أو عبادة غير الله على أي وجه فهي تنسب للجميع.

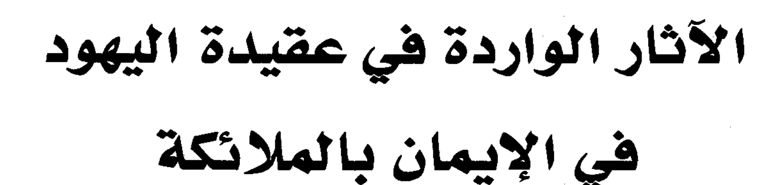
---

(١) تفسير الطبري (٥/ ١٣٠)، تفسير ابن كثير (١/ ٥١٣).





الفصل الثاني



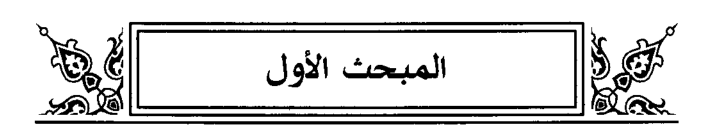
الآثار الواردة في عقيدة اليهود في الإيمان بالملائكة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الواردة في الإيمان بهم مطلقاً.

المبحث الثاني: الآثار الواردة في جبريل وميكال خاصة.

المبحث الثالث: الآثار الواردة في علاقة اليهود بالمنافقين.



المبحث الأول

الآثار الواردة في الإيمان بهم مطلقاً

۞ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنبياء].

(٣٦٠) ١٨٥٢٢ - حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ قال: قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى صاهر الجن فكانت منهم الملائكة. قال الله تبارك وتعالى تكذيباً لهم ورداً عليهم: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ وإن الملائكة ليس كما قالوا إنما هم عباد أكرمهم الله بعبادته(١).

۞ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ﴾ [الصافات: ١٥٨].

(٣٦١) ٢٢٧٦٥ - حدثنا عمرو بن يحيى بن عمران بن عفرة قال: ثنا عمرو بن سعيد الأشج عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ﴾ قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى تزوج إلى الجن فخرج منهما الملائكة قال: سبحانه سبح نفسه(٢).

---

(١) تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٣)، تفسير الدر المنثور (٥/ ٦٢٤)، تفسير القرطبي (٢٨١/١١)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١٠٨)، تفسير القرطبي (١٥/ ١٣٤).

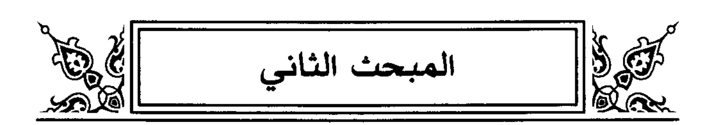
۞ **قوله تعالى:** ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الإسراء][1].

(٣٦٢) **١٦٨٤٦** ـ حدثنا محمد قال: ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ﴿وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾ قال: قالت اليهود: الملائكة بنات الله[2].

---

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ١٣٤).

(٢) تفسير الدر المنثور (٥/ ٢٨٨)، صححه في التفسير الصحيح (٣/ ٢٦٢).



المبحث الثاني

الآثار الواردة في جبريل وميكال خاصة

أولاً: الآثـــار

❁ قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة].

(٣٦٣) ١٣٢٨ ـ حدثني محمد بن سعد قال: حدثني أبي قال: حدثني عمي قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ الْعَذَابِ﴾ فهم الذين عادوا جبريل عليه السلام(١).

❁ قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [هود: ١٧].

(٣٦٤) ١٣٩٤٩ ـ حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا: ثنا ابن إدريس عن ليث عن مجاهد قال: هو جبرائيل تلا التوراة والإنجيل والقرآن وهو الشاهد من الله(٢).

(٣٦٥) ١٣٩٥٩ ـ حدثنا ابن وكيع قال: ثنا أبي عن أبيه عن منصور عن إبراهيم في قوله: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ [الأحقاف: ١٢] قال: من قبله جاء بالكتاب إلى موسى(٣).

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٣١)، إسناده ضعيف.
(٢) تفسير الطبري (١٢/ ١٦).
(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٢٠١٥)، تفسير الدر المنثور (٤/ ٤١١).

۞ **قوله تعالى:** ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧].

(٣٦٦) **١٣٣١** ـ حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة قال: حدثني محمد بن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي الحسين؛ يعني: المكي، عن شهر بن حوشب الأشعري: أن نفراً من اليهود جاؤوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد أخبرنا عن أربع نسألك عنهن فإن فعلت اتبعناك وصدقناك وآمنا بك! فقال رسول الله ﷺ: «**عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم بذلك لتصدقني**»؟ قالوا: نعم. قال: «**فاسألوا عما بدا لكم**» ـ وفيه ـ قالوا: فأخبرنا عن الروح! قال: «**أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل هل تعلمون أنه جبريل وهو الذي يأتيني؟**»، قالوا: نعم ولكنه لنا عدو وهو ملك إنما يأتي بالشدة وسفك الدماء، فلولا ذلك اتبعناك. فأنزل الله فيهم: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧] إلى قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١][(١)].

(٣٦٧) **١٣٣٢** ـ حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: حدثني حجاج عن ابن جريج قال: حدثني القاسم بن أبي بزة: أن يهود سألوا النبي ﷺ من صاحبه الذي ينزل عليه بالوحي، فقال: «**جبريل**». قالوا: فإنه لنا عدو ولا يأتي إلا بالحرب والشدة والقتال. فنزل: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ الآية [البقرة][(٢)].

(٣٦٨) **١٣٣٣** ـ حدثني محمد بن المثنى قال: ثنا ربعي ابن علية عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال: نزل عمر رضي الله عنه الروحاء فرأى رجالاً يبتدرون أحجاراً يصلون إليها فقال: ما هؤلاء؟ قالوا: يزعمون أن رسول الله ﷺ صلى ههنا. فكره ذلك وقال: إنما رسول الله ﷺ أدركته الصلاة بواد فصلى ثم ارتحل فتركه. ثم أنشأ يحدثهم فقال: كنت أشهد اليهود يوم مدراسهم فأعجب من التوراة كيف تصدق الفرقان، ومن الفرقان كيف يصدق التوراة، فبينما أنا

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٣٢)، تفسير ابن كثير (١/ ١٣٠)، إسناده ضعيف.

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٣١).

عندهم ذات يوم قالوا: يا ابن الخطاب ما من أصحابك أحد أحب إلينا منك! قلت: ولم ذلك؟ قالوا: إنك تغشانا وتأتينا. قال: قلت: إني آتيكم فأعجب من الفرقان كيف يصدق التوراة ومن التوراة كيف تصدق الفرقان! قال: ومر رسول الله ﷺ فقالوا: يا ابن الخطاب ذاك صاحبكم فالحق به! قال: فقلت لهم عند ذلك: أنشدكم بالله الذي لا إلـه إلا هو وما استرعاكم من حقه واستودعكم من كتابه أتعلمون أنه رسول الله؟ قال: فسكتوا. قال: فقال عالمهم وكبيرهم: إنه قد عظم عليكم فأجيبوه! قالوا: أنت عالمنا وسيدنا فأجبه أنت. قال: أما إذ أنشدتنا به فإنا نعلم أنه رسول الله. قال: قلت: ويحكم! إذاً هلكتم. قالوا: إنا لم نهلك. قال: قلت: كيف ذاك وأنتم تعلمون أنه رسول الله ﷺ ثم لا تتبعونه ولا تصدقونه؟ قالوا: إن لدينا عدواً من الملائكة وسلماً من الملائكة وإنه قرن به عدونا من الملائكة. قال: قلت: ومن عدوكم ومن سلمكم؟ قالوا: عدونا جبريل وسلمنا ميكائيل. قال: قلت: وفيم عاديتم جبريل وفيم سالمتم ميكائيل؟ قالوا: إن جبريل ملك الفظاظة والغلظة والإعسار والتشديد والعذاب ونحو هذا، وإن ميكائيل ملك الرأفة والرحمة والتخفيف ونحو هذا. قال: قلت: وما منزلتهما من ربهما؟ قالوا: أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره قال: قلت: فوالله الذي لا إلـه إلا هو إنهما والذي بينهما لعدو لمن عاداهما وسلم لمن سالمهما، ما ينبغي لجبريل أن يسالم عدو ميكائيل ولا لميكائيل أن يسالم عدو جبريل. قال: ثم قمت فاتبعت النبي ﷺ فلحقته وهو خارج من مخرفة لبني فلان فقال لي: «**يا ابن الخطاب ألا أقرئك آيات نزلن؟**»، فقرأ عليَّ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ حتى قرأ الآيات. قال: قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد جئت وأنا أريد أن أخبرك الخبر فأسمع اللطيف الخبير قد سبقني إليك بالخبر[1].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٣١)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٢٢، ٢٢٣)، تفسير ابن كثير (١/١٣٢).

(٣٦٩) ١٣٣٥ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة في قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ قال: قالت اليهود: إن جبريل هو عدونا لأنه ينزل بالشدة والحرب والسَّنَة، وإن ميكائيل ينزل بالرخاء والعافية والخصب فجبريل عدونا. فقال الله جل ثناؤه: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾[1].

(٣٧٠) ١٣٣٦ ـ حدثني موسى بن هارون قال: ثنا عمرو بن حماد قال: ثنا أسباط عن السدي: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قال: كان لعمر بن الخطاب ﷺ أرض بأعلى المدينة فكان يأتيها وكان ممره على طريق مدراس اليهود، وكان كلما دخل عليهم سمع منهم. وإنه دخل عليهم ذات يوم فقالوا: يا عمر ما في أصحاب محمد ﷺ أحد أحب إلينا منك! إنهم يمرون بنا فيؤذوننا وتمر بنا فلا تؤذينا وإنا لنطمع فيك. فقال لهم عمر ﷺ: أي يمين فيكم أعظم؟ قالوا: الرحمٰن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء. فقال لهم عمر ﷺ: فأنشدكم بالرحمٰن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء أتجدون محمداً ﷺ عندكم؟ فأسكتوا. فقال: تكلموا ما شأنكم؟ فوالله ما سألتكم وأنا شاك في شيء من ديني! فنظر بعضهم إلى بعض فقام رجل منهم فقال: أخبروا الرجل لتخبرنه أو لأخبرنه! قالوا: نعم إنا نجده مكتوباً عندنا ولكن صاحبه من الملائكة الذي يأتيه بالوحي هو جبريل وجبريل عدونا وهو صاحب كل عذاب أو قتال أو خسف ولو أنه كان وليه ميكائيل إذاً لآمنا به، فإن ميكائيل صاحب كل رحمة وكل غيث. فقال لهم عمر ﷺ: فأنشدكم بالرحمٰن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء أين مكان جبريل من الله؟ قالوا: جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره. قال عمر ﷺ: فأشهدكم أن الذي هو عدو للذي عن يمينه عدو للذي هو عن يساره، والذي هو عدو للذي هو عن يساره عدو

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٣٢)، تفسير عبد الرزاق (١/ ٥٢)، تفسير ابن كثير (١/ ١٣٣)، صححه في التفسير الصحيح (١/ ١٦٤).

للذي هو عن يمينه، وأنه من كان عدوهما فانه عدو الله. ثم رجع عمر ليخبر النبي فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فدعاه النبي ﷺ فقرأ عليه، فقال عمر رضي الله عنه: والذي بعثك بالحق لقد جئتك وما أريد إلا أن أخبرك[١].

(٣٧١) ١٣٣٨ ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم قال: ثنا هشيم قال: أخبرنا حصين بن عبد الرحمٰن عن ابن أبي ليلى في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨] قال: قالت اليهود للمسلمين: لو أن ميكائيل كان الذي ينزل عليكم لتبعناكم فإنه ينزل بالرحمة والغيث، وإن جبريل ينزل بالعذاب والنقمة وهو لنا عدو. قال: فنزلت هذه الآية: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾[٢].

(٣٧٢) ١٣٤٠ ـ حدثنا أبو كريب قال: ثنا عثمان بن سعيد قال: ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ قال: وذلك أن اليهود قالت حين سألت محمداً ﷺ عن أشياء كثيرة فأخبرهم بها على ما هي عندهم إلا جبريل فإن جبريل كان عند اليهود صاحب عذاب وسطوة ولم يكن عندهم صاحب وحي ـ يعني: تنزيل من الله على رسله ـ ولا صاحب رحمة ـ فأخبرهم رسول الله ﷺ فيما سألوه عنه أن جبريل صاحب وحي الله وصاحب نقمته، وصاحب رحمته. فقالوا: ليس بصاحب وحي ولا رحمة هو لنا عدو. فأنزل الله ﷻ إكذاباً لهم: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ يقول: فإن جبريل نزله. يقول: نزل القرآن بأمر الله يشد به فؤادك ويربط به على قلبك؛ يعني: بوحينا الذي نزل به جبريل عليك من عند الله وكذلك يفعل بالمرسلين والأنبياء من قبلك[٣].

(٣٧٣) ١٣٥٧ ـ حدثت عن عمار قال: ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن حصين بن عبد الرحمٰن عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى قال: إن يهودياً لقي عمر فقال له: إن جبريل الذي يذكره صاحبك هو عدو لنا. فقال له عمر: ﴿مَن كَانَ

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٣٣٣)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٣٣).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦).

عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة] قال: فنزلت على لسان عمر رضي الله عنه[1].

ثانياً: الدراســـة

بيَّن الله تبارك وتعالى أن المعاصرين لدعوة موسى عليه السلام من فرعون ومن معه يعرفون الملائكة ويقدرونهم بدليل سؤالهم لموسى أن يأتي بهم ليشهدوا معه على صدقه كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الزخرف]، وموسى عليه السلام بعثه الله بما بعث به رسله، ومن ذلك الإيمان بالملائكة، ولكن اليهود وإيمانهم بالملائكة، ومحبتهم لهم - كما بيَّنه القرآن - خاضع لأهوائهم، فهم ينتخبون في ذلك بأهوائهم، كما تقدم في صفاتهم وعقائدهم.

فالملائكة منهم العدو ومنهم الولي، ولكن قبل ذلك هناك بعض الروايات تنسب القول في بعض الآيات وإن لم يصرح باسمهم ولكن نص عليه بعض السلف كما مرّ في الآثار منهم من تكلم في أصل الملائكة فقالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى تزوج إلى الجن فخرج منهما الملائكة وأن جنسهم إناث فهم بنات الله.

وهذا مجمل ما في الآيات التالية:

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنبياء].

﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الصافات].

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الإسراء].

وبينتها الآثار السابقة، وهذا من شنيع قولهم كما مرَّ في نسبتهم الولد لله.

ولليهود مع جبريل عليه السلام شأن آخر، فهم يعتقدون عداوته ويناصبونه البغض ويصرِّحون بذلك، ومع تعدد الروايات في سبب عداوة اليهود

---

(١) تفسير الدر المنثور (١/ ٢٢٤)، تفسير ابن كثير (١/ ١٣٣)، إسناده ضعيف.

لجبريل عليه السلام إلا أن النتيجة واحدة، وقد قال الطبري رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة]:

«أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً على أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدوّ لهم، وأن ميكائيل ولي لهم. ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك». ثم أورد أكثر من أربعة عشر سبباً من أسباب النزول لهاتين الآيتين(١).

فمن الأسباب التي ذكرت:

١ ـ أن عداوتهم لأنه ينزل عليهم بالعذاب، وهو قول الجمهور(٢)، كما في المناظرة التي جرت بين اليهود وبين رسول الله ﷺ في أمر نبوته.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «حضرت عصابة من اليهود رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي! فقال رسول الله ﷺ: **«سلوا عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيئاً فعرفتموه لتتابعني على الإسلام»**. فقالوا: ذلك لك. فقال رسول الله ﷺ: **«سلوني عما شئتم»**، فقالوا: أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن! أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟ وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل، وكيف يكون الذكر منه والأنثى؟ وأخبرنا بهذا النبي الأمي في النوم ومن وليه من الملائكة؟

فقال رسول الله ﷺ: **«عليكم عهد الله لئن أنا أنبأتكم لتتابعني»**. فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق، فقال: **«نشدتكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضاً شديداً فطال سقمه منه، فنذر نذراً لئن عافاه الله**

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٧٦ ـ ٤٨٦)، وانظر تفاصيل الروايات وتخريجها في: العجاب في بيان الأسباب لابن حجر (١/ ٢٨٩) وما بعدها.
(٢) حكاه ابن حجر في العجاب (١/ ٢٩٨).

من سقمه ليحرمنَّ أحب الطعام والشراب إليه، وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل؟» فقالوا: اللَّهُمَّ نعم.

فقال رسول الله ﷺ: «**أشهد الله عليكم وأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ، وأن ماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا كان له الولد والشبيه بإذن الله، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكراً بإذن الله، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله؟**». قالوا: اللَّهُمَّ نعم! قال: «**اللَّهُمَّ اشهد**».

قال: «**وأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه؟**». قالوا: اللَّهُمَّ نعم! قال: «**اللَّهُمَّ اشهد**».

قالوا: أنت الآن تحدثنا من وليك من الملائكة؟ فعندها نتابعك أو نفارقك. قال: «**فإن وليي جبريل، ولم يبعث الله نبياً فقط إلا وهو وليه**». قالوا: فعندها نفارقك، لو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك. قال: «**فما يمنعكم أن تصدقوه؟**»، قالوا: إنه عدونا.

فأنزل الله ﷻ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧] إلى قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١]. فعندها باؤوا بغضب على غضب. وفي رواية قالوا: نعم ولكنه لنا عدو، وهو ملك إنما يأتي بالشدة وسفك الدماء، فلولا ذلك اتبعناك»[١].

٢ ـ **ومن الأسباب:** أنهم يرون أن جبريل ﷺ حال بينهم وبين قتل بختنصر الذي خرب بيت المقدس، وسفك دماءهم، وسبى ذراريهم.

فقد حكى الثعلبي، والواحدي، عن ابن عباس ﵄: «أن سبب عداوة اليهود لجبريل ﷺ: أن نبيهم أخبرهم، أن بختنصر سيخرب بيت المقدس،

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٣١)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٠٤)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٢١)، وأحمد في المسند عن (١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٨)، والطبراني في الكبير، والترمذي (٣١١٧) مختصراً، وصححه شاكر في تعليقه على التفسير، وصححه في التفسير الصحيح (١/ ١١٥).

فبعثوا رجلاً ليقتله، فوجده شاباً ضعيفاً، فمنعه جبريل من قتله، وقال له: إن كان الله أراد هلاككم على يده فلن تسلط عليه، وإن كان غيره فعلى أي حق تقتله، فتركه فكبر بختنصر، وغزا بيت المقدس، فقتلهم، وخربه، فصاروا يكرهون جبريل لذلك»[١].

٣ ـ **ومن الأسباب**: أنهم يرون أن جبريل عليه السلام عدل بالنبوة عن بني إسرائيل إلى بني إسماعيل، كما في تفسير مقاتل: قالت اليهود: إن جبريل عدونا أُمر أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا[٢].

وأما المَلَك المحبوب عندهم فهو ميكال الذي ينزل بالرحمة والغيث كما مرّ في الآثار السابقة، ولذلك نصت الآية على ذكر جبريل وميكائيل رغم دخولهما ضمن الملائكة بالجملة، وذلك للرد على مزاعم اليهود في التفريق بينهما وتكذيب مزاعمهم حول معاداة جبريل ومحبة ميكال.

والذي يفهم من سياق الآية أن اليهود كسبوا عداوة الله بعداوتهم للملائكة ولجبريل خاصة فليس لهم التفريق؛ لأن الله وصف الملائكة جميعاً بوصف واحد فقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم].

فليس لهم تصرف من عند أنفسهم، بل هم عباد مكرمون، خاصة كبيرهم جبريل عليه السلام، فهو الروح القدس، ورسول الله إلى أنبيائه، وأفضلهم، وهو الذي بسبب عداوتهم له استحقوا غضب الله.

قال الطبري رحمه الله عند تفسير الآيات السابقة: «قل يا محمد ـ لمعاشر اليهود من بني إسرائيل الذين زعموا أن جبريل لهم عدو من أجل أنه صاحب سطوات وعذاب وعقوبات لا صاحب وحي وتنزيل ورحمة، فأبوا اتباعك

---

(١) فتح الباري (٨٦٦)، والواحدي في أسباب النزول (٢٨)، ثم ضعَّف هذه الرواية ابن حجر في العجاب في بيان الأسباب (١/٢٩٧).

(٢) أسباب النزول للواحدي (٢٨).

وجحدوا نبوتك وأنكروا ما جئتهم به من آياتي... وإعلام منه أن من عادى جبريل فقد عاداه وعادى ميكائيل وعادى جميع ملائكته ورسله؛ لأن الذين سماهم الله في هذه الآية هم أولياء الله وأهل طاعته، ومن عادى لله وليّاً فقد عادى الله وبارزه بالمحاربة، ومن عادى الله فقد عادى جميع أهل طاعته وولايته؛ لأن العدو لله عدو لأوليائه، والعدو لأولياء الله عدو له. فكذلك قال لليهود الذين قالوا: إن جبريل عدونا من الملائكة، وميكائيل ولينا منهم: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة] من أجل أن عدو جبريل عدو كل ولي لله. فأخبرهم جل ثناؤه أن من كان عدواً لجبريل فهو لكل من ذكره من ملائكته ورسله وميكال عدو، وكذلك عدو بعض رسل الله عدو لله ولكل ولي»[١].

ومن افترائهم المعهود: قولهم: ولكن صاحب صاحبنا، ميكائيل كما قالوه لعمر رضي الله عنه، وهذا هو الكذب المبين؛ لأن جبريل هو الروح الأمين بين الله وجميع رسله، وهو ولي جميع الأنبياء، كما قال ﷺ: «**فإن وليي جبريل ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه**»[٢].

وكذلك قول ورقة بن نوفل حين أخبرته خديجة رضي الله عنها بما رآه النبي ﷺ يوم الغار فقال: «**هذا الناموس الذي نزل الله على موسى عليه السلام**»[٣].

إن جبريل، وميكائيل عليهما السلام، وجميع ملائكة الله، هم أولياء الله، ومن عادى لله ولياً فقد آذنه بالحرب، وعدو أولياء الله عدو لله.

إذاً: اليهود الذين عادوا جبريل، قد عادوا الله وملائكته ورسله فهم بذلك كافرون والله عدو للكافرين.

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٣٥).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤٣٢)، ورواه أحمد (١/ ٢٧٤)، والترمذي (٣١١٧)، وقال: حسن صحيح، وصححه شاكر برقم (١٦٠٥) في حاشية التفسير.

(٣) رواه البخاري (١/ ٤).





الفصل الثالث

الآثار الواردة في عقيدة اليهود في الإيمان بالكتب

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الواردة في موقفهم من الإيمان بالكتب مطلقاً.

المبحث الثاني: الآثار الواردة في موقفهم من التوراة.

المبحث الثالث: الاثار الواردة في موقفهم من الإنجيل.

المبحث الرابع: الآثار الواردة في موقفهم من القرآن.

المبحث الأول

الآثار الواردة في موقفهم من الإيمان بالكتب مطلقاً

أولاً: الآثـــار

❁ قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام].

(٣٧٤) ١٠٥٤٤ ـ حدثنا ابن حميد قال: ثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل من اليهود يقال له: مالك بن الصيف يخاصم النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «**أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟**»، وكان حبراً سميناً، فغضب فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء! فقال له أصحابه الذين معه: ويحك ولا موسى؟ فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فأنزل الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[1].

(٣٧٥) ١٠٥٤٥ ـ حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ قال: نزلت في مالك بن الصيف كان من قريظة من أحبار اليهود؛ قل يا محمد: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى

---

(١) تفسير الطبري (٧/٢٦٧)، تفسير ابن أبي حاتم (٤/١٣٤٢)، تفسير الدر المنثور (٣/٣١٤)، إسناده ضعيف.

جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ الآية[١].

(٣٧٦) ١٠٥٤ ـ حدثني موسى بن هارون قال: ثنا عمرو بن حماد قال: ثنا أسباط عن السدي: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ قال: قال فنحاص اليهودي: ما أنزل الله على محمد من شيء[٢].

(٣٧٧) ١٠٥٤٧ ـ حدثنا هناد قال: ثنا يونس قال: ثنا أبو معشر المدني عن محمد بن كعب القرظي قال: جاء ناس من يهود إلى النبي ﷺ وهو محتب فقالوا: يا أبا القاسم ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحاً يحملها من عند الله! فأنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية [النساء: ١٥٣].. فجثا رجل من يهود فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً! فأنزل الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ قال محمد بن كعب: ما علموا كيف الله ﴿إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ فحل رسول الله ﷺ حبوته وجعل يقول: «**ولا على أحد**»[٣].

(٣٧٨) ١٠٥٤٨ ـ حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ هم اليهود والنصارى قوم آتاهم الله علماً فلم يهتدوا به ولم يأخذوا به ولم يعملوا به فذمهم الله في عملهم ذلك ذكر لنا أن أبا الدرداء كان يقول: إن من أكثر ما أنا مخاصم به غداً أن يقال: يا أبا الدرداء قد علمت فماذا عملت فيما علمت؟[٤].

(٣٧٩) ١٠٥٤٩ ـ حدثني المثنى قال: ثنا عبد الله بن صالح قال: ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﵄ قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ يعني: من بني إسرائيل. قالت اليهود: يا محمد أنزل الله عليك كتاباً؟ قال: «**نعم**»، قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً. فأنزل الله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٢٦٧)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٣١٤).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٢٦٧)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٣١٤).

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٢٦٧)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٣١٤).

(٤) تفسير الطبري (٧/ ٢٦٨)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٣١٥)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [البقرة]، يا محمد ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ قال: «الله أنزله»[١].

(٣٨٠) ١٠٥٥٤ ـ حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ﴾: اليهود[٢].

(٣٨١) ١٠٥٥٥ ـ حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا﴾ يعني: يهود لما أظهروا من التوراة. ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ﴾ مما أخفوا من ذكر محمد ﷺ وما أنزل عليه قال ابن جريج: وقال عبد الله بن كثير: إنه سمع مجاهداً يقول: قال: هم يهود الذين يبدونها ويخفون كثيراً[٣].

ثانياً: الدراســة

أنزل الله كتبه على رسله، هدًى للناس ونور، كما وصف الله ما أنزله على أنبيائه من بني إسرائيل، فقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة].

ولكن بعضهم أنكر أن الله أنزل كتباً، إما عناداً وإما غير ذلك كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام].

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٢٦٨)، تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٤١)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٣١٤)، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (١٠/ ٤٤١).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٢٦٩)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٧١)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٣١٥)، وصحح إسناده الحافظ في الفتح (١٣/ ٤٩٤).

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٢٦٩)، تفسير القرطبي (٧/ ٣٧).

قالوا: لم ينزل الله على آدمي كتاباً ولا وحياً. واختلف في سبب النزول:

١ ـ فقيل: كان قائل ذلك رجلاً من اليهود اسمه:

أ ـ مالك بن الصيف. حين جاء يخاصم النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «**أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟**»، وكان حبراً سميناً، فغضب فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء! فقال له أصحابه الذين معه: ويحك ولا موسى؟ فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء.

وفي القصة أن مالك بن الصيف، لما سمعت اليهود منه تلك المقالة، عتبوا عليه، وقالوا: أليس أن الله أنزل التوراة على موسى، فلم قلت ما أنزل الله على بشر من شيء؟ قال: فقال مالك بن الصيف: أغضبني محمد فقلت ذلك، فقالوا له: وأنت إذا غضبت تقول على الله غير الحق، فنزعوه من الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف[(١)].

ب ـ وقيل: نزلت في فنحاص اليهودي: حين قال: ما أنزل الله على محمد من شيء.

٢ ـ وقيل: في جماعة من اليهود سألوا النبي ﷺ آيات مثل آيات موسى عليه السلام. فقالوا: يا أبا القاسم، ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحاً يحملها من عند الله، فجثا رجل من يهود، فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً! فحل رسول الله ﷺ حبوته، وجعل يقول: «**ولا على أحد**».

٣ ـ وقيل: هم اليهود والنصارى، قوم آتاهم الله علماً فلم يهتدوا به ولم يأخذوا به ولم يعملوا به، فذمهم الله في عملهم ذلك.

٤ ـ وقال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: القائل مشركو قريش. وهو اختيار ابن جرير حيث قال: «وذلك أن ذلك في سياق الخبر عنهم أولاً، فإن يكون ذلك

---

(١) تفسير البغوي (٢/ ١١٤).

أيضاً خبراً عنهم أشبه من أن يكون خبراً عن اليهود، ولما يجر لهم ذكر يكون هذا به متصلاً، مع ما في الخبر عمن أخبر الله عنه في هذه الآية من إنكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً من الكتب؛ وليس ذلك مما تدين به اليهود، بل المعروف من دين اليهود الإقرار بصحف إبراهيم وموسى وزبور داود. . ، وكان الخبر من أول السورة ومبتدئها إلى هذا الموضع خبراً عن المشركين من عبدة الأوثان، وكان قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١] موصولاً بذلك غير مفصول منه، لم يجز لنا أن ندعي أن ذلك مصروف عما هو به موصول إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل.

ويذهب رحمه الله إلى ضعف الروايات القائلة أن سبب النزول في اليهود، ويرى أن الأمر التبس على بعضهم «فوجهوا تأويل ذلك إلى أنه لأهل التوراة، فقرؤوه على وجه الخطاب لهم: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ﴾ [الأنعام: ٩١] فجعلوا ابتداء الآية خبراً عنهم، إذ كانت خاتمتها خطاباً لهم عندهم. وغير ذلك من التأويل والقراءة أشبه بالتنزيل، لما وصفت قبل من أن قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ في سياق الخبر عن مشركي العرب وعبدة الأوثان، وهو به متصل، فالأولى أن يكون ذلك خبراً عنهم»[1].

قال ابن كثير رحمه الله: «وهذا أصح؛ لأن الآية مكية، واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء، وقريش والعرب كانوا ينكرون إرسال محمد ﷺ لأنه من البشر»[2].

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها في اليهود: قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ يعني: من بني إسرائيل. قالت اليهود: يا محمد أنزل الله عليك كتاباً؟ قال: «**نعم**» قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً[3].

وحتى وإن كان الخطاب للمشركين، فإن قوله: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾ على

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٢٧٠).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ١٥٧).
(٣) التفسير الصحيح (٢/ ٢٥٦).

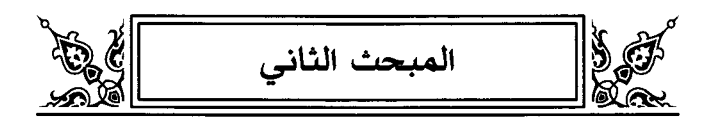
قراءة التاء المقصود بها اليهود، فهي تخبرهم عن تلاعبهم بالتوراة، من إبداء بعضها وإخفاء بعضها.

وعلى القراءة الأخرى ﴿يجعلونه﴾[1] فيه إخبار للمشركين عن فعل اليهود بالتوراة.

وسياق الآيات فيه التفات إلى اليهود وبيان لجريمتهم مع التوراة من التحريف والتبديل كما سيأتي تفصيله.

---

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبو عمرو ـ انظر: القراءات العشر على هامش المصحف (ص١٣٩).



المبحث الثاني

الآثار الواردة في موقفهم من التوراة

❖ المطلب الأول ❖

مم تتكون التوراة وكيف أخذوها؟



أولاً: الآثـــار

۞ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم﴾ [البقرة: ٥٦].

(٣٨٢) ٨٠٨ ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى قال: أنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: قال لهم موسى لما رجع من عند ربه بالألواح: قد كتب فيها التوراة فوجدهم يعبدون العجل فأمرهم بقتل أنفسهم ففعلوا فتاب الله عليهم فقال: إن هذه الألواح فيها كتاب الله فيه أمره الذي أمركم به ونهيه الذي نهاكم عنه. فقالوا: ومن يأخذ بقولك أنت؟ لا والله حتى نرى الله جهرة حتى يطلع الله علينا فيقول: هذا كتابي فخذوه! فما له لا يكلمنا كما يكلمك أنت يا موسى فيقول: هذا كتابي فخذوه؟ وقرأ قول الله تعالى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، قال: فجاءت غضبة من الله ﷻ فجاءتهم صاعقة بعد التوبة فصعقتهم فماتوا أجمعون. قال: ثم أحياهم الله من بعد موتهم، وقرأ قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٦﴾ [البقرة]، فقال لهم موسى: خذوا كتاب الله! فقالوا: لا، فقال: أي شيء أصابكم؟ قالوا: أصابنا أنا متنا ثم حيينا. قال: خذوا كتاب الله! قالوا: لا. فبعث الله تعالى ملائكة فنتقت الجبل فوقهم[1].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٩٢)، تفسير ابن كثير (١/ ٩٥)، صححه في التفسير الصحيح (٢/ ٣٥٢).

۞ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف].

(٣٨٣) ١١٩١٢ ـ حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ أي: بجد. ﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ جبل نزعه الله من أصله ثم جعله فوق رؤوسهم فقال: لتأخذن أمري أو لأرمينكم به![1].

(٣٨٤) ١١٩١٤ ـ حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: حدثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله قال: هذا كتاب الله أتقبلونه بما فيه فإن فيه بيان ما أحل لكم وما حرم عليكم وما أمركم وما نهاكم. قالوا: انشر علينا ما فيها فإن كانت فرائضها يسيرة وحدودها خفيفة قبلناها! قال: اقبلوها بما فيها! قالوا: لا حتى نعلم ما فيها كيف حدودها وفرائضها. فراجعوا موسى مراراً فأوحى الله إلى الجبل فانقلع فارتفع في السماء حتى إذا كان بين رؤوسهم وبين السماء قال لهم موسى: ألا ترون ما يقول ربي؟ لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لأرمينكم بهذا الجبل! قال: فحدثني الحسن البصري قال: لما نظروا إلى الجبل خر كل رجل ساجداً على حاجبه الأيسر ونظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقاً من أن يسقط عليه؛ فلذلك ليس في الأرض يهودي يسجد إلا على حاجبه الأيسر يقولون: هذه السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة. قال أبو بكر: فلما نشر الألواح فيها كتاب الله كتبه بيده لم يبق على وجه الأرض جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز فليس اليوم يهودي على وجه الأرض صغير ولا كبير تقرأ عليه التوراة إلا اهتز ونغض لها رأسه[2].

۞ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف].

(٣٨٥) ١١٩٠٩ ـ حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ١٠٩)، تفسير القرطبي (٧/ ٣١٣)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٩/ ١٠٩)، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٦١ ـ ٢٦٢).

قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ فقال لهم موسى: خذوا ما آتيناكم بقوة! يقول: من العمل بالكتاب؛ وإلا خر عليكم الجبل فأهلككم! فقالوا: بل نأخذ ما آتانا الله بقوة! ثم نكثوا بعد ذلك[1].

✿ **قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأعراف].**

(٣٨٦) **١١٧٥٣** ـ حدثني الحارث، قال: ثنا عبد العزيز قال: ثنا إسرائيل، عن السدي، عن أبي عمارة، عن علي رضي الله عنه قال: كتب الله الألواح لموسى عليه السلام وهو يسمع صريف الأقلام في الألواح[2].

(٣٨٧) **١١٧٥٦** ـ حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، قال: ثنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج، قال: أخبرني يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ألقى موسى الألواح فتكسرت، فرفعت إلا سدسها. قال ابن جريج: وأخبرني أن الألواح من زبرجد وزمرد من الجنة[3].

(٣٨٨) **١١٧٥٨** ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن أبي الجنيد، عن جعفر بن أبي المغيرة، قال: سألت سعيد بن جبير عن الألواح من أي شيء كانت؟ قال: كانت من ياقوتة كتابة الذهب كتبها الرحمٰن بيده، فسمع أهل السمٰوات صريف القلم وهو يكتبها[4].

---

(١) تفسير الطبري (٩/١٠٨)، تفسير ابن أبي حاتم (٥/١٦١١)، إسناده ضعيف.
(٢) تفسير الطبري (٩/٦٦)، تفسير الدر المنثور (٣/٥٤٨).
(٣) تفسير الطبري (٩/٦٦)، تفسير الدر المنثور (٣/٥٤٨).
(٤) تفسير الطبري (٩/٦٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٥/١٥٦٣)، إسناده ضعيف.

❖ المطلب الثاني ❖

الآثار الواردة في تحريفهم للتوراة

✿ قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة].

(٣٨٩) ١٠٩٧ ـ حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ فالذين يحرفونه والذين يكتمونه: هم العلماء منهم[١].

(٣٩٠) ١٠٩٨ ـ حدثني موسى قال: ثنا عمرو بن حماد قال: ثنا أسباط عن السدي: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ قال: هي التوراة حرفوها[٢].

(٣٩١) ١٠٩٩ ـ حدثنا يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ قال: التوراة التي أنزلها عليهم يحرِّفونها يجعلون الحلال فيها حراماً والحرام فيها حلالاً، والحق فيها باطلاً والباطل فيها حقاً، إذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب فهو فيه محق، وإن جاء أحد يسألهم شيئاً ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء أمروه بالحق، فقال لهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة][٣].

(٣٩٢) ٥٧٦٤ ـ حدثنا محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ [آل عمران ٧٨] قال: يحرِّفونه[٤].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٦٧)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٤٩)، تفسير الدر المنثور (١٩٨/١)، تفسير ابن كثير (١/ ١١٦).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٦٧)، تفسير الدر المنثور (١/ ١٩٨).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٦٧)، تفسير ابن كثير (١/ ١١٦).

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٣٢٣)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٨٩)، تفسير الدر المنثور (٢٤٩/٢).

(٣٩٣) ٥٧٦٥ ـ حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ حتى بلغ: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ هم أعداء الله اليهود حرَّفوا كتاب الله وابتدعوا فيه وزعموا أنه من عند الله[١].

(٣٩٤) ٥٧٦٧ ـ حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ﷺ قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ وهم اليهود كانوا يزيدون في كتاب الله ما لم ينزل الله[٢].

(٣٩٥) ٥٧٦٨ ـ حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج عن ابن جريج: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ قال: فريق من أهل الكتاب يلوون ألسنتهم وذلك تحريفهم إياه عن موضعه[٣].

(٣٩٦) ٧٦٦٤ ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ تبديل اليهود التوراة[٤].

❖ المطلب الثالث ❖

الزيادة والمتاجرة بالتوراة

أولاً: الآثار

❁ **قوله تعالى:** ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٢١)﴾ [البقرة].

(٣٩٧) ١٥٦١ ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣٢٣)، تفسير ابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس (٢/ ٦٨٩)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).
(٢) تفسير الطبري (٣/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٨٩)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٢٤٩)، إسناده ضعيف.
(٣) تفسير الطبري (٣/ ٣٢٤).
(٤) تفسير الطبري (٥/ ١١٨)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٥)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٥٥٤).

زيد في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ قال: من كفر بالنبي ﷺ من يهود فأولئك هم الخاسرون[١].

۞ **قوله تعالى:** ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة].

(٣٩٨) ١١٤٥ ـ حدثني موسى قال: حدثنا عمرو قال: حدثنا أسباط عن السدي: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قال: كان ناس من اليهود كتبوا كتاباً من عندهم يبيعونه من العرب ويحدثونهم أنه من عند الله ليأخذوا به ثمناً قليلاً[٢].

(٣٩٩) ١١٤٦ ـ حدثنا أبو كريب قال: حدثنا عثمان بن سعيد قال: حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الأميون قوم لم يصدقوا رسولاً أرسله الله ولا كتاباً أنزله الله فكتبوا كتاباً بأيديهم ثم قالوا لقوم سفلة جهال: ﴿هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ قال: عرضاً من عرض الدنيا[٣].

(٤٠٠) ١١٤٧ ـ حدثني محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ قال: هؤلاء الذين عرفوا أنه من عند الله يحرفونه[٤].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٥١٨)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢١٨)، تفسير الدر المنثور (٢٧٢/١)، تفسير ابن كثير (١/ ١٦٥)، صححه في التفسير الصحيح (٢/ ٣٥٢).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٥٤)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٠٣)، تفسير ابن كثير (١١٨/١).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٧٩).

(٤) تفسير الطبري (١/ ٣٧٩).

(٤٠١) ١١٤٨ ـ حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد عن قتادة: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ﴾ وهم اليهود[١].

(٤٠٢) ١١٤٩ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة في قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ﴾ قال: كان ناس من بني إسرائيل كتبوا كتاباً بأيديهم ليتآكلوا الناس فقالوا: هذا من عند الله وما هو من عند الله[٢].

(٤٠٣) ١١٥٠ ـ حدثني المثنى قال: ثنا آدم قال: ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قال: عمدوا إلى ما أنزل الله في كتابهم من نعت محمد ﷺ فحرفوه عن مواضعه يبتغون بذلك عرضاً من عرض الدنيا فقال: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[٣].

(٤٠٤) ١٠٥٥٥ ـ حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا﴾ يعني: يهود لما أظهروا من التوراة. ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١] مما أخفوا من ذكر محمد ﷺ وما أنزل عليه.

(٤٠٥) قال ابن جريج: وقال عبد الله بن كثير: إنه سمع مجاهداً يقول: «يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً»، قال: هم يهود الذين يبدونها ويخفون كثيراً[٤].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٧٩)، تفسير ابن كثير عن ابن عباس (١/ ١١٨)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٥٥)، صححه في التفسير الصحيح (١/ ١٦٤).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٧٩)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٥٥)، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/ ٣٦٦).
(٤) تفسير الطبري (٧/ ٢٦٩)، تفسير القرطبي (٧/ ٣٧).

ثانياً: الدراسة

❖ المطلب الأول ❖

مما تتكون التوراة وكيف أخذوها

ذكر الله تبارك وتعالى كتبه التي أنزلها على خلقه، ورضيها لهم، وكان من أوائل الكتب التي فصّل فيها ـ تبارك وتعالى ـ شرائعه كتابه الذي أنزله على موسى وهو التوراة، فقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ [المائدة: ٤٤] والآيات التي تتحدث عن التوراة تورد مدى ما فعله اليهود حيالها من إيمان وتحريف وتبديل وغير ذلك فما هي التوراة.

وردت الآثار عن السلف في تفسير آيات القرآن التي تحدثت عن اليهود وإيمانهم بكتب الله المنزلة، فقد جحد كثيرٌ منهم أن الله أنزل كتباً كما جاء بعض اليهود إلى الرسول ﷺ يجادلونه في ذلك، بل ردوا ما جاء عن موسى وعيسى ومحمد ﷺ، ويروى ذلك أيضاً عن بعض كبارهم كما فعل مالك بن الصيف حيث قال: والله ما أنزل على بشر من شيء، وحين راجعه اليهود في ذلك فقالوا: ويحك ولا موسى؟ قال: والله ما أنزل الله على بشر، فقال تعالى في ذلك: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ الآية [الأنعام: ٩١]. وورد مثل ذلك في حق فنحاص اليهودي.

بل فسّر الطبري رحمه الله قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ [القصص: ٤٨] قالت اليهود: إنا بكل كتاب في الأرض من توراة وإنجيل وزبور وفرقان كافرون.

ورد في الآثار أن الله تبارك وتعالى كتب لموسى الألواح وهي التي فيها التوراة، وكما قال تعالى: ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤] وأدنى الله موسى حتى سمع صريف الأقلام كما قال بعض السلف[1].

واختلف السلف في ماهية التوراة، ومن أي شيء هي، فقيل: من ياقوتة، وقيل: زمرد أخضر، وقيل غير ذلك.

---

(١) الدر المنثور، السيوطي (٣/ ٥٤٨).

قال الشوكاني رحمه الله بعد قول سعيد بن المسيب رحمه الله وغيره: «أقول رحم الله سعيداً، ما كان أغناه عن هذا الذي قاله من جهة نفسه، فمثله لا يقال بالرأي، ولا بالحدس، والذي يغلب به الظن، أن كثيراً من السلف رحمهم الله كانوا يسألون اليهود عن هذه الأمور، فلهذا اختلف واضطربت، فهذا يقول من خشب، وهذا يقول من ياقوت، وهذا يقول من زمرد، وهذا يقول من زبرجد، وهذا يقول من برد، وهذا يقول من حجر»[(١)].

وقال أبو شهبة رحمه الله: «فقد ذكر في الألواح: مما هي؟ وما عددها؟ أقوالاً كثيرة عن بعض الصحابة والتابعين وعن كعب ووهب من أهل الكتاب الذين أسلموا، مما يشير إلى منبع هذه الروايات، وأنها من إسرائيليات بني إسرائيل، وفيها من المرويات ما يخالف المعقول والمنقول»[(٢)].

ولكن الثابت أن الله زادها شرفاً، بأن كتبها بيده ﷻ، كما في الحديث قال: «**احتج آدم وموسى** عليهما السلام، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا، وأخرجتنا من الجنة، فقال آدم: أنت موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخط لك التوراة بيده، تلومني على أمر قدره علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة!؟ فحج آدم موسى»[(٣)].

ومما كتب الله فيها ما أمر به بنو إسرائيل وما نهوا عنه من الحلال والحرام بل من كل شيء موعظة وتفصيلاً ومما جاء فيها:

«لا تشرك بي شيئاً من أهل السماء، ولا من أهل الأرض، فإن كل ذلك خلقي، ولا تحلف باسمي كاذباً، ووقّر والِدَيك». وفيها ذكر الرسول ﷺ.

وفي حديث صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه قال: قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي حتى نسأله عن هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ

---

(١) فتح القدير، الشوكاني (٢/٢٤٦).

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير أبو شهبة (ص٢٠١ ـ ٢٠٥) وفيه نقد لكثير من الروايات السابقة.

(٣) صحيح مسلم (٤/٢٠٤٢)، سنن أبي داود (٤/٢٢٦) واللفظ له.

ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍۢ﴾ [الإسراء: ١٠١] فقال: «**لا تقل له شيئاً فإنه لو سمعك لصارت له أربع أعين فسألاه فقال النبي**: «**لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة** أو قال: **لا تفروا من الزحف** ـ شعبة الشاك ـ **وأنتم يا معشر يهود عليكم خاصة أن لا تعدوا في السبت**». قال فقبّلا يديه ورجليه وقالا: نشهد أنك نبي، قال: «**فما يمنعكما أن تتبعاني؟**»، قالا: إن داود عليه السلام دعا أن لا يزال من ذريته نبي، وإنا نخشى إن أسلمنا أن تقتلنا يهود»[١].

قال ابن كثير رحمه الله: «اشتبه على الراوي التسع الآيات بالعشر الكلمات وذلك أن الوصايا التي أوصاها الله إلى موسى وكلمه بها ليلة القدر بعد ما خرجوا من ديار مصر وشعب بني إسرائيل حول الطور حضور وهارون ومن معه وقوف على الطور أيضاً وحينئذ كلم الله موسى تكليماً آمراً له بهذه العشر كلمات وقد فسرت في هذا الحديث»[٢].

هذا ما ورد في الآثار التي رواها السلف عن التوراة.

وأما التوراة المعاصرة فقد فصَّل فيها العلماء وعلى ما تحتوي، فهي تسمَّى اليوم العهد القديم مقابلاً للعهد الجديد وهو الإنجيل.

❑ العهد القديم:

هو التوراة الكتابية بمجموع أسفارها المقدسة لدى اليهود والنصارى، ومعنى العهد في هذه التسمية، وتسمية العهد الجديد ما يرادف معنى الميثاق، فالعهد القديم هو الميثاق الذي أخذه الله على الإسرائيليين أن يلتزموا به[٣].

أما اصطلاح (العهد القديم) فما كان معروفاً قديماً، وإنما هو اصطلاح

---

(١) وقد رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جرير والحاكم والبيهقي من طرق عن شعبة به، وقال الترمذي: حسن صحيح، قلت: وفي رجاله من تكلم فيه.

(٢) البداية والنهاية (٦/ ١٧٤).

(٣) رحمة الله الهندي، إظهار الحق (١/ ٥٢).

حديث خططت له اليهودية، واستجابت له البروتستنتية النصرانية، ثم الكاثوليكية لتكون التوراة أماً للعقيدة النصرانية، فوضع النصارى التوراة وسموها بالعهد القديم إلى جوار الأناجيل وبقية أسفار دينهم وسموها بالعهد الجديد، وضموا الاثنين في غلاف واحد باسم (الكتاب المقدس) لتكون عقيدة اليهود في التوراة هي عقيدة النصارى كذلك، بما ضمن لليهود تعاطف النصارى معهم في كل ما تتبناه التوراة من عقائد، فيتبعون اليهود لأنهم يوصفون في التوراة بأنهم شعب الله المختار! ويعينونهم بكل طاقاتهم على تحقيق أحلامهم وادعاءاتهم، ومن تلك الأحلام تملك أرض الميعاد... في حين أن التوراة لم يكن لها رصيد في الماضي لدى العالم النصراني، ولم تكن الكنيسة قبل أربعة قرون لتسمح بقراءة التوراة وتداولها بينهم[1]. وهو المصدر الأول للتشريع، وقد قسم من حيث المحتوى إلى:

١ ـ **الأسفار الناموسية:** وعددها خمس وهي: التكوين ـ الخروج ـ اللاويين ـ العدد ـ التثنية.

ويدعي اليهود نسبتها إلى موسى ﷺ، وقد ورد بها الحديث عن بدء الخلق العام وخلق آدم ﷺ وتفرع بنيه منه حتى إبراهيم ﷺ، ثم التناسل من إبراهيم، والإشارة إلى سكنى إسماعيل ﷺ أرض مكة (فاران)، وإغفال الحديث عن سائر ولد إبراهيم، إلا إسحاق ﷺ، ومن خرج من صلبه وهو ما ركز عليه كاتبو سفر التكوين حتى وفاة يوسف ﷺ.

وأما أسفار الخروج ـ والعدد ـ واللاويين ـ والتثنية ـ فقد تحدثت عن الخروج من مصر إلى سيناء، وما كان من أمر القوم مع موسى وهارون ﷺ، والآداب التي كلفوا بها، فتخلوا عنها، فضلاً عن ذكرها لقتل موسى لهارون ﷺ لأنه حقد عليه، كما أشارت إلى وفاة موسى ﷺ ودفنه وحزن بني إسرائيل عليه، وأنه لم يقم نبي في بني إسرائيل مثله بعده. مع نسبة هذا الكلام إلى موسى. وهذه الأسفار تسمى بالتوراة عند الإطلاق.

---

(١) عبد الوهاب زيتون، الأصولية في اليهودية (ص١٤١).

٢ ـ **الأسفار التاريخية**: وعددها اثنا عشر هي: يشوع ـ القضاة ـ راعوث ـ صموئيل الأول والثاني ـ الملوك الأول والثاني ـ أخبار الأيام الأول والثاني ـ عزرا ـ نحميا ـ أستير ـ.

وهذا القسم يدل اسمه على محتواه حيث التركيز على تاريخ بني إسرائيل بعد وفاة موسى ﷺ وهي خير معبر عن شرور القوم وآثامهم وفسادهم الخلقي فضلاً عن إلقائها الضوء على السلب والنهب والغصب كأمر مشروع عند اليهود.

٣ ـ **الأسفار الشعرية**: وعددها خمسة هي: أيوب ـ مزامير داود ـ أمثال سليمان ـ الجامعة ـ نشيد الإنشاد ـ وهي في جملتها ضرب من الحِكَم والأمثال والترانيم فضلاً عن سيرة أيوب ﷺ مع فساد خُلُقي عبَّر عنه في سفر نشيد الإنشاد بدعوى أنه أدب صوفي يهودي.

٤ ـ **أسفار الأنبياء**: وعددها سبعة عشر سفراً هي: أشعيا ـ أرميا ـ مراثي أرميا ـ حزقيال ـ دانيال ـ هوشع ـ يؤئيل ـ عاموس ـ عوبديان ـ يونان ـ ميخا ـ ناحوم ـ حبقوق ـ صفنيا ـ حجي ـ زكريا ـ ملاخي.

وبذلك تكون الأسفار في جملتها تسعة وثلاثين (٣٩) سفراً تعورف عليها باسم (العهد القديم).

وقد بقيت أسفار عدة محل خلاف من حيث القَبول والرد[1].

ويكفي المسلم أن القرآن قد أشار إلى أن تحريفاً قد وقع في هذا المصدر، وأن اليد اليهودية قد امتدت إليه بالزيادة كما سيأتي.

والذي بقي من نسخ التوراة المتداولة الآن ثلاثة أنواع:

١ ـ **العبرانية**: وهي معتبرة لدى اليهود، والبروتستانت.

٢ ـ **اليونانية**: معتبرة لدى النصارى جميعاً، حتى القرن الخامس عشر

---

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١/١٦٦ ـ ١٥٧)، والملل والنحل للشهرستاني (٢/٩ ـ ١١)، وإظهار الحق (ص٩٥ ـ ١٠٠)، ومقدمة ابن خلدون (ص٢٠٧).

للميلاد، وكانوا يعتقدون بتحريف العبرانية، وهي لم تزل معتبرة عند الكنيسة اليونانية، وكنائس المشرق.

٣ ـ **السامرية**: وهي معتبرة لدى السامريين، وهي كالعبرانية، ولكنها سبعة أسفار، وتزيد عليها بالألفاظ والفقرات، ومن النصارى من يفضلها على العبرانية[(١)].

❏ ترجمة التوراة:

بدأت الترجمات العربية القديمة في أوائل القرن التاسع للميلاد، وأقدم ترجمة عربية للتوراة من العبرانية واليونانية والسريانية كانت في زمن هارون الرشيد رحمه الله.

ترجمها: أحمد بن عبد الله سلام الإنجيلي مولى هارون الرشيد[(٢)]، وترجمة يوحنا أسقف إشبيليا في إسبانيا عام ٧٢٤م[(٣)] كما ترجمها أبو زيد حنين بن إسحاق النسطوري ـ يهودي ت٢٩٠هـ ـ ٨٧٣م ـ من السبعينية اليونانية إلى العربية وهي أصح النسخ عند الأغلبية. وهنالك تراجم عربية غيرهم لم يصلنا من جميعها شيء.

أما أشهر الترجمات العربية الحديثة فهي ما يلي:

١ ـ ترجمة فارس يوسف الشدياق (١٨٠٤ ـ ١٨٨٢م) في لندن بمعاونة الدكتور لي، وهي دقيقة جداً طبعت عام (١٨٥٧م). ولكنها بعد طبع الترجمة أعلن المؤلف إسلامه في تونس وسمى نفسه (أحمد أبو العباس) فمنعت من التداول وصودرت وهي أصح الترجمات.

٢ ـ الترجمة البروتستانتية الأمريكية: (١٨٦٠ ـ ١٨٦٤م) وقامت بها الإرساليات الأمريكية ـ بيروت.

---

(١) إظهار الحق، رحمة الله الهندي (١/ ٢١٧ ـ ٢١٨).

(٢) الفهرست لابن النديم (ص٢٢) بتصرف يسير.

(٣) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية. د. فتحي محمد الزغبي.

٣ ـ ترجمة اليسوعية الكاثوليكية عام (١٨٧٢ ـ ١٨٨٠م) في بيروت. أعيدت طباعتها في مجلد واحد سنة ١٩٦٠م.

٤ ـ ترجمة الآباء الدومنيكان في الموصل عام (١٨٧٨م).

٥ ـ ترجمة سميث وكرينلوس البستاني واليازجي عام (١٨٦٥م)[1].

❏ التلمود:

ومن الكتب المعتبرة عند اليهود (التلمود)، ويسمونه قديماً (المثناة) و(المشنا)، وربما كان مقدماً عند أكثرهم على التوراة، ولعله المقصود ببعض الآثار: أنهم استحدثوا كتاباً من عندهم وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، **وقد وردت آثار بذكره منها:**

١ ـ عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بني إسرائيل كتبوا كتاباً واتبعوه وتركوا التوراة**»[2].

٢ ـ وروي أن عمر بن الخطاب ﷺ أراد أن يكتب السنن فاستشار أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق يستخير الله فيها شهراً ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له، فقال: «إني كنت أريد أن اكتب السنن، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً»[3]. والفاروق ﷺ يقصد المثناة.

٣ ـ كما روى ابن حزم بسنده إلى زيد بن أسلم قال: حدثه أن يهودية جاءت إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقالت: إن ابني هلك فزعمت اليهود أنه لا حق لي في ميراثه، فدعاهم عمر ﷺ، فقال: «ألا تعطون هذه حقها؟ فقالوا: لا نجد لها حقاً في كتابنا، فقال: أفي التوراة؟ قالوا: بل في المثناة، قال: وما المثناة؟ قالوا: كتاب كتبه أقوام علماء حكماء، فسبَّهم عمر ﷺ وقال:

---

(١) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، د. فتحي محمد الزغبي (ص٦١ ـ ٦٢).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٥/ ٣٥٩)، وقال الهيثمي: رجاله ثقات مجمع الزوائد (١/ ١٥٠)، ورواه الدارمي عن أبي موسى موقوفاً (١/ ١٣٥).

(٣) مصنف عبد الرزاق (١١/ ٢٥٧).

اذهبوا فأعطوها حقها»[١].

٤ ـ وقال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الأعراف: ١٦٩] قال: «هؤلاء اليهود كتبوا كتاباً ضادوا به كتاب الله، يقال له **المثناة**، المحق فيها مبطل في التوراة، والمبطل فيها محق في التوراة»[٢].

والتلمود: هو المصدر الثاني من حيث المنزلة الدينية في الظاهر، والأول من حيث الالتزام والتطبيق، ومحتواه عبارة عن تعاليم وضعها الحاخامات عبر فترة زمنية لاقى اليهود فيها من الهوان ما لاقَوْا، وبخاصة بعد استذلالهم من قبل غيرهم، وتفرقهم إلى سائر البقاع، فلعبت البقية الباقية دورها في وضع تلك التعاليم لجمع شتات اليهود ثانية، ولإحياء نزعة العنصرية وادعاء الاصطفاء، فضلاً عن تفاصيل تتناول جوانب السياسة والاقتصاد والاجتماع والعقيدة والأخلاق. إفساداً للعقائد، وتحريفاً لكلام الله، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فليهن أمة الغضب علم المشنا والتلمود وما فيهما من الكذب على الله وعلى كليمه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وما يحدث لهم أحبارهم وعلماء السوء منهم كل وقت»[٣].

وقد قسم علماء اليهود التلمود إلى قسمين:

١ ـ **الأول: «المشناة»** وهي كلمة تعني الأصل أو المتن أو الجوهر أو الصلب. ومحتواها عبارة عن جملة من التعاليم الشفوية التي كانت تنقل شفاهاً على ألسنة الساسة وقادة التوجيه، ثم بدا لهم التدوين في أواخر القرن الأول ومطلع القرن الثاني الميلادي.

٢ ـ **الثاني: «الجمارة»** وهي شروح للنصوص السابقة وقد نمت تلك الشروح في منطقتين. أولاهما: فلسطين وهي الأقدم والأقل حجماً، وثانيتهما: في بابل وهي تبلغ حداً كبيراً في الحجم. وقد كان للشروح أثرها في وجود تلمودين.

---

(١) المحلى (٩/ ٣٠٧).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٠٧).

(٣) هداية الحيارى (١/ ١٢٩).

أ ـ **الأول**: تلمود فلسطين أو أورشليم.

ب ـ **الثاني**: تلمود بابل وهو المراد عند الإطلاق[١].

هذا ويدعي بعض اليهود أن «المشناة» قد أوحي بها إلى موسى عليه السلام شفاهاً في طور سيناء محاولين ليّ بعض النصوص لإثبات ذلك، وأن أربعين من علماء اليهود قد تناقلوا تلك التعاليم عن موسى جيلاً بعد جيل، زمن وجود الهيكل، فلما هدم دونت تلك التعاليم لتكون وسيلة لجمع شتات اليهود. كما قال ابن النديم: «سألت رجلاً من أفاضلهم عن ذلك فقال: أنزل الله جل اسمه على موسى التوراة. . . ولموسى كتاب يقال له: المشنا ومنه يستخرج اليهود علم الفقه والشرائع والأحكام وهو كتاب كبير»[٢].

وتشتمل المشناة على ستة مباحث تتعلق بـ لوائح الزراعة ـ لوائح الأعياد ـ والصيام ـ قوانين الزواج والطلاق والنذور ـ وعلاقة اليهود بغيرهم ـ القوانين المدنية والجنائية ـ قوانين الصلاة ـ قوانين الطهارة والنجاسة ـ كما يلحق بها بعض الرسائل الأخرى[٣].

وقد اعترى التلمود ما اعترى العهد القديم من زيادة ونقصان وتصحيف وتحريف وقبول وردّ.

قال ابن القيم عن التلمود: «ولم يكن المؤلفون له في عصر واحد وإنما ألفوه في جيل بعد جيل، فلما نظر متأخروهم إلى ذلك، وأنه كلما مر عليه الزمان زادوا فيه، وفي الزيادات المتأخرة ما ينقض كثيراً من أوله، علموا أنهم إن لم يقفلوا باب الزيادة وإلا أدى إلى الخلل الفاحش، فقطعوا الزيادة وحظروها على فقهائهم، وحرموا من يزيد عليه شيئاً فوقف الكتاب على ذلك المقدار»[٤].

---

(١) التلمود تاريخه وتعاليمه ـ ظفر الإسلام خان (ص١١، ١٢)، والكنز المرصود في قواعد التلمود (ص٤١، ٤٢)، والفكر الديني اليهودي وهو من أوسعها تفصيلاً د. حسن ظاظا.

(٢) الفهرست باختصار (١/ ٣٤).

(٣) التلمود تاريخه وتعاليمه (ص١٥ ـ ١٧).

(٤) هداية الحيارى (١/ ١٣٢ ـ ١٣٣).

وفي القرن الخامس عشر الميلادي أجرى اليهود بعض التعديلات فيه، وذلك بحذف بعض النصوص المتعلقة بلعن المسيح عليه السلام وسبه وسب أتباعه؛ حتى لا يكون ذلك وسيلة لإيذاء نصارى الغرب لهم.

وقدسية التلمود آكد وأشد من قدسية التوراة، وأقوال الحاخامات أعلى قدراً من نصوص الوحي ـ كما يزعمون ـ[١].

❖ المطلب الثاني ❖

تحريف التوراة والاتجار بها

لا شك أن اليهود هم أهل التحريف كما وصفهم الله في آيات كثيرة كما قال تعالى:

١ ـ ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة].

٢ ـ ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦].

٣ ـ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ١٣].

٤ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ [المائدة: ٤١].

والتحريف منطبق عليهم جميعاً، جيلاً بعد جيل، قال الطبري رحمه الله: «يحرفون كلام ربهم الذي أنزله على نبيهم موسى ﷺ، وهو التوراة، فيبدلونه ويكتبون بأيديهم غير الذي أنزله الله جل وعز على نبيهم، ويقولون لجهال الناس: هذا هو كلام الله الذي أنزله على نبيه موسى ﷺ، والتوراة التي أوحاها إليه. وهذا من صفة القرون التي كانت بعد موسى من اليهود ممن أدرك بعضهم عصر نبينا محمد ﷺ، ولكن الله عز ذكره أدخلهم في عداد الذين

---

(١) التلمود تاريخه وتعاليمه (ص٢٩)، والكنز المرصود (ص٤٤، ٤٨).

ابتدأ الخبر عنهم ممن أدرك موسى منهم، إذ كانوا من أبنائهم وعلى منهاجهم في الكذب على الله والفرية عليه ونقض المواثيق التي أخذها عليهم في التوراة»[(١)].

وأسباب تحريفهم لكلام الله، وأحكامه، هي أهواؤهم مرة، وحسدهم مرة، والمتاجرة بدينهم وبيعه رخيصاً لأتباعهم مراراً كثيرة.

فعن البراء بن عازب ﷺ قال: «مُرَّ على النبي ﷺ بيهودي محمَّم[(٢)] مجلود»، فدعا النبي ﷺ رجلاً من علمائهم، فقال: «**أهكذا تجدون حد الزاني فيكم؟**»، قال: نعم. قال: «**فأنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني فيكم؟**»، قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أحدثك، ولكن الرجم، ولكن كثر الزنا في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، فقلنا تعالوا نجتمع فنضع شيئاً مكان الرجم فيكون على الشريف والوضيع، فوضعنا التحميم والجلد مكان الرجم. فقال النبى ﷺ: «**اللَّهُمَّ إني أنا أول من أحيا أمرك إذ أماتوه**». فأمر به فرُجم، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ الآية [آل عمران: ١٧٦]»[(٣)].

وللعلماء في معنى تحريف اليهود للتوراة أقوال:

١ - **القول الأول**: هو أن التحريف والتبديل قد وقع في التأويل لا في النص المنزل. فمعنى تحريف الكلام عند من يقولون بهذا الرأي هو: أنهم - يتأوّلونه على غير تأويله -؛ أي: تحريفاً معنوياً، ومن القائلين بهذا القول الإمام البخاري رحمه الله قال: «﴿يُحَرِّفُونَ﴾ [النساء: ٤٦] يزيلون، وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله ﷻ ولكنهم يحرفونه: يتأولونه على غير تأويله»[(٤)].

وهو اختيار ابن كثير رحمه الله[(٥)].

٢ - **القول الثاني**: وهو أن التوراة قد غُيِّرت وبُدِّلت، في اللفظ

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ١٥٥).
(٢) حَمَّمَهُ تَحميماً: سخم وجهه بالفحم. مختار الصحاح (١/ ٦٦).
(٣) مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٨٦)، واللفظ له وأصله في صحيح البخاري (٤/ ١٦٦٠).
(٤) صحيح البخاري (٦/ ٢٧٤٥). (٥) تفسير ابن كثير (١/ ١١٦).

والمعنى، ولكن التغيير والتحريف أصاب جملاً قليلة وألفاظاً يسيرة. أما أكثر التوراة فهو باقٍ على ما أنزله الله على موسى الكليم عليه السلام. وممن قال بهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: «إن ما وقع من التبديل قليل، والأكثر لم يبدل، والذي لم يبدل فيه ألفاظ صريحة تبين بها المقصود من غلط ما خالفها، ولها شواهد ونظائر متعددة يصدق بعضها بعضاً، بخلاف المبدل فإنه ألفاظ قليلة، وسائر نصوص الكتب يناقضها، وصار هذا بمنزلة كتب الحديث المنقولة عن النبي ﷺ»[١]. وقال: «يعلم من هذا أن التوراة التي كانت موجودة بعد خراب بيت المقدس وبعد مجيء بختنصر وبعد مبعث المسيح عليه السلام وبعد مبعث محمد ﷺ فيها حكم الله والتوراة التي كانت عند يهود المدينة على عهد رسول الله ﷺ، وإن قيل أنه غيّر بعض ألفاظها بعد مبعثه فلا نشهد على كل نسخة في العالم بمثل ذلك فإن هذا غير معلوم لنا، وهو أيضاً متعذر بل يمكن تغيير كثير من النسخ وإشاعة ذلك عند الأتباع حتى لا يوجد عند كثير من الناس إلا ما غير بعد ذلك، ومع هذا فكثير من نسخ التوراة والإنجيل متفقة في الغالب إنما يختلف في اليسير من ألفاظها فتبديل ألفاظ اليسير من النسخ بعد مبعث الرسول ممكن لا يمكن أحداً أن يجزم بنفيه، ولا يقدر أحد من اليهود والنصارى أن يشهد بأن كل نسخة في العالم بالكتابين متفقة الألفاظ، إذ هذا لا سبيل لأحد إلى علمه، والاختلاف اليسير في ألفاظ هذه الكتب موجود في الكثير من النسخ كما قد تختلف نسخ بعض كتب الحديث، أو تبدل بعض ألفاظ بعض النسخ»[٢].

٣ ـ **القول الثالث**: أن التوراة التي جاء بها موسى عليه السلام كلها أو أكثرها قد بُدِّل وغيِّر. والتوراة التي نزلت على موسى عليه السلام لا تطابق بينها وبين التوراة الموجودة بين أيدي الناس اليوم في شيء، وأن أحبار اليهود أولوا كثيراً من آيات التوراة تأويلاً فاسداً وباطلاً. ولكنهم كذلك لم يقتصروا على تحريف التأويل؛ بل قاموا فعلاً بإضافة أشياء كثيرة لم ينزلها الله تعالى، ومن

(١) الجواب الصحيح (٢/ ٤٤٢).

(٢) دقائق التفسير ـ ابن تيمية (٢/ ٥٠).

المستحيل أن يكون قد أنزلها، مثل زعمهم ـ أن الله قام بمصارعة يعقوب عليه السلام طوال الليل ومع هذا لم يستطع أن يتغلب على يعقوب ـ. ومثل زعمهم أن الله منع آدم عليه السلام من الأكل من شجرة المعرفة حتى يبقى جاهلاً فلا يستطيع أن ينافس الرب في ملكوته ـ وأن هارون عليه السلام هو الذي صنع لبني إسرائيل العجل ـ وهو الذي أمرهم بعبادته. إلى آخر الأمثلة الكثيرة كما ذكر ذلك ابن حزم(١) وإلى هذا القول ذهب الإمام ابن القيم الذي يقول: «وفي التوراة التي بأيديهم من التحريف والتبديل وما لا يجوز نسبته إلى الأنبياء ما لا يشك فيه ذو بصيرة، والتوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام بريئة»(٢). ورجح هذا القول ابن حجر قال: «ولا خلاف أنهم حرفوا وبدلوا، والاشتغال بنظرها وكتابتها لا يجوز بالإجماع»(٣).

وهذا هو الرأي الراجح ـ إن شاء الله ـ لوجاهة أدلته الكثيرة، وقد ذهب إليه مجموعة من علماء الإسلام الذين اطلعوا على التوراة ودرسوها دراسة فاحصة، وتتبعوا ما فيها مما لا يمكن أن ينسب ما فيه إلى الله عز وجل(٤).

ومن أهم الأمور التي ثبت تحريفهم لها: تحريفهم للبشارات بنبينا صلى الله عليه وسلم بتبديل صفته فيها أو بحذفها أو تأويلها وهو أكثر ما يهمنا هنا:

١ ـ فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٧٩]، قال:

---

(١) الفصل في الملل والنحل (١/ ٩٣) وما بعدها.
(٢) هداية الحيارى (١/ ١٠٧). (٣) فتح الباري (١٣/ ٥٢٥).
(٤) د. محمد شلبي شتيوي: التوراة دراسة وتحليل، بتصرف. وممن فصل في ذلك: الإمام الغزالي الذي رد عليهم في كتابه «الرد الجميل»، وعبد الملك الجويني إمام الحرمين، والإمام ابن القيم في كتابه «هداية الحيارى». . والإمام القرطبي صاحب التفسير المشهور في كتابه «الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام»، والإمام علي بن محمد بن عبد الرحمن الباجي الشافعي. وله كتابان في الرد على عقائد اليهود والنصارى: الأول أسماه «الرد على اليهود والنصارى» والثاني: نقد للتوراة اليونانية وتعليق على كل إصحاح تقريباً في جميع الأسفار الخمسة، وقد أسماه: «الرد على التوراة». ورحمة الله الهندي في كتابه «إظهار الحق».

«أحبار اليهود وجدوا صفة محمد ﷺ مكتوباً في التوراة: أكحل أعين، ربعة جعد الشعر، حسن الوجه، فما وجدوه في التوراة محوه حسداً وبغياً، فأتاهم نفر من قريش من أهل مكة فقالوا: تجدون في التوراة نبياً منا؟ قالوا: نعم، نجده طويلاً أزرق سبط الشعر، فأنكرت قريش وقالوا: ليس هذا منا... وقالوا: لا نجد نعته عندنا، وقالوا للسفلة: ليس هذا نعت النبي الذي يحرم كذا وكذا كما كتبوه وغيروا نعت هذا كذا كما وصف فلبسوا على الناس، وإنما فعلوا ذلك لأن الأحبار كانت لهم مأكلة يطعمهم إياها السفلة لقيامهم على التوراة فخافوا أن تؤمن السفلة فتنقطع تلك المأكلة»[1].

وعن أبي صخر العقيلي رضي الله عنه قال: «خرجت إلى المدينة فتلقاني رسول الله ﷺ بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما يمشي، فمر بيهودي ومعه سفر فيه التوراة يقرؤها على ابن أخ له مريض بين يديه، فقال النبي ﷺ: **«يا يهودي، نشدتك بالذي أنزل التوراة على موسى، وفلق البحر لبني إسرائيل، أتجد في توراتك نعتي وصفتي ومخرجي»**، فأومأ برأسه أن لا، فقال ابن أخيه: لكني أشهد بالذي أنزل التوراة على موسى، وفلق البحر لبني إسرائيل، أنه ليجد نعتك وزمانك وصفتك ومخرجك في كتابه، وأنا أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأنك رسول الله، فقال النبي ﷺ: **«أقيموا اليهودي عن صاحبكم»**، وقُبض الفتى فصلى عليه النبي ﷺ وأجنَّه»[2].

وسيأتي زيادة تفصيل في موقفهم من الرسول ﷺ بإذن الله.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٥٤)، ودلائل النبوة للبيهقي (١/١٥٧)، وللتوسع تفسير الدر المنثور (١/ ٢٠٢).

(٢) رواه الإمام أحمد (٥/ ٤١١)، ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ١٨٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٣٤) وقال ابن كثير: حديث جيد قوي له شاهد في الصحيح عن أنس، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥٢).

المبحث الثالث

الاثار الواردة في موقفهم من الإنجيل

أولاً: الآثـــار

۞ قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣].

(٤٠٦) ١٥٠٤ ـ حدثنا أبو كريب قال: ثنا يونس بن بكير، وحدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة بن الفضل قالا جميعاً: ثنا ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ أي: كل يتلو في كتابه تصديق ما كفر به: أي يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم من الميثاق على لسان موسى بالتصديق بعيسى عليه السلام، وفي الإنجيل مما جاء به عيسى تصديق موسى وما جاء به من التوراة من عند الله؛ وكل يكفر بما في يد صاحبه[(١)].

۞ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [القصص: ٤٨].

(٤٠٧) ٢٠٩٤٠ ـ حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾ قالت ذلك أعداء الله اليهود للإنجيل والفرقان

---

(١) تفسير الطبري (١/٤٩٦)، تفسير ابن أبي حاتم (١/٢٠٩)، تفسير ابن كثير (١/١٥٦)، إسناده ضعيف.

فمن قال ﴿ساحران﴾ فيقول: محمد وعيسى ابن مريم عليه السلام[١].

(٤٠٨) ٢٠٩٤٢ ـ حدثنا ابن حميد قال: ثنا يحيى بن واضح قال: ثنا عبيد عن الضحاك ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ يقول: بالإنجيل والقرآن[٢].

❁ **قوله تعالى:** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة].

(٤٠٩) ١٢٨٦ ـ حدثني المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ أي: بما بعده؛ يعني: بما بعد التوراة[٣].

ثانياً: الدراسة

بعث الله نبيه عيسى عليه السلام رسولاً مصدقاً للتوراة التي هي كتاب الله لبني إسرائيل، وأنزل معه الإنجيل فيه موعظة لهم، وتخفيف لبعض ما حرم عليهم كما قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة].

قال ابن كثير رحمه الله: «أي مؤمناً بها حاكماً بما فيها ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ أي: هدى إلى الحق ونور يستضاء به في إزالة الشبهات وحل المشكلات ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أي: متبعاً لها غير مخالف لما

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٨٥)، تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٨٥)، تفسير الدر المنثور (٦/ ٤٢١)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).
(٢) تفسير الدر المنثور بلفظ: بالتوراة والقرآن (٦/ ٤٢١)، تفسير ابن أبي حاتم بلفظ: بالتوراة والقرآن (٩/ ٢٩٨٦)، إسناده ضعيف.
(٣) تفسير الطبري (١/ ٤١٩)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٧٤)، حسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/ ٣٦٦).

فيها إلا في القليل مما بُيِّن لبني إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه، كما قال تعالى إخباراً عن المسيح عليه السلام أنه قال لبني إسرائيل: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْۚ﴾ [آل عمران: ٥٠] ولهذا كان المشهور من قول العلماء أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة، وقوله تعالى: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: وجعلنا الإنجيل هدًى يهتدى به، وموعظة؛ أي زاجراً عن ارتكاب المحارم والمآثم، للمتقين؛ أي: لمن اتقى الله وخاف وعيده وعقابه[١].

وقد أعلمهم الله أن إيمانهم بما بعد التوراة هو الصحيح؛ لأن المصدر واحد، والإيمان بالسابق يستلزم الايمان باللاحق.

قال الطبري رحمه الله: «وإنما قال جل ثناؤه: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْۗ﴾ [البقرة: ٩١] لأن كتب الله يصدق بعضها بعضاً؛ ففي الإنجيل والقرآن من الأمر باتباع محمد ﷺ والإيمان به وبما جاء به، مثل الذي من ذلك في توراة موسى عليه السلام؛ فلذلك قال جل ثناؤه لليهود إذ خبرهم عما وراء كتابهم الذي أنزله على موسى صلوات الله عليه من الكتب التي أنزلها إلى أنبيائه: إنه الحق مصدقاً للكتاب الذي معهم؛ يعني: أنه له موافق فيما اليهود به مكذبون».

قال: «وذلك خبر من الله أنهم من التكذيب بالتوراة على مثل الذي هم عليه من التكذيب بالإنجيل والفرقان، عناداً لله وخلافاً لأمره وبغياً على رسله صلوات الله عليهم»[٢].

ولم ترد آثار عن تحريف اليهود للإنجيل كما هو المشهور من فعل شاول اليهودي المتسمِّي بـ(بولس الرسول) الذي أدخل في النصرانية ما ليس منها كما فصَّل ذلك ابن حزم[٣] وغيره، وينقل المفسرون هذه الرواية: أن أتباع عيسى عليه السلام كانوا على الحق بعد رفع عيسى، حتى وقع حرب بينهم وبين اليهود، وكان في اليهود رجل شجاع يقال له: بولس قتل جمعاً من أصحاب عيسى عليه السلام، ثم قال لليهود: إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا،

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٦٥).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٤١٩).
(٣) الفصل في الملل (٢/ ٦١).

ونحن مغبونون إن دخلوا الجنة ودخلنا النار، وإني أحتال فأضلّهم، فعقر فرسه وأظهر الندامة مما كان يصنع، ووضع على رأسه التراب، وقال: نوديت من السماء ليس لك توبة إلا أن تتنصَّر، وقد تبت، فأدخله النصارى الكنيسة ومكث سنة لا يخرج، وتعلم الإنجيل فصدقوه وأحبوه، ثم مضى إلى بيت المقدس واستخلف عليهم رجلاً اسمه نسطور وعلمه أن عيسى ومريم والإلٰه كانوا ثلاثة، وتوجه إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت، وقال: ما كان عيسى إنساناً ولا جسماً، ولكنه الله، وعلَّم رجلاً آخر يقال له يعقوب ذلك، ثم دعا رجلاً يقال له: ملكاً فقال له: إن الإلٰه لم يزل ولا يزال عيسى، ثم دعا لهؤلاء الثلاثة وقال لكل واحد منهم: أنت خليفتي فادع الناس إلى إنجيلك، ولقد رأيت عيسى في المنام ورضي عني، وإني غداً أذبح نفسي لمرضاة عيسى، ثم دخل المذبح فذبح نفسه، ثم دعا كل واحد من هؤلاء الثلاثة الناس إلى قوله ومذهبه فهذا هو السبب في وقوع هذا الكفر في طوائف النصارى[1].

قال شيخ الإسلام «.. كما حصل مقصود بولس بإفساد الملة النصرانية بالرسائل التي وضعها لهم»[2].

---

(١) تفسير البغوي (٢/ ٢٨٥)، تفسير القرطبي (٦/ ٢٥)، التفسير الكبير، الرازي (٢٨/١٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٢١٤).

المبحث الرابع

الآثار الواردة في موقفهم من القرآن

أولاً: الآثـــار

❁ قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد].

(٤١٠) حدثنا الحسين بن علي الصدائي قال: ثنا أبو داود الطيالسي قال: ثنا شعيب بن صفوان قال: ثنا عبد الملك بن عمير أن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام قال: قال عبد الله بن سلام: أنزل فيَّ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

(٤١١) ١٥٥٧٦ ـ حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ﷺ قوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فالذين عندهم علم الكتاب: هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى(١).

❁ قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء].

(٤١٢) ١٧١١٤ ـ حدثنا أبو كريب قال: ثنا يونس بن بكير قال: ثنا محمد بن إسحاق قال: ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: ثني

---

(١) تفسير الدر المنثور (٤/٦٦٨)، تفسير ابن كثير (٢/٥٢٢)، إسناده ضعيف.

سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس ﵄ قال: «أتى رسول الله ﷺ محمود بن سيحان، وعمر بن أصان، وبحري بن عمرو، وعزيز بن أبي عزيز وسلام بن مشكم فقالوا: أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئتنا به حق من عند الله ﷻ فإنا لا نراه متناسقاً كما تناسق التوراة، فقال لهم رسول الله ﷺ: **«أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاؤوا به»**، فقال عند ذلك وهم جميعاً: فنحاص وعبد الله بن صوريا وكنانة بن أبي الحقيق وأشيع وكعب بن أسد وسموءل بن زيد وجبل بن عمرو: يا محمد ما يعلمك هذا إنس ولا جان؟ فقال رسول الله ﷺ: **«أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل»**، فقالوا: يا محمد إن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما شاء ويقدر منه على ما أراد، فأنزل علينا كتاباً تقرؤه ونعرفه وإلا جئناك بمثل ما تأتي به، فأنزل الله ﷻ فيهم وفيما قالوا: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء]»(١).

۞ قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ [آل عمران: ١١٩].

(٤١٣) ٦٠٩٠ ـ حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق قال: ثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﵄: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ «أي: بكتابكم وكتابهم وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم فأنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم»(٢).

---

(١) تفسير الدر المنثور (٥/ ٣٣٦).

(٢) تفسير الدر المنثور (٢/ ٣٠١)، تفسير ابن كثير (١/ ٤٠٠)، إسناده ضعيف.

❁ قوله تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾ الآية [الحجر].

(٤١٤) ١٦١٤٠ ـ حدثني عيسى بن عثمان الرملي قال: ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله الله: ﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر] قال: هم اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض[1].

❁ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المائدة].

(٤١٥) ٩٥٨٨ ـ حدثني المثنى قال: ثنا عبد الله بن صالح قال: ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ قال: الفرقان. يقول: فلا تحزن[2].

(٤١٦) ١٥٦١ ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [البقرة] قال: من كفر بالنبي ﷺ من يهود فأولئك هم الخاسرون[3].

(٤١٧) ١٥٦٢ ـ حدثني محمد بن المثنى، قال: حدثني ابن أبي عدي، وعبد الأعلى، وحدثنا عمرو بن علي، قال: ثنا ابن أبي عدي جميعاً، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ يتبعونه حق اتباعه[4].

---

(١) تفسير الدر المنثور (٥/ ٩٨)، تفسير ابن كثير (٢/ ٥٥٩)، المستدرك على الصحيحين (٢/ ٣٨٧).

(٢) تفسير ابن كثير عن مجاهد (٢/ ٨١)، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (١٠/ ٤٤١).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٥١٨)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢١٨)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٧٢)، تفسير ابن كثير (١/ ١٦٥)، صححه في التفسير الصحيح (٢/ ٣٥٢).

(٤) تفسير الطبري (١/ ٥١٩)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢١٨)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٧٢)، تفسير القرطبي (٢/ ٩٥).

ثانياً: الدراسة

تقدم معنا أن من اليهود من يكفر بكل كتاب، ومن هذه الكتب القرآن الكريم، ولكن من الإنصاف أن نذكر من آمن بالكتاب العزيز من اليهود ممن خضع لكلام الله، كما قال تعالى فيهم: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد].

وعلى اختلاف المفسرين في سبب نزول الآية إلا أنهم يجمعون أنها في من آمن من أهل الكتاب، حتى وإن لم يعين كما قال ابن كثير: «والصحيح في هذا أن ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ اسم جنس يشمل علماء أهل الكتاب الذين يجدون صفة محمد ﷺ ونعته في كتبهم المتقدمة من بشارات الأنبياء به، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء] وأمثال ذلك مما فيه الإخبار عن علماء بني إسرائيل أنهم يعلمون ذلك من كتبهم المنزلة»[1].

لكن الغالبية العظمى من اليهود كفروا بالكتاب العزيز، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة].

قال الطبري رحمه الله: «ولما جاء اليهود من بني إسرائيل الذين وصف جل ثناؤه صفتهم، ﴿كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ يعني بالكتاب: القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ، ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ يعني: مصدق للذي معهم من الكتب التي أنزلها الله من قبل القرآن»[2].

ومن ثم أنكر اليهود انتظارهم لهذا الكتاب: فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٢٢).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤١٠).

«قال ابن صوريا الفطيوني لرسول الله ﷺ: يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك بها، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [البقرة][(١)].

بل أنكروا أن يكون حقاً فتوعدهم الله بالعقوبة فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء].

وكانت هذه الآية سبباً في إسلام كعب الأحبار رحمه الله، فقد ساق الطبري بإسناده قال: «أسلم كعب في زمان عمر رضي الله عنه أقبل وهو يريد بيت المقدس، فمر على المدينة، فخرج إليه عمر رضي الله عنه فقال: «يا كعب أسلم! قال: ألستم تقرؤون في كتابكم: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥] وأنا قد حملت التوراة. قال: فتركه ثم خرج حتى انتهى إلى حمص، قال: فسمع رجلاً من أهلها حزيناً، وهو يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ الآية [النساء: ٤٧]، فقال كعب: «يا رب أسلمت! مخافة أن تصيبه الآية، ثم رجع فأتى أهله باليمن، ثم جاء بهم مسلمين»[(٢)].

وكان منهم من يصف القرآن بعدم التناسق، ويفاخر أنه لا يشبه تناسق التوراة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أتى النبي ﷺ ابن مشكم في عامة من يهود سماهم، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا، وإن هذا الذي جئت به لا نراه متناسقاً كما تناسق التوراة، فأنزل علينا كتاباً نعرفه وإلا جئناك بمثل ما تأتي به، فأنزل الله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ الآية [الإسراء: ٨٨][(٣)].

وخاطب الله على اليهود بشأن القرآن وكيف يؤمنون به في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٤٧).
(٢) تفسير الطبري (٥/ ١٢٤)، الدر المنثور (٢/ ٥٥٥).
(٣) تفسير الطبري (١٥/ ١٥٨)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٧٢)، لباب النقول، السيوطي (١/ ١٤٠).

ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [البقرة]، ومعنى الآية: الذين آتيناهم الكتاب يا محمد من أهل التوراة الذين آمنوا بك وبما جئتهم به من الحق من عندي، يتبعون كتابي الذي أنزلته على رسولي موسى صلوات الله عليه، فيؤمنون به، ويقرون بما فيه من نعتك وصفتك، وأنك رسولي فرض عليهم طاعتي في الإيمان بك والتصديق بما جئتهم به من عندي، ويعملون بما أحللت لهم، ويجتنبون ما حرمت عليهم فيه، ولا يحرِّفونه عن مواضعه ولا يبدلونه ولا يغيرونه كما أنزلته عليهم بتأويل ولا غيره. ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة] يتبعونه حق اتباعه[1].

ومن ثم ستقودهم الى الإيمان الحقيقي كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦] قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره هو القرآن ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦] أي: لو أنهم عملوا بما في الكتب التي بأيديهم عن الأنبياء على ما هي عليه من غير تحريف ولا تبديل ولا تغيير لقادهم ذلك إلى اتباع الحق والعمل بمقتضى ما بعث الله به محمداً ﷺ، فإن كتبهم ناطقة بتصديقه والأمر باتباعه حتماً لا محالة[2].

وهنا تساؤل وهو: كيف يقيمون التوراة والإنجيل وما أنزل إلى محمد ﷺ، مع اختلاف هذه الكتب ونسخ بعضها بعضاً؟

والجواب: أنه وإن كانت في بعض أحكامها وشرائعها اختلاف، فهي متفقة في الأمر بالإيمان برسل الله والتصديق بما جاءت به من عند الله؛ فمعنى إقامتهم التوراة والإنجيل وما أنزل إلى محمد ﷺ تصديقهم بما فيها، والعمل بما هي متفقة فيه، وكل واحد منها في الخبر الذي فرض العمل به[3].

ولكنهم لم يلتزموا بالإيمان بالقرآن ولا الانصياع إلى ما في كتبهم، فلم ينفعهم ذلك شيئاً كما قال ﷺ للبيد رضي الله عنه، فقد ذكر النبي ﷺ شيئاً فقال:

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٥١٩) باختصار. (٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٧٧).
(٣) تفسير الطبري (٦/ ٣٠٥) بتصرف يسير.

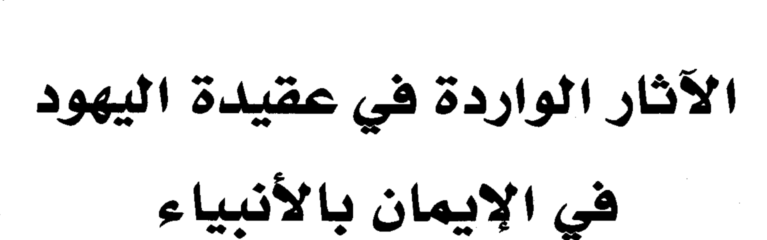
«وذاك عند ذهاب العلم» قال: قلنا: يا رسول الله، وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا وأبناؤنا يقرؤنه أبناءهم إلى يوم القيامة؟ فقال: **«ثكلتك أمك يا بن لبيد إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرأون التوراة والإنجيل ولا ينتفعون بما فيهما من شيء؟»**[1].

(١) رواه الإمام أحمد بن حنبل (٤/ ١٦٠)، ورواه ابن ماجه (٤٠٤٨).





الفصل الرابع



الآثار الواردة في عقيدة اليهود في الإيمان بالأنبياء

وفيه مبحثين:

المبحث الأول: موقفهم من الأنبياء مطلقاً.

المبحث الثاني: افتراؤهم على بعض الأنبياء.

المبحث الأول

موقفهم من الأنبياء مطلقاً

❖ المطلب الأول ❖

القتل

أولاً: الآثار

❁ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣﴾ [آل عمران].

(٤١٨) ٦٦٢٢ ـ حدثنا محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ﴾ كان الرجل يتصدق فإذا تقبل منه أنزلت عليه نار من السماء فأكلته[1].

(٤١٩) ٦٦٢٣ ـ حدثت عن الحسين قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ﴾ كان الرجل إذا تصدق بصدقة فتقبلت منه بعث الله ناراً من السماء فنزلت على القربان فأكلته[2].

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ١٩٧)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٣١)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٣٩٨)، تفسير ابن كثير (١/ ٤٣٥)، إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٤/ ١٩٧)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٨٣١)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٣٩٨)، إسناده ضعيف.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة].

(٤٢٠) ٩٥٥٨ ـ حدثني المثنى قال: ثنا إسحاق قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإسراء] قال: كان الفساد الأول فبعث الله عليهم عدواً فاستباحوا الديار واستنكحوا النساء واستعبدوا الولدان وخربوا المسجد. فغبروا زماناً ثم بعث الله فيهم نبياً وعاد أمرهم إلى أحسن ما كان. ثم كان الفساد الثاني بقتلهم الأنبياء حتى قتلوا يحيى بن زكريا عليه السلام فبعث الله عليهم بختنصر، قتل من قتل منهم وسبى من سبى وخرب المسجد، فكان بختنصر للفساد الثاني. (باختصار)[1].

قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإسراء].

(٤٢١) ١٦٦٤٨ ـ حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: كان إفسادهم الذي يفسدون في الأرض مرتين: قتل زكريا ويحيى بن زكريا عليهما السلام، سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف ملكاً من ملوك فارس من قتل زكريا، وسلط عليهم بختنصر من قتل يحيى[2].

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٣٠٣)، وحسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٧٧).

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٢٢)، تفسير الدر المنثور (٥/ ٢٤٣).

❖ المطلب الثاني ❖

التكذيب

۞ قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ [آل عمران].

(٤٢٢) ٦٦٢٤ ـ حدثني المثنى قال: ثنا إسحاق قال: ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ قال: يعزي نبيه ﷺ(١).

۞ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة].

(٤٢٣) ١٢٣٧ ـ حدثني بذلك محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ﴾ اليهود من بني إسرائيل(٢).

۞ قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

(٤٢٤) ٥٠٩٦ ـ حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ كما صنع القوم؛ يعني: بني إسرائيل قالوا: فلان نبي وفلان ليس نبياً، وفلان نؤمن به وفلان لا نؤمن به(٣).

---

(١) تفسير الطبري (٤/١٩٨)، تفسير ابن أبي حاتم عن قتادة (٣/ ٨٣٢)، تفسير الدر المنثور أيضاً عن قتادة (٢/ ٣٩٩).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤٠٥).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ١٥٣)، صححه في التفسير الصحيح (٢/ ٣٥٢).

۞ قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [النساء].

(٤٢٥) ٨٤٨٠ ـ حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ لما ترك القوم أمر الله وقتلوا رسله وكفروا بآياته ونقضوا الميثاق الذي أخذ عليهم. ﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ ولعنهم[(١)].

ثانياً: الدراســـة

لليهود مع الأنبياء سيرة عجيبة، وصفها الله ـ تبارك وتعالى ـ بانقسامهم حيال الأنبياء إلى قسمين: أنبياء كذبوهم، وأنبياء قتلوهم، فبئس ما وصفوا به، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آل عمران] وآيات أخرى كثيرة.

ومع كونهم من أكثر الأمم أنبياء كما مرّ معنا في أن من نعم الله عليهم (كثرة الأنبياء) إلّا أنهم استحقوا بكل سوء لقب (قتلة الأنبياء) كما قرنها الله بهم في آيات كثيرة، هو وصف لجميع اليهود على مرّ الأزمان، من قتل منهم ومن رضي، قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن اليهود الذين كانوا على عهد نبينا محمد ﷺ «ولم يكن من أولئك أحد قتل نبياً من الأنبياء لأنهم لم يدركوا نبياً من أنبياء الله فيقتلوه، قيل: إن معنى ذلك على غير الوجه الذي ذهبت إليه وإنما قيل ذلك كذلك لأن الذين عنى الله تبارك وتعالى بهذه الآية كانوا راضين بما فعل

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ١١)، تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٠٩)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

أوائلهم من قتل من قتلوا من الأنبياء، وكانوا منهم وعلى منهاجهم من استحلال ذلك واستجازته، فأضاف جل ثناؤه فعل ما فعله من كانوا على منهاجه وطريقته إلى جميعهم، إذ كانوا أهل ملة واحدة ونحلة واحدة، وبالرضا من جميعهم فعل ما فعل فاعل ذلك منهم»(١).

ومعلوم أن من أعظم الناس جرماً من قتل نبياً كما قال ﷺ: «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبياً**»(٢)، وهذا ما فعله اليهود كما في الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «قتلت بنو إسرائيل ثلاثمائة نبي من أول النهار ثم أقاموا سوق بقلهم من آخره»(٣)، ومن ذلك ما رواه أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، «أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟» قال: «**رجل قتل نبياً، أو رجل أمر بالمنكر ونهى عن المعروف**». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٢١] إلى أن انتهى إلى: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٢٢] ثم قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة رجل واثنا عشر رجلاً من عباد بني إسرائيل، فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار في ذلك اليوم، وهم الذين ذكر الله عز وجل**»(٤).

وفي الآيات التي ذكر فيها قتل اليهود للأنبياء، قرنت بقوله تعالى: ﴿بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾ [آل عمران: ٢١] وبـ ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [البقرة: ٦١] والحكمة ـ والله أعلم ـ مع أن قتل الأنبياء لن يكون بحق أبداً: أن هذا القول تعظيم للشنعة

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ١٩٦).

(٢) رواه الإمام أحمد (١/ ٤٠٧)، ومصنف عبد الرزاق (١٠/ ٣٩٨)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١١٧): ورواته ثقات.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٦)، وتفسير ابن كثير (١/ ٣٥٦)، والديلمي الفردوس بمأثور الخطاب (٣/ ٤٣٣) عن أبي ذر.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٢١)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٦).

والذنب الذي أتوه، ومعلوم أنه لا يقتل نبي بحق ولكن من حيث قد يتخيل متخيل لذلك وجهاً، فصرح قوله: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ عن شنعة الذنب ووضوحه، ولم يجترم قط نبي ما يوجب قتله، وإنما أتاح الله تعالى من أتاح منهم وسلط عليه كرامة لهم وزيادة في منازلهم كمثل من يقتل في سبيل الله من المؤمنين[(١)].

وممن ورد التصريح بقتلهم من الأنبياء: زكريا وابنه يحيى عليهما السلام، وقيل: أشعياء.

وأما كيفية قتلهم، فقد أورد الطبري رحمه الله آثاراً طويلة[(٢)] **حاصلها:**

أن من قتلوه من الأنبياء في إفسادهم المذكور في سورة الإسراء قولان:

١ ـ **أحدهما:** زكريا.

٢ ـ **والثاني:** أشعيا.

أما المقتول من الأنبياء في الفساد الثاني: فهو يحيى بن زكريا عليه السلام.

والسبب في قتلهم زكريا عليه السلام (بحسب الروايات المتداخلة) أنهم اتهموه بمريم وقالوا: منه حملت، فهرب منهم فانفتحت له شجرة فدخل فيها وبقي من ردائه هدب، فجاءهم الشيطان فدلهم عليه فقطعوا الشجرة بالمنشار وهو فيها.

والسبب في قتلهم أشعيا فهو أنه قام فيهم برسالة من الله ينهاهم عن المعاصي، وقيل: هو الذي هرب منهم فدخل في الشجرة حتى قطعوه بالمنشار وأن زكريا عليه السلام مات حتف أنفه.

وأما السبب في قتلهم يحيى بن زكريا عليه السلام:

أن ملكهم أراد نكاح امرأة لا تحل له فنهاه عنها يحيى عليه السلام.. فحنقت أمها على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها، وعمدت إلى ابنتها فزينتها وأرسلتها إلى الملك حين جلس على شرابه وأمرتها أن تسقيه وأن تعرض له، فإن أرادها

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الأندلسي (١/ ١٥٦)، وفصل فيها القرطبي (١/ ٤٣٢).

(٢) استغرقت أكثر من (١٥) صفحة، تفسير الطبري (١٥/ ٢٠) وما بعدها.

على نفسها أبت حتى يؤتى برأس يحيى بن زكريا عليه السلام في طست، ففعلت ذلك فقال: ويحك سليني غير هذا، فقالت: ما أريد إلا هذا، فأمر فأتي برأسه والرأس يتكلم ويقول: لا تحل لك لا تحل لك[(١)].

وأهم هذه النصوص الحديث المرفوع الذي رواه حذيفة رضي الله عنه قال عنه ابن كثير رحمه الله: «وقد روى ابن جرير في هذا المكان حديثاً أسنده عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً مطولاً، وهو حديث موضوع لا محالة لا يستريب في ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث، والعجب كل العجب كيف راج عليه مع جلالة قدره وإمامته، وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة أبو الحجاج المزي رحمه الله بأنه موضوع مكذوب، وكتب ذلك على حاشية الكتاب، وقد وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها؛ لأن منها ما هو موضوع من وضع بعض زنادقتهم، ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحاً ونحن في غنية عنها ولله الحمد، وفيما قص الله علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله، ولم يحوجنا الله ولا رسوله ﷺ إليهم، وقد أخبر الله عنهم أنهم لما طغوا وبغوا سلط الله عليهم عدوهم فاستباح بيضتهم وسلك خلال بيوتهم وأذلهم وقهرهم جزاء وفاقاً، وما ربك بظلام للعبيد، فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقاً من الأنبياء والعلماء... وجرت أمور وكوائن يطول ذكرها، ولو وجدنا ما هو صحيح أو ما يقاربه لجاز كتابته وروايته، والله أعلم»[(٢)].

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٢٠)، وزاد المسير، ابن الجوزي (٥/ ٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦)، باختصار ونقد هذه الروايات أبو شهبة رحمه الله في الإسرائيليات في التفسير (ص٢٣٤) وما بعدها.



المبحث الثاني

افتراؤهم على بعض الأنبياء

❖ المطلب الأول ❖

افتراؤهم على إبراهيم وبنيه بنسبتهم لليهودية

أولاً: الآثار

❁ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران].

(٤٢٦) ٥٦٩٥ ـ حدثني إسحاق بن شاهين الواسطي قال: ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عامر قال: قالت اليهود: إبراهيم على ديننا، وقالت النصارى: هو على ديننا، فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا...﴾ الآية. فأكذبهم الله وأدحض حجتهم؛ يعني: اليهود الذين ادعوا أن إبراهيم مات يهودياً[1].

❁ قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء].

(٤٢٧) ٢٠٢٥٨ ـ حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج عن أبي بكر عن عكرمة قوله: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ قوله ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]. قال: إن الله فضّله بالخلة حين اتخذه خليلاً، فسأل الله فقال: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣٠٧)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٢٣٧).

﴿ٱلْآخِرِينَ ۝٨٤﴾ حتى لا تكذبني الأمم فأعطاه الله ذلك، فإن اليهود آمنت بموسى وكفرت بعيسى، وإن النصارى آمنت بعيسى وكفرت بمحمد ﷺ، وكلهم يتولى إبراهيم؛ قالت اليهود: هو خليل الله وهو منا، فقطع الله ولايتهم منه بعد ما أقروا له بالنبوة وآمنوا به فقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٦٧﴾ [آل عمران]، ثم ألحق ولايته بكم فقال: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٨﴾ [آل عمران] فهذا أجره الذي عجل له وهي الحسنة إذ يقول: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةًۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٢٢﴾ [النحل]، وهو اللسان الصدق الذي سأل ربه(١).

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٤٠﴾ [البقرة].

(٤٢٨) **١٧٥٩** ـ فحدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى عن بن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠] قال: في قول يهود لإبراهيم وإسماعيل ومن ذكر معهما إنهم كانوا يهوداً أو نصارى. فيقول الله: لا تكتموا مني شهادة إن كانت عندكم فيهم. وقد علم أنهم كاذبون(٢).

(٤٢٩) **١٧٦٠** ـ حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: حدثني إسحاق عن أبي الأشهب عن الحسن أنه تلا هذه الآية: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ قال الحسن: والله لقد كان عند القوم من الله شهادة أن أنبياءه برآء من اليهودية والنصرانية كما أن عند القوم من الله شهادة أن أموالكم ودماءكم بينكم حرام

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٨٦).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٥٧٤)، تفسير الدر المنثور (١/ ٣٤١).

فبم استحلوها؟[١].

(٤٣٠) ٥٦٩٨ ـ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ [آل عمران: ٦٨] يقول: الذين اتبعوه على ملته وسُنَّته ومنهاجه وفطرته، ﴿وَهَٰذَا النَّبِيُّ﴾ وهو نبي الله محمد، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [آل عمران: ٦٨] وهم المؤمنون الذين صدقوا نبي الله واتبعوه، كان محمد رسول الله ﷺ والذين معه من المؤمنين أولى الناس بإبراهيم[٢].

ثانياً: الدراسة

طلب اليهود من الرسول ﷺ وأصحابه أن يكونوا هوداً حتى يهتدوا إلى الحق بزعمهم، ولكن الله ألهم نبيه ﷺ حجة بالغة، فأمره الله أن يقول لهم: تعالوا نتبع ملة إبراهيم عليه السلام التي تجمع جميعنا على الشهادة لها بأنها دين الله الذي ارتضاه واجتباه وأمر به، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥)﴾ [البقرة]، فاليهود إذاً يزعمون أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام وأبناؤه كانوا هوداً أو على ملتهم، وهذا محال؛ لأن اليهودية حدثت بعدهم، حين بعث الله موسى عليه السلام وقد أكذبهم الله بهذه الفرية بقوله: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠] يعني: بما كانوا عليه من الأديان، ثم جاء القول الفصل: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧)﴾ ومن أصدق من الله قيلاً، ولكن هل كان اليهود يظنون أنهم على حق في نسبتهم إبراهيم عليه السلام إلى اليهودية، أم هي عادتهم التي جُبلوا عليها من الافتراء والكذب؟

وختام الآية يبين الجواب: قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠]. فلا أظلم منهم، حين عرفوا الحق وكتموا شهادته.

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٥٧٤).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٣٠٨)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٢٣٩)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

ولكن هل لليهود شهادة عندنا؟ الجواب: «الشهادة التي عندهم من الله في أمرهم، ما أنزل الله إليهم في التوراة والإنجيل، وأمرهم فيها بالاستنان بسُنَّتهم واتباع ملتهم، وأنهم كانوا حنفاء مسلمين. وهي الشهادة التي عندهم من الله التي كتموها حين دعاهم نبي الله ﷺ إلى الإسلام، فقالوا له: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]، وقالوا له ولأصحابه: ﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾ [البقرة: ١٣٥]. فأنزل الله فيهم هذه الآيات في تكذيبهم وكتمانهم الحق، وافترائهم على أنبياء الله الباطل والزور»[(١)].

ولن يفيدهم أن يكون بينهم وبين من ذكروا من الأنبياء صلة النسب من غير متابعة لهم حتى يكونوا منقادين مثلهم لأوامر الله واتباع رسله.

وأما إبراهيم عليه السلام، فقد بيَّن الله من أولى الناس به فقال: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران] وليس كما قال رؤساء اليهود: والله يا محمد لقد علمت أنَّا أولى الناس بدين إبراهيم منك ومن غيرك، فإنه كان يهودياً وما بك إلا الحسد؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية[(٢)]. فكان أحق الناس بإبراهيم عليه السلام ونصرته وولايته، الذين سلكوا طريقه ومنهاجه، فوحدوا الله مخلصين له الدين، وسنوا سننه، وشرعوا شرائعه وكانوا لله حنفاء مسلمين غير مشركين به. وهم محمد ﷺ والذين صدقوا محمداً، وبما جاءهم به من عند الله.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لكل نبي ولاة من النبيين وإن وليي منهم أبي وخليل ربي** عز وجل، ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ [آل عمران: ٦٨]»[(٣)].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٥٧٥).

(٢) تفسير القرطبي (٤/ ١٠٩).

(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ٤٠٠)، وسنن الترمذي (٥/ ٢٢٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٠)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

❖ المطلب الثاني ❖

افتراؤهم في تعيين الذبيح

أولاً: الآثـــار

❁ قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات].

(٤٣١) ٢٢٦٤٦ ـ حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة قال: ثني محمد بن إسحاق عن بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي عن محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو خليفة إذ كان معه بالشام فقال له عمر: إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه وإني لأراه كما هو؛ ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهودياً فأسلم فحسن إسلامه وكان يرى أنه من علماء يهود، فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك فقال محمد بن كعب: وأنا عند عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: أي ابني إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل والله يا أمير المؤمنين وإن يهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكره الله منه لصبره لما أمر به، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأن إسحاق أبوهم، فالله أعلم أيهما كان، كل قد كان طاهراً طيباً مطيعاً لربه[١].

(٤٣٢) ٢٢٦٤٧ ـ حدثني محمد بن عمار الرازي قال: ثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة قال: ثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابي عن عبيد بن محمد العتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان عن أبيه قال: ثني عبد الله بن سعيد عن الصنابحي قال: كنا عند معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق فقال: على الخبير سقطتم: كنا عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل فقال: يا رسول الله عد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين؛ فضحك عليه الصلاة والسلام؛ فقلنا له: يا أمير المؤمنين وما الذبيحان؟ فقال: إن

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٨٤)، تفسير ابن كثير (٤/ ١٩)، إسناده ضعيف.

عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله لئن سهل عليه أمرها ليذبحن أحد ولده قال: فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا: افد ابنك بمئة من الإبل ففداه بمئة من الإبل وإسماعيل الثاني[1].

✿ **قوله تعالى:** ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝٥٤﴾ [يوسف].

(٤٣٣) **١٤٨٦٢** ـ حدثنا أبو كريب قال: ثنا وكيع عن سفيان عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ قال: قال له الملك: إني أريد أن أخلصك لنفسي غير أني آنف أن تأكل معي! فقال يوسف: أنا أحق أن آنف، أنا ابن إسحاق ـ أو أنا ابن إسماعيل أبو جعفر شك ـ وفي كتابي: ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله ـ[2].

(٤٣٤) حدثنا أحمد بن إسحاق قال: ثنا أبو أحمد قال: ثنا سفيان عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: قال العزيز ليوسف: ما من شيء إلا وأنا أحب أن تشركني فيه إلا أني أحب أن لا تشركني في أهلي، وأن لا يأكل معي عبدي! قال: أتأنف أن آكل معك؟ فأنا أحق أن آنف منك، أنا ابن إبراهيم خليل الله، وابن إسحاق الذبيح، وابن يعقوب الذي ابيضت عيناه من الحزن[3].

(٤٣٥) **٢٢٦٢٣** ـ حدثني الحسين بن يزيد بن إسحاق قال: ثنا ابن إدريس عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الذي أُمر بذبحه إبراهيم هو إسحاق[4].

(٤٣٦) **٢٢٦٢٩** ـ حدثنا أبو كريب قال: ثنا ابن يمان عن سفيان عن أبي

---

(١) المستدرك على الصحيحين (٢/ ٦٠٤)، تفسير ابن كثير (٤/ ١٩).
(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٥٩).
(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٤).
(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٨١)، تفسير الدر المنثور عن ابن مسعود مرفوعاً (٧/ ١٠٧).

سنان الشيباني عن ابن أبي الهذيل قال: الذبيح هو إسحاق[١].

(٤٣٧) ٢٢٦٣٥ ـ حدثنا أبو كريب وإسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قالا: ثنا يحيى بن يمان عن إسرائيل عن ثور عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: الذبيح: إسماعيل[٢].

(٤٣٨) ٢٢٦٤٠ ـ حدثنا أبو كريب قال: ثنا ابن يمان عن إسرائيل عن جابر عن الشعبي قال: الذبيح إسماعيل[٣].

قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [الصافات].

(٤٣٩) ٢٢٦٦٩ ـ حدثني يعقوب قال: ثنا ابن علية عن داود عن عكرمة قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: الذبيح إسحاق؛ قال: وقوله: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ قال: بُشِّر بنبوته. قال: وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ [مريم] قال: كان هارون أكبر من موسى ولكن أراد وهب الله له نبوته[٤].

ثانياً: الدراسة

رزق الله تعالى إبراهيم الخليل عليه السلام ولدين على كبر في سنه إسماعيل عليه السلام وإليه ينتسب العرب، وعلى رأسهم محمد ﷺ، وإسحاق عليه السلام وإليه وإلى ابنه يعقوب عليه السلام ينتسب اليهود، وقد قص الله في القرآن الكريم قصة أمر الله لإبراهيم الخليل عليه السلام بذبح ابنه، ولم يذكر اسمه صريحاً في القرآن، واليهود يقولون أنه إسحاق عليه السلام كما تنص على ذلك التوراة التي بأيديهم، ويقولون أن

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٨٢)، تفسير ابن كثير (٤/ ١٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٨٣)، تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢٣)، تفسير الدر المنثور (٧/ ١٠٥).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٨٤)، تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٢٣)، المستدرك على الصحيحين، وصححه عن الشعبي عن ابن عباس (٢/ ٦٠٤).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٨٩)، تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠).

الذبح قد حصل في الشام كما نقل عنهم[١]، وقد ذكر ياقوت الحموي عند الكلام على مدينة نابلس قال: «مدينة مشهورة بأرض فلسطين، وبها الجبل الذي تعتقد اليهود أن الذبح كان عليه، وعندهم أن الذبيح إسحاق عليه السلام، ولليهود في هذا الجبل اعتقاد أعظم ما يكون»[٢].

واختلف علماء المسلمين في تعيين الذّبيح هل هو إسحاق أو إسماعيل عليهما السلام؟

١ ـ فمن قائلٍ بأنه إسحاق.

٢ ـ ومن ذاهبٍ إلى أنّه إسماعيل.

٣ ـ ومن متوقّفٍ في المسألة.

٤ ـ ومن مقتصرٍ على ذكر القولين بدون ترجيح.

وسأختصر الكلام في هذه المسألة مع الإحالة إلى أماكن الأدلة في مظانها لطولها وتعدد أوجه استدلالها، وآثار السلف رحمهم الله فيها القولان، الصحابة رضي الله عنهم، ومن بعدهم إلى يومنا وكل فريق له أدلته، وله رد على أدلة الفريق المقابل، وليس هناك دليل صحيح صريح في المسألة كما قال الطبري رحمه الله في تاريخه: «واختلف السلف من علماء أمة نبينا في الذي أمر إبراهيم عليه السلام بذبحه من ابنيه، فقال بعضهم: هو إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، وقال بعضهم هو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقد روي عن رسول الله ﷺ كلا القولين لو كان فيهما صحيح لم نعده إلى غيره غير أن الدليل من القرآن على صحة الرواية التي رويت عنه أنه قال هو إسحاق أوضح وأبين منه على صحة الأخرى[٣].

ولكن أثر عمر بن عبد العزيز المتقدم، فيه إشارة إلى ما تعودناه من

(١) انظر: سفر التكوين، الإصحاح (٢٢) كاملاً.
(٢) في معجم البلدان (٥/ ٢٤٨).
(٣) تاريخ الطبري (١/ ١٥٨). وقال الألبانيّ رحمه الله: وقد جاءت أحاديث في أنّ إسحاق هو الذّبيح، ولكن كلّها ضعيفة: سلسلة الأحاديث الضّعيفة (١/ ٣٣٧).

اليهود، في التحريف، والكتمان، والحسد، بل فيه اعتراف بالتحريف، وكما قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وكلّ من قال: إنّه إسحاق، فإنّما أخذه عن اليهود أهل التّحريف والتّبديل كما أخبر الله تعالى عنهم»(١).

وقال ابن كثير ـ بعد ذكره الآثار عن السّلف بأنّ الذّبيح إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ: «وهذه الأقوال والله أعلم كلّها مأخوذة عن كعب الأحبار، فإنّه لما أسلم في الدّولة العمريّة جعل يحدِّث عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن كتبه قديماً، فربّما استمع له عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فترخّص النّاسُ في استماع ما عنده، ونقلوا ما عنده عنه غثّها وسمينها، وليس لهذه الأمّة والله أعلم حاجة إلى حرف واحد ممّا عنده»(٢).

وكان في تاريخه أكثر وضوحاً فقال: «وهذا هو الظاهر من القرآن، بل كأنه نص على أن الذبيح هو إسماعيل لأنه ذكر قصة الذبيح ثم قال بعده: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [الصافات] ومن جعله حالاً فقد تكلف ومستنده أنه إسحاق إنما هو إسرائيليات وكتابهم فيه تحريف ولا سيما ههنا قطعاً لا محيد عنه، فإن عندهم أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده وفي نسخة من المعربة: بكره إسحاق، فلفظة إسحاق ههنا مقحمة مكذوبة مفتراة؛ لأنه ليس هو الوحيد ولا البكر، ذاك إسماعيل، وإنما حملهم على هذا حسد العرب، فإن إسماعيل أبو العرب الذين يسكنون الحجاز الذين منهم رسول الله ﷺ، وإسحاق والد يعقوب وهو إسرائيل الذين ينتسبون إليه، فأرادوا أن يجرُّوا هذا الشرف إليهم، فحرَّفوا كلام الله وزادوا فيه وهم قوم بهت، ولم يقروا بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، وقد قال بأنه إسحاق طائفة كثيرة من السلف وغيرهم، وإنما أخذوه والله أعلم من كعب الأحبار أو صحف أهل الكتاب وليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز، ولا يفهم هذا من القرآن، بل المفهوم بل المنطوق بل النص عند التأمل على أنه إسماعيل، وما أحسن ما استدل محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل وليس بإسحاق من قوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ

---

(١) منهاج السُّنَّة (٥/ ٣٥٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ١٩).

﴿يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] قال: فكيف تقع البشارة بإسحاق وأنه سيولد له يعقوب ثم يؤمر بذبح إسحاق وهو صغير قبل أن يولد له، هذا لا يكون لأنه يناقض البشارة المتقدمة والله أعلم»[١].

والقول بأنه إسحاق أو إسماعيل لا يترتب عليه حكم شرعي عبادي، وكثير من المفسرين يسوقون الخلاف ويتوقفون، كما في آخر أثر عمر بن عبد العزيز: «فالله أعلم أيهما كان، كل قد كان طاهراً طيباً مطيعاً لربه».

قال العلامة الآلوسي: «والتوقف عندي خير من هذا القول، والذي أميل أنا إليه أنه إسماعيل عليه السلام بناء على أن ظاهر الآية يقتضيه، وأنه المروي عن كثير من أئمة أهل البيت ولم أتيقن صحة حديث مرفوع يقتضي خلاف ذلك، وحال أهل الكتاب لا يخفى على ذوي الألباب»[٢].

وفي إجابة للجنة الدائمة في المملكة العربية السعودية عن هذه المسألة: «لم يرد في ذلك نصٌّ صحيحٌ بتسميته أو تعيينه بوجه ما يقطع النّزاع، والخَطْب في ذلك سهلٌ، إذ المسألة في أمرٍ معرفته غيرُ ضروريّةٍ، ولا يترتّب على الجهل بها خطرٌ في العقيدة، ولا أثر لها في حياة النّاس العمليّة، فأيّ ابنيْ إبراهيم عليه السلام كان الذّبيح، كان فيه وفي أبيه العبرة، وبهما تكون القدوة في الصّبر على البلاء، وإيثار طاعة الله تعالى.. ولا يَشين ذلك مَن لم يَكُن الذّبيح، ولا ينقص مِن قدره، كما لم ينقص كثيراً من الأنبياء والمرسلين أنّهم لم يقعْ لهم مثل ذلك، فالمزيّة بعينها تدلّ على الفضيلة، لكنّها لا تدلّ على الأفضليّة، والصّواب أنّه إسماعيل لأنّه الأظهر من الآيات القرآنيّة، ولا سيّما الآيات من سورة الصّافّات التي سبق ذكرها، وبالله التّوفيق»[٣].

---

(١) البداية والنهاية (١/١٥٨ ـ ١٥٩)، وأطال في ذكر القائلين من الفريقين، وانظر: الرأي الصحيح في من هو الذبيح عبد الحميد الفراهي.

(٢) روح المعاني، الألوسي (٢٣/١٣٦)، وانظر: الشّوكانيّ في فتح القدير (٤/٤٠٧ ـ ٤٠٨).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (٤/٢٩٠ ـ ٢٩١).

❖ المطلب الثالث ❖

افتراؤهم على موسى ﷺ وأذيته

أولاً: الآثار

۞ قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢].

(٤٤٠) ٢١٥٦٠ ـ حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ قال: جعل الله موسى هدى لبني إسرائيل(١).

۞ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الشعراء].

(٤٤١) ٢٠٢٣٧ ـ حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: قلت لعبد الرحمٰن: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ قال: تشاءموا بموسى وقالوا: أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا(٢).

۞ قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأعراف].

(٤٤٢) ١١٦٢٨ ـ حدثني موسى قال: ثنا عمرو قال: ثنا أسباط عن السدي: فلما تراءى الجمعان فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد ردفهم قالوا: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١] وقالوا: ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾ [الأعراف]

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١١٢)، تفسير الدر المنثور مرفوعاً إلى النبي ﷺ (٦/ ٥٥٦)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).
(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٧٩)، تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٧٠).

كانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا. ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾[1].

(٤٤٣) ١١٦٢٩ ـ حدثني عبد الكريم قال: ثنا إبراهيم قال: ثنا سفيان قال: ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سار موسى ببني إسرائيل حتى هجموا على البحر فالتفتوا فإذا هم برهج دواب فرعون فقالوا: يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا هذا البحر أمامنا وهذا فرعون بمن معه! ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩][2].

۞ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا﴾ [الأعراف: ١٥٠].

(٤٤٤) ١١٧٤٤ ـ حدثني عمران بن بكار الكلاعي قال: ثنا عبد السلام بن محمد الحضرمي قال: ثني شريح بن يزيد قال: سمعت نصر بن علقمة يقول: قال أبو الدرداء رضي الله عنه: قول الله: ﴿غَضۡبَٰنَ﴾ قال: الأسف: منزلة وراء الغضب أشد من ذلك وتفسير ذلك في كتاب الله: ذهب إلى قومه غضبان وذهب أسفاً[3].

(٤٤٥) ١١٧٤٥ ـ حدثني موسى بن هارون قال: ثنا عمرو قال: ثنا أسباط عن السدي: ﴿أَسِفٗا﴾ قال: حزيناً[4].

۞ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩﴾ [الأحزاب].

(٤٤٦) ٢١٨٨٥ ـ حدثنا ابن حميد قال: ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد

---

(١) تفسير الطبري (٩/٢٨).
(٢) تفسير الطبري (٩/٢٨)، تفسير الدر المنثور (٦/٣٠١).
(٣) تفسير الطبري (٩/٦٣)، تفسير الدر المنثور (٣/٥٦٤).
(٤) تفسير الطبري (٩/٦٣)، تفسير الدر المنثور (٥/٥٨٨)، تفسير ابن كثير (٣/١٦٣).

قال: قال بنو إسرائيل: إن موسى آدر؛ وقالت طائفة: هو أبرص من شدة تستره، وكان يأتي كل يوم عيناً فيغتسل ويضع ثيابه على صخرة عندها، فعَدَتْ الصخرة بثيابه حتى انتهت إلى مجلس بني إسرائيل وجاء موسى يطلبها؛ فلما رأوه عرياناً ليس به شيء مما قالوا لبس ثيابه ثم أقبل على الصخرة يضربها بعصاه، فأثرت العصا في الصخرة(١).

(٤٤٧) ٢١٨٨٨ ـ حدثني علي بن مسلم الطوسي قال: ثنا عباد قال: ثنا سفيان بن حبيب عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قول الله: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَىٰ﴾ [الأحزاب: ٦٩] قال: صعد موسى وهارون الجبل فمات هارون، فقالت بنو إسرائيل: أنت قتلته وكان أشد حباً لنا منك وألين لنا منك، فآذوه بذلك، فأمر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على بني إسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف بنو إسرائيل أنه قد مات فبرأه الله من ذلك فانطلقوا به فدفنوه، فلم يطلع على قبره أحد من خلق الله إلا الرخم فجعله الله أصم أبكم(٢).

قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص].

(٤٤٨) ٢١٠٤٦ ـ حدثنا أبو كريب قال: ثنا جابر بن نوح قال: أخبرنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزلت الزكاة أتى قارون موسى فصالحه على كل ألف دينار ديناراً وكل ألف شيء شيئاً أو قال: وكل ألف شاة شاة ـ الطبري يشك ـ قال: ثم أتى بيته فحسبه فوجده كثيراً فجمع بني إسرائيل فقال: يا بني إسرائيل إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه وهو الآن يريد أن يأخذ من أموالكم، فقالوا: أنت كبيرنا وأنت سيدنا فمرنا بما شئت، فقال: آمركم أن تجيئوا بفلانة

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥١).
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٢)، تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٥٧)، المستدرك على الصحيحين (٢/ ٦٣٣)، إسناده ضعيف.

البغي فتجعلوا لها جعلاً فتقذفه بنفسها، فدعوها فجعل لها جعلاً على أن تقذفه بنفسها، ثم أتى موسى فقال لموسى: إن بني إسرائيل قد اجتمعوا لتأمرهم ولتنهاهم فخرج إليهم وهم في براح من الأرض فقال: يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه، ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مئة، ومن زنى وله امرأة جلدناه حتى يموت أو رجمناه حتى يموت ـ والطبري يشك ـ فقال له قارون: إن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا! قال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة. قال: ادعوها فإن قالت فهو كما قالت؛ فلما جاءت قال لها موسى: يا فلانة، قالت: يا لبيك، قال: أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ قالت: لا وكذبوا ولكن جعلوا لي جعلاً على أن أقذفك بنفسي؛ فوثب فسجد وهو بينهم فأوحى الله إليه: مر الأرض بما شئت، قال: يا أرض خذيهم! فأخذتهم إلى أقدامهم. ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى ركبهم. ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى حقيِّهم، ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى أعناقهم، قال: فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى ويتضرعون إليه. قال: يا أرض خذيهم فانطبقت عليهم فأوحى الله إليه: يا موسى يقول لك عبادي: يا موسى يا موسى فلا ترحمهم؟ أما لو إياي دعوا لوجدوني قريباً مجيباً؛ قال: فذلك قول الله: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦٓ﴾ وكانت زينته أنه خرج على دواب شقر عليها سروج حمر عليهم ثياب مصبغة بالبهرمان. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ...﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [القصص: ٧٩ ـ ٨٢] يا محمد ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص][(١)].

ثانياً: الدراسة

لم يسلم نبي الله موسى ﷺ ـ وهو أخص أنبياء اليهود والمبعوث بالتوراة ـ من أذية اليهود له، حتى وصفوا أن مبعثه إليهم، كان شؤماً عليهم،

(١) تفسير الطبري (٢٠/١١٦ ـ ١١٧).

وأن الأذى لحقهم حتى بعد أن جاءهم فلم يفدهم مبعثه شيئاً من التخفيف، ففرعون سامهم العذاب قبل موسى عليه السلام وبعده، فماذا اختلف؟

واليهود المعاصرون لموسى عليه السلام يصعب حصر أذيتهم له بعدد، مع كثرة معاينتهم من آيات الله عز وجل وعبره والمعجزات الباهرة التي يسوقها الله لنبيه عليه السلام، ومع ذلك: مرة يسألون نبيهم أن يجعل لهم إلٰهاً غير الله، ومرة يعبدون العجل من دون الله، ومرة يقولون: لا نصدقك حتى نرى الله جهرة، وأخرى يقولون له إذا دعوا إلى القتال: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ومرة يقال لهم: قولوا: حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطاياكم، فيقولون: حنطة في شعيرة، ويدخلون الباب من قبل أستاههم، مع غير ذلك من أفعالهم التي آذوا بها نبيهم عليه السلام التي يصعب إحصاؤها[1].

وذكر أذى اليهود لموسى عليه السلام صراحة في القرآن في معرض تحذير هذه الأمة من مشابهة اليهود، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ [الأحزاب]، فكل ما سبق مما ذكرناه يصلح أن يكون مما آذى به اليهود نبيهم، ويورد بعض المفسرين نوعية معينة من الإيذاء:

١ ـ **فقيل**: أنه إيذاؤه عليه السلام بوصفه الجسماني حين زعموا أنه آدر[2]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن موسى عليه السلام كان رجلاً حيياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يتستر هذا التستر إلا من عيب في جلده، إما برص، وإما أدرة، وإما آفة، وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام فخلا يوماً وحده فخلع**

---

(١) للتفصيل انظر: تفسير الطبري (١/ ٢٨٩).

(٢) الأدرة: بالضم نفخة في الخصية، يقال: رجل آدر بيِّن الأدر، والمأدور الذي ينفتق صفاقه فيقع قصبه ولا ينفتق إلا من جانبه الأيسر، وقيل: هو الذي يصيبه فتق في إحدى خصيتيه، وقيل: الأدرة الخصية، والخصية الأدراء العظيمة من غير فتق. آدر بيِّن الأدرة بفتح الهمزة، والدال وهي التي تسميها الناس القيلة، ومنه الحديث: إن بني إسرائيل كانوا يقولون إن موسى آدر. لسان العرب (٤/ ١٥).

ثيابه على حجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله ﷻ وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ [الأحزاب]»[(١)].

٢ ـ **وقيل**: إن أذاهم إياه: اتهامهم إياه قتل هارون أخيه ﵇ كما في أثر ابن عباس ﵄ الذي مر معنا[(٢)]. وحسبك بهذه التهمة الجريئة، وإن كانت غير مستغربة منهم.

وبكل حال: «جائز أن يكون ذلك كان قيلهم إنه أبرص، وجائز أن يكون كان ادعاءهم عليه قتل أخيه هارون ﵇. وجائز أن يكون كل ذلك؛ لأنه قد ذكر كل ذلك أنهم قد آذوه به، ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قال الله إنهم آذوا موسى، فبرأه الله مما قالوا»[(٣)].

قال ابن كثير ﵀: «يحتمل أن يكون الكل مراداً وأن يكون معه غيره والله أعلم».

٣ ـ ولعل ابن كثير يقصد: اتهامهم له بالزنا كما في أثر ابن عباس ﵄ قال: «لما أمر الله موسى ﵇ بالزكاة، قال: رموه بالزنا، فجزع من ذلك، فأرسلوا إلى امرأة كانت قد أعطوها حكمها، على أن ترميه بنفسها؛ فلما جاءت عظم عليها، وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل، وأنزل التوراة على

---

(١) صحيح البخاري (٣٤٠٤).

(٢) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه المستدرك (٢/ ٦٣٣)، وضعفه ابن حجر وقال: وفي الإسناد ضعف ولو ثبت لم يكن فيه ما يمنع أن يكون في الفريقين معاً لصدق أن كلاً منهما آذى موسى فبرأه الله مما قالوا. والله أعلم. فتح الباري (٦/ ٤٣٨).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٢٩٠).

موسى إلا صدقت. قالت: إذ قد استحلفتني، فإني أشهد أنك بريء، وأنك رسول الله»[١].

وفي تحذير الله للمسلمين من التشبه ببني إسرائيل في أذيتهم نبيهم موسى. أن لا يؤذوا محمداً ﷺ بأي شيء، كيف وهو ـ فداه أبي وأمي ـ ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. وكان نبينا ﷺ يذكر موسى عليه السلام كثيراً ويثني على صبره ممن آذاه ويتمثل أمر الله له: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «قسم رسول الله ﷺ ذات يوم قسماً، فقال رجل من الأنصار: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله، قال فقلت: يا عدو الله أما لأخبرن رسول الله ﷺ بما قلت، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فاحمر وجهه». ثم قال: «**رحمة الله على موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»[٢].

وفي رواية: قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**، فأتى رسول الله ﷺ مال فقسمه، قال: فمررت برجلين وأحدهما يقول لصاحبه والله ما أراد محمد بقسمته وجه الله ولا الدار الآخرة. قال: فثبت حتى سمعت ما قالا، ثم أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إنك قلت لنا لا يبلغني أحد عن أصحابي شيئاً وإني مررت بفلان وفلان وهما يقولان كذا وكذا، فاحمر وجه رسول الله ﷺ وشق عليه ثم قال: **دعنا منك لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر**»[٣].

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/١١٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/٣٠٠٦)، وتاريخ دمشق (٦١/٩٧ ـ ٩٨).
كلهم في قصة خسف قارون وقال ابن كثير بعد هذا الخبر: وقد ذكر ههنا إسرائيليات غريبة أضربنا عنها صفحاً. تفسير ابن كثير (٣/٤٠٢).

(٢) رواه البخاري (٣٤٠٥)، ومسلم (١٠٦٢).

(٣) رواه أحمد (١٣٩٥)، ورواه أبو داود (١٣٩٥)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع رقم (٦٣٢٢).

❖ المطلب الرابع ❖

افتراؤهم على داود وسليمان عليهما السلام

أولاً: الآثـــار

□ **داود عليه السلام:**

۞ **قوله تعالى:** ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المائدة].

(٤٤٩) **٩٦٠١** ـ حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن حصين، عن مجاهد: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾ قال: لعنوا على لسان داود عليه السلام فصاروا قردة، ولعنوا على لسان عيسى عليه السلام فصاروا خنازير[1].

۞ **قوله تعالى:** ﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ﴾ [ص: ٢٤].

(٤٥٠) **٢٢٩٤٠** ـ حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أن داود حين دخل محرابه ذلك اليوم قال: لا يدخلن علي محرابي اليوم أحد حتى الليل ولا يشغلني شيء عما خلوت له حتى أمسي؛ ودخل محرابه ونشر زبوره يقرؤه وفي المحراب كوة تطلعه على تلك الجنينة فبينا هو جالس يقرأ زبور إذ أقبلت حمامة من ذهب حتى وقعت في الكوة فرفع رأسه فرآها فأعجبته ثم ذكر ما كان قال: لا يشغله شيء عما دخل له فنكس رأسه وأقبل على زبوره فتصوبت الحمامة للبلاء والاختبار من الكوة فوقعت بين يديه فتناولها بيده فاستأخرت غير بعيد فاتبعها فنهضت إلى الكوة فتناولها في الكوة فتصوبت إلى الجنينة فأتبعها بصره أين تقع

(١) تفسير الطبري (٦/ ٣١٧)، تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٨٢)، تفسير الدر المنثور (١٢٦/٣).

فإذا المرأة جالسة تغتسل بهيئة، الله أعلم بها في الجمال والحسن والخلق؛ فيزعمون أنها لما رأته نقضت رأسها فوارت به جسدها منه واختطفت قلبه ورجع إلى زبوره ومجلسه وهي من شأنه لا يفارق قلبه ذكرها. وتمادى به البلاء حتى أغزى زوجها ثم أمر صاحب جيشه فيما يزعم أهل الكتاب أن يقدم زوجها للمهالك حتى أصابه بعض ما أراد به من الهلاك ولداود تسع وتسعون امرأة؛ فلما أصيب زوجها خطبها داود فنكحها فبعث الله إليه وهو في محرابه ملكين يختصمان إليه مثلاً يضربه له ولصاحبه، فلم يرع داود إلا بهما واقفين على رأسه في محرابه فقال: ما أدخلكما علي؟ قالا: لا تخف لم ندخل لبأس ولا لريبة ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [ص: ٢٢] فجئناك لتقضي بيننا ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ أي: احملنا على الحق ولا تخالف بنا إلى غيره؛ قال الملك الذي يتكلم عن أوريا بن حنانيا زوج المرأة: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ [ص: ٢٣] أي: على ديني ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ [ص: ٢٣] أي: احملني عليها ثم عزني في الخطاب: أي قهرني في الخطاب، وكان أقوى مني هو وأعز، فحاز نعجتي إلى نعاجه وتركني لا شيء لي؛ فغضب داود فنظر إلى خصمه الذي لم يتكلم فقال: لئن كان صدقني ما يقول لأضربن بين عينيك بالفأس! ثم ارعوى داود فعرف أنه هو الذي يراد بما صنع في امرأة أوريا فوقع ساجداً تائباً منيباً باكياً فسجد أربعين صباحاً صائماً لا يأكل فيها ولا يشرب حتى أنبت دمعه الخضر تحت وجهه، وحتى أندب السجود في لحم وجهه فتاب الله عليه وقبل منه. ويزعمون أنه قال: أي رب هذا غفرت ما جنيت في شأن المرأة فكيف بدم القتيل المظلوم؟ قيل له: يا داود ـ **فيما زعم أهل الكتاب** ـ أما إن ربك لم يظلمه بدمه ولكنه سيسأله إياك فيعطيه فيضعه عنك؛ فلما فرج عن داود ما كان فيه رسم خطيئته في كفه اليمنى بطن راحته فما رفع إلى فيه طعاماً ولا شراباً قط إلا بكى إذا رآها، وما قام خطيباً في الناس قط إلا نشر راحته

فاستقبل بها الناس ليروا رسم خطيئته في يده[1].

❐ سليمان عليه السلام:

۞ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة].

(٤٥١) ١٣٦٤ ـ حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ قال: لما جاءهم محمد ﷺ عارضوه بالتوراة فخاصموه بها، فاتفقت التوراة والقرآن، فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت؛ فذلك قول الله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

۞ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(٤٥٢) ١٣٧٠ ـ حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة قال: حدثني ابن إسحاق قال: عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود عليه السلام فكتبوا أصناف السحر: من كان يحب أن يبلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا. حتى إذا صنعوا أصناف السحر جعلوه في كتاب. ثم ختموا عليه بخاتم على نقش خاتم سليمان وكتبوا في عنوانه: «هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم». ثم دفنوه تحت كرسيه فاستخرجته بعد

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٤٩)، والمستدرك على الصحيحين عن السدي (٢/ ٦٤١)، إسناده ضعيف. وهذه رواية من روايات كثيرة هذا مجملها كلها من الإسرائيليات انظر: الإسرائيليات في التفسير لأبي شهبة (ص٢٦٤ ـ ٢٦٩).

(٢) تفسير الطبري (١/ ١٣٥)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٣٣)، تفسير القرطبي (٢/ ٤١)، تفسير ابن كثير (١/ ١٣٥).

ذلك بقايا بني إسرائيل حين أحدثوا ما أحدثوا، فلما عثروا عليه قالوا: ما كان سليمان بن داود إلا بهذا. فأفشوا السحر في الناس وتعلَّموه وعلَّموه فليس في أحد أكثر منه في يهود. فلما ذكر رسول الله ﷺ فيما نزل عليه من الله سليمان بن داود وعده فيمن عده من المرسلين، قال من كان بالمدينة من يهود: ألا تعجبون لمحمد ﷺ يزعم أن سليمان بن داود كان نبيّاً! والله ما كان إلا ساحراً! فأنزل الله في ذلك من قولهم على محمد ﷺ. (باختصار)[1].

(٤٥٣) ١٣٦٦ ـ حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ على عهد سليمان. قال: كانت الشياطين تصعد إلى السماء، فتقعد منها مقاعد للسمع، فيستمعون من كلام الملائكة فيما يكون في الأرض من موت أو غيث أو أمر، فيأتون الكهنة فيخبرونهم، فتحدث الكهنة الناس فيجدونه كما قالوا. حتى إذا أمنتهم الكهنة كذبوا لهم، فأدخلوا فيه غيره فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة. فاكتتب الناس ذلك الحديث في الكتب وفشا في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب. فبعث سليمان في الناس، فجمع تلك الكتب فجعلها في صندوق، ثم دفنها تحت كرسيه، ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي إلا احترق، وقال: «لا أسمع أحداً يذكر أن الشياطين تعلم الغيب إلا ضربت عنقه». فلما مات سليمان، وذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان، وخلف بعد ذلك خلف، تمثل الشيطان في صورة إنسان، ثم أتى نفراً من بني إسرائيل، فقال: هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبداً؟ قالوا: نعم. قال: فاحفروا تحت الكرسي وذهب معهم فأراهم المكان. فقام ناحية، فقالوا له: فادن! قال: لا ولكني هاهنا في أيديكم، فإن لم تجدوه فاقتلوني. فحفروا فوجدوا تلك الكتب، فلما أخرجوها قال الشيطان: إن سليمان إنما كان يضبط الإنس والشياطين والطير بهذا السحر. ثم طار فذهب. وفشا في الناس أن سليمان كان ساحراً واتخذت بنو إسرائيل تلك الكتب. فلما جاءهم محمد ﷺ

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٥٠)، تفسير ابن كثير (١/ ١٣٧)، إسناده ضعيف.

خاصموه بها، فذلك حين يقول: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[(١)].

(٤٥٤) **١٣٦٧** ـ حدثت عن عمار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ قالوا: إن اليهود سألوا محمداً ﷺ زماناً عن أمور من التوراة، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله عليه ما سألوه عنه فيخصهم. فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أنزل إلينا منا. وإنهم سألوه عن السحر وخاصموه به، فأنزل الله جل وعز: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾. وإن الشياطين عمدوا إلى كتاب فكتبوا فيه السحر والكهانة وما شاء الله من ذلك، فدفنوه تحت مجلس سليمان، وكان سليمان لا يعلم الغيب، فلما فارق سليمان الدنيا استخرجوا ذلك السحر، وخدعوا به الناس وقالوا: هذا علم كان سليمان يكتمه ويحسد الناس عليه. فأخبرهم النبي ﷺ بهذا الحديث. فرجعوا من عنده، وقد حزنوا وأدحض الله حجتهم[(٢)].

(٤٥٥) **١٣٨٥** ـ حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: حدثني حجاج عن أبي بكر عن شهر بن حوشب قال: لما سلب سليمان ملكه كانت الشياطين تكتب السحر في غيبة سليمان فكتبت: من أراد أن يأتي كذا وكذا فليستقبل الشمس وليقل كذا وكذا، ومن أراد أن يفعل كذا وكذا فليستدبر الشمس وليقل كذا وكذا. فكتبته وجعلت عنوانه: «هذا ما كتب آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم»، ثم دفنته تحت كرسيه. فلما مات سليمان قام إبليس خطيباً فقال: يا أيها الناس إن سليمان لم يكن نبياً وإنما كان ساحراً فالتمسوا سحره في متاعه وبيوته! ثم دلهم على المكان الذي دفن

---

(١) تفسير الطبري (١/ ١٣٦)، تفسير الدر المنثور (٦/ ٦٨٤)، تفسير ابن كثير (١/ ١٣٦).
(٢) تفسير الطبري (١/ ١٣٦)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٣٤)، تفسير ابن كثير (١/ ١٣٦)، إسناده ضعيف.

فيه فقالوا: والله لقد كان سليمان ساحراً هذا سحره بهذا تعبَّدنا وبهذا قهرنا. فقال المؤمنون: بل كان نبياً مؤمناً. فلما بعث الله النبي محمداً ﷺ جعل يذكر الأنبياء حتى ذكر داود وسليمان، فقالت اليهود: انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل يذكر سليمان مع الأنبياء، وإنما كان ساحراً يركب الريح. فأنزل الله عذر سليمان: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ الآية[1].

ثانياً: الدراسة

❑ داود عليه السلام:

نبي الله داود عليه السلام، من الرسل الذين أرسلهم الله إلى بني إسرائيل، وقد آتاه الله الملك والنبوة، وهو من سِبط يهوذا بن يعقوب، وقد ذكره الله في عدة آيات وقال: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء].

فبعد انقضاء المدّة التي أقامها بنو إسرائيل في التيه ـ وهي أربعون (٤٠) سنة ـ وبعد وفاة هارون وموسى عليهما السلام، تولى أمر بني إسرائيل نبي من أنبيائهم اسمه (يوشع بن نون عليه السلام)، فدخل بهم بلاد فلسطين، وقسم لهم الأرضين. وكان لهم تابوت يسمونه تابوت الميثاق أو «تابوت العهد»، فيه ألواح موسى عليه السلام وعصاه ونحو ذلك، ولما توفي يوشع بن نون، تولى أمر بني إسرائيل قضاة منهم، ولذلك سمي الحكم في هذه المدّة: حكم القضاة.

وفي هذه المدة دبّ إلى بني إسرائيل التهاون الديني، فكثرت فيهم المعاصي، وفشا فيهم الفسق، إلى أن ضيعوا الشريعة، ودخلت في صفوفهم الوثنية، فسلَّط الله عليهم الأمم، فكانت قبائلهم عرضة لغزوات الأمم القريبة منهم، وكانوا إلى الخذلان أقرب منهم إلى النصر في كثير من مواقعهم مع عدوهم، وكثيراً ما كان خصومهم يخرجونهم من ديارهم وأموالهم وأبنائهم.

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٥٠)، تفسير ابن كثير (١/ ١٣٧).

وفي أواخر هذه المدّة سلب منهم «تابوت العهد»، في أحد حروبهم، وكان ممّن يدبر أمرهم في أواخر مدّة حكم القضاة نبي من أنبياء بني إسرائيل من سِبط لاوي اسمه: (صمويل)، يتصل نسبه بهارون عليه السلام.

فطلب بنو إسرائيل من (صمويل) أن يجعل عليهم ملكاً يجتمعون عليه، ويقاتلون في سبيل الله بقيادته، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ [البقرة].

فسأل صمويل ربه في ذلك، فأوحى الله إليه أن الله قد جعل عليهم ملكاً منهم اسمه (طالوت) من سبط بَنْيامين، وكانت قبيلة بنيامين في ذلك العهد قد أوشكت على الفناء في حرب أهلية وفتن داخلية قامت بين بني إسرائيل، فاستنكروا أن يكون طالوت ملكاً عليهم.

قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ [البقرة]. فسألوا عن دليل رباني يدلهم على أن الله ملّكه عليهم، فقال لهم نبيهم صمويل: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨]. وأعطاهم صمويل موعداً لمجيء التابوت تحمله الملائكة، فخرجوا لاستقباله فلما وجدوا التابوت قد جيء به حسب الموعد أذعنوا لملك طالوت، فكان أول ملك من ملوك بني إسرائيل.

جمع طالوت صفوف بني إسرائيل، وهيأهم لمحاربة عدوهم، وخرج بهم، ثم اصطفى منهم بضعة عشر وثلاث مائة خلاصة للقتال، يقارب عددها عدد المسلمين في غزوة بدر. كما في حديث البراء رضي الله عنه قال: «كنا أصحاب

محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا مؤمن».

وهم الذين وصفهم الله لنا بقوله: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة].

وهؤلاء القلة هم الذين اصطفاهم طالوت للقتال، وهي التي جاوزت النهر وواجه بها طالوت الأعداء. ثم لقي طالوت خصومه الوثنيين، وكان رئيسهم قوياً شجاعاً فرهبه بنو إسرائيل، وكان داود عليه السلام فتى صغيراً في الجند فرأى داود جالوت وهو يطلب المبارزة معتداً بقوته وبأسه، والمقاتلون من بني إسرائيل قد رهبوه وخافوا من لقائه، وكان الملك قد وعد أن من يقتل هذا الرجل الجبار، يزوّجه ابنته، ويجعل له الملك. فذهب داود إلى الملك طالوت وطلب منه الإذن بمبارزة جالوت، فضنَّ به طالوت وحذره. وأقبل داود على جالوت وأخذ مقلاعه ـ وكان ماهراً به ـ وزوَّده بحجرٍ من أحجاره، ورمى به فثبت الحجر في جبهة جالوت الجبار فطرحه أرضاً، ثم أقبل إليه وأخذ سيفه وفصل به رأسه، وتمت الهزيمة لجنود جالوت بإذن الله!

قال الله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة].

اتسعت مملكة بني إسرائيل على يد داود عليه السلام، وآتاه الله مع الملك النبوة، وجعله رسولاً إلى بني إسرائيل يحكم بالتوراة، كما أنزل عليه (الزبور) وآتاه الله الحكمة وفصل الخطاب[١].

---

(١) ملخصاً من تاريخ الطبري (١/ ٢٨٢) وما بعدها، وتاريخ دمشق لابن عساكر (١٧/ ٨٠)، وقصص الأنبياء لابن كثير (ص٥٦٧).

وقد أثنى عليه نبينا ﷺ وذكر فضل عبادته فقال: «**إن أحب الصيام إلى الله صيام داود عليه السلام، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً**»(١).

وأهم ما ذكر الله في سيرة داود في القرآن الكريم:

إثبات نبوته ورسالته، وأن الله أوحى إليه وأنزل عليه الزبور، وآتاه الحكمة وفصل الخطاب، وعلمه مما يشاء، وأمره أن يحكم بين الناس بالحق.

إثبات أنه قتل جالوت في المعركة التي قامت بين بني إسرائيل وعدوهم بقيادة طالوت.

إثبات أن الله أنعم عليه بنعم كثيرة منها:

أن الله آتاه الملك وشدّه له، وجعله خليفة في الأرض، وأعطاه قوةً في حكمه.

أن الله سخر الجبال والطير يسبحن معه في العشي والإبكار.

«فقد آتاه الله صوتاً حسناً، وقدرة على الإنشاد البديع، فهو يصدح بصوته بتسبيح الله وتحميده، ويتغنى فيه بكلام الله في الزبور في العشي والإبكار، فترجّع الجبال معه التسبيح والتحميد، وتجتمع عليه الطير فترجع معه تسبيحاً».

أن الله آتاه علم منطق الطير، كما آتى ولده سليمان عليه السلام من بعده مثل ذلك.

أن الله ألان له الحديد، فهو يتصرف بَطيّه وتقطيعه ونسجه.

أن الله علَّمه صناعة دروع الحرب المنسوجة من زرد الحديد.

عرض قصة الخصمين اللذين تسوّرا على داود عليه السلام، ودخلا عليه المحراب في وقت عبادته الخاصة التي يخلو بها ولا يسمح لأحد أن يدخل عليه فيها، ففزع داود منهما؛ لأنهما لم يستأذنا بالدخول عليه، ولم يدخلا

---

(١) رواه مسلم (٢/٨١٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

محرابه من بابه، فقالا له: ﴿لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ [ص: ٢٢]. فأصغى لهما داود، فقال أحد الخصمين: ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ - أي: ملكنيها - ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣] أي: غلبني في المخاصمة بنفوذٍ أو بقوة، وسكت الآخر سكوت إقرار. فقال داود: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]. وانصرف المتسوّران دون أن يعلّقا بشيء على ما أفتى به داود. فرجع داود إلى نفسه، فعرف أن الله أرسل إليه هؤلاء القوم بهذا الاستفتاء ابتلاء، وذلك لينبهه على أمر ما كان لا يليق به أن يصدر منه بحسب مقامه، ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤] تائباً من ذنبه، خائفاً من ربه. هذا هو نبي الله داود الذي آتاه الله الملك والنبوة وآتاه الزبور، فكيف ينظر إليه اليهود؟

في الآثار الكثيرة التي نقلها بعض الرواة عن أهل الكتاب قذفه عليه السلام بالزنا والخيانة وارتكاب الموبقات ما يتنزه وصفه عن آحاد الناس، فكيف بنبي الله، والروايات الكثيرة التي ساقها الإمام ابن جرير في قصة داود عليه السلام فيها أباطيل كثيرة، يردها الشّرع، ولا يقبلها العقل، ثمّ لم يعقّب عليها رحمه الله بما يُفيد بطلانها! وليته فعل، مع أنها اشتملت على منكرات كثيرة، وتناقضاتٍ وخرافات غير مقبولة، هي مما أخذ عن أهل الكتاب[1].

---

(١) هذه القصّةُ متطابقةٌ تماماً في مضمونها مع ما ورد في التّوراة، سفر صمُوئيل الثّاني الإصحاح (١١) إلّا أنّها زادت إفكاً، فاتّهمت داود عليه السلام بالزّنا بل جعلوا هذه المرأة هي أمّ سليمان عليه السلام كما في الرّواية (٢٢٩٣٨) عند الطبري: وقال قتادة: «بلغنا انها أم سليمان»، وهذا مذكور في سفر صمُوئِيل الثّاني، الإصحاح (١٢) وأيضاً في إنجيل متّى، الإصحاح الأوّل. - وانظر ابن حزم في الفصل (٤/ ١٨ - ١٩)، وأبو شهبة في الإسرائيليات (ص٢٦٩). والقرآن والتوراة حسن باشا (٣٢٥) - وقال القاسمي رحمه الله: «وهذه القصة من اختلاق اليهود ونقولاتهم، ولم يقل بها القرآن قط، وإنما ذكرها التلمود، كما يعلم من مراجعة مدراس يدكوت في الإصحاح الثالث والثلاثين، وجاراه جهلة القصاص من المسلمين، فأخذوها منه، محاسن التأويل (٢/ ٢١٢).
ونقدها العلامة أحمد شاكر في تعليقه على الروايات التي ساقها الطبري في تفسيره: =

فقولهم: إنّ داود عليه السلام اطّلع على امرأة وهي تغتسل فأعجبته، ثمّ قدّم زوجها في الحرب ليقتل، ثمّ تزوّجها... كل ذلك مما يقدح بالأنبياء، وينفي عنهم العصمة، «وما كان لداود عليه السلام ولا لأيّ نبيٍّ أن يسقط إلى هذا الحدّ في حمأة الشّهوة، فيزني بامرأة غيره، ويحتال على قتله إنّها لفريةٌ بلقاء مفضوحة»[1].

وقد مدح الله جلّ وعلا داود عليه السلام في كتابه قبل ذكر هذه القصّة وبعدها بصفاتٍ عديدة وكلّها تنافي كونه عليه السلام موصوفاً بهذا الفعل المنكر، والعمل القبيح، وتدلّ على براءة ساحته عن تلك الأكاذيب.

قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآيات: «قد ذكر المفسرون ها هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه»[2].

وقال ابنُ حزم: «وهذا قولٌ صادقٌ صحيحٌ لا يدلّ على شيء ممّا قاله

= فقال: «وهذه الأخبار، في قصة هاروت وماروت، وقصة الزهرة، وأنها كانت امرأة فمسخت كوكباً، أخبار أعلَّها أهل العلم بالحديث». ثم ذكر ما قاله ابن كثير في تفسيره وتاريخه ـ البداية والنهاية ـ عن القصة، ووافقه على ذلك حيث يقول رحمه الله: «وهذا هو الحق، وفيه القول الفصل والحمد لله». حاشية تفسير الطبري ط شاكر (٢/٤٣٤).

(١) الإسرائيليات للذّهبيّ (ص٣١).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٢) وقال في تاريخه: وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف ههنا قصصاً وأخباراً أكثرها إسرائيليات ومنها ما هو مكذوب لا محالة تركنا إيرادها في كتابنا قصداً اكتفاء واقتصاراً على مجرد تلاوة القصة من القرآن العظيم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ـ البداية والنهاية (٢/ ١٢). وأورد النسفي في تفسيره: «قال علي رضي الله عنه: من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء، وروي أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز رحمه الله وعنده رجل من أهل الحق فكذّب المحدث وقال: إن كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها، وأعظم بأن يقال غير ذلك، وإن كانت على ما ذكرت وكف الله عنها ستراً على نبيه فما ينبغي إظهارها عليه، فقال عمر: لسماعي هذا الكلام أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»، تفسير النسفي (٤/ ٣٦).

المستهزؤون الكاذبون المتعلّقون بخرافاتٍ ولّدها اليهود، وإنّما كان ذلك الخصم قوماً من بني آدم بلا شكٍّ مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم، بغى أحدُهما على الآخر على نصّ الآية، ومَن قال إنّهم كانوا ملائكةً معرّضين بأمر النّساء، فقد كذب على الله ﷻ، وقوّله ما لم يقُلْ، وزاد في القرآن ما ليس فيه، وكذّب الله ﷻ، وأقرّ على نفسه الخبيثة أنّه كذّب الملائكة؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ [ص: ٢١] فقال هو: لم يكونوا قطّ خصمين، ولا بغى بعضهم على بعض، ولا كان قطّ لأحدهما تسعٌ وتسعون نعجةً، ولا كان للآخر نعجة واحدة، ولا قال له: أكفلنيها، فاعجبوا لما يقحمون فيه أهل الباطل أنفسهم، ونعوذ بالله من الخذلان، ثمّ كلّ ذلك بلا دليل، بل الدّعوى المجرّدة»[(١)].

وقال الشيخ عبد الرحمٰن السعدي رحمه الله: «وهذا الذّنب الذي صدر من داود عليه السلام لم يذكرْه الله لعدم الحاجة إلى ذكره، فالتّعرّض له من باب التّكلّف، وإنّما الفائدة ما قصّه الله علينا، من لطفه به، وتوبته، وإنابته، وأنّه ارتفع محلّه، فكان بعد التّوبة أحسن منه قبلها»[(٢)].

وأما داود عليه السلام فالذي ورد عنه في حق بني إسرائيل في القرآن أنه لعنهم كما قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المائدة] والسبب بين في كتاب الله «لعن الله الذين كفروا من اليهود بالله على لسان داود وعيسى ابن مريم عليهما السلام، ولعن والله آباؤهم على لسان داود وعيسى ابن مريم عليهما السلام، بما عصوا الله فخالفوا أمره وكانوا يعتدون، يقول: وكانوا يتجاوزون حدوده»[(٣)].

وقد وضحه الرسول ﷺ في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد**

---

(١) في الفصل (٤/١٨ ـ ١٩).

(٢) تفسير السعدي (٦/٤١٦).

(٣) تفسير الطبري (٦/٣١٩).

فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾، ثم قال: **كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يدي الظالم، ولتأطرنه على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً**»[(١)]؛ أي: لعنوا في الزبور والإنجيل؛ فإن الزبور لسان داود عليه السلام، والإنجيل لسان عيسى عليه السلام؛ أي: لعنهم الله في الكتابين[(٢)].

وذلك يدل على تهاونهم بأمر الله وأن معصيته خفيفة عليهم، فلو كان لديهم تعظيم لربهم لغاروا لمحارمه ولغضبوا لغضبه، وإنما كان السكوت عن المنكر ـ مع القدرة ـ موجباً للعقوبة لما فيه من المفاسد العظيمة[(٣)].

❑ سليمان عليه السلام:

وأما نبي الله سليمان عليه السلام فهو من الرسل الذين أرسلهم الله إلى بني إسرائيل بعد أبيه داود عليه السلام، ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠﴾ [ص]. وقد انفردا من بين الرسل عليهم السلام بأن الله آتاهما الملك والنبوة. وآتاه الله علماً، وفضَّله وأباه على عالمي زمانه، كما قال أبوه داود عليه السلام من قبل: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥].

وكان داود عليه السلام أوصى بالملك لولده سليمان عليه السلام، وكان سليمان ممن آتاهم الله الحكمة والفطانة وحسن السياسة. واتسع ملك سليمان عليه السلام، وحاز الشام، ثم امتد ملكه حتى كان له نفوذ على ملوك اليمن، وخضعت له ملكة سبأ، فآمنت به ودخلت في دينه وطاعته.

ومن النعم التي خص الله به سليمان عليه السلام ما يلي:

أن الله آتاه الملك ميراثاً من أبيه داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ۝١٦﴾ [النمل].

---

(١) رواه أبو داود (٤/ ١٢١)، وابن ماجه (٢/ ١٣٢٧)، والترمذي (٥/ ٢٥٢)، وقال: حديث حسن غريب.

(٢) تفسير القرطبي (٦/ ٢٥٢).

(٣) تفسير السعدي (١/ ٢٤١).

أن الله آتاه علم منطق الطير، كما آتى أباه داود مثل ذلك من قبله.

أن الله آتاه الحكمة والفهم والفقه على حداثة سنه: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩].

أن الله سخَّر لسليمان عليه السلام الريح تجري بأمره حيث أراد، غُدُوُّها شهر ورواحها شهر، فإذا أرادها رخاء جرت بأمره رخاء حيث أصاب، وإذا أرادها عاصفةً جرت بأمره عاصفة إلى الأرض التي أراد فتسوق له السفن حسب إرادته، وتتجه بأمره إلى الأرض التي يوجهها إليها حسب المصالح التي يقدرها.

أن الله سخر له من الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه، ومن يزغ منهم عن أمر الله يذقه من عذاب السعير، يعملون له ما يشاء من محاريب(١) وتماثيل، وجفان كالجواب، وقدور راسيات.

---

(١) ذكر في القرآن المحاريب ولم يذكر ما يسمى الهيكل، كما ينقل بعض المؤلفين المتأثرين بالتوراة والتلمود، لقد ورد اسم المحراب في قصة النبي داود وكان يتعبد في هذا المحراب كما ورد المحراب مع زكريا ومع مريم مما يشير إلى وجود مكان للعبادة معروف للجميع، لكن اللافت أنه لم يرد في القرآن ذكر لسليمان عليه السلام وعلاقته بهذا المحراب أو أن له اهتماماً خاصاً به بل على العكس من ذلك نرى القرآن يذكر أن الجن تبني لسليمان عليه السلام محاريب متعددة وليس محراباً واحداً مميزاً ومحدداً، ولتكون هذه المحاريب أمكنة يُتعبد بها لله، فما أورده القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ] ينفي تماماً ما أوردته التوراة من بناء ما يسمى هيكل سليمان: انظر: القرآن والتوراة حسن الباشا (٣٢٤ ـ ٣٤٤) بتصرف، وقد ثبت أن سليمان عليه السلام هو الذي أكمل بناء المسجد الأقصى كما رواه النسائي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً: «**أن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلالاً ثلاثاً**» الحديث...، وصححه ابن حجر في فتح الباري (٦/٤٠٨).

من الطريف أن التوراة تذكر أن (الملك سليمان)، وليس النبي ـ صرف في بنائه سبع سنين وقام بالعمل فيه ثلاثون ألف رجل و٨٠ ألفاً كانوا يقطعون الحجارة و٧٠ ألفاً يحملونها، وعلى رؤوس هؤلاء كان يوجد ٣٣٠٠ وكيل؛ أي: أن مجموع من شارك في البناء بلغ نحو ١٨٤ ألف شخص على مدى سبع سنوات لكي يبنوا هيكلاً طوله =

كما سخَّر له من الشياطين ـ وهم مَرَدَة الجن ـ من يغوصون له في البحار، لاستخراج ما يريد منها، ومن يبنون له المباني الضخمة، كما سلطه الله على آخرين من الشياطين إذ يكف شرهم عن الناس، وذلك بتقييدهم بالأغلال. قال الله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾ [ص].

أن الله سخَّر له الجنود من الجن والإنس والطير، يجتمعون بأمره ويطيعونه. قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النمل].

أن الله أسال له عين القِطر ـ وهو النحاس ـ فكان النحاس يتدفق له مذاباً من عين خاصةٍ كتدفق الماء.

ومن الأحداث التي جرت لسليمان عليه السلام، قصته مع ملكة سبأ، كما في سورة النمل. والله أعلم[1].

وحين يذكر اليهود سليمان عليه السلام، يذكره كثير منهم، على أنه ملك أو ساحر[2]، كما في جرأة اليهود على رسول الله ﷺ بقولهم: «ألا تعجبون

= ٦٠ ذراعاً وعرضه عشرون وارتفاعه ثلاثون بحسب وصف التوراة؛ أي: أن أبعاده ٣١ ضرب ١٠,٥ ضرب ١٥ متر هذا يساوي ٣٢٥ متراً مربعاً فقط، وهذه مساحة لا تحتاج لكل هذا الطاقم الكبير ولكنه التحريف السامج، وما زال اليهود منذ احتلالهم للأرض المباركة ينقبون عن «هيكل الرب» وهو قدس الأقداس لدى اليهود قاطبة، وحتى الآن لم يكتشف اليهود أي أثر لهذا الهيكل الأسطوري. ولن يكتشفوه لأنه لا حقيقة له، ثم ينفذوا أقذر خططهم والتي يعملون عليها بجد وهي هدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل مكانه، ولمعرفة من انساق وراء فرية الهيكل من المؤلفين في الدراسات اليهودية انظر كتاب: «خطر التوراة على الكُتَّاب العرب المحدثين» د. فضل العماري، فقد أفاد وأجاد.

(١) ملخصاً من تاريخ الطبري (١/ ٢٨٧) وما بعدها، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢٢/ ٢٢٠) والبداية والنهاية لابن كثير (٢/ ١٨).

(٢) كما في بعض نصوص التوراة، انظر: القرآن والتوراة حسن الباش (١/ ٣٤٠)، قال ابن تيمية: فإن كثيراً من اليهود والنصارى يطعنون فيه، منهم من يقول كان ساحراً وأنه سحر الجن بسحره، ومنهم من يقول سقط عن درجة النبوة فيجعلونه حكيماً لا نبياً. =

لمحمد يزعم أن سليمان بن داود كان نبياً ﷺ، والله ما كان إلا ساحراً».

وذمهم الله باتباعهم السحر ثم نسبته إلى نبي الله سليمان ﷺ، واختلف هل المذموم اليهود الذين كانوا على عهد سليمان ﷺ، أم المعاصرين لنبينا ﷺ، والصواب أنه للجميع؛ «لأن المتبعة ما تلته الشياطين في عهد سليمان ﷺ وبعده إلى أن بعث الله نبيه ﷺ بالحق وأمر السحر لم يزل في اليهود.. وكل متبع ما تلته الشياطين على عهد سليمان من اليهود داخل في معنى الآية»[1].

قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

فاليهود لما نبذوا كتاب الله اتبعوا ما تتلو الشياطين وتختلق من السحر على ملك سليمان حيث أخرجت الشياطين للناس السحر وزعموا أن سليمان ﷺ كان يستعمله وبه حصل له الملك العظيم، وهم كذبة في ذلك، فلم يستعمله سليمان بل نزهه الله ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ أي: بتعلم السحر فلم يتعلمه ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ بذلك ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ من إضلالهم وحرصهم على إغواء بني آدم، وكذلك اتبع اليهود السحر الذي أنزل على الملكين الكائنين بأرض بابل من أرض العراق أنزل عليهما السحر امتحاناً وابتلاء من الله لعباده فيعلمانهم السحر، وما يعلمان من أحد حتى ينصحاه ويقولا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ أي: لا تتعلم السحر فإنه كفر، فينهيانه عن السحر ويخبرانه عن مرتبته، فتعليم الشياطين للسحر على وجه التدليس والإضلال، ونسبته وترويجه إلى من برأه الله منه وهو سليمان ﷺ وتعليم الملكين امتحاناً مع نصحهما لئلا يكون لهم حجة، فهؤلاء اليهود يتبعون

= الجواب الصحيح (٣/ ٣٨). قال ابن كثير: «وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان ﷺ»، تفسير ابن كثير (٧/ ٦٠).

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٤٨) باختصار.

السحر الذي تعلِّمه الشياطين، والسحر الذي يعلِّمه المَلَكان، فتركوا علم الأنبياء والمرسلين وأقبلوا على علم الشياطين، وكل يصبو إلى ما يناسبه[(١)].

وصرَّح في الآية بتسمية من يعلم الناس السحر في مدينة بابل: أنهما هاروت وماروت وليس غيرهما كما يزعم بعض اليهود، «لأن سحرة اليهود فيما ذكر كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل عليهما السلام إلى سليمان بن داود عليه السلام. فأكذبها الله بذلك وأخبر نبيه محمداً ﷺ أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر قط، وبرأ سليمان عليه السلام مما نحلوه من السحر، فأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين، وأنها تعلم الناس ببابل، وأن الذين يعلمونهم ذلك رجلان اسم أحدهما هاروت واسم الآخر ماروت؛ فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل ترجمة على الناس ورداً عليهم»[(٢)].

ويلاحظ في الآية أنها نفت الكفر عن سليمان عليه السلام وليس السحر؟ ولم يصفه أحد بالكفر صراحة.

والسبب ـ والله أعلم ـ أن الشياطين كانوا ينسبون السحر لسليمان عليه السلام فيحسِّنونه للناس فيقبلون عليه، كما أنها تجعل بعضهم يكرهه لأجل ذلك ويعتبرونه ساحراً لا رسولاً، ولذلك نفى الله الكفر عن سليمان لأنه نتيجة السحر وهو ليس بساحر كما تفتري عليه اليهود.

وأما تفاصيل القصة المذكورة في من يعلم الناس السحر، فقد قال ابن كثير رحمه الله: «وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين؛ كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية والزهري والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وغيرهم، وقصَّها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٦١) بتصرف.

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤٥٥).

فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال»[(١)].

ما ورد في فتنة سليمان:

عرض القرآن الكريم لقصّة فتنة سليمان عليه السلام، وإلقاء الجسد على كرسيه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [صٓ]، وعلى كثرة الآثار الواردة عن السلف في ماهية هذه الفتنة إلا أنه لم يثبت بخبرٍ صحيح الأمر الذي فتن الله به سليمان، ولا المراد من قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾. وقد ذكر المفسرون عدة وجوه يحتملها النص، ولكن لا سبيل إلى الجزم بواحد منها، وحكوا في ذلك قصصاً لا أصل لها![(٢)].

وقد استأنس بعض المفسرين في شرح المراد من هذه الآية بما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «**أن سليمان عليه السلام قال: لأطوفنَّ الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى، ولم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل.** قال ﷺ: والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون»[(٣)].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٤٢).

(٢) قال ابن كثير عن رواية ابن عباس: «إسناده إلى ابن عباس قوي، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس ـ إن صح عنه ـ من أهل الكتاب.. وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب. والله أعلم بالصواب».اهـ. تفسير ابن كثير (٧/ ٦٠). ويدل عليه ما أورده السيوطي في تفسيره، قال السيوطي: أخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما «قال: أربع آيات من كتاب الله لم أدر ما هي حتى سألت عنهن كعب الأحبار... وسألته عن قوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [صٓ: ٣٤] قال: الشيطان أخذ خاتم سليمان عليه السلام الذي فيه ملكه فقذف به في البحر فوقع في بطن سمكة فانطلق سليمان يطوف إذ تصدق عليه بتلك السمكة فاشتواها فأكلها فإذا فيها خاتمه فرجع إليه ملكه، الدر المنثور، السيوطي (٧/ ١٨٠)، وتفسير عبد الرزاق (٣/ ١٦٥).

(٣) رواه البخاري في ستة مواضع باختلاف يسير رقم (٣٤٢٤)، ومسلم (١٦٥٤) =

فلعل المراد من فتنة سليمان عليه السلام ابتلاؤه بما آتاه الله من ملك عظيم، ونساء كثيرات حرائر وإماء، وتمنيه أن يكون له من صلبه أولاد كثيرون يقاتلون في سبيل الله،، ونسيانه تعليق ذلك على مشيئة الله تعالى، وذلك إذ أخذ على نفسه أن يطوف في ليلة واحدة على عدد كبير من نسائه، تأتي كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله، وتجاوَز بذلك حدود بشريته، ونسي أن يفوض تحقيق الأمر إلى مشيئة الله تعالى، فجوزي على هذا بأن النساء اللواتي طاف عليهن لم يحملن منه إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل. قالوا: فلعل هذا الشق هو المراد من قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]، فلما رأى سليمان ذلك رجع إلى ربه وأناب، وقال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥][1].

تنبيه:

وردت آثار كثيرة في ذكر جملة من أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام مثل: (إلياس، شمويل، إرميا، أشعيا) وهناك اختلاف كبير في تسميتهم، وثبوت ما يرد في حقهم وهذا من الإسرائيليات، كما قال ابن كثير عقب نقله فقراتٍ من هذه الرّوايات عن بعض الأنبياء: «ففي هذا نظرٌ، وهو من الإسرائيليّات التي

= قال الشنقيطي رحمه الله ـ بعد استشهاده بالحديث ـ: «فتنة سليمان كانت بسبب تركه قوله: إن شاء الله، وأنه لم يلد من تلك النساء إلا واحدة نصف إنسان، وأن ذلك الجسد الذي هو نصف إنسان هو الذي ألقي على كرسيه بعد موته»، أضواء البيان ـ (٣/ ٢٥٤).

(١) الروايات الكثيرة التي أوردها الطبري رحمه الله مكتفياً باسنادها من غير تعليق على ما احتوته من نكارة متنها.

كما لم يثبت أغلبها سنداً، وما صحّ منها لا يخرجها عن كونها من الإسرائيليّات، وكلُّ هذه الرِّوايات مأخوذةٌ عن أهل الكتاب كما قرّر ذلك الحافظ ابنُ كثيرٍ رحمه الله في تفسيره (٤/ ٤٠) حيث قال: «وقد رُويت هذه القصّة مطوّلة عن جماعة من السّلف رضي الله عنهم... وكلّها متلقّاةٌ من قصص أهل الكتاب»اهـ. وانظر: تاريخه (٢/ ٣٤٠ ـ ٣٤١). وقال ابن حزم: «وهذه كلُّها خرافات موضوعة مكذوبة لم يصحّ إسنادها قط». الفصل (٤/ ٢٠)، وتوسع في ردها أبو شهبة في الإسرائيليات (ص٢٧٠).

لا تصدّق ولا تكذّب، بل الظّاهر أنّ صِحّتَها بعيدةٌ. والله أعلم»[١].

وقد أعرضت عن إيرادها، اكتفاءً بذكر أهم ما ورد عن أبرز أنبياء بني إسرائيل وكيف عاملهم قومهم[٢]، والموضوع يطول لو استقصي، وفيما ذكر ـ مع التقصير ـ دال على غيره، والله أعلم.

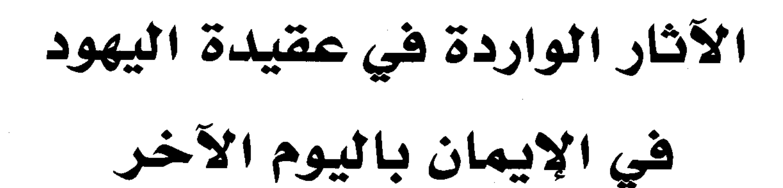
---

(١) البداية والنهاية (٢/ ٢٧٤).

(٢) وأما ما يوردونه في التوراة في حق الأنبياء من الأمور الشنيعة «من زنا وسكر وقتل وكذب وخداع» كالتي ذكرنا بعضها عند الكلام على تحريفهم للتوراة فيكفي في ردها أنها تنادي على نفسها بالتحريف والكذب وعدم توقير أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم. للتوسع انظر: بذل المجهود في إفحام اليهود، الذي كان من كبار أحبارهم ثم أسلم.







وفيه خمسة مباحث:

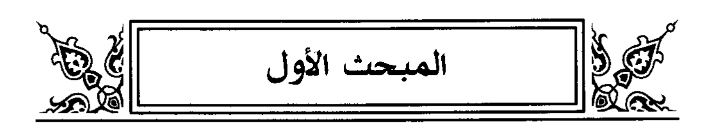
المبحث الأول: وروده في شريعتهم.

المبحث الثاني: زعمهم أن ذنوبهم مغفورة في الآخرة.

المبحث الثالث: إيمانهم بالموت والبعث.

المبحث الرابع: إيمانهم بالحساب.

المبحث الخامس: إيمانهم بالجنة والنار.



وروده في شريعتهم

أولاً: الآثـــار

❁ قوله تعالى: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ [طه].

(٤٥٦) ١٨٢٦٩ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ خير منك ثواباً، وأبقى عذاباً[١].

(٤٥٧) ١٨٢٧٠ ـ حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب، ومحمد بن قيس في قول الله: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ قالا: خيراً منك إن أطيع، وأبقى منك عذاباً إن عصي[٢].

(٤٥٨) ١٨٢٧١ ـ حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه] قال: عدن[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٦٠)، إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الدر المنثور (٥/ ٥٨٧)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٦٠).

(٣) تفسير الطبري (١٦/ ١٩٠).

المبحث الثاني

زعمهم أن ذنوبهم مغفورة في الآخرة

❁ **قوله تعالى:** ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الأعراف].

(٤٥٩) **١١٩٠٢** ـ حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾.. إلى قوله: ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ﴾ قال: كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضياً إلا ارتشى في الحكم. وإن خيارهم اجتمعوا فأخذ بعضهم على بعض العهود أن لا يفعلوا ولا يرتشوا، فجعل الرجل منهم إذا استقضي ارتشى، فيقال له: ما شأنك ترتشي في الحكم؟ فيقول: سيغفر لي! فيطعن عليه البقية الآخرون من بني إسرائيل فيما صنع. فإذا مات أو نزع، وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فيرتشي، يقول: وإن يأت الآخرين عرض الدنيا يأخذوه. وأما عرض الأدنى، فعرض الدنيا من المال[1].

(٤٦٠) **١١٩٠٣** ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا﴾ يقول: يأخذون ما

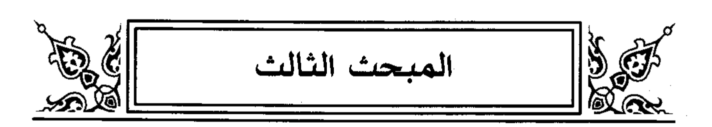
---

(١) تفسير الدر المنثور (٣/ ٥٩٤)، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٦١)، حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٢٨١).

أصابوا، ويتركون ما شاؤوا من حلال أو حرام، ويقولون: سيغفر لنا[١].

(٤٦١) ١١٩٠٤ ـ وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ قال: الكتاب الذي كتبوه، ويقولون: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ لا نشرك بالله شيئاً. ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ يأتهم المحق برشوة، فيخرجوا له كتاب الله ثم يحكموا له بالرشوة. وكان الظالم إذا جاءهم برشوة أخرجوا له المثناة، وهو الكتاب الذي كتبوه، فحكموا له بما في المثناة بالرشوة، فهو فيها محق، وهو في التوراة ظالم، فقال الله: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾[٢].

(١) تفسير الطبري (٩/ ١٠٧)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٥٩٣)، إسناده ضعيف.
(٢) تفسير الطبري (٩/ ١٠٧)، تفسير القرطبي (٧/ ٣١٢)، صححه في التفسير الصحيح (٢/ ٣٥٢).



إيمانهم بالموت والبعث

✿ قوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧].

(٤٦٢) ١١٩٩٩ - حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: ثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال حمل بن أبي قشير وسموأل بن زيد لرسول الله ﷺ: يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيّاً كما تقول، فإنا نعلم متى هي! فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي...﴾ إلى قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧][١].

✿ قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦)﴾ [البقرة].

(٤٦٣) ١٣١٨ - حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد فيما يروي أبو جعفر، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ وذلك أن المشرك لا يرجو بعثاً بعد الموت فهو يحب طول الحياة، وأن اليهودي قد عرف ما له في الآخرة من الخزي بما ضيع مما عنده من العلم[٢].

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ١٣٧)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٦١٩)، تفسير ابن كثير (٢/ ٥٦٢).
(٢) تفسير الطبري (٩/ ١٠٨)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٧٩)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٢١)، تفسير ابن كثير (١/ ١٣٠)، إسناده ضعيف.

(٤٦٤) ١٣٢٢ ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ حتى بلغ: ﴿لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يهود أحرص من هؤلاء على الحياة، وقد ود هؤلاء لو يعمر أحدهم ألف سنة[١].

(٤٦٥) ١٣٢٨ ـ حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ فهم الذين عادوا جبريل عليه السلام[٢].

۞ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ [المُمتحنة].

(٤٦٦) ٢٦٣٧٦ ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ...﴾ الآية، قال: قد يئس هؤلاء الكفار من أن تكون لهم آخرة، كما يئس الكفار الذين ماتوا الذين في القبور من أن تكون لهم آخرة، لما عاينوا من أمر الآخرة، فكما يئس أولئك الكفار، كذلك يئس هؤلاء الكفار؛ قال: والقوم الذين غضب الله عليهم، يهودهم الذين يئسوا من أن تكون لهم آخرة، كما يئس الكفار قبلهم من أصحاب القبور؛ لأنهم قد علموا كتاب الله وأقاموا على الكفر به، وما صنعوا وقد علموا[٣].

۞ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [البقرة].

(٤٦٧) ١٢٩٦ ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثام بن علي، عن

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ١٠٨)، تفسير ابن كثير (١/ ١٣٠)، صححه في التفسير الصحيح (٢/ ٣٥٢).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤٣١)، إسناده ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (٢٨/ ٨٢)، مصنف ابن أبي شيبة عن عكرمة بمعناه (٧/ ٢١٦).

الأعمش، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ قال: لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه[١].

(٤٦٨) ١٣٠٨ ـ حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج قوله: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ وكانت اليهود أشد فراراً من الموت، ولم يكونوا ليتمنوه أبداً[٢].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٢٤)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٧٧)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٢٠)، تفسير ابن كثير (١/ ١٢٨)، صححه في التفسير الصحيح (١/ ١٩٩).

(٢) تفسير ابن كثير بمعناه عن الحسن (١/ ١٢٨).

المبحث الرابع

إيمانهم بالحساب

۞ قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [آل عمران].

(٤٦٩) ٥٧٤٤ ـ حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ﴾ قال: يقال له: ما بالك لا تؤدي أمانتك؟ فيقول: ليس علينا حرج في أموال العرب، قد أحلها الله لنا(١).

(٤٧٠) ٥٧٤٨ ـ حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن صعصعة، قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: إنا نغزو أهل الكتاب، فنصيب من ثمارهم؟ قال: وتقولون كما قال أهل الكتاب: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ﴾(٢).

(٤٧١) ٥٧٤٩ ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أبي إسحاق الهمداني، عن صعصعة: أن رجلاً سأل ابن عباس رضي الله عنهما فقال: إنا نصيب في الغزو ـ أو العذق، الشك من الحسن ـ من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة، فقال ابن عباس: فتقولون ماذا؟ قال نقول:

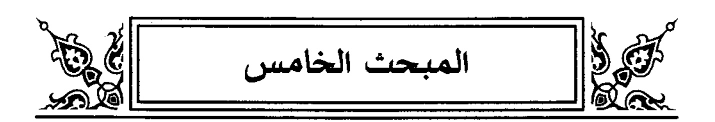
---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣١٨)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٢٤٤).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٣١٩)، مصنف ابن أبي شيبة عن مجاهد نحوه (٦/ ٥٠٤).

ليس علينا بذلك بأس. قال: هذا كما قال أهل الكتاب: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾ إنهم إذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم إلا بطيب أنفسهم[1].

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣١٩)، تفسير عبد الرزاق (١/ ١٢٤)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٢٤٤)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٧٥).



المبحث الخامس

إيمانهم بالجنة والنار

✿ قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [آل عمر: ١٣٣].

(٤٧٢) ٦٢١٣ ـ حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا جعفر بن عون، أخبرنا الأعمش، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر رضي الله عنه، فقال: تقولون: جنة عرضها السمٰوات والأرض أين تكون النار؟ فقال له عمر: أرأيت النهار إذا جاء، أين يكون الليل؟ أرأيت الليل إذا جاء، أين يكون النهار؟ فقال: إنه لمثلها في التوراة، فقال له صاحبه: لم أخبرته؟ فقال له صاحبه: دعه إنه بكل موقن[1].

(٤٧٣) ٦٢١٤ ـ حدثني أحمد بن حازم، قال: أخبرنا أبو نعيم، قال: ثنا جعفر بن برقان، قال: ثنا يزيد بن الأصم أن رجلاً من أهل الكتاب أتى ابن عباس رضي الله عنهما، فقال: تقولون جنة عرضها السمٰوات والأرض، فأين النار؟ فقال ابن عباس: أرأيت الليل إذا جاء، أين يكون النهار؟ وإذا جاء النهار، أين يكون الليل؟[2].

✿ قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١﴾ [البقرة].

(٤٧٤) ١٤٩٣ ـ حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي

(١) تفسير الطبري (٤/ ٩٢)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٣١٥).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ٩٢)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٣١٥).

جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ قال: أماني تمنوا على الله بغير الحق[١].

(٤٧٥) ١١٥٧ ـ حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] قال: قالت اليهود: إن الله يدخلنا النار فنمكث فيها أربعين ليلة، حتى إذا أكلت النار خطايانا واستنقتنا، نادى مناد: أخرجوا كل مختون من ولد بني إسرائيل، فلذلك أمرنا أن نختتن. قالوا: فلا يدعون منا في النار أحداً إلا أخرجوه[٢].

(٤٧٦) ١١٥٨ ـ حدثني المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: قالت اليهود: أن ربنا عتب علينا في أمرنا، فأقسم ليعذبنا أربعين ليلة، ثم يخرجنا. فأكذبهم الله[٣].

ثانياً: الدراسة

الإيمان باليوم الآخر وما فيه أمر بُعث به جميع الرسل، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال عن السابقين لبعثة محمد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة].

ودعوة موسى إلى بني إسرائيل لا تخرج عن هذا، فالآيات التي فيما يقوله موسى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه].

وما ذكره الله عنهم يدل على إيمانهم بالبعث، والجنة والنار، وأنهم لن

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٩٢)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٠٧)، الدر المنثور عن أبي العالية (١/ ٢٦٣).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٨١).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٨١)، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٦/ ٣٦٦).

يدخلوها إلا أربعين يوماً، وأن الجنة مقصورة عليهم، وأن أولادهم سيشفعون لهم، إلى غير ذلك مما تناولناه مفصلاً في فصول سابقة، ولكن المؤلفين في اليهود واليهودية، ومعتقداتهم، يذكرون عدم إيمانهم باليوم الآخِر، وخُلو كتبهم المعتمدة منه، سواء التوراة المحرفة أو ما دونها «فقد خلت الكتب الإسرائيلية من ذكر البعث واليوم الآخر، فالأرض السفلى هي الهاوية التي تهوي بالأجسام بعد الموت، ولا نجاة منها لميت، وأن الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد»[١].

وكلام هؤلاء غريب لأن الله حكى عنهم كلامهم في البعث والجنة والنار وخاصة المعاصرين لنبينا ﷺ حين قال بعضهم: يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبياً كما تقول، فإنا نعلم متى هي. وفي حديث ثوبان رضي الله عنه، قال: سأل حبر من اليهود رسول الله ﷺ فقال: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض؟ قال: **«هم في الظلمة دون الجسر»**[٢]. وفي رواية أبي أيوب رضي الله عنه قال: «أتى النبي ﷺ حبر من اليهود، وقال: أرأيت إذ يقول الله في كتابه: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم] فأين الخلق عند ذلك؟»، قال: **«أضياف الله فلن يعجزهم ما لديه»**[٣].

وكما روي عن سلمة بن سلامة بن وقش رضي الله عنه قال: «كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل قال: فخرج علينا يوماً من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل قال سلمة: ـ وأنا يومئذ حدثٌ عليَّ بردة لي مضطجع فيها بفناء أهلي ـ فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار، قال: فقال ذلك في أهل يثرب والقوم أصحاب أوثان لا يرون بعثاً كائناً عند الموت، فقالوا له: ويحك أترى هذا كائناً يا فلان، إن الناس يبعثون بعد موتهم إلى جنة ونار، ويجزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم والذي يُحلف به، قالوا: يا فلان

---

(١) اليهود واليهودية، علي عبد الواحد وافي (١/٤٦)، واليهودية لأحمد شلبي (١٩٩).

(٢) رواه مسلم ضمن حديث طويل (١/ ٢٥٢).

(٣) تفسير الدر المنثور (٥/٥٨) وقال: أخرجه أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو نعيم في الدلائل وقال ابن حجر: «رجاله موثقون». فتح الباري (١١/ ٣٧٥).

ويحك وما آية ذلك؟ قال: نبي مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده إلى مكة، قالوا: ومتى نراه؟ قال: فنظر إلي وأنا أصغرهم سناً، فقال: إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه، قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله تبارك وتعالى رسول الله ﷺ وهو حي بين أظهرنا، فآمنا به وكفر بغياً وحسداً، فقلنا له: ويحك يا فلان ألست الذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى ولكنه ليس به»(١).

ويقول العلامة صديق حسن خان رحمه الله في معرض الكلام عن الإيمان باليوم الآخر عند أهل الكتاب قال: «كما يحكى ذلك عن كتب الله المنزلة على رسله وتحكيه أيضاً كتبهم المؤلفة من أحبارهم ورهبانهم فإنه لا خلاف بينهم في المعاد وفي النعيم المعد لأهل الجنة كما حكاه الكتاب العزيز، وقد أوردنا. . . كثيراً من نصوص التوراة والإنجيل والزبور وسائر كتب نبوات بني إسرائيل، ولم يشذ منهم إلا اليهودي الزنديق موسى بن ميمون الأندلسي، وقد تبرأ منه قدماء اليهود وأخرجوه من دينهم»(٢).

وفي القرآن الكريم لا تكاد تخلو سورة من ذكر متعلّقاته أو التذكير بها، من بعث وحساب وجزاء، وما يليه من عقاب وثواب. وانعدام إيمانهم باليوم

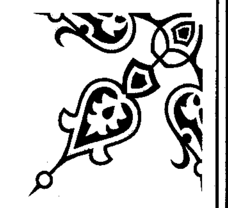
---

(١) رواه الإمام أحمد (٣/ ٤٦٧)، ورواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٧١)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) موسى بن ميمون الرئيس أبو عمران القرطبي اليهودي الطبيب المفتن في العلوم، كان رئيساً على اليهود بمصر وكان أوحد أهل زمانه في الطب، وكان السلطان صلاح الدين يستطبه، وكذلك ولده الأفضل. فوات الوفيات للكتبي (٢/ ٥٣٧). ولكن الذي نقل عنه غير ذلك في ما سمَّاه أصول الإيمان قوله: «أنا أؤمن إيماناً كاملاً بأن الخالق تبارك اسمه، يجزي الحافظين لوصاياه، ويعاقب المخالفين لها. . وأؤمن بقيامة الموتى، في الوقت الذي تنبعث فيه إرادة الخالق». الفكر الديني اليهودي د. حسن ظاظا (ص١٣٤ ـ ١٣٥). ولعله من مخادعة اليهود وتبديلهم حسب الأهواء، ولذلك قال صديق خان رحمه الله: «وقد وقع لهذا الملعون من تحريف كثير من التوراة ما يدل على إلحاده وزندقته، وقد رددت ما حرَّفه وأوضحته بأتم إيضاح، وأما يهود عصرنا فصاروا يعظمونه وذلك لجهلهم بحقيقة الحال، وقد ذكرت لجماعة من أحبارهم بعض تحريفاته فلعنوه وتبرأوا منه» أبجد العلوم (١/ ١٩ ـ ٢٠).

الآخر، أوجد لديهم الصفات السلبية، التي اتصفوا بها على مرّ العصور، مثل الحرص على الحياة، والجبن، والبخل، والسعي وراء الكسب المادي، وانعدام المبادئ والقيم والصفات البشرية المحمودة.

والذي توضحه النصوص: أنهم يعرفونه ويجحدونه فعدم عملهم له وظهور ذلك في تصرفاتهم من معصية لله وكتابه ورسوله: هو عدم الإيمان به، ومهما بذلوا وحرصوا على هذه الدنيا فنهايتهم كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة].

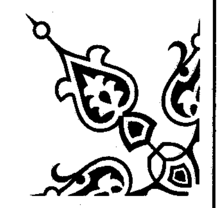
الباب الثالث

الآثار الواردة عن السلف في موقف اليهود من النصرانية والإسلام

وفيه فصلان:

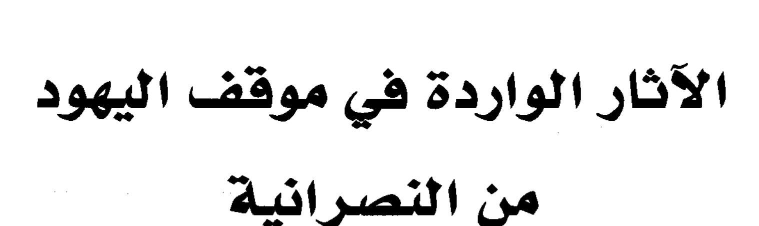
الفصل الأول: الآثار الواردة في موقف اليهود من النصرانية.

الفصل الثاني: الآثار الواردة في موقف اليهود من الرسول ﷺ والمسلمين.







وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقفهم من مريم عليها السلام.

المبحث الثاني: موقفهم من عيسى عليه السلام والنصارى.

المبحث الثالث: موقفهم من النصارى.

المبحث الأول

موقفهم من مريم عليها السلام

أولاً: الآثار

❑ **مكانة مريم:**

✿ **قوله تعالى:** ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران].

(٤٧٧) **٥٤٣٢** ـ حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال الله ﷻ: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ فانطلقت بها أمها في خرقها ـ يعني: أم مريم ـ بمريم حين ولدتها إلى المحراب ـ وقال بعضهم: انطلقت حين بلغت إلى المحراب ـ وكان الذين يكتبون التوراة إذا جاؤوا إليهم بإنسان يجربونه اقترعوا عليه أيهم يأخذه فيعلمه، وكان زكريا أفضلهم يومئذ وكان بينهم، وكانت خالة مريم تحته. فلما أتوا بها اقترعوا عليها، وقال لهم زكريا: أنا أحقكم بها تحتي خالتها، فأبوا. فخرجوا إلى نهر الأردن، فألقو أقلامهم التي يكتبون بها، أيهم يقوم قلمه فيكفلها. فجرت الأقلام وقام قلم زكريا على قرنته كأنه في طين، فأخذ الجارية؛ وذلك قول الله ﷻ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ فجعلها زكريا معه في بيته، وهو المحراب[1].

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٢٤٣)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٣٩).

(٤٧٨) ٥٤٤٩ ـ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ قال: كنا نحدث أنها كانت تؤتى بفاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء(١).

(٤٧٩) ٥٤٥٦ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، قال: كفلها بعد هلاك أمها، فضمها إلى خالتها أم يحيى، حتى إذا بلغت، أدخلوها الكنيسة لنذر أمها الذي نذرت فيها، فجعلت تنبت وتزيد، قال: ثم أصابت بني إسرائيل أزمة، وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها، فخرج على بني إسرائيل، فقال: يا بني إسرائيل أتعلمون، والله لقد ضعفت عن حمل ابنة عمران! فقالوا: ونحن لقد جهدنا وأصابنا من هذه السنة ما أصابكم. فتدافعوها بينهم، وهم لا يرون لهم من حملها بداً. حتى تقارعوا بالأقلام، فخرج السهم بحملها على رجل من بني إسرائيل نجار يقال له: جريج، قال: فعرفت مريم في وجهه شدة مؤنة ذلك عليه، فكانت تقول له: يا جريج أحسن بالله الظن، فإن الله سيرزقنا! فجعل جريج يرزق بمكانها، فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها، فإذا أدخله عليها وهي في الكنيسة أنماه الله وكثره، فيدخل عليها زكريا فيرى عندها فضلاً من الرزق وليس بقدر ما يأتيها به جريج، فيقول: يا مريم أنى لك هذا؟ فتقول: هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب(٢).

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [النساء: ١٥٣].

(٤٨٠) ٨٥٢٤ ـ حدثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب القرظي، قال: أنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم عن عكرمة (٢/ ٦٤٠)، تفسير الدر المنثور عن مجاهد (٢/١٨٦)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٢٤٦)، تاريخ مدينة دمشق (٧٠/ ٨١)، إسناده ضعيف.

تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ . . .﴾ [النِّسَاء: ١٥٣] إلى قوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاء: ١٥٦] فلما تلاها عليهم ـ يعني: على اليهود ـ وأخبرهم بأعمالهم الخبيثة، جحدوا كل ما أنزل الله، وقالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء، ولا على موسى، ولا على عيسى، وما أنزل الله على نبي من شيء. (باختصار)[1].

۞ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [آل عمران].

(٤٨١) ٥٥٣٥ ـ حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: ذلك للعالمين يومئذ.

(٤٨٢) ٥٥٣٦ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، قال: كانت مريم حبيساً في الكنيسة، ومعها في الكنيسة غلام اسمه يوسف، وقد كان أمه وأبوه جعلاه نذيراً حبيساً، فكانا في الكنيسة جميعاً، وكانت مريم إذا نفد ماؤها وماء يوسف، أخذا قلَّتيهما فانطلقا إلى المفازة التي فيها الماء الذي يستعذبان منه، فيملآن قلَّتيهما، ثم يرجعان إلى الكنيسة، والملائكة في ذلك مقبلة على مريم: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فإذا سمع ذلك زكريا، قال: إن لابنة عمران لشأناً[2].

❑ اتهامها بالزنا:

۞ قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾ [مريم].

(٤٨٣) ١٧٧٨٥ ـ حدثنا محمد بن سهل، قال: ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: ثني عبد الصمد بن معقل، أنه سمع وهب بن منبه يقول: لما اشتملت مريم على الحمل، كان معها قرابة لها، يقال له: يوسف النجار،

(١) تفسير الطبري (٦/ ٢٨)، تفسير ابن كثير (١/ ٥٨٦).
(٢) تفسير الطبري (٣/ ٢٦٤)، تفسير الدر المنثور (٢/ ١٩٥)، إسناده ضعيف.

وكانا منطلقين إلى المسجد الذي عند جبل صهيون، وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم، فكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك المسجد، في ذلك الزمان، وكان لخدمته فضل عظيم، فرغبا في ذلك، فكانا يليان معالجته بأنفسهما، تحبيره وكناسته وطهوره، وكل عمل يعمل فيه، وكان لا يعمل من أهل زمانهما أحد أشد اجتهاداً وعبادة منهما، فكان أول من أنكر حمل مريم صاحبها يوسف؛ فلما رأى الذي بها استفظعه، وعظم عليه، وفظع به، فلم يدر على ماذا يضع أمرها، فإذا أراد يوسف أن يتهمها، ذكر صلاحها وبراءتها، وأنها لم تغب عنه ساعة قط؛ وإذا أراد أن يبرئها، رأى الذي ظهر عليها؛ فلما اشتد عليه ذلك كلمها، فكان أول كلامه إياها أن قال لها: إنه قد حدث في نفسي من أمرك أمر قد خشيته، وقد حرصت على أن أميته وأكتمه في نفسي، فغلبني ذلك، فرأيت الكلام فيه أشفى لصدري، قالت: فقل قولاً جميلاً، قال: ما كنت لأقول لك إلا ذلك، فحدثيني، هل ينبت زرع بغير بذر؟ قالت: نعم، قال: فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها؟ قالت: نعم، قال: فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم، ألم تعلم أن الله تبارك وتعالى أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر، والبذر يومئذ إنما صار من الزرع الذي أنبته الله من غير بذر؛ أو لم تعلم أن الله بقدرته أنبت الشجر بغير غيث، وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كل واحد منهما وحده، أم تقول: لن يقدر الله على أن ينبت الشجر حتى استعان عليه بالماء، ولولا ذلك لم يقدر على إنباته؟ قال يوسف لها: لا أقول هذا، ولكني أعلم أن الله تبارك وتعالى بقدرته على ما يشاء يقول لذلك: كن فيكون، قالت مريم: أو لم تعلم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم وامرأته من غير أنثى ولا ذكر؟ قال: بلى، فلما قالت له ذلك، وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله تبارك وتعالى، وأنه لا يسعه أن يسألها عنه، وذلك لما رأى من كتمانها لذلك. (باختصار)[1].

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٦٤).

قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾ [مريم].

(٤٨٤) ١٧٨٤٢ ـ حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: لما ولدته ذهب الشيطان، فأخبر بني إسرائيل أن مريم قد ولدت، فأقبلوا يشتدون، فدعوها ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾[1].

(٤٨٥) ١٧٨٤٦ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه، قال: لما رأوها ورأوه معها، قالوا: يا مريم ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ أي: الفاحشة غير المقاربة[2].

(٤٨٦) ١٧٨٤٧ ـ حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم: ٢٨] قال: كان رجلاً صالحاً في بني إسرائيل يسمى هارون، فشبهوها به، فقالوا: يا شبيهة هارون في الصلاح[3].

(٤٨٧) ١٧٨٥٩ ـ حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: لما أشارت لهم إلى عيسى غضبوا، وقالوا: لسخريتها بنا حين تأمرنا أن نكلم هذا الصبي أشد علينا من زناها ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩][4].

قوله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [النساء].

(٤٨٨) ٨٤٨١ ـ حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ

---

(١) المستدرك على الصحيحين عن ابن عباس (٢/ ٦٤٨)، تفسير الدر المنثور عن ابن عباس (٥/ ٤٩٥).
(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٧٧)، إسناده ضعيف.
(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ١١٩)، تفسير عبد الرزاق (٣/ ٧ ـ ٨).
(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٠).

﴿مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا﴾ يعني: أنهم رموها بالزنا[(١)].

(٤٨٩) ٨٤٨٢ ـ حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط عن السدي: قوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا﴾ حين قذفوها بالزنا[(٢)].

(٤٩٠) ٨٤٨٣ ـ حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا يعلى بن عبيد، عن جويبر في قوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا﴾ قال: قالوا: زنت[(٣)].

ثانياً: الدراسة

ذكر الله فضل بيت طاهر طيب وهم: آل عمران بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران]، والمراد بعمران هذا: والد مريم عليها السلام، ثم بيَّن أصل ميلاد مريم وكيف كان من أمرها وكيف حملت بولدها عيسى عليه السلام بما قصَّه علينا في سورتي: آل عمران ومريم.

وقد استجاب الله دعاء امرأة عمران كما في الحديث الصحيح: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول ﷺ يقول: «**ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم وابنها**». ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦][(٤)]. وفي رواية: «**كل إنسان تلده أمه يلكزه الشيطان بحضنيه إلا ما كان من مريم وابنها ألم تروا إلى الصبي حين يسقط كيف يصرخ**»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**فذاك حين يلكزه الشيطان بحضنيه**»[(٥)].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٠٩)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٧٢٧)، تفسير ابن كثير (١/ ٥٧٤).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٠٩)، حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٢٨١).

(٣) تفسير الطبري (٦/ ١٢).

(٤) صحيح البخاري (٣/ ١٢٦٥)، واللفظ له، ورواه مسلم (٤/ ١٨٣٨).

(٥) رواه أحمد (٢/ ٣٦٨).

وقد فضَّل الله مريم وكرَّمها على نساء العالمين، بل جعلها الله من كُمَّل النساء القليلات كما قال ﷺ: «**خير نسائها مريم ابنة عمران، وخير نسائها خديجة**». وفي رواية: «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[1].

وقد منّ الله عليها أن جعلها صدِّيقة بقوله تعالى: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥][2]، ثم جعل لها الكرامة العظيمة حين انفردت بالحمل من غير زوج، ورزقها بنبي من أولي العزم من الرسل، ولكن حين أتت به قومها من بني إسرائيل تحمله اتهموها بقولهم: ﴿يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٧]، فأنطق الله عبده ورسوله عيسى، وكان أول كلام تفوَّه به: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠]، اعترف لربه تعالى بالعبودية وأن الله ربه فنزه جناب الله عن قول الظالمين في زعمهم أنه ابن الله، بل هو عبده ورسوله وابن أمته، ثم برَّأ أمه مما نسبه الجاهلون وقذفوها به ورموها بسببه بقوله: ﴿ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠].

قال ابن كثير رحمه الله: «فإن الله لا يعطي النبوة من هو كما زعموا كما قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [النساء]، وذلك أن طائفة من اليهود في ذلك الزمان قالوا: إنها حملت به من زنا في زمن الحيض، فبرأها الله من ذلك وأخبر عنها أنها صدِّيقة، واتخذ ولدها نبياً مرسلاً أحد أولي العزم الخمسة الكبار»[3].

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٢٦٥) و(٣/ ١٢٥٢).

(٢) والصديقة: الفعيلة من الصدق، وكذلك قولهم فلان صديق: فعيل من الصدق، ومنه قوله تعالى ذكره: ﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [النساء: ٦٩]، وقد قيل: إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه إنما قيل له ذلك لصدقه، وقد قيل: إنما سمي صديقاً لتصديقه النبي ﷺ في مسيره في ليلة واحدة إلى بيت المقدس من مكة وعوده إليها. تفسير الطبري (٦/٣١٤).

(٣) البداية والنهاية (٢/ ٦٨).

وكما هي عادة اليهود فقد وصل أذاهم إلى أم نبي الله عيسى عليه السلام آخر أنبياء بني إسرائيل، وسمَّى الله ما قالوه فيها: ﴿بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ فيزعمون: أنها فجرت، وزنت، مع يوسف النجار الذي كان معها يتعبد في المحراب كما ورد في بعض الآثار(١).

والبهتان العظيم هو التعريض لها؛ أي: قولهم: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨] أي: أنت بخلافهما وقد أتيت بهذا الولد، فقولهم: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٧] جوابه: ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦](٢).

وقد أوضح الله براءتها مع بيان سبب حملها بعيسى عليه السلام من غير زوج وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ [مريم] إلى آخر الآيات.

ومن الآيات التي بيَّن الله فيها براءتها قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء].

وقوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم].

---

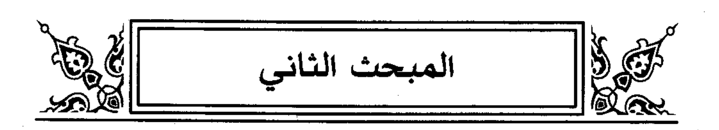
(١) تاريخ الطبري (١/ ٥٩٤ ـ ٥٩٥) وهكذا عند اليهود في التلمود يسمونه «ابن النجار» وتارة يقولون: «أم الرجل المعين» يقصدونه، وهكذا يصف اليهود نبيهم أنه ابن غير شرعي حملته أمه وهي حائض. انظر: الكنز المرصود للشرقاوي بتصرف (ص٢٥٢).

(٢) أضواء البيان، الشنقيطي (٥/ ٤٣٦) بتصرف يسير.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران][1].

---

(١) أعرضت عن روايات كثيرة من الإسرائيليات في قصة مريم وولادتها مقتصراً على أهم ما ورد وهو بهتان اليهود لها والرد عليهم.



المبحث الثاني

موقفهم من عيسى عليه السلام والنصارى

أولاً: الآثار

۞ قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥].

(٤٩١) ٥٥٥٧ ـ حدثني به ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ﴾ أي: هكذا كان أمره، لا ما يقولون فيه[1].

۞ قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩].

(٤٩٢) ٨٥١١ ـ حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمٰن، قال: ثنا الحكم بن عطية، عن محمد بن سيرين: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال: موت الرجل من أهل الكتاب[2].

(٤٩٣) حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس من يهودي ولا نصراني يموت حتى يؤمن بعيسى ابن

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٢٧٠)، إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٢١)، تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١١٤)، تفسير ابن كثير (١/٥٧٨).

مريم. فقال له رجل من أصحابه: كيف والرجل يغرق، أو يحترق، أو يسقط عليه الجدار، أو يأكله السبع؟ فقال: لا تخرج روحه من جسده حتى يقذف فيه الإيمان بعيسى[(١)].

قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩].

(٤٩٤) **٥٥٧٧** ـ حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: تحقق بها نبوتي وأني رسول منه إليكم[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

(٤٩٥) **٥٥٩٣** ـ حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عطاء بن أبي رباح؛ يعني: قوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ قال: الطعام والشيء يدخرونه في بيوتهم غيباً علمه الله إياه[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

(٤٩٦) **٥٥٩٩** ـ حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الكريم، قال: ثني عبد الصمد بن معقل، أنه سمع وهب بن منبه يقول: إن عيسى كان على شريعة موسى عليه السلام، وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس، فقال لبني إسرائيل: إني لم أدعكم إلى خلاف حرف مما في التوراة إلا لأحل لكم بعض

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٢١)، تفسير القرطبي (٦/ ١١)، تفسير ابن كثير (١/ ٥٧٧)، فتح الباري (٦/ ٤٩٢)، حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٢٨١).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٢٧٥)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٥٤)، إسناده ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٢٧٩)، تفسير ابن أبي حاتم عن مجاهد (٢/ ٦٥٦).

الذي حرم عليكم، وأضع عنكم من الآصار[1].

(٤٩٧) ٥٦٠٣ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أي: لما سبقني منها، ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عِمرَان: ٥٠] أي: أخبركم أنه كان حراماً عليكم، فتركتموه، ثم أحله لكم تخفيفاً عنكم، فتصيبون يسره وتخرجون من تباعته[2].

(٤٩٨) ٥٦٠٤ ـ حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ قال: كان حرم عليهم أشياء، فجاءهم عيسى ليحل لهم الذي حرم عليهم، يبتغي بذلك شكرهم[3].

۞ قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران: ٥٠].

(٤٩٩) ٥٦٠٦ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٥٠ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ٥٠ ـ ٥١] تبرياً من الذي يقولون فيه؛ يعني: ما يقول فيه النصارى واحتجاجاً لربه عليهم، فاعبدوه، و﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥١] أي: الذي هذا قد حملتكم عليه وجئتكم به[4].

(٥٠٠) ٥٦١١ ـ حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ قال: كفروا وأرادوا قتله، فذلك حين استنصر قومه، قال: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ

(١) تفسير الطبري (٣/ ٢٨١)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٢٢٢)، تفسير ابن كثير (٤/ ١٦٨).
(٢) تفسير الطبري (٣/ ٢٨٢) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٢٣)، تفسير ابن كثير (٢/ ٥٢١)، إسناده ضعيف.
(٣) تفسير الطبري (٣/ ٢٨٢)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٥٧)، المستدرك على الصحيحين (٤/ ١٢٩).
(٤) تفسير الطبري (٢٥/ ٩٣)، إسناده ضعيف.

ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢][١].

قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران].

(٥٠١) **٥٦١٨** - حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ثم إن عيسى سار بهم: يعني: بالحواريين الذين كانوا يصطادون السمك، فآمنوا به واتبعوه إذ دعاهم حتى أتى بني إسرائيل ليلاً فصاح فيهم، فذلك قوله: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤][٢].

(٥٠٢) **٥٦١٩** - حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ثم إن بني إسرائيل حصروا عيسى وتسعة عشر رجلاً من الحواريين في بيت، فقال عيسى لأصحابه: من يأخذ صورتي فيقتل وله الجنة، فأخذها رجل منهم، وصعد بعيسى إلى السماء، فذلك قوله: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عِمرَان] فلما خرج الحواريون أبصروهم تسعة عشر، فأخبروهم أن عيسى قد صعد به إلى السماء، فجعلوا يعدون القوم فيجدونهم ينقصون رجلاً من العدة، ويرون صورة عيسى عليه السلام فيهم فشكوا فيه، وعلى ذلك قتلوا الرجل وهم يرون أنه عيسى، وصلبوه، فذلك قول الله عز وجل: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [النساء: ١٥٧][٣].

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٢٨٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٥٩)، صححه في التفسير الصحيح (٣/ ١٢٢).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٢٨٨)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٦٣)، حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٢٨١).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٢٨٩)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٢٢٤)، حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٢٨١).

۞ **قوله تعالى:** ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ **[آل عمران: ٥٥].**

(٥٠٣) ٥٦٢٤ ـ حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح أن كعب الأحبار، قال: ما كان الله عز وجل ليميت عيسى ابن مريم، إنما بعثه الله داعياً ومبشراً يدعو إليه وحده، فلما رأى عيسى قلة من اتبعه وكثرة من كذبه، شكا ذلك إلى الله عز وجل، فأوحى الله إليه: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ وليس من رفعته عندي ميتاً، وإني سأبعثك على الأعور الدجال، فتقتله، ثم تعيش بعد ذلك أربعاً وعشرين سنة، ثم أميتك ميتة الحي(١).

(٥٠٤) ٥٦٣٥ ـ حدثني محمد بن سنان قال: ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: طهره من اليهود والنصارى والمجوس ومن كفار قومه(٢).

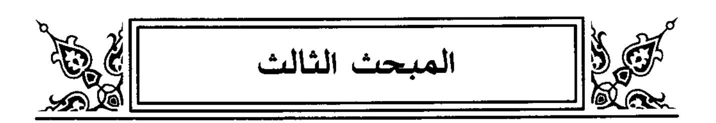
۞ **قوله تعالى:** ﴿النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ **[الأعراف: ١٥٨].**

(٥٠٥) ١١٨٤٢ ـ حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج عن ابن جريج قال: قال مجاهد قوله: ﴿الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ قال: عيسى ابن مريم عليه السلام(٣).

(٥٠٦) ٢٣٩٣٠ ـ حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا ابن ثور عن قتادة ﴿مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩] أحسبه قال: آية لبني إسرائيل(٤).

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٢٩٠)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٢٢٥).
(٢) تفسير الطبري (٣/ ٢٩٢)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٦٢)، تفسير الدر المنثور (٢/٢٢٦).
(٣) تفسير الطبري (٩/ ٨٧)، صححه في التفسير الصحيح (٣/ ١٢٢).
(٤) تفسير الطبري (٢٥/ ٨٩)، تفسير عبد الرزاق (٣/ ٨٢)، تفسير عبد الرزاق (٣/ ١٩٨).



موقفهم من النصارى

أولاً: الآثـــار

۞ قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة].

(٥٠٧) ٢٠٧٦ ـ حدثني موسى قال: ثنا عمرو قال: ثنا أسباط عن السدي: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦] يقول: هم اليهود والنصارى. يقول: هم في عداوة بعيدة[1].

۞ قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥].

(٥٠٨) ٥٦٤١ ـ حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قول الله: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: الذين كفروا من بني إسرائيل. ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قال: الذين آمنوا به من بني إسرائيل وغيرهم ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ النصارى فوق اليهود إلى يوم القيامة قال: فليس بلد فيه أحد من النصارى إلا وهم فوق

(١) تفسير الطبري (٢/ ٩٣)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٨٧)، تفسير الدر المنثور (١/ ٤١٠).

يهود في شرق ولا غرب هم في البلدان كلها مستذلون[١].

۞ قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة].

(٥٠٩) ١٢٩١٨ ـ حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم[٢].

۞ قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾﴾ [البروج].

(٥١٠) ٢٨٥٥٠ ـ حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾﴾ يزعمون أن أصحاب الأخدود من بني إسرائيل، أخذوا رجالاً ونساء، فخدُّوا لهم أخدوداً، ثم أوقدوا فيها النيران، فأقاموا المؤمنين عليها، فقالوا: تكفرون أو نقذفكم في النار[٣].

ثانياً: الدراسة

☐ موقف اليهود من عيسى عليه السلام وأمه:

جاء عيسى عليه السلام إلى الدنيا على خلاف ما جرت به عادة النساء غير أمه، حيث ولد بلا أب، كان هذا أمراً عجيباً. اتخذ اليهود مولده، الذي لم تستطع عقولهم القاصرة وقلوبهم المنكرة أن تستوعبه، مدعاة للطعن فيه، واعتقدوا أن المسيح عليه السلام ولد من الفحشاء، وأن مريم أتت به بطريق بشري غير شرعي في الحيض.

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ٢٩٣)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٢٢٧)، صححه في التفسير الصحيح (٢/ ٣٥٢).

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ١١٢)، تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٧١)، تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨٣/٦)، تفسير الدر المنثور (٤/ ١٧٣)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

(٣) تفسير الطبري (٣٠/ ١٣٣)، إسناده ضعيف.

وهذا الأمر ليس غريباً على اليهود الذين تطاولوا على خالقهم، وقتلوا أنبياءهم، ورموهم بالعظائم، وقد تقدم تبرئة الله لأمه، ومعجزته في ولادته عليه السلام.

وقد أجرى الله تعالى على يده كثيراً من المعجزات، وذكر القرآن أمر رسالته ومعجزاته فقال: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران].

ولما رأى اليهود المعجزات واضحة مؤثرة، من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وغير ذلك من المعجزات العظيمة، ورأوا إقبال الناس على الدعوة وإيمانهم، جحدوا رسالته، وأنكروا دعوته وحاولوا صد الناس عنه بتكذيبه مرة، وبتهديده مرة، مع أن الذي صرح به المسيح عليه السلام أنه غير مبدل لما عندهم، بل يخفف عنهم الأغلال التي كانت عليهم، ومبشراً بالرسول محمد ﷺ من بعده، ولكن اليهود ناصبوه العداء، ولعل الذي دفع اليهود إلى هذا الموقف من عداءٍ للمسيح عليه السلام هو اتباع الهوى الذي لازمهم، فتعاليم المسيح القويمة عاكست اتجاههم، وخالفت هوى نفوسهم، ومعلوم عنهم أنهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوه أو قتلوه، ولما رأى اليهود أن كل هذه السبل التي سلكوها لم توقف مدَّ هذه الدعوة تآمروا على نهاية المسيح كعادتهم مع من قتلوا من الأنبياء. لما عجزوا عن مقاومة هذه الدعوة قرروا أن يضعوا حداً لها، فقد أجمعوا على قتله وصلبه.

قال ابن كثير رحمه الله: في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧] «أي رأوا شبهه فظنوه إياه، ولهذا قال: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النِّسَاء: ١٥٧] يعني بذلك: من ادعى أنه قتله من اليهود ومن سلَّمه إليهم من النصارى كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال وسعر، ولهذا قال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ أي: وما قتلوه متيقنين أنه هو بل شاكين متوهمين».

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلما أحس بهم وأنه لا محالة من دخولهم عليه أو خروجه إليهم قال لأصحابه: أيكم يُلقى عليه شبهي وهو رفيقي في الجنة؟ فانتدب شاب منهم فكأنه استصغره عن ذلك، فأعادها ثانية وثالثة وكل ذلك لا ينتدب إلا ذلك الشاب، فقال: أنت هو، وألقى الله عليه شبه عيسى حتى كأنه هو، وفتحت روزنة من سقف البيت وأخذت عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سِنَة من النوم فرفع إلى السماء وهو كذلك، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، فلما رفع خرج أولئك النفر، فلما رأى أولئك ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى فأخذوه في الليل وصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه. وأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه وتبجَّحوا بذلك، وسلَّم لهم طوائف من النصارى ذلك لجهلهم وقلة عقلهم ما عدا من كان في البيت مع المسيح فإنهم شاهدوا رفعه، وأما الباقون فقد ظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح ابن مريم»[١].

واليهود يفتخرون بصلب المسيح (زعموا) وأنه دجال استحق القتل فقتل، كما قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء].

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء].

فقد ورد في المقصود عدة أقوال: أصحها: أي قبل موت عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويوجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال فتصير الملل كلها واحدة وهي ملة الإسلام الحنيفية دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو قول: قتادة، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، ورجحه الطبري وابن كثير وابن حجر[٢].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٧٤) وما بعدها بتصرف يسير.

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٢٢)، تفسير ابن كثير (١/ ٥٧٧)، فتح الباري (٦/ ٤٩٢).

❑ موقف اليهود من النصارى:

يصور القرآن الكريم نظرة كل فريق للآخر، وموقف كل قوم من الآخرين فيقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة].

وسبب نزول الآية: حين قدم أهل نجران على النبي ﷺ فأتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند النبي ﷺ، وقالت كل فرقة منهم للأخرى: لستم على شيء، فنزلت الآية.

قال الرازي: «اختلفوا فيمن هم الذين عناهم الله تعالى، أهم الذين كانوا من بعثة عيسى عليه السلام أو في زمن محمد عليه السلام؟ والظاهر الحق أنه لا دليل في الظاهر عليه، وإن كان الأولى أن يحمل على كل اليهود وكل النصارى بعد بعثة عيسى عليه السلام، ولا يجب، لما نقل في سبب الآية أن يهودياً خاطب النصارى بذلك فأنزل الله هذه الآية أن لا يراد بالآية سواه إذا أمكن حمله على ظاهره، وقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ يفيد العموم فما الوجه في حمله على التخصيص، ومعلوم من طريقة اليهود والنصارى أنهم منذ كانوا فهذا قول كل فريق منهما في الآخر[1]».

وبعد رفع الله لنبيه عيسى عليه السلام تسلط اليهود على محاربة المسيحية وأتباعها، وانتهزوا كل فرصة واتتهم لذبح النصارى وتعاونوا مع الرومان والفرس والبيزنطيين في ذلك.

ومما ورد في ذلك قصة أصحاب الأخدود التي قال تعالى فيها: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ [البروج].

روي أن «ذو نواس[2] بلغه أن بنجران قوماً من النصارى، فسار إليهم

---

(١) التفسير الكبير، الرازي (٨/٤).

(٢) ملك من ملوك التتابعة ويسمى بيوسف، وهو تُبَّع الذي غزا المدينة وكسى الكعبة =

بجنود، ثم دعاهم إلى اليهودية وتَرْك دين عيسى ابن مريم عليه السلام وخيَّرهم بين الدخول في اليهودية أو القتل، فاختاروا القتل على مفارقة دين عيسى عليه السلام، فاشتد غضبه فأمر بخدِّ الأخدود لهم ثم ملأها بالنيران، وأخذ يقذف في نيران الأخدود، فقتل منهم بشراً كثيراً بلغوا قريباً من عشرين ألفاً»[١]. وعلى قول أنهم المعنيون في الحديث الصحيح في قصة الغلام والراهب[٢].

وهكذا تستمر العداوة بين اليهود والنصارى إلى يومنا هذا، وإن ظهر غير ذلك في بعض الأزمان، ولكن العداوة بينهم أبدية، إلا أن تكون ضد الإسلام[٣].

= واستصحب معه حبرين من يهود المدينة، فكان تهوُّد من تهوَّد من أهل اليمن على يديهم تسلط على النصارى ثم هزمه النجاشي ومات غريقاً. انظر: تفسير ابن كثير (٤/٤٩٦).

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/١٥٣).

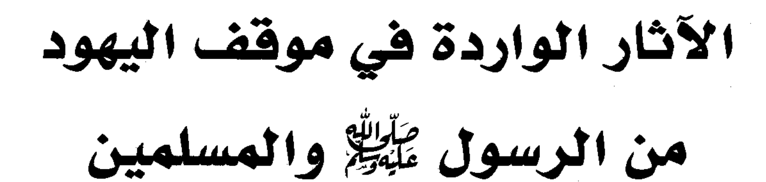
(٢) ساقها بطولها وعنون لها الإمام مسلم (باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام)، صحيح مسلم (٤/٢٢٩٩) ووردت في أصحاب الأخدود أقوال كثيرة اقتصرنا هنا على الرواية التي تذكر تسلط اليهود على النصارى.

(٣) للتوسع: ينظر للدراسة المطولة التي أعدها د. أحمد زايد بعنوان: حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى وأثرها على العالم الإسلامي.

تنبيه: لم أطل في موضوع الآثار الواردة في علاقة اليهود بعيسى ﷺ والنصارى لوجود رسالة دكتوراه في هذا لمشروع بعنوان: الآثار الواردة في النصارى في تفسير الطبري.





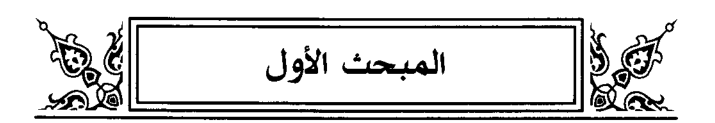


وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الواردة في موقفهم من الرسول ﷺ.

المبحث الثاني: الآثار الواردة في موقف اليهود من المسلمين.

المبحث الثالث: الآثار الواردة في علاقة اليهود بالمنافقين.



المبحث الأول

الآثار الواردة في موقفهم من الرسول ﷺ

❖ المطلب الأول ❖

الآثار الواردة في موقف اليهود قبل الهجرة

❐ تعاونهم مع قريش:

أولاً: الآثار

✪ قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١].

(٥١١) ٧٧٣٥ ـ حدثنا ابن حميد قال: ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال: الجبت كعب بن الأشرف، والطاغوت: الشيطان كان في صورة إنسان(١).

(٥١٢) ٧٧٣٦ ـ حدثنا محمد بن المثنى قال: ثنا ابن أبي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت له قريش: أنت خير أهل المدينة وسيدهم؟ قال: نعم. قالوا: ألا ترى إلى هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية؟ قال: أنتم خير منه. قال: فأنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر]، وأنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥١ ـ ٥٢].

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ١٣١)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٤٩٥)، تفسير الدر المنثور (٢/٢٢)، تفسير ابن كثير (١/ ٥١٣)، إسناده ضعيف.

(٥١٣) ٧٧٤٠ ـ حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق عمن قاله قال: أخبرني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وأبو رافع والربيع بن أبي الحقيق وأبو عامر ووحوح بن عامر وهوذة بن قيس؛ فأما وحوح وأبو عامر وهوذة فمن بني وائل وكان سائرهم من بني النضير. فلما قدموا على قريش قالوا: هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم بالكتب الأول فاسألوهم أدينكم خير أم دين محمد؟ فسألوهم فقالوا: بل دينكم خير من دينه وأنتم أهدى منه وممن اتبعه! فأنزل الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء: ٥١][١].

(٥١٤) ١٧٢٣٠ ـ حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني شيخ من أهل مصر، قدم منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ فيما يروي أبو جعفر الطبري ـ قال: بعثت قريش النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء. فخرجا حتى قدما المدينة، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالا: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال: فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول.... قال ابن إسحاق: فبلغني أن رسول الله ﷺ افتتح السورة فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١] يعني: محمداً إنك رسولي في تحقيق ما سألوا عنه من نبوته ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا﴾ [الكهف] أي: معتدلاً، لا اختلاف فيه. (باختصار)[٢].

(١) تفسير الطبري (٥/ ١٣٥)، تفسير القرطبي (١٤/ ١٢٩)، إسناده ضعيف.
(٢) تفسير الطبري (١٥/ ١٩١)، تفسير الدر المنثور (٥/ ٣٥٧).

ثانياً: الدراســـة

لا شك أن اليهود يعلمون بمقدم رسول الله ﷺ كما في الروايات الكثيرة، ففي ترجمة بحيرا الراهب عند ابن حجر قال: إن أبا طالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام فخرج رسول ﷺ معه، فلما نزل الركب بصرى وبها راهب يقال له: بحيرا في صومعة له، وكان إليه علم النصرانية فلما نزل الركب وكانوا كثيراً ما ينزلون فلا يكلمهم، فرأى بحيرا محمداً ﷺ والغمامة تظله، فنزل إليهم وصنع لهم طعاماً وجمعهم عنده، فتخلف محمد ﷺ لصغره في رحالهم، فأمرهم أن يدعوه فأحضره بعضهم، فجعل بحيرا يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده كان يجدها عنده من صفته، فلما فرغوا جعل يسأله عن أشياء من حاله وهو يخبره فيوافق ذلك ما عنده، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه فأقبل على عمه فقال: ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه من يهود فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده، ويقال: إن نفراً من أهل الكتاب رأوا منه ما رأى بحيرا، فأرادوه فردهم عنه بحيرا، وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته وأنهم لا يستطيعون الوصول إليه، فلم يزل بهم حتى صدقوه ورجعوا، ورجع به أبو طالب إلى بلده بعد فراغه من تجارته بالشام(١).

وكذلك اليهود من أهل يثرب كانوا يتوعدون الأوس والخزرج بمقدمه ﷺ ومن أدلة ترائيهم له ﷺ ما قاله حسان بن ثابت رضي الله عنه: «والله إني لغلام يفعة ابن سبع أو ثمان سنين، أعقل ما سمعت، إذ سمعت يهودياً وهو على أطمة يثرب يصرخ يا معشر اليهود، فلما اجتمعوا قالوا: ويلك ما لك؟ فقال: قد طلع نجم الذي يبعث الليلة»(٢).

ومثل ذلك يحدث في مكة ويحاول اليهود اختباره ﷺ لتبين أمره أو إحراجه فقد روى ابن مسعود رضي الله عنه قال: «مرّ يهودي برسول الله ﷺ وهو

---

(١) الإصابة لابن حجر (١/ ٤٧٥)، وقال: إسناده ثقات.

(٢) المستدرك على الصحيحين (٣/ ٥٥٤)، وسيرة ابن هشام (١/ ٩٩).

يحدث أصحابه، فقالت قريش: يا يهودي إن هذا يزعم أنه نبي، فقال: لأسأله عن شيء لا يعلمه إلا نبي، قال: فجاء حتى جلس ثم قال: يا محمد مم يخلق الإنسان؟»، قال: «**يا يهودي من كلٍّ يُخلق، من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة، فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم**. فقام اليهودي فقال: هكذا كان يقول من قبلك»[(١)].

ومع ذلك لما بعث في مكة وبان أنه من العرب ولم يكن منهم، ناصبوه العداء، وتمثل ذلك في صور كثيرة تتبين من الروايات التي ذكرت معاونة اليهود مع قريش في إخراجه وتلبيس أمره على الناس، والشهادة بأن أمر قريش أهدى منه سبيلاً كما مرّ في الآثار السابقة، وخاصة اعتقادهم أنه سيصعب عليه إجابة الأسئلة، ولذلك استبشروا مع قريش لما فتر الوحي ولم يؤمنوا لما نزلت الإجابة.

❖ المطلب الثاني ❖

الآثار الواردة في موقف اليهود من الرسول ﷺ بعد الهجرة

❁ المسألة الأولى: سوء الاستقبال

أولاً: الآثـــار

✪ **قوله تعالى**: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة].

(٥١٥) **١٢٥٤** ـ حدثني ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري، عن أشياخ منهم قالوا: فينا والله وفيهم ـ يعني: في الأنصار وفي اليهود الذين كانوا جيرانهم ـ نزلت هذه

---

(١) رواه أحمد في المسند (٦/ ١٩٩).

القصة؛ يعني: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قالوا: كنا قد علوناهم دهراً في الجاهلية، ونحن أهل الشرك، وهم أهل الكتاب، فكانوا يقولون: إن نبياً الآن مبعثه قد أظل زمانه، يقتلكم قتل عاد وإرم! فلما بعث الله تعالى ذكره رسوله من قريش واتبعناه كفروا به. يقول الله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾[1].

(٥١٦) ١٢٥٥ ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت، عن سعيد بن جبير أو عكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه. فلما بعثه الله من العرب، كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور أخو بني سلمة: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا! فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك، وتخبروننا أنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته. فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم! فأنزل الله جل ثناؤه في ذلك من قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾[2].

(٥١٧) ١٢٥٦ ـ حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يقول: يستنصرون بخروج محمد ﷺ على مشركي العرب ـ يعني: بذلك أهل الكتاب ـ فلما بعث الله محمداً ﷺ ورأوه من غيرهم كفروا به وحسدوه[3].

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤١٠)، تفسير ابن كثير (١/ ١٢٥)، إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤١١)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٧٢)، تفسير الدر المنثور (٢١٧/١)، تفسير ابن كثير (١/ ١٢٥)، إسناده ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (١/ ٤١١)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢١٧)، تفسير ابن كثير (١/ ١٢٥)، إسناده ضعيف.

(٥١٨) ١٢٥٧ ـ وحدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثني عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن علي الأزدي في قول الله: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال: اليهود، كانوا يقولون: اللَّهُمَّ ابعث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس؛ ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون به على الناس(١).

(٥١٩) ١٢٦٥ ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سألت ابن زيد عن قول الله ﷻ: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ قال: كانت يهود يستفتحون على كفار العرب يقولون: أما والله لو قد جاء النبي الذي بشر به موسى وعيسى أحمد لكان لنا عليكم. وكانوا يظنون أنه منهم والعرب حولهم، وكانوا يستفتحون عليهم به ويستنصرون به ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ وحسدوه. وقرأ قول الله جل ثناؤه: ﴿كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩] قال: قد تبين لهم أنه رسول، فمن هنالك نفع الله الأوس والخزرج بما كانوا يسمعون منهم أن نبياً خارج(٢).

ثانياً: الدراسة

كان اليهود في المدينة يعرفون أن النبي ﷺ رسول الله، وخاتم الأنبياء، وأنه ما جاء إلا بالدين الحق لجميع الناس، ولكن هذه المعرفة لم تكن لتهديهم إلى الحق واتباعه، بل على عكس ذلك، كانوا أول من عاداه، وأضمر الشر له ﷺ وللإسلام والمسلمين، وهم الذين كان حديثهم في التبشير به كما روى عبد الرحمٰن بن أبي سعيد عن أبيه قال: سمعت أبي مالك بن سنان يقول: «جئت بني عبد الأشهل يوماً لأتحدث فيهم ونحن يومئذ في هدنة

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤١١).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤١١)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢١٦)، صححه في التفسير الصحيح (٢/ ٣٥٢).

من الحرب، فسمعت يوشع اليهودي يقول: أظل خروج نبي يقال له: أحمد يخرج من الحرم، فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهلي كالمستهزئ به: ما صفته؟ فقال: رجل ليس بالقصير ولا بالطويل، في عينيه حمرة، يلبس الشملة، ويركب الحمار، سيفه على عاتقه، وهذا البلد مهاجره، قال: فرجعت إلى قومي بني خدرة وأنا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع فأسمع رجلاً منا يقول: ويوشع يقول هذا وحده كل يهود يثرب يقولون هذا، قال أبو مالك بن سنان: فخرجت حتى جئت بني قريظة فأجد جمعاً فتذاكروا النبي ﷺ فقال الزبير بن باطا: قد طلع الكوكب الأحمر الذي لم يطلع إلا لخروج نبي أو ظهوره، ولم يبق أحد إلا أحمد وهذا مهاجره، قال أبو سعيد: فلما قدم النبي ﷺ أخبره أبي هذا الخبر، فقال رسول الله ﷺ: «**لو أسلم الزبير لأسلم ذووه من رؤساء اليهود، إنما هم له تبع**»[1].

والزبير هذا هو أعلمهم بقدومه ﷺ، وكان يقول: «إني وجدت سفراً كان أبي يختمه علي، فيه ذكر أحمد نبي يخرج بأرض القرظ، صفته كذا وكذا، فتحدث به الزبير بعد أبيه والنبي ﷺ لم يبعث، فما هو إلا أن سمع بالنبي ﷺ قد خرج بمكة حتى عمد إلى ذلك السفر فمحاه، وكتم شأن النبي ﷺ وقال: ليس به»[2].

وفي السير: «لما قدم تُبَّع المدينة ونزل بقناة فبعث إلى أحبار اليهود، فقال: إني مخرب هذا البلد حتى لا تقوم به يهودية، ويرجع الأمر إلى دين العرب، قال: فقال له سامول اليهودي ـ وهو يومئذ أعلمهم ـ: أيها الملك إن هذا بلد يكون إليه مهاجر نبي من بني إسماعيل مولده مكة، اسمه أحمد، وهذه دار هجرته، إن منزلك هذا الذي أنت به، يكون به من القتلى والجراح أمر كبير في أصحابه وفي عدوهم، قال تُبَّع: ومن يقاتله يومئذ وهو نبي كما تزعمون؟ قال: يسير إليه قومه فيقتتلون ههنا، قال: فأين قبره؟ قال بهذا البلد،

(١) الطبقات الكبرى (١/ ١٥٩)، صفة الصفوة (١/ ٨٨).
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ١٥٩).

قال: فإذا قوتل لمن تكون الدبرة؟ قال: تكون عليه مرة وله مرة، وبهذا المكان الذي أنت به تكون عليه ويقتل به أصحابه مقتلة لم يقتلوا في موطن، ثم تكون العاقبة له ويظهر فلا ينازعه هذا الأمر أحد، قال: وما صفته؟ قال: رجل ليس بالقصير ولا بالطويل، في عينيه حمرة، يركب البعير ويلبس الشملة، سيفه على عاتقه، لا يبالي من لاقى أخاً أو ابن عم أو عماً، حتى يظهر أمره، قال تُبَّع: ما إلى هذا البلد من سبيل، وما كان ليكون خرابها على يدي، فخرج تُبَّع منصرفاً إلى اليمن»[١].

والنصوص في ذلك كثيرة جداً، كما في سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وغيرها، وهذا يدل على خبث طوية هؤلاء اليهود، وحسدهم لرسول الله ﷺ، ولما وصل ﷺ إلى مهاجره كان اليهود على فرقتين:

١ ـ من استجاب له وهم النادر.

٢ ـ ومن توعد بمعاداته والكفر بما جاء به.

روى ابن إسحاق بسنده عن أم المؤمنين صفية رضي الله عنها أنها قالت: «كنت أحبَّ ولد أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه، قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل قباء، في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حييٌّ بن أخطب، وعمي أبو ياسر بن أخطب مُغَلِّسين قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كالَّين كسلانين ساقطين، يمشيان الهوينى، قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إليَّ واحد منهما، مع ما بهما من الغم، قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت»[٢].

ومثلهم: أبو ياسر بن أخطب حين قدم رسول الله المدينة ذهب إليه

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ١٥٩).

(٢) ابن هشام (١/ ٥١٩)، البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٢١٢).

وسمع منه وحادثه، ثم رجع إلى قومه فقال: يا قوم أطيعون فإن الله قد جاءكم بالذي تنتظرون فاتبعوه ولا تخالفوه، فانطلق أخوه حيي بن أخطب وهو يومئذ سيد اليهود، وهما من بني النضير فجلس إلى رسول الله ﷺ وسمع منه ثم رجع إلى قومه وكان فيهم مطاعاً فقال: أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدواً أبداً، فقال له أخوه أبو ياسر: يا ابن أم أطعني في هذا الأمر واعصني فيما شئت بعده لا تهلك، قال: لا والله لا أطيعك أبداً، واستحوذ عليه الشيطان واتبعه قومه على رأيه»[١].

وهذه العداوة منبعها البغض للإسلام ورسوله، والحسد للمسلمين، فقد منعهم هذا الحسد من الإيمان بالنبي ﷺ واتباع دين الإسلام، محاولين أيضاً رد المسلمين عن الدخول فيه، يقول تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسداً، إذ خصهم الله برسوله ﷺ وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام ما استطاعا، فأنزل الله فيهما: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم...﴾ الآية[٢]، وقد كانت مثل تلك المقدمات سبباً في إشعال نار العداوة بين المسلمين واليهود بعد ذلك، مما كان له الأثر المباشر في تحديد طبيعة العلاقة التي ظلت تحكم موقف اليهود من الإسلام والمسلمين في ذلك الوقت، وهي العلاقة التي تميزت بالعداء منذ بدايتها، يتضح هذا في رد حيي بن أخطب، حينما سئل عما في نفسه تجاه النبي ﷺ فقال: «عداوته والله ما بقيت».

ولم تقتصر عداوتهم للنبي ﷺ، وللإسلام فقط، بل تعدى ذلك إلى معاداة المسلمين، حتى ولو كان من أحبار اليهود ومن علمائهم، ويبرز هذا

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٢١٢).
(٢) ابن كثير (١/ ١٥٣).

في موقفهم من عبد الله بن سلام الذي حدث عن إسلامه قائلاً: «لما سمعت برسول الله ﷺ عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكف له، فكنت مُسراً لذلك صامتاً عليه، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة فلما نزل بقباء في بني عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر بقدومه وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمتي خالدة ابنة الحارث تحتي جالسة، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبَّرتُ، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري: خيبك الله، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادماً ما زدت، قال: فقلت لها: أي عمَّة، هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه، بُعث بما بُعث به، قال: فقالت: أي ابن أخي، أهو النبي الذي كنا نُخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قال: فقلت لها: نعم، قال: فقالت: فذاك إذاً، قال: ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ، فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا»[(١)].

فماذا كان موقف اليهود منه بعدما علموا بإسلامه؟ روى البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: «سمع عبد الله بن سَلام بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف، فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهم إلا.. (ثم قال)... قال: أشهد أن لا إلـه إلا الله وأشهد أنك رسول الله، يا رسول الله: إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود فقال النبي ﷺ: **أي رجل عبد الله فيكم؟** قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: **أرأيتم إن أسلم عبد الله ابن سلام،** فقالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا، وانتقصوه، قال: فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله»[(٢)].

---

(١) ابن هشام (١/ ٥١٦ ـ ٥١٧)، البداية والنهاية (٣/ ٢١١).
(٢) صحيح البخاري (٣/ ١٢١١).

❁ المسألة الثانية: دعوته ﷺ لليهود ومعاهدته لهم

۞ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

(٥٢٠) ١١٨٣٤ ـ حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد، قوله: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ قال: من اتبع محمداً ودينه من أهل الكتاب، وضع عنهم ما كان عليهم من التشديد في دينهم(١).

۞ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الأحقاف].

(٥٢١) ٢٤١٧٨ ـ حدثني أبو شرحبيل الحمصي قال: ثنا أبو المغيرة قال: ثنا صفوان بن عمرو عن عبد الرحمٰن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك الأشجعي قال: انطلق النبي ﷺ وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم فكرهوا دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله ﷺ: **«يا معشر اليهود أروني اثنى عشر رجلاً يشهدون إنه لا إله إلا هو وأن محمداً رسول الله يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه»**، قال: فأسكتوا فما أجابه منهم أحد ثم ثلث فلم يجبه أحد فانصرف وأنا معه حتى إذا كدنا أن نخرج نادى رجل من خلفنا: كما أنت يا محمد،

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٨٤)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٥٨٢)، صححه في التفسير الصحيح (٣/ ١٢٢).

قال: فأقبل فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود، قالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله ولا أفقه منك ولا من أبيك ولا من جدك قبل أبيك، قال: فإني أشهد بالله أنه النبي ﷺ الذي تجدونه في التوراة والإنجيل، قالوا: كذبت ثم ردوا عليه قوله وقالوا له شرّاً، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**كذبتم لن نقبل قولكم أما آنفاً فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم وأما إذ آمن كذبتموه وقلتم ما قلتم، فلن نقبل قولكم**»، قال: فخرجنا ونحن ثلاثة: رسول الله ﷺ وأنا وعبد الله بن سلام، فأنزل الله فيه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ الآية [فصلت][1].

۞ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأعراف].

(٥٢٢) ٧٦٨٩ ـ حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة جميعاً، عن ابن إسحاق، قال: ثني محمد بن أبي محمد، مولى زيد بن ثابت، قال: ثني سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كلَّم رسول الله ﷺ رؤساء من أحبار يهود، منهم عبد الله بن صوريا وكعب بن أسد فقال لهم: «**يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا! فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به لحق**»، فقالوا: ما نعرف ذلك يا محمد، وجحدوا ما عرفوا، وأصروا على الكفر. فأنزل الله فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ . . .﴾ الآية[2] [النساء: ٤٧].

---

(١) تفسير الطبري (٢٦/ ١١)، تفسير الدر المنثور (٧/ ٤٣٧)، المستدرك على الصحيحين (٣/ ٤٦٩)، صححه في التفسير الصحيح (٤/ ٣٣١).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ١٢٤) (٧/ ٢٦٦) (١٠/ ١١١)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٨)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٥٥٥)، تفسير القرطبي (٥/ ٢٤٤)، تفسير ابن كثير (١/ ١٢٣)، إسناده ضعيف.

ثانياً: الدراســـة

خص الله محمداً ﷺ وأمته بفضل من عنده ووعد من يؤمن به من أهل الكتاب مضاعفة الأجر، ولذلك اجتهد عليه السلام في دعوتهم كما في آيات كثيرة منها:

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة].

وبيَّن لهم فضل القرآن عليهم بقوله: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النمل].

قال الطبري: إن هذا القرآن يقص عليكم الحق فيما اختلفتم فيه فاتبعوه، وأقروا لما فيه، فإنه يقص عليكم بالحق، ويهديكم إلى سبيل الرشاد[(١)].

ثم توعدهم بالعذاب إن هم كفروا به فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء]، قال ابن كثير: معناه من قبل أن نطمس وجوهاً فطمسها هو ردها إلى الأدبار وجعل أبصارهم من ورائهم، ويحتمل أن يكون المراد من قبل أن نطمس وجوهاً فلا نبقي لها سمعاً ولا بصراً ولا أنفاً ومع ذلك نردها إلى ناحية الأدبار.

وقال العوفي عن ابن عباس في الآية: وهي من قبل؛ أي: نطمس وجوهاً وطمسها أن تعمى فنردها على أدبارها يقول: نجعل وجوههم من قبل أقفيتهم فيمشون القهقري ونجعل لأحدهم عينين من قفاه، وكذا قال قتادة وعطية العوفي: وهذا أبلغ في العقوبة والنكال.

وهذا مثل ضربه الله لهم في صرفهم عن الحق وردهم إلى الباطل ورجوعهم عن المحجة البيضاء إلى سبيل الضلالة يهرعون ويمشون القهقرى

(١) تفسير الطبري (١٠/ ١٢).

على أدبارهم[١].

ثم إن الرسول ﷺ كتب وثيقة معاهدة اشتهرت بوثيقة المدينة فصل فيها سياسته مع اليهود ما لهم وما عليهم وسنورد بعض بنودها باختصار:

ذكر ابن إسحاق هذه الوثيقة فقال: «وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم: «بسم الله الرحمٰن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم، فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس... إلى أن قال:... ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس، وإنه من تبعنا من يهود، فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، ... ثم يقول... وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وإثم، فإنه لا يوتغ[٢] إلا نفسه وأهل بيته، وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وإثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، وإن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وإن البر دون الإثم، وإن موالي ثعلبة كأنفسهم، وإن بطانة يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ، وإنه لا ينحجز على ثار جرح وإنه من فتك فبنفسه فتك، وأهل بيته، إلا من ظلم وإن الله على أبر هذا، وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل

---

(١) تفسير ابن كثير (١/١٠٨)، بتصرف، وهو اختيار الطبري تفسير الطبري (٥/١٢١).
(٢) يوتغ: يهلك. النهاية في غريب الأثر (٥/١٤٨).

هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، ..... وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله ﷻ وإلى محمد رسول الله ﷺ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره، ... وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وإن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم، وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم، وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ»[1].

❖ المطلب الثالث ❖

الآثار الواردة في أسئلة اليهود التعنتية للرسول ﷺ

أولاً: الآثــــار

❋ المسألة الأولى: طلبهم أن يكلمهم الله

۞ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [البقرة].

(٥٢٣) **١٥٤٥** ـ حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير. وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، قالا جميعاً: ثنا محمد بن إسحاق، قال:

---

(١) ابن هشام (١/ ٥٠١ ـ ٥٠٢)، البداية والنهاية (٣/ ٢٢٥) وما بعدها، والوثائق السياسية لمحمد حميد الله. (ص٥٧) وما بعدها، وقد أفردها الدكتور فارس الجميل بدراسة خاصة بعنوان: الرسول ﷺ ويهود المدينة من إصدارات مؤسسة الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

حدثني محمد بن أبي محمد، قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رافع بن حريملة لرسول الله ﷺ: إن كنت رسولاً من عند الله كما تقول، فقل لله عز وجل فليكلمنا حتى نسمع كلامه! فأنزل الله عز وجل في ذلك من قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ الآية كلها[1].

❁ المسألة الثانية: طلبهم كتاباً خاصاً بهم

قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾ [البقرة].

(٥٢٤) ١٤٧٣ ـ حدثنا به أبو كريب، قال: حدثني يونس بن بكير، وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، قالا: ثنا ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله ﷺ: ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه، وفجِّر لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك! فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ الآية[2].

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾ [النساء].

(٥٢٥) ٨٤٧٦ ـ حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج،

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٥١٢)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢١٥)، إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤٨٣)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٠٢)، تفسير الدر المنثور (١/ ٢٦٠)، تفسير ابن كثير (١/ ١٥٣)، إسناده ضعيف.

قال: قال ابن جريج، قوله: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ وذلك أن اليهود والنصارى أتوا النبي ﷺ، فقالوا: لن نتابعك على ما تدعونا إليه، حتى تأتينا بكتاب من عند الله إلى فلان أنك رسول الله، وإلى فلان بكتاب أنك رسول الله! قال الله جل ثناؤه: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾(١).

❋ المسألة الثالثة: سؤاله عن الروح

۞ قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء].

(٥٢٦) ١٧١٠٢ ـ حدثنا أبو هشام، قال: ثنا وكيع، قال: ثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: كنت مع النبي ﷺ في حرث بالمدينة، ومعه عسيب يتوكأ عليه، فمر بقوم من اليهود، فقال بعضهم: اسألوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه، فقام متوكئاً على عسيبه، فقمت خلفه، فظننت أنه يوحى إليه، فقال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ فقال بعضهم لبعض: ألم نقل لكم لا تسألوه.

❋ المسألة الرابعة: سؤالهم عن الله

۞ قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص].

(٥٢٧) ٢٩٦١٧ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، عن محمد، عن سعيد، قال: أتى رهط من اليهود النبي ﷺ، فقالوا: يا محمد هذا الله خلق الخلق، فمن خلقه؟ فغضب النبي ﷺ حتى انتقع لونه؛ ثم ساورهم غضباً لربه، فجاءه جبريل عليه السلام فسكنه، وقال: اخفض عليك جناحك يا محمد، وجاءه من الله جواب ما سألوه عنه. قال: يقول الله: ﴿قُلْ

---

(١) تفسير الطبري (٦/٨)، تفسير الدر المنثور (٢/٧٢٦).

هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص] فلما تلا عليهم النبي ﷺ، قالوا: صف لنا ربك كيف خلقه، وكيف عضده، وكيف ذراعه، فغضب النبي ﷺ أشد من غضبه الأول، وساورهم غضباً، فأتاه جبريل فقال له مثل مقالته، وأتاه بجواب ما سألوه عنه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الزُّمَر][1].

ثانياً: الدراســـة

كثيراً ما طلب اليهود من الرسول ﷺ أموراً يظنون أنه في عدم تحقيقها سيوقعونه ﷺ في الحرج، فهذا رافع بن حريملة أحد اليهود يقول: «يا محمد إن كنت رسولاً من الله كما تقول، فقل لله فيكلمنا حتى نسمع كلامه»، ويقصد من طلبه هذا التعنت وإحراج رسول الله ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝١١٨﴾ [البَقَرَة].

بل إنهم طلبوا منه ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، يأمرهم بتصديق الرسول ﷺ بما جاء به عن ربه، يقول الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ﴾ [النِّسَاء: ١٥٣].

قال الطبري بعد أن أورد الأقوال في معنى ﴿كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ قال: «أولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن أهل التوراة سألوا رسول الله ﷺ أن يسأل ربه أن ينزل عليهم كتاباً من السماء آية، معجزة جميع الخلق عن أن يأتوا مثلها، شاهدة لرسول الله ﷺ بالصدق، آمرة لهم باتباعه. وجائز أن يكون الذي سألوه من ذلك كتاباً مكتوباً ينزل عليهم من السماء إلى جماعتهم، وجائز أن يكون ذلك كتباً إلى أشخاص بأعينهم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/٢٨)، تفسير الدر المنثور (٨/ ٦٧١)، إسناده ضعيف.

بل الذي هو أولى بظاهر التلاوة أن تكون مسألتهم إياه ذلك كانت مسألة لينزل الكتاب الواحد إلى جماعتهم لذكر الله تعالى في خبره عنهم الكتاب بلفظ الواحد، بقوله: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ولم يقل: (كتباً)»[١].

وقد أكثر اليهود من الأسئلة والمجادلة والمحاورة لرسول الله ﷺ محاولين فتنة المسلمين، وزرع بذور الشك والريبة في قلوبهم، آملين أن لا يجيبهم رسول الله ﷺ، حتى يبينوا للمسلمين أنه قد عجز عن إجابتهم، وأنهم وحدهم الذين عندهم العلم والكتاب، وما أكثر الأسئلة التي سألوها لرسول الله ﷺ، من ذلك ما جاء في الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكئ على عسيب إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: ما رأيكم إليه، وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً فعلمت أنه يوحى إليه فقمت مقامي، فلما نزل الوحي قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء]»[٢].

وعن ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ قال: «كنت قائماً عند رسول الله ﷺ، فجاء حبر من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني، فقلت: ألا تقول رسول الله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سمَّاه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: **إن اسمي محمد الذي سمَّاني به أهلي**، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال رسول الله ﷺ: **أينفعك شيء إن حدثتك**، قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: **سل**، فقال اليهودي: أين يكون الناس ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، فقال رسول الله ﷺ: **هم في الظلمة دون الجسر**، فقال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: **فقراء المهاجرين**، قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: **زيادة كبد النون**، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: **ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من**

---

(١) تفسير الطبري (٦/٨).

(٢) صحيح البخاري (١/٥٨).

أطرافها، قال: فما شرابهم عليه؟ قال: **من عين فيها تسمى سلسبيلاً**، قال: صدقت، قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال: **ينفعك إن حدثتك؟** قال: أسمع بأذني، قال: جئت أسألك عن الولد، قال: **ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا، فعلا منيُّ الرجل منيَّ المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله**، قال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لنبي، ثم انصرف، فذهب». فقال رسول الله ﷺ: «**لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه، وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به**»(1).

وهذه الأمثلة توضح مدى تعنت اليهود في قبول الحق، واختلاف الأسباب للتفلت من العهود والمواثيق، فقد أعطوا الرسول ﷺ العهد إن أجابهم ليصدقنه ويتابعنه، لكنهم لم يفعلوا، بالرغم من إعطائهم العهد والميثاق على ذلك، وقد أكثر اليهود من أسئلتهم للرسول ﷺ تعنتاً وصلفاً لا بحثاً عن الحق لمتابعته، وهكذا تدرج اليهود في الأسئلة، حتى وصل بهم الحال إلى التطاول على ذات الله تعالى كما بيناه فيما سبق.

❖ المطلب الرابع ❖

إيذاء النبي ﷺ بالقول السيئ



أولاً: الآثار

❋ المسألة الأولى: قولهم: اسمع غير مسمع وراعنا

✿ **قوله تعالى**: ﴿وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ٤٦].

(٥٢٨) ٧٦٦٧ ـ حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد

---

(١) رواه مسلم (٣/ ٢١٧).

في قوله: ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال: هذا قول أهل الكتاب يهود كهيئة ما يقول الإنسان: اسمع لا سمعت أذى لرسول الله ﷺ وشتماً له واستهزاء[1].

(٥٢٩) ٧٦٦٨ - حدثت عن المنجاب قال: ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ قال: يقولون لك: واسمع لا سمعت[2].

(٥٣٠) ٧٦٦٩ - حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد: ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ قال: غير مستمع. وغير مقبول ما تقول[3].

(٥٣١) ٧٦٧٠ - حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن الحسن في قوله: ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ قال: كما تقول: اسمع غير مسموع منك[4].

(٥٣٢) ٧٦٧١ - وحدثنا موسى بن هارون قال: ثنا عمرو قال: ثنا أسباط عن السدي قال: كان ناس منهم يقولون: ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ كقولك: اسمع غير صاغ[5].

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ١١٨)، تفسير ابن كثير (١/ ٥٠٨)، صححه في التفسير الصحيح (٢/ ٣٥٢).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ١١٨)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٥)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٥٥٤)، تفسير القرطبي (٥/ ٢٤٣)، تفسير ابن كثير (١/ ٥٠٨)، إسناده ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (٥/ ١١٩)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٦)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٥٥٤)، تفسير ابن كثير (١/ ٥٠٨)، صححه في التفسير الصحيح (٣/ ١٢٢).

(٤) تفسير الطبري (٥/ ١١٩)، تفسير عبد الرزاق (١/ ١٦٣)، صححه في التفسير الصحيح (٢/ ٦٠).

(٥) تفسير الطبري (٥/ ١١٩)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٦)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٥٥٤)، تفسير ابن كثير (١/ ١٥٠).

۞ **قوله تعالى:** ﴿وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦].

(٥٣٣) ٧٦٧٢ ـ حدثني الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر قال: قال قتادة: كانت اليهود يقولون للنبي ﷺ: راعنا سمعك! يستهزئون بذلك فكانت اليهود قبيحة فقال: راعنا سمعك لياً بألسنتهم؛ واللي: تحريكهم ألسنتهم بذلك ﴿وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾[(١)].

(٥٣٤) ٧٦٧٣ ـ حدثني عن الحسين بن الفرج قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد بن سليمان قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَرَٰعِنَا﴾ كان الرجل من المشركين يقول: أرعني سمعك! يلوي بذلك لسانه يعني: يحرف معناه[(٢)].

(٥٣٥) ٧٦٧٤ ـ حدثنا محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ فإنهم كانوا يستهزئون ويلوون ألسنتهم برسول الله ﷺ ويطعنون في الدين[(٣)].

(٥٣٦) ١٤٣٨ ـ حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد الزبيري، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية: ﴿لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] قال: كان أناس من اليهود يقولوا: أرعنا سمعك، حتى قالها أناس من المسلمين. فكره الله لهم ما قالت اليهود، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا﴾ كما قالت اليهود والنصارى[(٤)].

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ١١٩)، تفسير عبد الرزاق (١/ ١٦٣)، صححه في التفسير الصحيح (١/ ١٦٤).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ١١٩).

(٣) تفسير الطبري (٥/ ١١٩)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٧)، إسناده ضعيف.

(٤) تفسير الطبري (١/ ٤٦٩)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٩٧)، تفسير ابن كثير (١/ ١٥٠).

❁ المسألة الثانية: قولهم: السام عليكم

۞ **قوله تعالى:** ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المجادلة: ٨].

(٥٣٧) **٢٦١٤٤** ـ حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا: ثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ، فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقلت: السام عليكم، وفعل الله بكم وفعل، فقال النبي ﷺ: **«يا عائشة إن الله لا يحب الفحش»**، فقلت: يا رسول الله، ألست ترى ما يقولون؟ فقال: **«ألست ترينني أرد عليهم ما يقولون؟ أقول: عليكم»**، وهذه الآية في ذلك نزلت: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾(١).

(٥٣٨) **٢٦١٤٥** ـ حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمٰن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ قال: كانت اليهود يأتون النبي ﷺ، فيقولون: السام عليكم(٢).

❁ المسألة الثالثة: قولهم عند تحويل القبلة

۞ **قوله تعالى:** ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ [البقرة].

(٥٣٩) **١٧٧٣** ـ حدثنا أبو كريب قال: ثنا يونس بن بكير وحدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة قالا جميعاً: ثنا محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد قال: أخبرني سعيد بن جبير أو عكرمة ـ شك محمد ـ عن ابن

---

(١) تفسير الطبري (٢٨/ ١٤)، إسناده ضعيف، تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٧٩)، تفسير القرطبي (١٧/ ٢٩٢)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٢٤)، صحيح البخاري (٥/ ٢٣٥٠)، صحيح مسلم (٤/ ١٧٠٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٨/ ١٤)، تفسير القرطبي (١٧/ ٢٩٣)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٢٤)، ومسروق هو الراوي عن عائشة في الصحيحين.

عباس رضي الله عنهما قال: لما صرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة وصرفت في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة أتى رسول الله ﷺ رفاعة بن قيس وقردم بن عمرو وكعب بن الأشرف ونافع بن أبي نافع ـ هكذا قال ابن حميد وقال أبو كريب: ـ ورافع بن أبي رافع والحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق فقالوا: يا محمد ما ولَّاك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك! وإنما يريدون فتنته عن دينه. فأنزل الله فيهم: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ١٤٢ ـ ١٤٣][١].

(٥٤٠) ١٧٨٦ ـ حدثنا به ابن حميد قال: ثنا سلمة قال: ثنا ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال ذلك قوم من اليهود للنبي ﷺ فقالوا له: ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك؛ يريدون فتنته عن دينه[٢].

(٥٤١) ١٧٨٧ ـ حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد عن سعيد عن قتادة قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ قال: صلَّت الأنصار نحو بيت المقدس حولين قبل قدوم النبي ﷺ المدينة، وصلَّى نبي الله ﷺ بعد قدومه المدينة مهاجراً نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً، ثم وجَّهه الله بعد ذلك إلى الكعبة البيت الحرام. فقال في ذلك قائلون من الناس: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَاۚ﴾ لقد اشتاق الرجل إلى مولده. فقال الله ﷻ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢][٣].

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٣)، تفسير الدر المنثور (١/ ٣٤٤)، إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٣)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٤٨)، تفسير الدر المنثور (١/ ٣٤٤)، إسناده ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٥)، تفسير الدر المنثور (١/ ٣٤٧)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

(٥٤٢) ١٧٨٢ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح أبو تميلة قال: ثنا الحسين بن واقد، عن عكرمة، وعن يزيد النحوي، عن عكرمة، والحسن البصري قالا: أول ما نسخ من القرآن القبلة، وذلك أن النبي ﷺ كان يستقبل صخرة بيت المقدس وهي قبلة اليهود، فاستقبلها النبي ﷺ سبعة عشر شهراً، ليؤمنوا به ويتبعوه، ويدعوا بذلك الأميين من العرب، فقال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة][1].

۞ قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾ [البقرة: ١٤٤].

(٥٤٣) ١٨٦٥ ـ حدثنا موسى بن هارون قال: ثنا عمرو بن حماد قال: ثنا أسباط عن السدي: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البَقَرَة: ١٤٤] أنزل ذلك في اليهود. وقوله: ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٤٤] يعني: هؤلاء الأحبار والعلماء من أهل الكتاب يعلمون أن التوجه نحو المسجد الحق الذي فرضه الله ﷻ على إبراهيم وذريته وسائر عباده بعده[2].

۞ قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾﴾ [البقرة].

(٥٤٤) ١٨٩٩ ـ حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد بن زريع قال: ثنا سعيد عن قتادة: يعني بذلك أهل الكتاب قالوا حين صرف نبي الله ﷺ إلى الكعبة البيت الحرام: اشتاق الرجل إلى بيت أبيه ودين قومه[3].

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٤)، تفسير الدر المنثور (١/ ٣٤٣)، تفسير ابن كثير (١/ ١٥٨)، إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٢٣)، تفسير الدر المنثور (١/ ٣٥٥).

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٣١)، تفسير عبد الرزاق (١/ ٦٢)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٥٨)، تفسير الدر المنثور (١/ ٣٥٩)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

ثانياً: الدراســـة

□ إيذاؤهم الرسول ﷺ بالقول السيئ:

لم يكتف اليهود بسوء الاستقبال لرسول الله ﷺ، بل ذهبوا إلى ما ورثه لهم أسلافهم من أذية الأنبياء عليهم السلام فكان أول أمرهم، الأذية لرسول الله ﷺ بالهمز، وليّ اللسان، وبذاءة المنطق، والتلبيس بتحريف الألفاظ، لتوهم أنها سليمة وليست كذلك، مما يدل على نفوس مريضة، يكفيها ولو مجرد لفظ سيئ ـ صريح أحياناً وغير صريح أحياناً أخرى ـ تتشفى به قلوبهم المشربة بالمخادعة والنفاق، وقبل ذلك الكفر بالله ورسوله.

ومن الألفاظ التي نبَّه الله نبيه ﷺ عنها قولهم: ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ [النساء: ٤٦] ويقصدون بها الزجر والسب والأذية لرسول الله ﷺ والمعنى:

١ ـ اسمع منا غير مسمع؛ كقول القائل للرجل يسبه: اسمع لا أسمعك الله.

٢ ـ وقيل: أي سمعنا ما قلته يا محمد ولا نطيعك فيه؛ أي: لا يسمع كلامك وإن سمع لا يقبل منك.

وكلاهما قبيح في حق رسول الله ﷺ، وإن كان ظاهر الآية على القول الأول، واختاره ابن جرير وابن كثير[(١)].

ومثلها كلمة (راعنا)[(٢)] والتي نهى الله المؤمنين من قولها لما فيها من سوء الأدب والجفاء مع رسول الله ﷺ، فنهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم، وذلك أن اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقص، فإذا أرادوا أن يقولوا اسمع لنا يقولون راعنا ويورون بالرعونة الحماقة، ومنها الراعن وهو الأحمق والأرعن عن مبالغة فيه، فنهى الله تعالى المؤمنين عن مشابهة الكفار قولاً وفعلاً، وكما روي عن ابن

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٧١)، تفسير ابن كثير (١/ ١٥٠).

(٢) الأَرْعَنُ: الأَهْوَجُ في منطقه المُسْتَرْخي. والرُّعُونة: الحُمْقُ والاسْتِرْخاء. لسان العرب (١٣/ ١٨٢).

عباس رضي الله عنهما: أنها سبة بلغة اليهود[١]. وهو ما تنبه له سعد بن معاذ رضي الله عنه حين سمع ناساً من اليهود خاطبوا بها النبي ﷺ، فقال: «لئن سمعتها من أحد منكم لأضربن عنقه»[٢].

وقال الحسن: «الراعن من القول السخري منه، نهاهم الله أن يسخروا من قول محمد ﷺ وما يدعوهم إليه من الإسلام».

وقال البخاري: «من الرعونة: إذا أرادوا أن يحمقوا إنساناً قالوا راعنا»[٣].

وقال الزجاج: «قد قيل: في ﴿رَٰعِنَا﴾ ثلاثة أقوال:

١ - **الأول**: أرْعِنا سَمْعَكَ، وكانت اليهود تتسابَّ بينها بهذه الكلمة، وكانوا يسبون النبي ﷺ في بيوتهم، فلما سمعوا هذه الكلمة اغتنموا أن يُظهروا سَبَّهُ بلفظ يسمعُهُ ولا يلحقهم في ظاهره شيء، فأظهر الله النبي ﷺ والمسلمين على ذلك، ونهى عن الكلمة.

٢ - **الثاني**: من المراعاة والمكافأة، فأُمروا أن يخاطبوه بالتعزير والتوقير، فقيل لهم: لا تقولوا ﴿رَٰعِنَا﴾ أي: كافئنا في المقال، كما يقول بعضكم لبعض، بل قولوا: ﴿انظُرْنَا﴾ أي: أمهلنا.

٣ - **الثالث**: أن الكلمة ﴿رَٰعِنَا﴾ كانت تجري مجْرى الهُزْء والسخرية، فنُهوا أن يلفِظوا بها بحضرة النبي ﷺ[٤].

وقول اليهود على سبيل التورية لأنهم كانوا يخشون أن يشتموا النبي ﷺ مواجهة، فيحتالون على سبه وشتمه عن هذا الطريق الملتوي، الذي لا يسلكه إلّا من كان مثلهم من السفهاء، ومن ثم جاء النهي للمؤمنين عن اللفظ الذي يتخذه اليهود ذريعة، وأمروا أن يستبدلوا به مرادفه في المعنى، الذي لا يملك السفهاء تحريفه وإمالته. كي يفوتوا على اليهود غرضهم السيئ، كما في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) الدر المنثور، السيوطي (١/ ٢٥٢).
(٢) فتح الباري (٨/ ١٦٣).
(٣) صحيح البخاري (٤/ ١٦٢٥).
(٤) لسان العرب (١٣/ ١٨٢).

«من تشبه بقوم فهو منهم»(١).

وأما القول الذي حكي عن عطية أن قوله: ﴿رَاعِنَا﴾ كانت كلمة لليهود بمعنى السب والسخرية، فاستعملها المؤمنون أخذاً منهم ذلك عنهم؛ فنقده الطبري قائلاً: «فإن ذلك غير جائز في صفة المؤمنين أن يأخذوا من كلام أهل الشرك كلاماً لا يعرفون معناه ثم يستعملونه بينهم وفي خطاب نبيهم ﷺ، ولكنه جائز أن يكون ذلك مما روي عن قتادة أنها كانت كلمة صحيحة مفهومة من كلام العرب وافقت كلمة من كلام اليهود بغير اللسان العربي هي عند اليهود سب، وهي عند العرب: أرعني سمعك وفرغه لتفهم عني. فعلم الله جل ثناؤه معنى اليهود في قيلهم ذلك للنبي ﷺ، وأن معناها منهم خلاف معناها في كلام العرب، فنهى الله ﷻ المؤمنين عن قيلها للنبي ﷺ لئلا يجترئ من كان معناه في ذلك غير معنى المؤمنين فيه أن يخاطب رسول الله ﷺ به»(٢).

وهذا الذي امتثله صحابة رسول الله ﷺ من بعده من توضيح الألفاظ وسياقها على مراد السامع وليس الحاكي، وأنه يجب العدول إلى اللفظ البين عن اللفظ الموهم، فقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه كتب إلى أهل الكوفة: «إنه ذكر لي أن (مترس) بلسان الفارسية الأمنة، فإن قلتموها لمن لا يفقه لسانكم فهو آمن»(٣).

ونفذ وصية عمر رضي الله عنه الصحابي الجليل: أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يوم فتح سوق الأهواز، فسعى رجل من المشركين وسعى رجلان من المسلمين خلفه فبينما يسعى ويسعيان إذ قال أحدهما له: (مترس) فقام الرجل فأخذاه

---

(١) رواه أبو داود (٤/ ٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٨٣١).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٤٧٢).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٥١١)، وأصله في صحيح البخاري (٣/ ١١٥٧)، ولفظه: «إذا قال مترس فقد آمنه إن الله يعلم الألسنة كلها». قال ابن حجر: ومترس كلمة فارسية معناها لا تخف وهي بفتح الميم وتشديد المثناة وإسكان الراء بعدها مهملة وقد تخفف التاء وبه جزم بعض من لقيناه من العجم. فتح الباري (٦/ ٢٧٥).

فجاءا به وأبو موسى رضي الله عنه يضرب أعناق الأسارى حتى انتهى الأمر إلى الرجل فقال أحد الرجلين: إن هذا قد جعل له الأمان، فقال أبو موسى رضي الله عنه: فقد جعل له الأمان، قال: إنه كان يسعى ذاهباً في الأرض وقلت له: مترس فقام، فقال أبو موسى رضي الله عنه: وما مترس؟ قال: لا تخف، قال: هذا أمان فخليا سبيله فخليا سبيل الرجل(١).

ومن الألفاظ التي آذى بها اليهود ـ لعنهم الله ـ نبينا محمد ﷺ قولهم: (السام)، فعن أنس بن مالك: أن نبي الله ﷺ بينما هو جالس مع أصحابه، إذ أتى عليهم يهودي، فسلم عليهم، فردوا عليه، فقال نبي الله ﷺ: «**هل تدرون ما قال؟**»، قالوا: سلَّم يا رسول الله، قال: «**بل قال: سام عليكم؛ أي: تسأمون دينكم**»، فقال النبي ﷺ: «**أقلت سام عليكم؟**»، قال: نعم، فقال النبي ﷺ: «**إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا وعليك**»: أي عليك ما قلت(٢)؛ لأن الله يستجيب دعاء الرسول ﷺ عليهم، ودليل ذلك لما قالت عائشة رضي الله عنها: «أو لم تسمع ما قالوا؟»، قال: «**أو لم تسمعي ما قلت، رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في**»(٣).

وقولهم: (السام) يعنون به الموت ـ كأنهم دعوا عليه بالموت ـ ومنه حديث عائشة رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من السام**»، قلت: وما السام؟ قال: «**الموت**»(٤).

وقيل: (السآم) بالمد من السآمة وهو الملل؛ أي: تسأمون دينكم(٥)، كما في حديث أنس رضي الله عنه.

فاليهود يحيون رسول الله ﷺ بما لم يحيه به الله كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٥١١).

(٢) سنن الترمذي (١/ ٤٠٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، قال ابن كثير: وأصل حديث أنس مخرج في الصحيح. تفسير ابن كثير (٤/ ٣٢٤). وانظر: مجمع الزوائد (٨/ ٤١).

(٣) صحيح البخاري (٥/ ٢٢٤٣).

(٤) صحيح البخاري (٥/ ٢١٥٣).

(٥) عمدة القاري (٢٢/ ١١٣)، ولسان العرب (١٢/ ٢٨٠).

جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة: ٨] وحجتهم في ذلك أنهم يقولون في أنفسهم لو كان هذا نبياً لعذبنا الله بما نقول له في الباطن؛ لأن الله يعلم ما نسره فلو كان هذا نبياً حقاً لأوشك أن يعاجلنا الله بالعقوبة في الدنيا فقال الله تعالى: ﴿حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ﴾ [المجادلة: ٨] أي: جهنم كفايتهم في الدار الآخرة ﴿يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [المجادلة: ٨][(١)] وجهلوا أن الباري تعالى حليم لا يعاجل من سبه، فكيف من سب نبيه.

وقد ثبت أن النبي ﷺ قال: «**لا أحد أصبر على الأذى من الله يدعون له الصاحبة والولد وهو يعافيهم ويرزقهم**»[(٢)]. فأنزل الله تعالى هذا كشفاً لسرائرهم، وفضحاً لبواطنهم، معجزة لرسول ﷺ[(٣)].

❑ تحويل القبلة:

حينما أمر الله ـ تبارك وتعالى ـ رسوله ﷺ بتحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، قال: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [البقرة].

في الصحيح «أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَلَ البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان يصلي معه، فمر على أهل المسجد وهم راكعون، قال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قِبَلَ مكة فداروا كما هم قِبَلَ البيت»[(٤)].

وفي تحويل القبلة مخالفة لليهود الذين كان يعجبهم توجه المسلمين إلى بيت المقدس، لذا وجدوها فرصة سانحة، ومناسبة عظيمة فأكثروا من التساؤل

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٢٤) بتصرف يسير.
(٢) رواه البخاري (٦/ ٢٦٨٧)، ومسلم (٤/ ٢١٦٠).
(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٧/ ٢٩٢).
(٤) صحيح البخاري (٤/ ١٦٣١).

حول هذا الأمر، وقد امتد أثرهم إلى المسلمين، وإلى غيرهم، أما المسلمون فقالوا: سمعنا وأطعنا وقالوا: آمنا به كل من عند ربنا، وأما اليهود فقالوا: خالف قبلة الأنبياء قبله، وآذوا رسول الله ﷺ بقولهم: لو كان نبياً لكان يصلي إلى قبلة الأنبياء، وأما المشركون فقالوا: كما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا وما رجع إليها إلا أنه الحق، وأما المنافقون فقالوا: ما يدري محمد أين يتوجه، إن كانت الأولى حقاً فقد تركها، وإن كانت الثانية هي الحق فقد كان على باطل، وكان الأمر كما أخبر الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ [البقرة][1].

وكانت كل هذه التساؤلات بإيحاء من اليهود الذين ذهبت طائفة منهم إلى المسلمين قائلين: «أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس، إن كانت هدى فقد تحولتم عنها، وإن كانت ضلالة فقد دنتم الله بها، ومن مات منكم عليها فقد مات على الضلالة؟ فقال المسلمون: إن الهدى ما أمر الله تعالى به، وإن الضلالة ما نهى الله تعالى عنه، فقال اليهود للمسلمين: فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا، وكان قد مات قبل تحول القبلة من المسلمين، أسعد بن زرارة من بني النجار، والبراء بن معرور من بني سلمة، وكانا من النقباء، ومات رجال آخرون، فانطلق عشائرهم إلى النبي ﷺ، وقالوا: يا رسول الله لقد صرفك الله إلى قبلة إبراهيم ﵇ فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يُصلُّون إلى بيت المقدس، فأنزل الله تعالى قوله في سورة البقرة: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [١٤٣][2].

---

(١) تفسير ابن كثير، (١/ ٢٤٩)، وانظر: فتح الباري (٨/ ٢١٦).

(٢) تفسير الطبري (٢/)، ورواه الترمذي (٥/ ٢٠٨) وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. المستدرك على الصحيحين (٢/ ٢٩٥).

يقول ابن كثير رحمه الله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾: «أي: صلاتكم إلى بيت المقدس قبل ذلك ما كان يضيع ثوابها عند الله»[١]، وهكذا زادت هذه الحادثة المؤمنين إيماناً وتصديقاً بالله تعالى ورسوله، وانقلب اليهود على أعقابهم خاسئين مدحورين. كل ذلك منهم حسداً، أن منّ الله على نبيه والمؤمنين كما في حديث عائشة رضي الله عنها الطويل عند أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «**إنهم لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين**»[٢].

❖ المطلب الخامس ❖

الإيذاء البدني للرسول ﷺ بالسحر والسم

أولاً: الآثـــار

قوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(٥٤٥) **١٤٠٧** ـ حدثنا ابن وكيع، قال: اثنا ابن نمير، عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سحر رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق يقال له: لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله[٣].

(٥٤٦) **١٤٠٨** ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال: كان عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٢٥٢).

(٢) مسند الإمام أحمد (٦/ ١٣٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٥١٥).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٤٦٠)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٥٣)، تفسير ابن كثير (٤/ ٥٧٥)، صحيح ابن حبان (١٤/ ٥٤٥)، سنن ابن ماجه (٢/ ١١٧٣).

يحدثان: أن يهود بني زريق عقدوا عقد سحر لرسول الله ﷺ، فجعلوها في بئر حزم حتى كان رسول الله ينكر بصره ودله الله على ما صنعوا. فأرسل رسول الله ﷺ إلى بئر حزم التي فيها العقد فانتزعها، فكان رسول الله ﷺ يقول: «**سحرتني يهود بني زريق**»[(١)].

ثانياً: الدراسة

❑ إيذاؤه بالسحر:

لم يترك اليهود محاولة لأذية الرسول ﷺ إلّا وسلكوها، ومن هذه المحاولات عقد السحر الذي يشتهرون به على يد رجل منهم يقال له: لبيد بن الأعصم كما في الصحيحين: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «سحر رسول الله ﷺ رجل من بني زريق يقال له: لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعا ثم قال: «**يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه أتاني رجلان**[(٢)] **فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب**[(٣)]**، قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان، فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فجاء فقال: يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء، أو كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين**، قلت: يا رسول الله أفلا استخرجته؟ قال: **قد عافاني الله فكرهت أن أثوّر على الناس**

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٦٠)، الطبقات الكبرى (٢/ ١٩٨)، صححه في التفسير الصحيح (٢/ ٣٥٢).

(٢) في طبقات ابن سعد أنهما جبريل وميكائيل (٢/ ١٩٦)، ومصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٤٠).

(٣) في رواية أخرى يعني مسحوراً. صحيح البخاري (٥/ ٢٢٥٢)، قال ابن حجر: «يقال طب الرجل بالضم إذا سحر، يقال: كنوا عن السحر بالطب تفاؤلاً كما قالوا للديغ سليم». فتح الباري (١٠/ ٢٢٨).

فيه شراً فأمر بها فدفنت»[(١)].

ولكن الله نجّاه منه وشفاه بفضله ومنّه، ولم يؤثر فيه هذا السحر إلّا على جسده فقط لا على ما يقوله ويبلغه عن ربه، والذي يدل على أن الذي أصابه كان من جنس المرض قوله ﷺ في حديث آخر: **«أما أنا فقد شفاني الله»**. ويؤيد ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند ابن سعد: «مرض النبي ﷺ وأُخذ عن النساء والطعام والشراب، فهبط عليه ملكان»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٢١٧٤)، ومسلم (٤/ ١٧١٩)، وقصة طلب اليهود سحر النبي ﷺ: عن عمر بن الحكم قال: لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم جاءت رؤساء يهود الذين بقوا بالمدينة ممن يظهر الإسلام وهو منافق إلى لبيد بن الأعصم اليهودي وكان حليفاً في بني زريق وكان ساحراً قد علمت ذلك يهود أنه أعلمهم بالسحر وبالسموم فقالوا له: يا أبا الأعصم أنت أسحر منا وقد سحرنا محمداً فسحره منا الرجال والنساء فلم نصنع شيئاً وأنت ترى أثره فينا وخلافه ديننا ومن قتل منا وأجلى ونحن نجعل لك على ذلك جعلاً على أن تسحره لنا سحراً ينكؤه فجعلوا له ثلاثة دنانير على أن يسحر رسول الله ﷺ فعمد إلى مشط وما يمشط من الرأس من الشعر فعقد فيه عقداً وتفل فيه تفلاً وجعله في جب طلعة ذكر ثم انتهى به حتى جعله تحت أرعوفة البئر فوجد رسول الله ﷺ أمراً أنكره حتى يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله وأنكر بصره حتى دله الله عليه فدعا جبير بن إياس الزرقي وقد شهد بدراً فدله على موضع في بئر ذروان تحت أرعوفة البئر فخرج جبير حتى استخرجه ثم أرسل إلى لبيد بن الأعصم فقال: **«ما حملك على ما صنعت فقد دلني الله على سحرك وأخبرني ما صنعت»** قال: حب الدنانير يا أبا القاسم. رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ١٩٧)، وانظر: فتح الباري (١٠/ ٢٢٦).

وفي رواية للبيهقي: فلما أصبح رسول الله ﷺ غدا ومعه أصحابه إلى البئر فنزل رجل فاستخرج جف طلعة من تحت الراعوفة فإذا فيها مشط رسول الله ﷺ ومن مشاطة رأسه وإذا تمثال من شمع تمثال رسول الله ﷺ وإذا فيها أبر مغروزة وإذا وتر فيه إحدى عشرة عقدة فأتاه جبريل بالمعوذتين فقال: يا محمد ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وحل عقدة ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ وحل عقدة حتى فرغ منها وحل العقد كلها وجعل لا ينزع إبرة إلا يجد لها ألماً ثم يجد بعد ذلك راحة، فقيل: يا رسول الله لو قتلت اليهودي، فقال: **«قد عافاني الله وما وراءه من عذاب الله أشد»** فأخرجه. الدلائل (٧/ ٩٤)، والدر المنثور (٨/ ٦٨٧).

(٢) الطبقات الكبرى (٢/ ١٩٨)، وفتح الباري (١٠/ ٢٢٧).

واعترض بعض العلماء، على مسألة ـ سحر الرسول ﷺ ـ لأنها تنافي العصمة عندهم. وليست كذلك، فإن الله ﷻ يبتلي رسله ﵈ بأنواع البلاء، فيزداد بذلك أجرهم، ويعظم ثوابهم، وهو ـ فداه أبي وأمي ـ واحد منهم «لم يعصم منه عليه الصلاة والسلام، بل أصابه شيء من ذلك، فقد جرح يوم أُحد، وكسرت البيضة على رأسه، ودخلت في وجنتيه بعض حلقات المغفر، وسقط في بعض الحفر التي كانت هناك، وقد ضيقوا عليه في مكة تضييقاً شديداً، فقد أصابه شيء مما أصاب من قبله من الرسل، ومما كتبه الله عليه، ورفع الله به درجاته، وأعلى به مقامه، وضاعف به حسناته، ولكن الله عصمه منهم فلم يستطيعوا قتله ولا منعه من تبليغ الرسالة، ولم يحولوا بينه وبين ما يجب عليه من البلاغ فقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ﷺ، ومن الابتلاء الذي أوذي به الرسول ﷺ ما أصابه من السحر».

هناك بعض العلماء أنكروا هذا الحديث، وردوه رداً منكراً. فمن هؤلاء العلماء (الجصاص) في كتابه أحكام القرآن: (١/ ٤٩) حيث قال: «ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدين تلعباً بالحشو الطغام...».

ومنهم الشيخ جمال الدين القاسمي حيث قال: «ولا غرابة في أن لا يقبل هذا الخبر لما برهن عليه، وإن كان مخرجاً في الصحاح، وذلك لأنه ليس كل مخرج فيها سالماً من القدح والنقد سنداً أو معنى كما يعرفه الراسخون...» «محاسن التأويل» وغيرهم، قال المازري: «وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب أنه يحط من منصب النبوة ويشكك فيه وهذا الذي ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ ويجوز ما قام الدليل بخلافه باطل، وأما ما يتعلق بأمور الدنيا التي لم يبعث بسببها ولا كان مفضلاً من أجلها وهو ما يعرض للبشر فغير بعيد أن يخيل إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له، نقله النووي في «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ١٧٤) وابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٢٢٦) وقد أجاب العلماء عن هذه الشبهة بالآتي:

١ ـ **أولاً**: من المعلوم أن الرسول ﷺ بشر، فيجوز أن يصيبه ما يصيب

البشر من الأوجاع والأمراض وتعدي الخلق عليه وظلمهم إياه كسائر البشر إلى أمثال ذلك مما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها، ولا كانت الرسالة من أجلها فإنه عليه ﷺ لم يعصم من هذه الأمور، وقد كان ﷺ يصيبه ما يصيب الرسل من أنواع البلاء وغير ذلك، فغير بعيد أن يصاب بمرض أو اعتداء أحد عليه بسحر ونحوه يخيل إليه بسببه في أمور الدنيا ما لا حقيقة له، كأن يخيل إليه أنه وطئ زوجاته وهو لم يطأهن، وحدث أنه جاء للرسول ﷺ أحد الصحابة يعوده قائلاً له: إنك توعك يا رسول الله فقال: «**إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم**» إلا أن الإصابة أو المرض أو السحر لا يتجاوز ذلك إلى تلقي الوحي عن الله ﷻ ولا إلى البلاغ عن ربه إلى الناس لقيام الأدلة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمة على عصمته ﷺ في تلقي الوحي وإبلاغه وسائر ما يتعلق بشؤون الدين. والذي وقع للرسول ﷺ من السحر هو نوع من المرض الذي يتعلق بالصفات والعوارض البشرية والذي لا علاقة له بالوحي وبالرسالة التي كلف بإبلاغها، لذلك يظن البعض أن ما أصاب الرسول ﷺ من السحر هو نقصاً وعيباً وليس الأمر كما يظنون لأن ما وقع له هو من جنس ما كان يعتريه من الأعراض البشرية كأنواع الأمراض والآلام ونحو ذلك، فالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يعتريهم من ذلك ما يعتري البشر كما قال الله ﷻ: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١] وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله، فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه وشريعته كما حصل لموسى ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] وجاء في مرسل عبد الرحمٰن بن كعب عند ابن سعد أن أخت لبيد بن الأعصم قالت: «إن يكن نبياً فسيخبر، وإلا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله». فوقع الشق الأول. «فتح الباري» (١٠/ ٢٢٧).

٢ ـ **ثانياً**: أما دعواهم أن السحر من عمل الشيطان والشيطان لا سلطان له على عباد الله لأن الله يقول: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝٤٢﴾ [الحجر] أي: في الإغواء ولا شك أن إصابة الشيطان للأنبياء

في أبدانهم لا ينفيه القرآن كما قال الله عن أيوب عليه السلام: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١﴾ [ص] وقوله عن موسى عليه السلام: ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧﴾ [طه] فهذا التخيل الذي وقع لموسى يطابق التخيل الذي وقع للرسول ﷺ إلا أن تأثير السحر كما قررنا لا يمكن أن يصل إلى حد الإخلال في تلقي الوحي والعمل به وتبليغه للناس؛ لأن النصوص قد دلت على عصمة الرسل في ذلك.

❑ إيذاؤه بالسم:

لم يورد الطبري رحمه الله آثاراً في محاولة اليهود سم رسول الله ﷺ وسنورد هذه المحاولة لارتباطها الوثيق بأذية اليهود لنبينا ﷺ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم»، فقال رسول الله ﷺ: **«اجمعوا لي من كان ها هنا من اليهود»** فجمعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ: **«إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه؟»** فقالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: **«من أبوكم؟»** قالوا: أبونا فلان، فقال رسول الله ﷺ: **«كذبتم بل أبوكم فلان»**، فقالوا: صدقت وبررت، فقال: **«هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟»** فقالوا: نعم يا أبا القاسم وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا، قال لهم رسول الله ﷺ: **«من أهل النار؟»** فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفوننا فيها. فقال لهم رسول الله ﷺ: **«اخسئوا فيها والله لا نخلفكم فيها أبداً»**، ثم قال لهم: **«فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟»** قالوا نعم: فقال: **«هل جعلتم في هذه الشاة سماً؟»** فقالوا: نعم، فقال: **«ما حملكم على ذلك؟»** فقالوا: أردنا إن كنت كذاباً نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك»[1].

وفي رواية: «أن امرأة يهودية دعت النبي ﷺ وأصحاباً له على شاة مصلية، فلما قعدوا يأكلون أخذ رسول الله ﷺ لقمة فوضعها ثم قال لهم:

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢/ ٤٥١)، والبخاري (٥٧٧٧)، والنسائي (١١٣٥٥).

أمسكوا إن هذه الشاة مسمومة، فقال لليهودية: **ويلك لأي شيء سممتني**، قالت: أردت أن أعلم إن كنت نبياً فإنه لا يضرك، وإن كان غير ذلك أن أريح الناس منك، وأكل منها بشر بن البراء رضي الله عنه فمات فقتلها رسول الله ﷺ»[1].

وفي رواية: «كان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمَّت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله ﷺ، فأخذ رسول الله ﷺ الذراع فأكل منها وأكل رهط من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: «**ارفعوا أيديكم**»، وأرسل رسول الله ﷺ إلى اليهودية فدعاها فقال لها: «**أسممت هذه الشاة؟**»، قالت اليهودية: من أخبرك؟ قال: «**أخبرتني هذه في يدي للذراع**»، قالت: نعم، قال: «**فما أردت إلى ذلك؟**»، قالت: قلت إن كان نبياً فلن يضره، وإن لم يكن استرحنا منه، فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها، وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة، واحتجم رسول الله ﷺ على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة، حجمه أبو هند بالقرن والشفرة وهو مولى لبني بياضة من الأنصار»[2].

والذي وضع له السم زينب بنت الحارث، قال ابن إسحاق: «لما اطمأن النبي ﷺ بعد فتح خيبر أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مشوية وكانت سألت: أي عضو من الشاة أحب إليه؟ قيل لها: الذراع فأكثرت فيها من السم، فلما تناول الذراع لاك منها مضغة ولم يسغها، وأكل معه بشر بن البراء فأساغ لقمته... فذكر القصة وأنه صفح عنها وأن بشر بن البراء مات منها».

وإن كان الفاعل واحدة من اليهود إلّا أن الفعل ينسب لهم جميعاً كما في رواية البخاري السابقة: «**هل جعلتم في هذه الشاة سماً؟**».

وكان أثر هذا السم على رسول الله ﷺ دائم، فكان يعاوده بين حين وآخر، بل في كل عام ﷺ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قالت أم سلمة رضي الله عنها: «يا

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٤٢)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
(٢) رواه أبو داود (٤/ ١٧٣).

رسول الله لا يزال يصيبك كل عام وجع من الشاة المسمومة التي أكلت». قال: **«ما أصابني شيء منها إلا وهو مكتوب علي وآدم في طينته»**(١). وفي رواية: **«ما زالت أكلة خيبر تعاودني كل عام، حتى كان هذا أوان قطع أبهري»**(٢).

ثم كانت بإذن الله سبباً في وفاته ﷺ، فقد زارته أم بشر الذي شاركه أكل الشاة المسمومة، قالت: «دخلت على رسول الله ﷺ في وجعه الذي قبض فيه فقلت: بأبي أنت يا رسول الله ما تتهم بنفسك؟ فإني لا اتهم بابني، إلا الطعام الذي أكله معك بخيبر، ـ وكان ابنها بشر بن البراء بن معرور مات قبل النبي ﷺ ـ» فقال رسول الله ﷺ: **«وأنا لا أتهم غيرها هذا أوان انقطاع أبهري»**(٣). وهو ما صرح به لأم المؤمنين عائشة ﵂، قالت عائشة ﵂: «كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: **يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم»**(٤).

وقد عدها بعض الصحابة شهادة لرسول الله ﷺ حتى يكون نبياً شهيداً، قال عبد الله بن مسعود ﵁: «لأن أحلف تسعاً أن رسول الله ﷺ قتل قتلاً أحب إلي من أن أحلف واحدة إنه لم يقتل، وذلك أن الله ﷻ اتخذه نبياً واتخذه شهيداً»(٥).

وهكذا هم اليهود كما هو وصف الله لهم مع الأنبياء: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

---

(١) سنن ابن ماجه (٢/ ١١٧٤)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (٤٤٢٢).

(٢) رواه أبو نعيم وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٥٦٢٩).

(٣) رواه أبو داود (٤/ ١٧٥)، والحاكم وقال: هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، المستدرك على الصحيحين (٣/ ٢٤٢).

(٤) صحيح البخاري (٤/ ١٦١١).

(٥) رواه الإمام أحمد (١/ ٣٨١)، والحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، المستدرك على الصحيحين (٣/ ٦٠)، وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد (٩/ ٣٤).

❖ المطلب السادس ❖

المواجهة القتالية بين الرسول ﷺ واليهود

أولاً: الآثـــار

❐ بنو قينقاع:

۞ قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾ [آل عمران].

(٥٤٧) **٥٢٤١** ـ أبا كريب حدثنا، قال: ثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر فقدم المدينة، جمع يهود في سوق بني قينقاع فقال: «**يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً**»، فقالوا: يا محمد لا تغرنك نفسك إنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تأت مثلنا! فأنزل الله ﷻ في ذلك من قولهم: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عِمرَان: ١٣][1].

۞ قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران].

(٥٤٨) **٦٦٢٨** ـ حدثنا به القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عكرمة في قوله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ١١)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٠٤)، الدر المنثور (٢/ ١٥٨)، سنن أبي داود (٣/ ١٥٤).

﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ﴾ قال: نزلت هذه الآية في النبي ﷺ، وفي أبي بكر رضوان الله عليه، وفي فنحاص اليهودي سيد بني قينقاع، قال: بعث النبي ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه إلى فنحاص يستمده، وكتب إليه بكتاب، وقال لأبي بكر: «**لا تفتاتن علي بشيء حتى ترجع**». فجاء أبو بكر وهو متوشح بالسيف، فأعطاه الكتاب، فلما قرأه قال: قد احتاج ربكم أن نمده؟ فهمَّ أبو بكر أن يضربه بالسيف، ثم ذكر قول النبي ﷺ: «**لا تفتاتن علي بشيء حتى ترجع**». فكف؛ ونزلت: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ﴾ [آل عمران: ١٨٠][(١)].

(٥٤٩) **٦٦٢٩** ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري في قوله: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ﴾ قال: هو كعب بن الأشرف، وكان يحرِّض المشركين على النبي ﷺ وأصحابه في شعره، ويهجو النبي ﷺ، فانطلق إليه خمسة نفر من الأنصار فيهم محمد بن مسلمة، ورجل يقال له: أبو عبس. فأتوه وهو في مجلس قومه بالعوالي؛ فلما رآهم ذعر منهم، فأنكر شأنهم، وقالوا: جئناك لحاجة، قال: فليدن إلي بعضكم، فليحدثني بحاجته، فجاءه رجل منهم فقال: جئناك لنبيعك أدراعاً عندنا لنستنفق بها، فقال: والله لئن فعلتم لقد جهدتم منذ نزل بكم هذا الرجل، فواعدوه أن يأتوه عشاء حين هدأ عنهم الناس. فأتوه، فنادوه، فقالت امرأته: ما طرقك هؤلاء ساعتهم هذه لشيء مما تحب، قال: إنهم حدثوني بحديثهم وشأنهم. قال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه أشرف عليهم فكلمهم، فقال: أترهنوني أبناءكم؟ وأرادوا أن يبيعهم تمراً، قال: فقالوا: إنا نستحيي أن تعير أبناؤنا فيقال هذا رهينة وسق، وهذا رهينة وسقين، فقال: أترهنوني نساءكم؟ قالوا: أنت أجمل الناس، ولا نأمنك، وأي امرأة تمتنع منك لجمالك؟ ولكنا نرهنك سلاحنا،

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢٠٠)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٣٩٦)، فتح الباري (٨/ ٢٣١).

فقد علمت حاجتنا إلى السلاح اليوم. فقال: ائتوني بسلاحكم، واحتملوا ما شئتم، قالوا: فانزل إلينا نأخذ عليك، وتأخذ علينا. فذهب ينزل، فتعلقت به امرأته وقالت: أرسل إلى أمثالهم من قومك يكونوا معك. قال: لو وجدني هؤلاء نائماً ما أيقظوني. قالت: فكلمهم من فوق البيت، فأبى عليها، فنزل إليهم يفوح ريحه، قالوا: ما هذه الريح يا فلان؟ قال: هذا عطر أم فلان، امرأته. فدنا إليه بعضهم يشم رائحته، ثم اعتنقه، ثم قال: اقتلوا عدو الله، فطعنه أبو عبس في خاصرته، وعلاه محمد بن مسلمة بالسيف، فقتلوه، ثم رجعوا. فأصبحت اليهود مذعورين، فجاؤوا إلى النبي ﷺ، فقالوا: قتل سيدنا غيلة، فذكرهم النبي ﷺ صنيعه، وما كان يحض عليهم، ويحرض في قتالهم، ويؤذيهم، ثم دعاهم إلى أن يكتب بينه وبينهم صلحاً، فقال: فكان ذلك الكتاب مع علي رضوان الله عليه[1].

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)﴾ **[المائدة].**

(٥٥٠) **٩٤٧٩** ـ حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت أبي، عن عطية بن سعد، قال: جاء عبادة بن الصامت من بني الحارث بن الخزرج إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن لي موالي من يهود كثير عددهم، وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود وأتولى الله ورسوله! فقال عبد الله بن أُبي: إني رجل أخاف الدوائر، لا أبرأ من ولاية موالي. فقال رسول الله ﷺ لعبد الله ابن أُبي: «**يا أبا الحباب ما بخلت به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو إليك دونه**». قال: قد قبلت. فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ﴾[2].

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢٠١)، تفسير عبد الرزاق (١/ ١٤٢)، سنن البيهقي الكبرى (١٨٣/٩)، المعجم الكبير (١٩/ ٧٧).
(٢) تفسير الطبري (٦/ ٢٧٥)، تفسير ابن كثير (٢/ ٧٠)، تاريخ مدينة دمشق (٢٦/ ١٩٢).

۞ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة].

(٥٥١) ٩٥١٨ ـ حدثنا هناد بن السري، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا ابن إسحاق، قال: ثني والدي إسحاق بن يسار، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ، مشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ، وكان أحد بني عوف بن الخزرج، فخلعهم إلى رسول الله، وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وقال: أتولى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم! ففيه نزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ لقول عبادة: أتولى الله ورسوله والذين آمنوا، وتبرئه من بني قينقاع وولايتهم. إلى قوله: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦][(١)].

۞ قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [الحشر].

(٥٥٢) ٢٦٢٦٤ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ يعني: بني قينقاع[(٢)].

ثانياً: الدراســـة

☐ غزوة بني قينقاع:

في فرحة المسلمين بانتصارهم في بدر، جمع الرسول ﷺ يهود بني قينقاع في سوقهم ودعاهم وذكرهم ما حصل لقريش في بدر ولم يكن مضى

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٢٨٨)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٩٨)، تاريخ مدينة دمشق (٢٦/ ١٩٢).

(٢) تفسير الطبري (٢٨/ ٤٨)، الدر المنثور (٨/ ٩٢)، الأحاديث المختارة (١٠/ ٣٥٢)، بنحوه إسناده ضعيف.

عليها إلّا شهر تقريباً[١] فقال لهم ﷺ: «**يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً**»، فقالوا: يا محمد لا تغرنك نفسك إنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تأت مثلنا.

لم يستح أولئك اليهود أن يقولوا لرسول الله ﷺ ذلك وقد نزل الوحي ينذر هؤلاء بسوء المنقلب: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾ [آل عمران].

كان اليهود في المدينة يؤججون العداوة بين قبيلتي الأوس والخزرج، أهم قبائل المدينة، وجاء الرسول ﷺ بدعوة مباركة أيدها الأنصار الذين بايعوه في بيعتي العقبة الأولى والثانية، وكان أول عمل قام به ﷺ بعد دخوله المدينة هو المؤاخاة بين قبيلتي الأوس والخزرج ووضع حداً للصراع الذي كان بينهما، فهم حديثو عهد بقتال فعاشت المدينة في سلم وأمان مطمئنين تحت راية الإسلام.

واليهود كانوا مجموعة من الطوائف أغناهم بنو قينقاع؛ لأنهم كانوا يشتغلون في صناعة الحلي والذهب والفضة، وكانت أماكنهم التي يعيشون فيها محصنة، وهم بطبيعة الحال لا يحملون خيراً في أنفسهم للمسلمين، بل يحقدون عليهم، وكان سبب الغزوة لما حدث لتلك المرأة المسلمة زوج أحد المسلمين الأنصار، التي كانت في السوق فقصدت أحد الصاغة اليهود لشراء حلي لها، وأثناء وجودها في محل ذلك الصائغ اليهودي، حاول بعضهم رفع حجابها، والحديث إليها، فتمنعت ونهرته، فقام صاحب المحل الصائغ اليهودي بربط طرف ثوبها وعقده إلى ظهرها، فلما وقفت ارتفع ثوبها وانكشفت. فأخذ اليهود يضحكون منها ويتندرون عليها فصاحت تستنجد من يعينها عليهم. فتقدم رجل مسلم رأى ما حدث لها، فهجم على اليهودي فقتله، ولما حاول منعهم عنها وإخراجها من بينهم تكاثر عليه اليهود وقتلوه،

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٢٨).

وثار المسلمون لمقتل صاحبهم ونقض اليهود حلفهم مع الرسول ﷺ، وتظاهروا لقتال المسلمين، وكانوا أول يهود ينقضون عهدهم مع رسول الله ﷺ[(١)].

ولما تنافر الفريقان، واستنفر كل منهم أصحابه وأعوانه، وصل الخبر إلى رسول الله ﷺ، فغضب ﷺ أشد الغضب وقال: **«ما على هذا أقررناهم»**. ولما علم المسلمون بهذا الخبر هبوا لدعوة الرسول ﷺ لتأديب هؤلاء القوم، وإخراجهم من بلدة طيبة التي يسكنها أفضل خلق الله وهو الرسول ﷺ، وخرج الرسول ﷺ لقتال هؤلاء القوم الذين خانوا عهدهم معه، طاعة لأمر الله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال].

ولما أحسوا بخروج الرسول ﷺ إليهم، احتموا في حصونهم المنيعة في انتظار مجيء المسلمين، فأرسل إليهم رسول الله ﷺ، إنذاراً بالخروج من حصونهم، وإلا قضي عليهم جميعاً، فجاء ردهم فيه من الفجور أكثر مما فيه من عدم التبصر بما سيحدث لهم من جراء ذلك، عند ذلك استعد الرسول وأعد جنده للقتال.. فحمل لواء المسلمين حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وتم حصار الحصون وكرر الرسول ﷺ الإنذار مرة أخرى، فجعلوا يساومون الرسول ﷺ ويراوغون علَّهم يجدون فرصة للانقضاض على المسلمين، لكنهم في آخر الأمر اضطروا للاستسلام والنزول عند رغبة الرسول ﷺ.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٤/٣ ـ ٤) قال ابن حجر:
وكان الكفار بعد الهجرة مع النبي ﷺ على ثلاثة أقسام: قسم وادعهم على أن لا يحاربوه ولا يمالئوا عليه عدوه وهم طوائف اليهود الثلاثة قريظة والنضير وقينقاع، وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة؛ كقريش، وقسم تاركوه وانتظروا ما يؤول إليه أمره؛ كطوائف من العرب، فمنهم من كان يحب ظهوره في الباطن؛ كخزاعة وبالعكس كبني بكر ومنهم من كان معه ظاهراً ومع عدوه باطناً وهم المنافقون، فكان أول من نقض العهد من اليهود بنو قينقاع فحاربهم في شوال بعد وقعة بدر فنزلوا على حكمه وأراد قتلهم فاستوهبهم منه عبد الله بن أبي، وكانوا حلفاءه فوهبهم له وأخرجهم من المدينة إلى أذرعات. فتح الباري (٧/ ٣٣٠).

وجاء عبد الله بن أُبي بن سلول الذي يميل إليهم ويعتبرهم قومه وخاصته. جاء إلى الرسول ﷺ قائلاً له: «يا محمد أحسن إلى موالي - أي: أصحابي -». ولما أبطأ الرسول ﷺ عليه بالجواب أدخل يده في جيب درع الرسول ﷺ، وتمادى في طلبه، وأثقل على رسول الله ﷺ حتى أغضبه، وقال له: «**اتركني**»، ولكن عدو الله قال له: أتقتل أربعمائة حاسر، وثلاثمائة دارع قد منعوني وحموني من الأحمر والأسود؛ أي: العجم والعرب ... وتحصدهم في غداة واحدة.

فلما ضاق به الرسول ﷺ نهره قائلاً: «**هم لك ... خذهم لا بارك الله فيهم ...**» وتبرأ عبادة بن الصامت من عبد الله بن أُبي بن سلول وكان هو أيضاً حليفهم، وهذا دليل على إيمان عبادة رضي الله عنه وظهور نفاق ابن سلول وخرجوا من المدينة مذلولين بدون سلاح وعتاد، واستولى المسلمون على أموالهم وعتادهم وقسم الرسول ﷺ أموالهم بين المسلمين أخماساً، وأخذ له الخمس، لينفقه على الفقراء والمحتاجين.

وهكذا خرجوا إلى بلاد الشام تاركين خلفهم الأرض الطيبة التي أرادوا أن يدنسوها بخيانتهم، ولم يكن دعاء الرسول ﷺ عبثاً، فقد هلكوا جميعاً في بلاد الشام خلال فترة وجيزة[١].

لقد أنزل الله القصاص العادل باليهود جزاء لهم على خيانتهم العهود، وخاب ظن المنافقين الذين انكشف أمرهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزاب]، بل وعدهم الكاذب وعهدهم المنقوض، ووعد الله ورسوله هو الصادق.

❑ مقتل كعب بن الأشرف:

بعد هلاك بني قينقاع قام كعب بن الأشرف[٢] بتحريض المشركين في

---

(١) انظر: زاد المعاد (٣/ ١٢٧)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٤٧)، والطبقات الكبرى (٢/٢٨).

(٢) كان عربياً من بني نبهان وهم بطن من طيء وكان أبوه أصاب دماً في الجاهلية فأتى =

مكة بتباكيه شعراً على قتلى بدر ثم رجع يؤذي المؤمنات بتشبيبه بهن شعراً[١] ثم طلب رسول الله ﷺ من صحابته من يكفي المسلمين شرّ كعب بن الأشرف الذي آذى الله ورسوله، فقام بالمهمة العظيمة محمد بن مسلمة رضي الله عنه ومعه بعض الصحابة رضي الله عنهم، فاحتالوا عليه حتى مكنهم الله منه فقتلوه كما تقدم في سياق الأثر.

❐ بنو النضير:

أولاً: الآثـــار

✿ قـولـه تـعـالـى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء].

(٥٥٣) ٧٧٣٨ ـ حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: لما كان من أمر رسول الله ﷺ ويهود بني النضير ما كان حين أتاهم يستعينهم في دية العامريين، فهمُّوا به وبأصحابه، فأطلع الله رسوله على ما همُّوا به من ذلك، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة،

= المدينة فحالف بني النضير فشرف فيهم وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق فولدت له كعباً، وكان طويلاً جسيماً ذا بطن وهامة وهجا المسلمين بعد وقعة بدر وخرج إلى مكة فنزل على ابن وداعة السهمي والد المطلب فهجاه حسان وهجا امرأته عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص بن أمية فطردته فرجع كعب إلى المدينة وتشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم، وروى أبو داود والترمذي من طريق الزهري عن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه أن كعب بن الأشرف كان شاعراً وكان يهجو رسول الله ﷺ ويحرض عليه كفار قريش وكان النبي ﷺ قدم المدينة وأهلها أخلاط فأراد رسول الله ﷺ استصلاحهم وكان اليهود والمشركون يؤذون المسلمين أشد الأذى فقال رسول الله ﷺ **«اللَّهُمَّ اكفني ابن الأشرف بما شئت في إعلانه الشر وقوله الأشعار»** وأمر الله رسوله والمسلمين بالصبر، فلما أبى كعب أن ينزع عن أذاه أمر رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً ليقتلوه، وذكر ابن سعد أن قتله كان في ربيع الأول من السنة الثالثة، الطبقات الكبرى (٢/ ٣٢)، فتح الباري (٧/ ٣٣٧).

(١) أورد الطبري شيئاً منه يدل على مجونه. تاريخ الطبري (٢/ ٤٨٨).

فهرب كعب بن الأشرف حتى أتى مكة، فعاهدهم على محمد، فقال له أبو سفيان: يا أبا سعد، إنكم قوم تقرؤون الكتاب، وتعلمون، ونحن قوم لا نعلم، فأخبرنا: ديننا خير أم دين محمد؟ قال كعب: اعرضوا علي دينكم! فقال أبو سفيان: نحن قوم ننحر الكوماء، ونسقي الحجيج الماء، ونقري الضيف، ونعمر بيت ربنا، ونعبد آلهتنا التي كان يعبد آباؤنا، ومحمد يأمرنا أن نترك هذا ونتبعه. قال: دينكم خير من دين محمد، فاثبتوا عليه! ألا ترون أن محمداً يزعم أنه بعث بالتواضع، وهو ينكح من النساء ما شاء؟ وما نعلم ملكاً أعظم من ملك النساء! فذلك حين يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾[1].

✿ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [المائدة].

(٥٥٤) ٩٠١٧ ـ حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قال: بعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو الأنصاري أحد بني النجار وهو أحد النقباء ليلة العقبة، فبعثه في ثلاثين راكباً من المهاجرين والأنصار. فخرجوا، فلقوا عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر على بئر معونة، وهي من مياه بني عامر، فاقتتلوا، فقتل المنذر وأصحابه إلا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم، فلم يرعهم إلا والطير تحوم في السماء، يسقط من بين خراطيمها علق الدم، فقال أحد النفر: قتل أصحابنا والرحمٰن! ثم تولى يشتد حتى لقي رجلاً، فاختلفا ضربتين، فلما خالطته الضربة، رفع رأسه إلى السماء ففتح عينيه، ثم قال: الله أكبر، الجنة ورب العالمين! فكان

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ١٣٤)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٥٦٣) المعجم الكبير (١١/ ٢٥١)، مجمع الزوائد (٧/ ٥)، حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٢٨١).

يدعى «أعنق ليموت». ورجع صاحباه، فلقيا رجلين من بني سليم، وبين النبي ﷺ وبين قومهما موادعة، فانتسبا لهما إلى بني عامر، فقتلاهما. وقدم قومهما إلى النبي ﷺ يطلبون الدية، فخرج ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمٰن بن عوف ﷺ، حتى دخلوا إلى كعب بن الأشرف ويهود بني النضير، فاستعانهم في عقلهما. قال: فاجتمعت اليهود لقتل رسول الله ﷺ وأصحابه، واعتلوا بصنيعة الطعام، فأتاه جبريل ﷺ بالذي اجتمعت عليه يهود من الغدر، فخرج ثم دعا علياً، فقال: «**لا تبرح مقامك، فمن خرج عليك من أصحابي فسألك عني فقل وجه إلى المدينة فأدركوه**». قال: فجعلوا يمرون على علي، فيأمرهم بالذي أمره حتى أتى عليه آخرهم، ثم تبعهم؛ فذلك قوله: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣][1].

✿ قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة].

(٥٥٥) **٤٥٣٧** ـ حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا داود، وحدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن داود، عن عامر، قال: كانت المرأة من الأنصار تكون مقلاتاً[2] لا يعيش لها ولد، فتنذر إن عاش ولدها أن تجعله مع أهل الكتاب على دينهم. فجاء الإسلام وطوائف من أبناء الأنصار على دينهم، فقالوا: إنما جعلناهم على دينهم، ونحن نرى أن دينهم أفضل من ديننا، وإذ جاء الله بالإسلام فلنكرهنَّهم! فنزلت: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ فكان فصل ما بين من اختار اليهودية والإسلام، فمن لحق بهم اختار

(١) تفسير الطبري (٦/ ١٤٥)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٣٧).

(٢) مقلاتاً؛ أي: قليلة الولد فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده وكانت العرب تزعم أن المقلات إذا وطئت رجلاً؛ كربما قتل غدراً عاش ولدها. النهاية في غريب الأثر (٤/ ٩٨)، لسان العرب (٥/ ٢٠٣).

اليهودية، ومن أقام اختار الإسلام. ولفظ الحديث لحميد[١].

۞ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر].

(٥٥٦) ٢٦١٨٨ ـ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ﴾ قيل: الشام، وهم بنو النضير حي من اليهود، فأجلاهم نبي الله ﷺ من المدينة إلى خيبر، مرجعه من أُحد[٢].

(٥٥٧) حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري ﴿مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ﴾ قال: هم بنو النضير قاتلهم النبي ﷺ حتى صالحهم على الجلاء، فأجلاهم إلى الشام، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من شيء إلا الحلقة، والحلقة: السلاح، كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله ﷻ قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك عذبهم في الدنيا بالقتل والسباء[٣].

(٥٥٨) ٢٦١٩٠ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، قال: ثنا ابن إسحاق، عن يزيد بن رومان، قال: نزلت في بني النضير سورة الحشر بأسرها، يذكر فيها ما أصابهم الله ﷻ به من نقمته، وما سلط عليهم به رسول الله ﷺ وما عمل به فيهم، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ١٤)، سنن أبي داود (٣/ ٥٨)، صححه في التفسير الصحيح (٣/ ٦١).

(٢) تفسير الطبري (٢٨/ ٢٨)، تفسير الدر المنثور (٨/ ٩٢) حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

(٣) تفسير الطبري (٢٨/ ٢٨)، تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٨٢)، المستدرك على الصحيحين (٢/ ٥٢٥)، فتح الباري (٧/ ٣٣٠).

﴿ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾.. الآيات[(١)].

(٥٥٩) ٢٦١٩٨ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن رومان، قال: احتملوا من أموالهم؛ يعني: بني النضير، ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، قال: فذلك قوله: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك هدمهم بيوتهم عن نجف أبوابهم إذا احتملوها[(٢)].

(٥٦٠) ٢٦٢٠١ ـ حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: أهل النضير جعل المسلمون كلما هدموا من حصنهم جعلوا ينقضون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، ثم يبنون ما خرب المسلمون[(٣)].

۞ قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾﴾ [الحشر].

(٥٦١) ٢٦٢٠٤ ـ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، قال: كان النضير من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي[(٤)].

(٥٦٢) ٢٦٢٠٥ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ وكان لهم

---

(١) الدر المنثور (٨/ ٩٢)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣١)، وفتح الباري (٧/ ٣٣٢)، إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٢٨/ ٣٠) الدر المنثور (٨/ ١١٥)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣)، إسناده ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (٢٨/ ٣٠)، إسناده ضعيف.

(٤) تفسير الطبري (٢٨/ ٣١)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٣)، المستدرك على الصحيحين (٢/ ٥٢٥).

من الله نقمة ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ أي: بالسيف ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ مع ذلك[(١)].

✿ قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ۝٥﴾ [الحشر].

(٥٦٣) **٢٦٢١٩** ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنا يزيد بن رومان، قال: لما نزل رسول الله ﷺ بهم يعني: ببني النضير تحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل، والتحريق فيها، فنادوه: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ۝٥﴾[(٢)].

✿ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ [الحشر].

(٥٦٤) **٢٦٢٢٨** ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قوله: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ قال: أمر الله ﷻ نبيه بالسير إلى قريظة والنضير وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولا ركاب فجعل ما أصاب رسول الله ﷺ يحكم فيه ما أراد، ولم يكن يومئذ خيل ولا ركاب يوجف بها. قال: والإيجاف: أن يوضعوا السير وهي لرسول الله ﷺ، فكان من ذلك خيبر

---

(١) تفسير الطبري (٢٨/ ٣)، الدر المنثور (٨/ ٩١)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٢)، سنن البيهقي الكبرى (٩/ ٢٣٢)، فتح الباري (٧/ ٣٣١)، إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٢٨/ ٣٢) وبمعناه في ـ تفسير الدر المنثور (٨/ ٩١)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٤)، فتح الباري (٧/ ٣٣١)، إسناده ضعيف.

وفدك وقرى عربية، وأمر الله رسوله أن يعد لينبع، فأتاها رسول الله ﷺ، فاحتواها كلها، فقال ناس: هلا قسمها، فأنزل الله ﷻ عذره، فقال: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧]، ثم قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ...﴾ الآية[١].

❁ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر].

(٥٦٥) **٢٦٢٤٢** ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، أنه حدث أن بني النضير خلوا الأموال لرسول الله ﷺ فكانت النضير لرسول الله ﷺ خاصة يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله ﷺ على المهاجرين الأولين دون الأنصار، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة سماك بن خرشة ذكرا فقراً، فأعطاهما رسول الله ﷺ[٢].

ثانياً: الدراســـة

❐ بنو النضير:

بنو النضير قبيلة من قبائل اليهود في المدينة، عاهدوا الرسول ﷺ على عدم الاعتداء وعدم نصر عدو له عليه الصلاة والسلام، يسكنون في ضاحية بأطراف المدينة بها خضرة ونخيل وماء تسمى (العوالي)، وظل عهدهم مع

---

(١) تفسير الطبري (٢٨/ ٣٦)، تفسير الدر المنثور (٨/ ٩٩)، إسناده ضعيف.
وصحيح البخاري (٤/ ١٨٥٢)، بنحوه سنن البيهقي الكبرى (٧/ ٥٨)، السنن الكبرى (٦/ ٤٨٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٨/ ٤١)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٣)، والطبقات الكبرى (٢/ ٥٨)، إسناده ضعيف.

الرسول ﷺ أربع سنوات كاملة قبل أن تحدث هذه الغزوة، ولما ضعفت شوكة اليهود بعد جلاء بني قينقاع عن المدينة النبوية، أخذ بنو النضير يتعاونون مع مشركي قريش بعد انتصار المسلمين في بدر، فعندما أراد أبو سفيان الثأر خرج في مئتي رجل، وأتى سلام بن مشكم وهو سيد بني النضير فاستقبله وسقاه خمراً وتعاون معه لإيذاء المسلمين. ثم هجم أبو سفيان على بعض البيوت وقتل رجلين من الأنصار ثم عاد إلى مكة المكرمة. ثم نقض بنو النضير العهد ثانية عندما رفضوا الاشتراك مع النبي ﷺ في يوم أُحد بحجة أن القتال يدور يوم السبت وأن العهد بينهم ينص على المشاركة في الدفاع داخل المدينة وأُحد خارجها، ثم توالت الأحداث بعد هزيمة أُحد يوم السبت في النصف من شوال في السنة الثالثة من الهجرة، فاستهانت القبائل بأمرهم وأخذت تكيد لهم، فكانت حادثة الرجيع وهو ماء لقبيلة هذيل تعرض فيه ستة من أصحاب النبي ﷺ للقتل والأسر ثم كانت مجزرة بئر معونة وهو بين أرض بني عامر وبني سليم في نجد، في صفر في السنة الرابعة، حيث استشهد محمد بن المنذر بن عمر ومعه أربعين من المسلمين على يد عامر بن الطفيل ومن ناصره من بني سليم، ولم ينج منهم سوى اثنان كعب بن زيد وعمرو بن أمية الضميري، الذي قتل رجلين من بني عامر أثناء عودته، رغم أن النبي ﷺ كان قد ضمن لهما أمنهما[١].

وكان بنو النضير حلفاء بني عامر، لذلك خرج النبي ﷺ معه عشرة من كبار الصحابة منهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ﷺ إلى مقربة من قباء لدفع دية الرجلين، فحاول بنو النضير قتل النبي ﷺ بأن يلقي عمرو بن جحاش صخرة عليه من على ظهر الجدار وهو جالس. لكن الله تعالى فضح مؤامرتهم وأمر النبي ﷺ بالعودة إلى المدينة. فخرج وكأنه يريد قضاء حاجة له، فلم يفطن له أحد، ثم تبعه أصحابه، ثم

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٥٠٢)، والطبقات الكبرى (٢/ ٥٤)، ومجمع الزوائد (١٢٥/٦)، وفتح الباري (٧/ ٣٣١).

أنذر النبي ﷺ بني النضير بالجلاء عن حصونهم ومزارعهم خلال عشرة أيام فاستعد اليهود للرحيل، لكن زعيم المنافقين عبد الله بن أُبي بن سلول، وعدهم بالمساعدة بألفين من العرب وحثهم على الصمود لأن إخوتهم من بني قريظة لن يخذلوهم وكذلك حلفاؤهم من غطفان. رفض بنو النضير الإنذار وأخذوا يستعدون للقتال فرمموا حصونهم، وأمدوها بالسلاح، وزودوها بمؤونة طعام تكفي أشهر طويلة.

حاصر النبي ﷺ يهود بني النضير في حصونهم لمدة عشرين يوماً وأخذ يقطع نخيلهم ويحرق بساتينهم، ومنع مساعدة المنافق عبد الله بن أُبي بن سلول وحلفائهم من غطفان بعد أن رفض بنو قريظة نقض العهد معه.

فأيقن بنو النضير من سوء العاقبة، وتملكهم الخوف والرعب، وطلبوا منهم حقن دمائهم مقابل الاستسلام والجلاء، فأجابهم إلى طلبهم شرط أن يخرج كل ثلاثة منهم في بعير يحملون عليه ما شاءوا من دون السلاح، فخرجوا في ستمائة بعير فنزل بعضهم في خيبر بزعامة حيي بن أخطب وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع، ورحل البعض الآخر إلى أذرعات عند حدود بلاد الشام. وفي أمر بني النضير يقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ۝٢﴾ [الحشر].

لقد خربوا بيوتهم بأيديهم، وذلك يتعلق بعقيدتهم فكل يهودي يعلق على نجاف داره صحيفة فيها وصية موسى لبني إسرائيل[١]، لذلك حملوها معهم عند جلائهم، وقيل: أن ما حملوه معهم هو أخشاب بيوتهم وهي غالية الثمن في ذلك الوقت. وظن بنو النضير أن هذا الجلاء هو انتصار لهم، فخرجوا يرقصون في ابتهاج وسرور، وقد تزينت نساؤهم ويحملون الدفوف

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٨٥)، البداية والنهاية (٤/ ٧٥).

والمزامير[١]. ولم يعلموا ما ينتظرهم من الهلكة، وقد غنم المسلمون من يهود بني النضير سلاحاً كثيراً، عدا الأراضي والبساتين التي قسمت على المهاجرين. وقيل: أن رجلين فقط من بني النضير أسلما فلم تمس أموالهما وهما: يامين بن عمير وأبو سعد بن وهب[٢].

❏ بنو قريظة:

أولاً: الآثــــار

۞ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [البقرة].

(٥٦٦) ١١١٣ ـ حدثنا القاسم، قال: حدثني الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد في قوله، ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ قال: قام النبي ﷺ يوم قريظة تحت حصونهم، فقال: **«يا إخوان القردة ويا إخوان الخنازير ويا عبدة الطاغوت»** فقالوا: من أخبر هذا محمداً؟ ما خرج هذا إلا منكم ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بما حكم الله للفتح ليكون لهم حجة عليكم؛ قال ابن جريج، عن مجاهد: هذا حين أرسل إليهم علياً فآذوا محمداً ﷺ[٣].

۞ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

(٥٦٧) ٩٤٨٣ ـ حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج،

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٨٥).
(٢) البداية والنهاية (٤/ ٧٦)، فتح الباري (٧/ ٣٣١)، الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٤٠٦).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٧١)، تفسير الدر المنثور (١/ ١٩٩)، تفسير ابن كثير (١/ ١١٧)، صححه في التفسير الصحيح (٣/ ١٢٢).

عن ابن جريج، عن عكرمة، قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ قال: بعث رسول الله ﷺ أبا لبابة بن عبد المنذر من الأوس، وهو من بني عمرو بن عوف، فبعثه إلى قريظة حين نقضت العهد، فلما أطاعوا له بالنزول أشار إلى حلقه: الذبح الذبح[1].

✿ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ۝٥٦﴾ [الأنفال].

(٥٦٨) ١٢٥٨٧ ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ﴾ قال: قريظة مالئوا على محمد يوم الخندق أعداءه[2].

✿ قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۝١٠٢﴾ [التوبة].

(٥٦٩) ١٣٣٢٩ ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ﴾ قال أبو لبابة إذ قال لقريظة ما قال، أشار إلى حلقه: إن محمداً ذابحكم إن نزلتم على حكم الله[3].

✿ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩﴾ [الأحزاب].

(٥٧٠) ٢١٦٢٠ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق،

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٢٧٦)، الدر المنثور (٤/ ٤٩)، بلفظ قريب تفسير ابن كثير (٢/٦٩). والتمهيد لابن عبد البر (٢٠/ ٨٥).

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٢٥)، تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٧١٩)، تفسير الدر المنثور (٤/ ٨١).

(٣) تفسير الطبري (١١/ ١٢)، تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٧٢)، تفسير الدر المنثور (٤/ ٤٩)، تفسير القرطبي (١٤/ ١٤٠)، تفسير ابن كثير (٢/ ٣٨٦).

قال: ثني يزيد بن رومان، في قول الله: ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة، وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح: الملائكة[١].

❁ قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾ [الأحزاب].

(٥٧١) **٢١٦٢٤** ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني يزيد بن رومان، قوله: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ فالذين جاؤوهم من فوقهم: قريظة، والذين جاؤوهم من أسفل منهم: قريش وغطفان[٢].

(٥٧٢) **٢١٦٩١** ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: فحدثني محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمٰن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن علقمة بن وقاص الليثي، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة**»، ثم استنزلوا، فحبسهم رسول الله ﷺ في دار ابنة الحارث امرأة من بني النجار. ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة، التي هي سوقها اليوم، فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، يخرج بهم إليه أرسالاً، وفيهم عدو الله حيي بن أخطب، وكعب بن أسد رأس القوم، وهم ست مئة أو سبع مئة، والمكثر منهم يقول: كانوا من الثمان مئة إلى التسع مئة، وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً: يا كعب، ما ترى ما يصنع بنا؟ فقال كعب: أفي كل موطن لا تعقلون؟ ألا ترون الداعي لا ينزع، وإنه من يذهب به منكم فما يرجع، هو والله القتل؛ فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٢٨)، تفسير الدر المنثور (٦/ ٥٧٣)، تفسير ابن كثير (٣/ ٤٧١)، إسناده ضعيف.

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١٣١)، تفسير الدر المنثور (٦/ ٥٧٥)، تفسير القرطبي (١٤/ ١٢٩)، فتح الباري (٧/ ٤٠٠)، إسناده ضعيف.

منهم رسول الله ﷺ، وأتي بحيي بن أخطب عدو الله، وعليه حلة له فقاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الأنملة أنملة أنملة، لئلا يسلبها؛ مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكنه من يخذل الله يخذل؛ ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب الله وقدره، وملحمة قد كتبت على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه؛ فقال جبل بن جوال الثعلبي:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذل
لجهد حتى أبلغ النفس عذرها وقلقل يبغي العز كل مقلقل(١)

ثانياً: الدراسة

❐ بنو قريظة:

دخل رسول الله ﷺ المدينة صباح اليوم الذي فرغ فيه من غزوة الخندق ولم يكد يضع السلاح حتى أتاه جبريل ؈ في صورة رجل يلبس عمامة يركب بغلة عليها سرج وقال له: أو قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: «**نعم**»، قال جبريل: ما وضعت الملائكة السلاح بعد، ما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة، وأنا عامد إلى بني قريظة، فأمر رسول الله ﷺ منادياً، فأذن في الناس: إن من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة. وقدم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ؓ برايته إلى بني قريظة وابتدرها الناس، فسار علي بن أبي طالب ؓ حتى إذا دنا من الحصون، سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ منهم فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخباث، قال: «**لم؟ أظنك سمعت لي منهم أذى**»، قال: نعم يا رسول الله. قال: «**لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً**». فلما دنا

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٥٣)، إسناده ضعيف.

رسول الله ﷺ من حصونهم قال: «**يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته**»(١). قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً، ومر رسول الله ﷺ على أصحابه بالصورين قبل أن يصل إلى بني قريظة، فقال: «**هل مر بكم أحد؟**» فقالوا: يا رسول الله، قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج، فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك جبرائيل بعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب في قلوبهم**»؛ فلما أتى رسول الله ﷺ قريظة؛ نزل على بئر من آبارها في ناحية من أموالهم يقال لها: بئر أنا، فتلاحق به الناس، فأتاه رجال من بعد العشاء الآخرة، ولم يصلوا العصر لقول رسول الله ﷺ: «**لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة**»، فصلوا العصر فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عنفهم به رسوله ﷺ. قال: وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وقد كان حيي بن أخطب دخل على بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه؛ فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود، إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً، فخذوا أيها، قالوا: وما هن؟ قال: نبايع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين لكم إنه لنبي مرسل، وإنه الذي كنتم تجدونه في كتابكم، فتأمنوا على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره؛ قال: فإذا أبيتم هذه علي، فهلمّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين بالسيوف، ولم نترك وراءنا ثقلاً يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئاً نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لنتخذن النساء والأبناء، قالوا: نقتل هؤلاء المساكين، فما خير العيش بعدهم؛ قال: فإذا أبيتم هذه علي، فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا،

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٧١)، الدر المنثور (١/ ١٩٩).

فانزلوا لعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة. قالوا: نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا؟ أما من قد علمت فأصابهم من المسخ ما لم يخف عليك؟ قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً، قال: ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ: أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف، وكانوا من حلفاء الأوس، نستشيره في أمرنا، فأرسله رسول الله ﷺ؛ فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرقّ لهم وقالوا له: يا أبا لبابة، أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، إنه الذبح، قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه، ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده وقال: لا أبرح مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت، وعاهد الله لا يطأ بني قريظة أبداً ولا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً. فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره، وكان قد استبطأه، قال: «**أما إنه لو كان جاءني لاستغفرت له. أما إذ فعل ما فعل، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه**».

ثم إن ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد، وهم نفر من بني هذيل ليسوا من بني قريظة، ولا النضير، نسبهم فوق ذلك، هم بنو عم القوم، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله ﷺ، وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي، فمر بحرس رسول الله ﷺ، وعليه محمد بن مسلمة الأنصاري تلك الليلة؛ فلما رآه قال: من هذا؟ قال: عمرو بن سعدى؛ وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ وقال: لا أغدر بمحمد أبداً، فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللَّهُمَّ لا تحرمني إقالة عثرات الكرام، ثم خلى سبيله؛ فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة، ثم ذهب، فلا يدرى أين ذهب من أرض الله إلى يومه هذا؛ فذكر لرسول الله ﷺ شأنه، فقال: «**ذاك رجل نجاه الله بوفائه**». قال: وبعض الناس كان يزعم أنه كان

أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأصبحت رمته ملقاة، ولا يدرى أين ذهب، فقال رسول الله ﷺ تلك المقالة، فالله أعلم.

فلما أصبحوا، نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فتواثبت الأوس، فقالوا: يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي الخزرج بالأمس ما قد علمت، وقد كان رسول الله ﷺ قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع، وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه، فسأله إياهم عبد الله بن أُبي بن سلول، فوهبهم له؛ فلما كلمته الأوس، قال رسول الله ﷺ: «**ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟**» قالوا: بلى، قال: «**فذاك إلى سعد بن معاذ**»، وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله ﷺ في خيمة امرأة من أسلم يقال لها: رفيدة في مسجده، كانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين. وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق: «**اجعلوه في خيمة رفيدة**(١) **حتى أعوده من قريب**»؛ فلما حكمه رسول الله ﷺ في بني قريظة، أتاه قومه فاحتملوه على حمار، وقد وطئوا له بوسادة من أدم، وكان رجلاً جسيماً، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ، وهم يقولون: يا أبا عمرو أحسن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ ولاك ذلك لتحسن فيهم؛ فلما أكثروا عليه قال: قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل، فنعى إليهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ من كلمته التي سمع منه، فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال: «**قوموا إلى سيدكم**»، فقاموا إليه فقالوا: «يا أبا عمرو إن رسول الله ﷺ ولاك مواليك لتحكم فيهم»، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، إن الحكم فيهم كما حكمت، قال: نعم، قال: وعلى من ههنا في الناحية التي

---

(١) رفيدة: بالفاء مصغرة يقال: هي صاحبة الخيمة التي كانت في المسجد تداوي فيها الجرحى صحابية (بخ) وتسمى كعيبة. انظر: تقريب التهذيب (١/ ٧٤٧).

فيها رسول الله ﷺ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له، فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء[١].

وليس لمعترض أن يعتبر ذلك من الرسول ﷺ حباً لسفك الدماء؛ لأن هذا حكم الله من فوق سبع سماوات أولاً وأخيراً، ثم إن هذا هو ما كان سيفعله اليهود لو قدروا عليه كما نص على ذلك كتابهم الذي يؤمنون به، فقد ورد فيه: «حين تقترب من مدينة لكي تحاربها... و.. لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها. وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك»[٢].

❐ يهود خيبر:

أولاً: الآثـــــار

۞ قوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفتح].

(٥٧٣) ٢٤٤١١ ـ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ عن بيوتهم، وعن عيالهم بالمدينة حين ساروا إلى

---

(١) روايات غزوة بني قريظة كثيرة وساقها الطبري رحمه الله (٦/ ٢٣١) بعدة أسانيد، وقد رواها غيره كما في تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٧٣)، تفسير الدر المنثور (٦/ ٥٩٣)، تفسير القرطبي (٥/ ٣٥)، تفسير ابن كثير (٢/ ٦٩)، صحيح البخاري (٣/ ١١٠٧)، صحيح مسلم (٣/ ١٣٨٨)، سنن البيهقي الكبرى (٦/ ٥٧)، صحيح ابن حبان (١٥/ ٤٩٦)، مصنف عبد الرزاق (٥/ ٣٧١)، مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٣٧٩)، مسند الإمام أحمد (٣/ ٧١)، تاريخ مدينة دمشق (١/ ١٨٢).

(٢) سفر التثنية الإصحاح ٢٠ فقرة من١٠ إلى ١٤ بواسطة العنصرية اليهودية د. أحمد الزغيبي (٢/ ٤٥٩).

الحديبية وإلى خيبر، وكانت خيبر في ذلك الوجه[١].

❁ قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة].

(٥٧٤) ٤٥٣٨ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا معتمر بن سليمان، قال: سمعت داود، عن عامر، بنحو معناه، إلا أنه قال: فكان فصل ما بينهم إجلاء رسول الله ﷺ بني النضير، فلحق بهم من كان يهودياً ولم يسلم منهم، وبقي من أسلم[٢].

❁ قوله تعالى: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران].

(٥٧٥) ٦٦٥٤ - حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ذكر لنا أن أعداء الله اليهود يهود خيبر أتوا نبي الله ﷺ، فزعموا أنهم راضون بالذي جاء به، وأنهم متابعوه وهم متمسكون بضلالتهم، وأرادوا أن يحمدهم نبي الله ﷺ بما لم يفعلوا، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ﴾[٣].

❁ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة].

(٥٧٦) ٩٠١٢ - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج،

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ١٨٧)، تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٢٧)، تفسير الدر المنثور (٥٢٥/٧)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ١٤).

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٢٠٨)، تفسير عبد الرزاق (١/ ١٤٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٨٤٠/٣)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ نزلت في يهود خيبر، أرادوا قتل النبي ﷺ. وقال ابن جريج: قال عبد الله بن كثير: ذهب رسول الله ﷺ إلى يهود يستعينهم في دية، فهموا أن يقتلوه[1].

۞ قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب].

(٥٧٧) ٢١٧٠١ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني يزيد بن رومان ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ قال: خيبر[2].

۞ قوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفتح].

(٥٧٨) ٢٤٤٠٩ ـ حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ وهي خيبر[3].

❑ يهود فدك وتيماء ووادي القرى وأذرح:

۞ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [المائدة: ٤١].

(٥٧٩) ٩٣٢١ ـ حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن الزبير، عن ابن عيينة، قال: ثنا زكريا ومجالد، عن الشعبي، عن جابر في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ قال: يهود

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ١٤١)، تفسير الدر المنثور (٣/ ٣٥).
(٢) تفسير الطبري (٢١/ ١٥٥)، إسناده ضعيف.
(٣) تفسير الطبري (٢٦/ ٨٩)، تفسير الدر المنثور (٧/ ٥٢٥)، تفسير ابن كثير (٤/ ١٩٢)، سنن البيهقي الكبرى (٦/ ٣٣٤)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

المدينة؛ ﴿لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ قال: يهود فدك يقولون ليهود المدينة: إن أوتيتم هذا فخذوه[1].

۞ قوله تعالى: ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: ٦].

(٥٨٠) **٢٦٢٢٥** ـ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، في قوله: ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ قال: صالح النبي ﷺ أهل فدك وقرى قد سماها لا أحفظها، وهو محاصر قوماً آخرين، فأرسلوا إليه بالصلح، قال: ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ يقول: بغير قتال. قال الزهري: فكانت بنو النضير للنبي ﷺ خالصة لم يفتحوها عنوة، بل على صلح، فقسمها النبي ﷺ بين المهاجرين لم يعط الأنصار منها شيئاً، إلا رجلين كانت بهما حاجة[2].

۞ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ [الحشر].

(٥٨١) **٢٦٢٢٨** ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قوله: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ قال: أمر الله ﷻ نبيه بالسير إلى قريظة والنضير وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولا ركاب فجعل ما أصاب رسول الله ﷺ يحكم فيه ما أراد، ولم يكن يومئذ خيل ولا ركاب يوجف بها. قال: والإيجاف: أن يوضعوا السير وهي لرسول الله ﷺ، فكان من ذلك خيبر وفدك وقرى عربية، وأمر الله رسوله أن يعد لينبع، فأتاها رسول الله ﷺ،

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٢٣٥)، تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٣١)، تفسير الدر المنثور (٧٨/٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٨/ ٣٥)، تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٨٣)، تفسير الدر المنثور (٩٩/٨)، سنن البيهقي الكبرى (٦/ ٢٩٦)، سنن أبي داود (٣/ ١٤٣).

فاحتواها كلها، فقال ناس: هلا قسمها، فأنزل الله ﷻ عذره، فقال: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧] ثم قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟...﴾ الآية[١].

(٥٨٢) ١٦٤ ـ وحدثنا حميد بن مسعدة الشامي، قال: حدثنا بشر بن المفضل، قال: حدثنا الجريري عن عبد الله بن شقيق: أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر وادي القرى فقال: من هؤلاء الذين تحاصر يا رسول الله؟ قال: **«هؤلاء المغضوب عليهم: اليهود»**[٢].

(٥٨٣) ١٣٥٣٨ ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب قال: غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك وهو يريد الروم ونصارى العرب بالشام، حتى إذا بلغ تبوك أقام بها بضع عشرة ليلة ولقيه بها وفد أذرح ووفد أيلة، صالحهم رسول الله ﷺ على الجزية. (باختصار)[٣].

ثانياً: الدراسة

□ خيبر:

عندما ذهبت طائفة من يهود بني النضير إلى خيبر لم يطل بها المقام في سكون ودعة، بل أخذت تعد العدة وتجهز لفصل آخر من فصول الإيذاء للإسلام والمسلمين، وهذا هو دأب اليهود لا ينتهون من مؤامرة حتى يبدأوا في حياكة أخرى، فكان من أسباب تحزب الأحزاب يوم الخندق، أن نفراً من اليهود، منهم: سلام بن أبي الحقيق النضري، وحيي بن أخطب النضري،

---

(١) تفسير الطبري (٢٨/ ٣٦)، تفسير الدر المنثور (٨/ ٩٩)، إسناده ضعيف.
وصحيح البخاري (٤/ ١٨٥٢)، بنحوه سنن البيهقي الكبرى (٧/ ٥٨)، السنن الكبرى (٦/ ٤٨٤).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٨٠).

(٣) تفسير الطبري (١١/ ٥٨)، سنن البيهقي (٩/ ١٨٥)، صححه في التفسير الصحيح (٣٥٢/٢).

وكنانة بن أبي الحقيق النضري، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي، في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قدموا على قريش مكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه، حتى نستأصله، وكان يهود خيبر يسكنون على مسافة ليست بالبعيدة من المدينة إلى جهة الشام وكان أهلها ينعمون برواج مادي مكنهم من بناء بيوت حصينة لسكناهم، وأحاطوها بحصون بحسب تجمعاتهم، وفي السنة السابعة للهجرة بدؤوا يعدون العدَّة لقتال الرسول ﷺ واتصلوا بغطفان لنصرتهم.

وحال صلح الحديبية بينهم وبين قريش من الاشتراك في حرب محمد ﷺ، وقد كان لهجرة بني قينقاع إليهم وبعض بني النضير أثره في إيقاد نار الحقد على الرسول ﷺ محاولين القضاء عليه.

وعندما تيقن الرسول ﷺ بما كان من أمرهم خرج إليهم في نفس السنة في ألف وستمائة من الصحابة ﵃. وقد فاجأهم وصوله، فضلاً عن إرسال بعض الصحابة إلى غطفان ليشغلوهم عن التوجه إلى خيبر، حتى كتب الله له الغلبة على اليهود بعد قتال مرير، وقد انتهت المعركة بنصر الله لنبيه ﷺ على يهود خيبر.

ثم استبقى الرسول ﷺ اليهود بأرض خيبر للمزارعة على أن يعطوا نصف الثمر للمسلمين. ليسوا شركاء ولكن عمالاً يطردهم متى شاء، فقال لهم ﷺ: **«إنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم»**[1].

فعن ابن عمر ﵄ أنه ﷺ: «قاتل أهل خيبر فغلب على النخل والأرض وألجأهم إلى قصرهم فصالحوه على أن لرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء والحلقة ولهم ما حملت ركابهم، على أن لا يكتموا ولا يغيبوا شيئاً، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد فغيبوا مسكاً لحيي بن أخطب وقد كان قتل قبل خيبر كان احتمله معه يوم بني النضير حين أجليت النضير فيه حليهم، قال:

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٣٤٢ ـ ٣٤٦)، وسنن البيهقي الكبرى (٦/ ١١٤).

فقال النبي ﷺ لسعية: «**أين مسك حيي بن أخطب**»، قال: أذهبته الحروب والنفقات، فوجدوا المسك فقتل ابن الحقيق وسبي نساءهم وذراريهم وأراد أن يجليهم، فقالوا: يا محمد دعنا نعمل في هذه الأرض ولنا الشطر ما بدا لك ولكم الشطر، وكان رسول الله ﷺ يعطي كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً من تمر وعشرين وسقاً من شعير(١)، وكان من نتائج هذه الغزوة توقيع معاهدات صلح مع الرسول ﷺ وبين بقية اليهود مع دفع الجزية وذلك على النحو التالي:

أ ـ يهود فدك: ما أن علموا بنصر الله لنبيه على يهود خيبر حتى أرسلوا رسلهم يطلبون المصالحة على النصف من فدك، فقبل الرسول ﷺ ذلك منهم بنفس شروط خيبر.

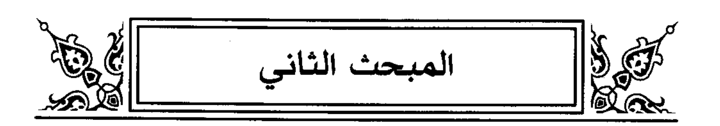
ب ـ وادي القرى: (موضع قرب المدينة يسكنه اليهود) حاصرهم الرسول ﷺ وهو في طريقه إلى المدينة أربعة أيام وقتل منهم أحد عشر رجلاً وفتح ديارهم بالقوة ثم قسمهم الرسول ﷺ كغنائم على أصحابه واستبقاهم لزراعة الأرض وعاملهم عليها.

جـ ـ يهود تيماء: وأذرح: صالحوا الرسول ﷺ على الجزية بعد علمهم بهزيمة يهود وادي القرى(٢).

---

(١) سنن أبي داود (٣/ ١٥٧).

(٢) ومثال على ما كان يصالحهم رسول الله ﷺ عليه «هذا كتابه إلى أهل أذرح وفيه بسم الله الرحمٰن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي لأهل أذرح أنهم آمنون بأمان الله ومحمد وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان للمسلمين ومن لجأ إليهم من المسلمين من المخافة والتعزيز إذا خشوا على المسلمين وهم آمنون حتى يحدث إليهم محمد قبل خروجه» للتفصيل في معارك الرسول ﷺ مع طوائف اليهود. انظر: الطبقات الكبرى (١/ ٢٩٠)، سنن أبي داود (٣/ ١٤٣)، سنن البيهقي الكبرى (٦/ ٣١٧)، تاريخ مدينة دمشق (٢/ ٣٢)، وابن هشام (٣/ ٣٦٨)، فتح الباري (٦/ ٢٠٣).



المبحث الثاني

الآثار الواردة في موقف اليهود من المسلمين

❖ المطلب الأول ❖

إثارة الفتنة بينهم

أولاً: الآثـــار

۞ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [آل عمران].

(٥٨٤) ٥٩٤٥ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني الثقة، عن زيد بن أسلم، قال: مر شاس بن قيس، وكان شيخاً قد عسا في الجاهلية، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم، على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ـ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه. فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار فأمر فتى شاباً من اليهود وكان معه، فقال: اعمد إليهم، فاجلس معهم وذكِّرهم يوم بعاث وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار. وكان يوم بعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج. ففعل، فتكلم القوم عند ذلك، فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن

الحرث من الأوس وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم والله رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان، وقالوا: قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة - والظاهرة: الحرة - فخرجوا إليها وتحاور الناس، فانضمت الأوس بعضها إلى بعض، والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم، فقال: «**يا معشر المسلمين الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً**» فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكوا، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً. ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس وما صنع، فأنزل الله في شاس بن قيس وما صنع: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ الآية [آل عمران]. . . وأنزل الله ﷻ في أوس بن قيظي وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا مما أدخل عليهم شاس بن قيس من أمر الجاهلية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥][(١)].

(٥٨٥) **٥٩٥٠** - حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ قال: نزلت في ثعلبة بن عنمة الأنصاري، كان بينه وبين أناس من الأنصار كلام، فمشى بينهم يهودي من قينقاع، فحمل بعضهم على بعض حتى همَّت الطائفتان من الأوس والخزرج أن يحملوا

---

(١) تفسير الطبري (٤/٢٣)، تفسير الدر المنثور (٢/٢٧٨)، إسناده ضعيف.

السلاح فيقاتلوا، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ يقول: إن حملتم السلاح فاقتتلتم كفرتم(١).

(٥٨٦) ٥٩٥١ ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا جعفر بن سليمان، عن حميد الأعرج عن مجاهد في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قال: كان جماع قبائل الأنصار بطنين الأوس والخزرج، وكان بينهما في الجاهلية حرب. ودماء وشنآن، حتى منَّ الله عليهم بالإسلام وبالنبي ﷺ، فأطفأ الله الحرب التي كانت بينهم، وألَّف بينهم بالإسلام، قال: فبينا رجل من الأوس ورجل من الخزرج قاعدان يتحدثان، ومعهما يهودي جالس، فلم يزل يذكرهما أيامهما والعداوة التي كانت بينهم، حتى استبا، ثم اقتتلا. قال: فنادى هذا قومه، وهذا قومه، فخرجوا بالسلاح، وصفَّ بعضهم لبعض. قال: ورسول الله ﷺ شاهد يومئذ بالمدينة، فجاء رسول الله ﷺ، فلم يزل يمشي بينهم إلى هؤلاء وإلى هؤلاء ليسكنهم، حتى رجعوا ووضعوا السلاح، فأنزل الله ﷻ القرآن في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٥](٢).

❖ المطب الثاني ❖

تشكيك المسلمين

✿ **قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [آل عمران: ٩٩].**

(٥٨٧) ٥٩٤٦ ـ حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل،

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢٤)، تفسير القرطبي (٥/ ٢٥٠)، حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٢٨١).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ٢٥)، تفسير عبد الرزاق (١/ ١٢٨)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧١٩).

قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾ كانوا إذا سألهم أحد: هل تجدون محمداً؟ قالوا: لا! فصدوا عنه الناس، وبغوا محمداً عوجاً: هلاكاً(١).

(٥٨٨) **٧٥٣٣** ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان كردم بن زيد حليف كعب بن الأشرف، وأسامة بن حبيب، ونافع بن أبي نافع، وبحري بن عمرو، وحيي بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن التابوت، يأتون رجالاً من الأنصار، وكانوا يخالطونهم، يتنصَّحون لهم من أصحاب رسول الله ﷺ، فيقولون لهم: لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في النفقة فإنكم لا تدرون ما يكون، فأنزل الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾ [النساء: ٣٧] أي: من النبوة التي فيها تصديق ما جاء به محمد ﷺ، ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا...﴾ [النساء: ٣٧] إلى قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمٗا﴾(٢).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [آل عمران].

(٥٨٩) **٥٧١٦** ـ حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ كان أحبار قرى عربية اثني عشر حبراً، فقالوا لبعضهم: ادخلوا في دين محمد أول النهار، وقولوا نشهد أن محمداً حق صادق، فإذا كان آخر النهار فاكفروا وقولوا: إنا رجعنا إلى علمائنا وأحبارنا فسألناهم، فحدثونا أن محمداً كاذب، وأنكم لستم على شيء، وقد رجعنا إلى ديننا فهو أعجب إلينا من دينكم، لعلهم يشكون،

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧١٧)، حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٢٨١).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ٨٦)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٥٣٨)، إسناده ضعيف.

يقولون: هؤلاء كانوا معنا أول النهار، فما بالهم؟ فأخبر الله ﷻ رسوله ﷺ بذلك[١].

(٥٩٠) ٥٧١٧ ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله ﷻ: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ يهود تقوله صلت مع محمد صلاة الصبح، وكفروا آخر النهار مكراً منهم، ليروا الناس أن قد بدت لهم منه الضلالة بعد أن كانوا اتبعوه[٢].

(٥٩١) ٥٧١٨ ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قوله: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ...﴾ الآية. وذلك أن طائفة من اليهود قالوا: إذا لقيتم أصحاب محمد ﷺ أول النهار فآمنوا، وإذا كان آخره فصلوا صلاتكم لعلهم يقولون: هؤلاء أهل الكتاب، وهم أعلم منا، لعلهم ينقلبون عن دينهم، ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم[٣].

(٥٩٢) ٥٧٢٤ ـ حدثنا محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢]: لعلهم ينقلبون عن دينهم[٤].

ثانياً: الدراسة

دخل الإسلام المدينة، وأصبح المسلمون أكثرية لا يستهان بها، ولم يبق بيت في المدينة لم يدخله نور الإسلام، في المقابل كانت هناك فئات لم

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٨٦)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٥٣٨)، حسنه في التفسير الصحيح (٢/ ٢٨١).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٣١٢)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٧٤).

(٣) تفسير الطبري (٣/ ٣١٢)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٨٠)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٢٤١)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٧٤)، إسناده ضعيف.

(٤) تفسير الطبري (٣/ ٣١٢)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٨٠)، إسناده ضعيف.

تسلم، يشكل اليهود الغالبية العظمى منها، ولما كان هؤلاء اليهود لا يضمرون للإسلام وأهله إلا الكره والبغض، فقد عملوا ما وسعهم الجهد على إيجاد بواعث للشقاق والخلاف بين الفئات المسلمة، وأصبح في المدينة نوعان من المسلمين:

١ - فئة أسلمت عن حق، ودخل الإسلام قلبها، تستهون في سبيله الصعاب والعقبات.

٢ - وفئة أسلمت نفاقاً، كان لليهود دور كبير في إيجادها، وهواها تبع لهوى اليهود، تأتمر بأمرهم، وتنفذ خططهم، كما سيأتي.

أما الفئة التي أسلمت بحق، فقد سعى اليهود في تأليبهم على بعضهم لما رأوا من تماسكهم، وذلك متى ما وجدوا الفرصة مواتية، ولذا تتجلى طبيعة دور اليهود تجاه المسلمين، فقد كان الأوس والخزرج قبل ظهور الإسلام، وقبل أن يمنّ الله عليهم فيسلموا في فرقة وشتات وتناحر، وكان اليهود يغذون هذا الصراع الدائر بين القبيلتين، ويمدونه ما استطاعوا بعوامل إيقاد الحروب، ولما دخل الإسلام المدينة واجتمعت القلوب، وصفت الأنفس، وأصبح الأوس والخزرج تجمعهم كلمة واحدة، ويربطهم رباط الإسلام الذي صاروا بفضل الله ثم بفضله قوة واحدة متماسكة، بعد أن كانوا قبائل متناحرة، فغيظ اليهود لهذا لأنهم كانوا في قرارتهم يتمنون زوال هذا الدين، ويسعون لهدمه، ولما كان من الصعب عليهم مواجهة المسلمين وهم قوة متآلفة مترابطة، فإنه لم يكن أمامهم سوى خلخلة الجبهة الداخلية للمسلمين، وضرب هذه الوحدة وهذا التآلف، لذا سعوا ما وسعهم الجهد في تأليب المسلمين على بعض، والوقيعة بينهم، وتذكيرهم بما كانوا عليه قبل الإسلام، والتحريض على أخذ الثأر ليسهل عليهم اختراق الصفوف المسلمة، وهدم الإسلام من داخله وبأيدي أبنائه، ولكن الله حمى الإسلام والمسلمين من مكائد اليهود، وعاد المسلمون إلى رشدهم بعد أن بيَّن لهم الرسول ﷺ أن هذا من دعوى الجاهلية، كما في قصة شاس المتقدمة في الأثر.

ومثله تشكيك المسلمين في دينهم منخدعين بكون اليهود أهل كتاب،

وقد استغل اليهود ذلك استغلالاً دنيئاً كما مر في الأثر، قال ابن كثير: «هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم، وهو أنهم اشتوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح، فإذا جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم ليقول الجهلة من الناس إنما ردهم إلى دينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين»(١).

وقال القرطبي: «معناه أنهم جاؤوا محمداً ﷺ أول النهار ورجعوا من عنده فقالوا للسفلة: هو حق فاتبعوه، ثم قالوا: حتى ننظر في التوراة، ثم رجعوا في آخر النهار فقالوا: قد نظرنا في التوراة فليس هو به. يقولون إنه ليس بحق، وإنما أرادوا أن يلبسوا على السفلة وأن يشككوا فيه»(٢).

❖ المطلب الثالث ❖

من أسلم منهم

أولاً: الآثـــار

✿ **قوله تعالى:** ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ **[الأحقاف]**.

(٥٩٣) **٢٤١٧١** ـ حدثنا الحسين بن علي الصدائي، قال: ثنا أبو داود الطيالسي، قال: ثنا شعيب بن صفوان، قالا: ثنا عبد الملك بن عمير، أن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام، قال: قال عبد الله: أنزل فيَّ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ...﴾ إلى قوله: ﴿فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾(٣).

(٥٩٤) **٢٤١٧١** ـ محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٧٤). (٢) تفسير القرطبي (٤/ ١١١).

(٣) تفسير الطبري (٢٦/ ١٠)، تفسير الدر المنثور (٧/ ٤٣٨)، تفسير الدر المنثور (٧/٤٣٩)، تفسير القرطبي (٩/ ٣٣٦).

أبي عن أبيه عن ابن عباس ﵄ قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ الآية [فصلت]. . . قال: كان رجل من أهل الكتاب آمن بمحمد ﷺ فقال: إنا نجده في التوراة وكان أفضل رجل منهم وأعلمهم بالكتاب، فخاصمت اليهود النبي ﷺ فقال: **«أترضون أن يحكم بيني وبينكم عبد الله بن سلام، أتؤمنون؟»**، قالوا: نعم فأرسل إلى عبد الله بن سلام فقال: **«أتشهد أني رسول الله مكتوباً في التوراة والإنجيل»**؟ قال: نعم، فأعرضت اليهود، وأسلم عبد الله بن سلام فهو الذي قال الله جل ثناؤه عنه: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يقول: فآمن عبد الله بن سلام[1].

(٥٩٥) ٢٤١٧٤ ـ حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ . . .﴾ الآية، كنا نحدث أنه عبد الله بن سلام آمن بكتاب الله وبرسوله وبالإسلام وكان من أحبار اليهود[2].

(٥٩٦) ٢٤١٧٨ ـ حدثني أبو شرحبيل الحمصي، قال: ثنا أبو المغيرة، قال: ثنا صفوان بن عمرو، عن عبد الرحمٰن بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: انطلق النبي ﷺ وأنا معه، حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم، فكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: **«يا معشر اليهود أروني اثنى عشر رجلاً يشهدون أنه لا إله إلا هو، وأن محمداً رسول الله، يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه»**، قال: فأسكتوا فما أجابه منهم أحد، ثم ثلَّث فلم يجبه أحد، فانصرف وأنا معه، حتى إذا كدنا أن نخرج نادى رجل من خلفنا: كما أنت يا محمد، قال: فأقبل، فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود، قالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله، ولا أفقه منك، ولا

---

(١) تفسير الطبري (٢٦/ ١٠)، تفسير الدر المنثور (٦/ ٤٢٣)، إسناده ضعيف.
(٢) تفسير الطبري (٢٦/ ١٠)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

من أبيك، ولا من جدك قبل أبيك، قال: فإني أشهد بالله أنه النبي ﷺ الذي تجدونه في التوراة والإنجيل، قالوا: كذبت، ثم ردوا عليه قوله وقالوا له شراً، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**كذبتم لن نقبل قولكم، أما آنفاً فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم، وأما إذ آمن كذبتموه وقلتم ما قلتم، فلن نقبل قولكم**».، قال: فخرجنا ونحن ثلاثة: رسول الله ﷺ، وأنا، وعبد الله بن سلام، فأنزل الله فيه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ...﴾ الآية[1].

قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٣].

(٥٩٧) ٦٠٤٤ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن محمد، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما أسلم عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد، ومن أسلم من يهود معهم، فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام ومنحوا فيه، قالت: أحبار يهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا أشرارنا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم، وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله ﷻ في ذلك من قولهم: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[2].

(٥٩٨) ٦٠٤٦ ـ حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حاج، قال: قال ابن جريج: ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سلام أخوه، وسعية ومبشر، وأسيد وأسد ابنا كعب[3].

---

(١) تفسير الطبري (٢٦/ ١١)، تفسير الدر المنثور (٧/ ٤٣٧)، المستدرك على الصحيحين (٣/ ٤٦٩)، صححه في التفسير الصحيح (٤/ ٣٣١).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ٥٢)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٣٧)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٢٩٦)، تفسير القرطبي (٤/ ١٧٥)، إسناده ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٥٣)، تفسير الدر المنثور (٢/ ٢٩٦).

ثانياً: الدراســـة

□ لم يسلم من اليهود إلّا عدد قليل من الرجال والنساء:

أ ـ فمن الرجال:

١ ـ عبد الله بن سلام:

لم تقتصر عداوة اليهود للنبي ﷺ، وللإسلام فقط، بل تعدى ذلك إلى معاداة المسلمين، حتى ولو كان من أحبار اليهود ومن علمائهم، ويبرز هذا في موقفهم من عبد الله بن سلام الذي حدَّث عن إسلامه قائلاً: «لما سمعت برسول الله ﷺ عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكف له، فكنت مُسراً لذلك صامتاً عليه، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة فلما نزل بقباء في بني عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر بقدومه وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمتي خالدة ابنة الحارث تحتي جالسة، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبَّرتُ، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري: خيبك الله، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران عليه السلام قادماً ما زدت، قال: فقلت لها: أي عمة، هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه، بُعث بما بُعث به، قال: فقالت: أي ابن أخي، أهو النبي الذي كنا نُخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قال: فقلت لها: نعم، قال: فقالت: فذاك إذاً، قال: ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ، فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا»[(١)].

ولكن اليهود كعادتهم في خبث الطوية وانقلاب المواقف لم يعجبهم إسلام حبر من أحبارهم، ذو علم كانوا يرجعون إليه وإلى والده، فعن أنس قال: «سمع عبد الله بن سَلام بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهم إلا نبي: فما أول أشراط الساعة، وما أول طعام أهل الجنة، وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه، قال:

---

(١) سيرة ابن هشام (١/٥١٦ ـ ٥١٧)، وفتح الباري (٧/٢٥٢)، الإصابة في تمييز الصحابة (٧/٥٩٨).

«**أخبرني بهن جبريل آنفاً**»، قال: جبريل؟ قال: «**نعم**»، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [البَقَرَة]، أما أول أشراط الساعة: فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة: فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت، قال: أشهد أن لا إلـه إلا الله وأشهد أنك رسول الله، يا رسول الله: إن اليهود قوم بهت وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود فقال النبي ﷺ: «**أي رجل عبد الله فيكم؟**» قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: «**أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟**»، فقالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا، وانتقصوه، قال: فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله»[1].

وتتضح من خلال المقارنة بين موقف اليهود من عبد الله بن سلام قبل أن يسلم وبعد أن أسلم النظرة التي كانوا ينظرون بها إلى الدين وإلى من تبعه من المسلمين، فإسلام عبد الله كان سبباً في عداوتهم له بعد أن كان في نظرهم خيرهم وأعلمهم، فسرعان ما تحول الثناء والمدح إلى انتقاص وذم في لحظات، وهو ما يدل على أن هؤلاء إنما تحكمهم عقيدتهم المتأصلة في نفوسهم لا غير، بغض النظر عن صحتها أو فسادها، حيث لم يترددوا في إطلاق التهم على عبد الله بن سلام بسبب إسلامه، مما يبين موقف اليهود من الإسلام والمسلمين.

٢ ـ ٤ وممن أسلم: ثعلبة وأسيد ابني سعية وأسد بن عبيد:

وكان من قصة سبب إسلام هؤلاء، ما رواه البيهقي بسنده عن شيخ من بني قريظة أنه قال: «هل تدري عما كان إسلام ثعلبة وأسيد ابني سعية وأسد بن عبيد نفر من هدل لم يكونوا من بني قريظة ولا نضير كانوا فوق ذلك؟ فقلت:

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٢١١).

لا. قال: فإنه قدم علينا رجل من الشام من يهود يقال له: (ابن الهيبان) فأقام عندنا، والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس خيراً منه، فقدم علينا قبل مبعث رسول الله ﷺ بسنتين فكنا إذا قحطنا وقلَّ علينا المطر نقول له يا ابن الهيبان اخرج فاستسق لنا، فيقول: لا والله حتى تقدموا أمام مخرجكم صدقة، فنقول: كم نقدم؟ فيقول: صاعاً من تمر، أو مدين من شعير، ثم يخرج إلى ظاهرة حرتنا ونحن معه، فيستسقي، فوالله ما يقوم من مجلسه حتى تمر الشعاب، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثة، فحضرته الوفاة فاجتمعنا إليه فقال: يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ فقلنا: أنت أعلم، فقال: إنه إنما أخرجني أتوقع خروج نبي قد أظل زمانه هذه البلاد مهاجره، فأتبعه، فلا تُسبقن إليه إذا خرج، يا معشر يهود فإنه يسفك الدماء ويسبي الذراري والنساء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه، ثم مات فلما كانت تلك الليلة التي افتتحت فيها قريظة قال أولئك الفتية الثلاثة ـ وكانوا شباباً أحداثاً ـ: يا معشر يهود هذا الذي كان ذكر لكم ابن الهيبان، قالوا: ما هو قالوا: بلى والله إنه لهو، يا معشر اليهود إنه والله لهو بصفته، ثم نزلوا فأسلموا وخلوا أموالهم وأولادهم وأهاليهم، قال: وكانت أموالهم في الحصن مع المشركين فلما فتح رد ذلك عليهم»(١).

٥ ـ ومنهم: زيد بن سعية:

روى ابن حبان بسنده إلى عبد الله بن سلام رضي الله عنه قصة إسلامه فقال: «إن الله تبارك وتعالى لما أراد هدى زيد بن سعية قال زيد: إنه لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، فلبثت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله، فخرج يوماً من الحجرات ومعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأتاه رجل على راحلته كالبدوي

---

(١) سنن البيهقي الكبرى (٩/ ١١٤)، والطبقات الكبرى (١/ ١٦٠)، والإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٥٢).

فقال: يا رسول الله أهل قرية بني فلان أسلموا ودخلوا في الإسلام وكنت أخبرهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغداً وقد أصابتهم سنة وقحوط من الغيث وأنا أخشى يا رسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعاً فإن رأيت أن ترسل إليهم ما يعينهم فعلت، فنظر رسول الله ﷺ إلى رجل عن جانبه أراه عمر رضي الله عنه فقال: ما بقي منه شيء يا رسول الله، قال زيد بن سعية: فدنوت إليه فقلت له: يا محمد هل لك أن تبيعني تمراً معلوماً من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا، قال: **«لا يا يهودي ولكن أبيعك تمراً معلوماً إلى أجل كذا وكذا ولا أسمي حائط بني فلان»**، قلت: نعم، فبايعني ﷺ فأطلقت همياني فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا، فأعطاها الرجل وقال: **«اعجل عليهم وأغثهم»**، قال زيد بن سعية: فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم في نفر من أصحابه، فلما صلى على الجنازة دنا من جدار فجلس إليه، فأخذت بمجامع قميصه ونظرت إليه بوجه غليظ، ثم قلت: ألا تقضيني يا محمد حقي فوالله ما علمتكم يا بني عبد المطلب مطل، ولقد كان لي لمخالطتكم علم، قال: ونظرت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني بنظره وقال: أي عدو الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع وتفعل به ما أرى، فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي هذا عنقك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة، ثم قال: **«إنا كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التباعة، اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعاً من غيره مكان ما رعته»**، فذهب بي عمر رضي الله عنه فقضاني حقي وزادني عشرين صاعاً من تمر، فقلت له: ما هذه الزيادة، قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدكها مكان ما رعتك، قلت: أتعرفني يا عمر؟ قال: لا من أنت؟ قلت: زيد بن سعية قال: الحبر؟ قلت: نعم الحبر. قال: فما دعاك إلى أن تقول لرسول الله ﷺ ما قلت وتفعل به ما فعلت، قلت: يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه:

يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، فقد خبرتهما فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً، وأشهدك أن شطر مالي وإني لأكثرها مالاً صدقة على أمة محمد ﷺ، فقال عمر رضي الله عنه: أو على بعضهم فإنك لا تسعهم كلهم! فقلت: أو على بعضهم، فرجع عمر رضي الله عنه وزيد إلى رسول الله ﷺ، فقال زيد: أشهد أن لا إلـه إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وآمن به»[1].

٦ ـ ومنهم: مخيريق:

كان يهودياً من بقايا بني قينقاع من بني ثعلبة، نازلاً في بني النضير فشهد أُحد وقال لقومه: «يا معشر يهود والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق، قالوا: إن اليوم يوم السبت، فقال: لا سبت، فأخذ سيفه وعدته وقال: إن أصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ فقاتل معه حتى قُتل»، فقال النبي ﷺ: «**مخيريق سابق يهود**». وأوصى مخيريق بأمواله للنبي ﷺ فهي عامة صدقة رسول الله ﷺ، قال: وكانت أموال مخيريق في بني النضير[2].

٧ ـ ومنهم: سعيد بن عامر:

ذُكر أنه أحد من أسلم من اليهود ونزل فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١][3].

---

(١) صحيح ابن حبان (١/ ٥١٧)، قال ابن حجر: حديث حسن مشهور، تهذيب التهذيب (٣/ ٣١)، المستدرك على الصحيحين (٢/ ٣٧)، والإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٦٠٦).

(٢) تاريخ الطبري (٢/)، البداية والنهاية (٤/ ٣٦)، فتح الباري (٦/ ٢٠٣)، وورد عند ابن سعد ما يشعر بعدم إسلامه فقال: وجد مخيريق مقتولاً به جراح، فدفن ناحية من مقابر المسلمين ولم يصل عليه ولم يسمع رسول الله ﷺ يومئذ ولا بعده يترحم عليه ولم يزده على أن قال: مخيريق خير يهود. الطبقات الكبرى (١/ ٥٠٢)، وأن ابن حجر ترجم له في الصحابة وهو المشهور. الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٥٧)، وهو ما رجحه النووي شرح صحيح مسلم (١٢/ ٨٢).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ١١١).

٨ ـ ومنهم: عبد الرحمٰن بن سماك:

ذكره خليفة فيمن أسلم من اليهود فروى عن النبي ﷺ[(١)].

ب ـ ومن النساء:

١ ـ أم المؤمنين صفية ﵂: وهي من بني قريظة.

لما فتح رسول الله ﷺ الغموص حصن ابن أبي الحقيق أتي بصفية بنت حيي ﵂ ومعها ابنة عم لها، جاء بهما بلال فمر بهما على قتلى يهود، فلما رأتهم المرأة التي مع صفية صكت وجهها وصاحت وحثت التراب على وجهها، فقال رسول الله ﷺ: «**اعزبوا هذه الشيطانة عني**». وأمر بصفية فجعلت خلفه وغطى عليها ثوبه، فعرف الناس أنه اصطفاها لنفسه، وقال لبلال: «**أنزعت الرحمة من قلبك حين تمر بالمرأتين على قتلاهما!**» وفي رواية: فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير لا تصلح إلا لك»، قال: «**ادعوه بها**»، فجاء بها، فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: «**خذ جارية من السبي غيرها**»، قال: فأعتقها النبي ﷺ وتزوجها، فقال له ثابت: يا أبا حمزة ما أصدقها؟ قال: نفسها أعتقها وتزوجها، حتى إذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم فأهدتها له من الليل، فأصبح النبي ﷺ عروساً»[(٢)].

وفي رواية: «لما قدمت صفية من خيبر أنزلت في بيت لحارثة بن النعمان فسمع نساء الأنصار فجئن ينظرن إلى جمالها، وجاءت عائشة ﵂ متنقبة فلما خرجت خرج النبي ﷺ على أثرها فقال: «**كيف رأيت يا عائشة؟**» قالت: رأيت يهودية، فقال: «**لا تقولي ذلك، فإنها أسلمت وحسن إسلامها**».

وكانت صفية ﵂ رأت قبل ذلك أن القمر وقع في حجرها، فذكرت ذلك لأمها فلطمت وجهها وقالت: إنك لتمدين عنقك إلى أن تكوني عند ملك

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٣١٠).

(٢) صحيح البخاري (١/ ١٤٥).

العرب، فلم يزل الأثر في وجهها حتى أتى بها رسول الله ﷺ فسألها عنه فأخبرته[١].

وفضائلها كثيرة منها: ما رواه ابن سعد بسند حسن عن زيد بن أسلم قال: اجتمع نساء النبي ﷺ في مرضه الذي توفي فيه، واجتمع إليه نساؤه، فقالت صفية بنت حيي رضي الله عنها: «إني والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي، فغمزن أزواجه ببصرهن». فقال ﷺ: **«مضمضن»**. فقلن: من أي شيء؟ فقال: **«من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة»**. وتوفيت صفية رضي الله عنها سنة اثنتين وخمسين (٥٢هـ) في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وقبرت بالبقيع[٢].

٢ ـ وممن أسلم: ريحانة بنت شمعون بن زيد:

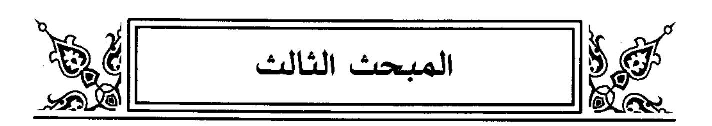
من بني النضير وكانت متزوجة رجلاً من بني قريظة يقال له: الحكم ثم إن رسول الله ﷺ سباها، فأبت إلا اليهودية، فوجد رسول الله ﷺ في نفسه، فبينما هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه، فقال: هذا ثعلبة بن سعية يبشرني بإسلام ريحانة، فبشره وعرض عليها أن يعتقها ويتزوجها ويضرب عليها الحجاب، فقالت: يا رسول الله، بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وعليك فتركها[٣].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٧٣٩ ـ ٧٤٠).

(٢) الطبقات الكبرى (٢/ ٣١٣)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٣٥)، الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٧٤١).

(٣) تاريخ مدينة دمشق (٣/ ٢٣٩)، البداية والنهاية (٤/ ١٢٦)، الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٦٥٨)، الطبقات الكبرى (٨/ ١٣١)، وقال ابن حجر: أعتقها فلحقت بأهلها واحتجبت وهي عند أهلها وهذه فائدة جليلة، الإصابة (٧/ ٦٥٩).



المبحث الثالث

الآثار الواردة في علاقة اليهود بالمنافقين

أولاً: الآثـــار

❁ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المجادلة].

(٥٩٩) ٢٦١٧٨ ـ حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ إلى آخر الآية، قال: هم المنافقون تولوا اليهود وناصحوهم[1].

(٦٠٠) ٢٦١٧٩ ـ حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ قال: هؤلاء كفرة أهل الكتاب اليهود والذين تولوهم المنافقون تولوا اليهود وقرأ قول الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحشر: ١١] حتى بلغ: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الحشر: ١١]، لئن كان ذلك لا يفعلون، وقال: هؤلاء المنافقون قالوا: لا ندع حلفاءنا وموالينا يكونوا معاً لنصرتنا وعزنا، ومن يدفع عنا نخشى أن تصيبنا دائرة، فقال الله ﷻ: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢] حتى بلغ: ﴿فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: ١٣]

---

(١) تفسير الطبري (٢٨/ ٢٣)، تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٨٠)، تفسير الدر المنثور (٨/ ٨٥)، حسنه في التفسير الصحيح (١/ ٢٢٣).

وقرأ حتى بلغ: ﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤] قال: لا يبرزون(١).

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢].

(٦٠١) ٢٦١٩٥ ـ حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق عن يزيد بن رومان أن رهطاً من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أُبي بن سلول ووديعة ومالك ابنا نوفل وسويد وداعس بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنَّعوا فإنا لن نسلمكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن خرجتم خرجنا معكم، فتربصوا لذلك من نصرهم فلم يفعلوا، وكانوا قد تحصنوا في الحصون من رسول الله ﷺ حين نزل بهم(٢).

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ [الحشر: ١١].

(٦٠٢) ٢٦٢٥٧ ـ حدثني به محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ قال: عبد الله بن أُبي بن سلول ورفاعة أو رافعة بن تابوت. وقال الحارث: رفاعة بن تابوت ولم يشك فيه، وعبد الله بن نبتل وأوس بن قيظي(٣).

(٦٠٣) ٢٦٢٥٨ ـ حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ يعني: عبد الله بن أُبي بن سلول وأصحابه

---

(١) تفسير الطبري (٢٨/ ٢٣)، صححه في التفسير الصحيح (٢/ ٣٥٢).

(٢) تفسير الطبري (٢٨/ ٢٩)، تفسير القرطبي (١٨/ ٧)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٢)، الطبقات الكبرى (٢/ ٢٩)، إسناده ضعيف.

(٣) تفسير الطبري (٢٨/ ٤٦)، تفسير الدر المنثور (٨/ ١١٥)، تفسير القرطبي (١٨/ ٣٤).

ومن كان منهم على مثل أمرهم[١].

قوله: ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الحشر: ١١].

(٦٠٤) ٢٦٢٥٩ ـ حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: بني النضير[٢].

قوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

(٦٠٥) ٢٦٢٦١ ـ حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ قال: المنافقون يخالف دينهم دين النضير[٣].

(٦٠٦) ٢٦٢٦٢ ـ حدثنا ابن حميد قال: ثنا مهران عن سفيان عن ليث عن مجاهد ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾] قال: هم المنافقون وأهل الكتاب[٤].

(٦٠٧) ١٣٠٤٦ ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الزهري، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم، كل قد حدث في غزوة تبوك ما بلغه عنها، وبعض القوم يحدث ما لم يحدث بعض، وكل قد اجتمع حديثه في هذا الحديث: أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر وجدب من البلاد، وحين طاب الثمار وأحبت الظلال، والناس يحبون

---

(١) تفسير الطبري (٢٨/ ٤٦)، تفسير الدر المنثور (٨/ ١١٥)، إسناده ضعيف.
(٢) تفسير الطبري (٣/ ١٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٧)، إسناده ضعيف.
(٣) تفسير الطبري (٢٨/ ٤٨)، تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٧)، تفسير الدر المنثور (٨/ ١١٥).
(٤) تفسير الطبري (٢٨/ ٤٨)، إسناده ضعيف.

المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هم عليه. وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها وأخبر أنه يريد غير الذي يصمد له، إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بيَّنها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي صمد له ليتأهب الناس لذلك أهبته. فأمر الناس بالجهاد، وأخبرهم أنه يريد الروم، فتجهز الناس على ما في أنفسهم من الكره لذلك الوجه لما فيه، مع ما عظموا من ذكر الروم وغزوهم. ثم إن رسول الله ﷺ جدَّ في سفره، فأمر الناس بالجهاز والانكماش، وحض أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله. فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع، وضرب عبد الله بن أُبي بن سلول عسكره على ذي حدة أسفل منه نحو ذباب جبل بالجبانة أسفل من ثنية الوداع، وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين؛ فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أُبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب، وكان عبد الله بن أُبي أخا بني عوف بن الخزرج، وعبد الله بن نبتل أخا بني عمرو بن عوف، ورفاعة بن زيد بن التابوت أخا بني قينقاع، وكانوا من عظماء المنافقين، وكانوا ممن يكيد للإسلام وأهله. قال: وفيهم أنزل الله: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾ الآية [التوبة: ٤٨][(١)].

ثانياً: الدراسة

❑ بداية عداوة المنافقين:

بدأ النفاق حين قويت شوكة الدين بانتصار رسول الله ﷺ العظيم، والمؤمنون في معركة بدر الكبرى، وكان رأس النفاق رجل من سادات أهل المدينة كان أهلها يستعدون لتنصيبه ملكاً عليهم قبل وصول رسول الله ﷺ إلى مهاجره، كما في «الصحيحين» عن عروة بن الزبير قال: أخبرني أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ ركب حماراً عليه إكاف تحته قطيفة فدكية وأردف وراءه

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ١٤٧)، تفسير الدر المنثور (٤/ ٢١٤)، إسناده ضعيف.

أسامة بن زيد وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج وذلك قبل وقعة بدر حتى مر في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود وفيهم عبد الله بن أُبي بن سلول وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أُبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أُبي بن سلول: أيها المرء لا أحسن من هذا، إن كان ما تقول حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا فاقصص عليه، قال ابن رواحة: اغشنا في مجالسنا فإنا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى هموا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة فقال: «**أي سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب** ـ يريد عبد الله بن أبي ـ **قال: كذا وكذا**»، قال: «اعف عنه يا رسول الله واصفح، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البحرة على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك شرق بذلك فذلك فعل به ما رأيت». فعفا عنه النبي ﷺ[1].

❐ ظهور النفاق على يد اليهود وبعض صوره:

معلوم أن هناك فئة من أهل المدينة لم تسلم، وهذه الفئة حينما عاينت انتصار المسلمين في بدر هالها الأمر، وأدركت أن المسلمين أصبحوا قوة لا يستهان بها، وأنه من الخير لهم ألا يقفوا منها موقف المعادي، وأن يجاروا المسلمين، فأظهروا إسلامهم نفاقاً، وتبعهم على ذلك بعض اليهود زوراً وبهتاناً ممن أظهر إسلامه بلسانه وأخفى في قلبه الحقد والغيظ على الإسلام وأهله.

وقد نجح سادة اليهود في جعل هؤلاء الذين لم يدخل الإسلام قلوبهم أدوات في أيديهم يستخدمونهم في تنفيذ مؤامراتهم ضد الإسلام وأهله، وقد

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٠٧)، ومسلم (٣/ ١٤٢٤).

كان المنافقون يشكلون جبهة داخلية مهمتها تقويض أركان الإسلام، وذلك باستغلال الأحداث التي تعرض للمسلمين، ومحاولة تضخيمها.

ويظهر القرآن الكريم مدى ارتباط المنافقين باليهود وذلك في حديثه عن المنافقين في سورة البقرة، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة].

قال ابن كثير في معنى ﴿شَيَاطِينِهِمْ﴾: «سادتهم وكبراؤهم من أحبار اليهود ورؤوس المشركين والمنافقين... قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾: من يهود الذي يأمرونهم بالتكذيب وخلاف ما جاء به الرسول ﷺ»[1].

فالآية السابقة إذاً توضح مدى الارتباط الكلي بين المنافقين واليهود، وتبين دور اليهود في تكوين فرق المنافقين، ولا شك أن النفاق أمر تعود عليه اليهود منذ القدم، فهم إذا ما غلبوا على أمرهم، وأصبحوا لا يستطيعون المواجهة فحينئذ تبرز خصلة النفاق وسيلة تنقذهم مما هم فيه، وتساعدهم على تدبير المكائد والخطط.

إذاً لا عجب والأمر كذلك أن يستخدم اليهود النفاق مع المسلمين في ذلك الوقت فيُكَونوا الطائفة التي عرفت بالمنافقين والتي كان دورها كبيراً في كثير من الأحداث التي حصلت للمسلمين فيما بعد بتوجيه من اليهود الذين عجزوا عن الاختراق المباشر لصفوف المسلمين، فبدأوا يوجهون الأحداث عن بعد، عن طريق المنافقين الذين كان على رأسهم: عبد الله بن أُبي بن سلول.

يقول الميداني رحمه الله: «وبذلك استطاع اليهود أن يكونوا حزباً مستوراً من المنافقين من عرب يثرب مع بعض أفراد من يهود أسلموا نفاقاً، وصاروا يغذونهم بعوامل النفاق التي لهم فيها باع طويل وخبرات كثيرة مارسوها منذ آلاف السنين، في مختلف الأمم التي حكمتهم وأذلتهم، ويؤكد ذلك أيضاً أنه

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٧٢).

لما تم جلاء اليهود عن المدينة خفتت أصوات المنافقين، وتجمدت معظم حركاتهم، وصلح بال الرسول ﷺ والمؤمنين الصادقين من جهة سلامة الصف الداخلي من عوامل الفتنة ومسببات التخلخل»[١].

وهذا عرْض لبعض المواقف التي كان للمنافقين فيها دور كبير، ولليهود توجيه لا يخفى على أحد:

١ ـ أولاً: في غزوة بدر الكبرى:

نصر الله ـ تعالى ـ المسلمين في غزوة بدر على قلَّتهم، وغاظ هذا النصر اليهود والمنافقين، فبدأوا يروجون الإشاعات والأراجيف حول المعركة، وذلك قبل وصول الرسول ﷺ المدينة، فقد أرسل رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة رضي الله عنهما ليبشرا أهل المدينة بالنصر. فلما سمع اليهود والمنافقون بهذا قال أحدهم: «قتل صاحبكم ومن معه؟ وقال آخر لأبي لبابة: قد تفرق أصحابكم تفرقاً لا يجتمعون فيه أبداً، وقد قتل عليه أصحابه، قتل محمد وهذه ناقته نعرفها، وهذا زيد لا يدري ماذا يقول من الرعب»[٢]، وكان رسول الله ﷺ قد أرسل زيداً على ناقته القصواء. لذا قالوا ما قالوه نشراً للفتنة، ومحاولة لزرع الشبهات في صفوف المسلمين، واستبعاداً لحصول النصر، وتهويناً من أمره في نفوس المسلمين، ولكن الله أظهر أمرهم، وفضح نيتهم، ورد كيدهم في نحورهم، ذاك أنه عندما سمع أسامة بن زيد بن حارثة هذه المقالة، سأل أباه عن الحقيقة، يقول أسامة: «فجئت حتى خلوت بأبي فقلت: أحق ما تقول؟ فقال: إي والله حق ما أقول، فقويت نفسي ورجعت إلى ذلك المنافق فقلت: أنت المرجف برسول الله وبالمسلمين، لنقدمنك إلى رسول الله ﷺ إذا قدم فليضربن عنقك، فقال: إنما هو شيء سمعته من الناس يقولونه»[٣].

---

(١) مكايد يهودية عبر التاريخ، عبد الرحمٰن الميداني (ص٩٤)، وانظر كتاب: النفاق والمنافقون في عهد رسول الله ﷺ، تأليف: إبراهيم علي سالم، دار الشعب، القاهرة، وذلك في سبب نشوء النفاق في المدينة، من (ص٧٥ إلى ٨٧).

(٢) البداية والنهاية (٣/ ٣٠٤).

(٣) البداية والنهاية (٣/ ٣٠٤).

أما كعب بن الأشرف، وهو من أشد اليهود عداء قال: «أحق هذا؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يُسمِّي هذان الرجلان؟ ـ يعني: زيداً وعبد الله بن رواحة ـ فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمداً أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها».(١) ولم يكتف بهذا، بل إنه ذهب إلى قريش يندب قتلاها، ويحرض على أخذ الثأر، كما تقدم.

٢ ـ ثانياً: في غزوة أُحد:

وقعت غزوة أُحد في السنة الثالثة في شهر شوال منها، وكان لليهود فيها عن طريق المنافقين دور لا يخفى، حيث رجع عبد الله بن أُبي بن سلول بثلث الجيش، ولم يقاتل في ذلك اليوم هو ومن تبعه من المنافقين واليهود، وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك قد استشار جملة من المسلمين في أن يخرج لمواجهة قريش خارج المدينة، أو أن ينتظرهم داخلها، فأشار عليه البعض ومنهم ابن أُبي بأن لا يخرج، بينما رأى آخرون الخروج وملاقاة قريش خارج حدود المدينة، فلما خرج رسول الله ﷺ، ولم يأخذ برأي ابن أُبي، رجع ومعه ثلث جيش المسلمين.

يروي ابن إسحاق هذه القصة قائلاً: «حتى إذا كانوا بالشَّوط بين المدينة وأُحد، انخذل عنه عبد الله بن أُبي بن سلول بثلث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا! أيها الناس، فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب واتَّبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام، أخو بني سلمة يقول: «يا قوم أذكّركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ولكنا لا نرى أنه يكون قتال. قال: فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم، قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيه»(٢).

وقد كان صنيعة اليهود عبد الله بن أُبي يظن ـ وهم من وراءه ـ أنه بفعله هذا سيضعف من موقف المسلمين في المعركة، أو يفقدهم ثقتهم بأنفسهم

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٥١).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٤).

حينما يرون ثلث الجيش قد انخذل ورجع، لكن هذا الأمر لم يحصل، وقد كانت تلك مكيدة مدبرة بين اليهود وبين ابن أُبي نفذها بتخطيطهم، وإن كانت تنسب إليه، إلا أن أصابع اليهود الخفية لعبت فيها دوراً لا يُنكر، ثم كيف تابع اليهود ابن أُبي، مع العلم أن غزوة أُحد وقعت في السنة الثالثة، ورسول الله ﷺ كان قد أجلى قبيلة بني قينقاع حلفاء ابن أُبي قبل ذلك، فكيف انضم من بقي في المدينة من اليهود وهم بنو قريظة والنضير إلى ابن أُبي مع أنهم لم يكونوا حلفاءه في يوم من الأيام!؟ ولكن حينما تتضح وحدة الهدف الذي يسعى إليه كل من ابن أُبي المنافق واليهود بكافة قبائلهم وطوائفهم، يظهر سر اتحادهما معاً ضد المسلمين.

يقول الأستاذ إبراهيم سالم: «وعجيب أن ينضم بنو النضير وبنو قريظة إلى ابن أُبي الخزرجي وكانوا من قبل أحلافاً للأوس ضد الخزرج، وهذا يدل دلالة واضحة على أنه كان هناك تنظيم دقيق أنشأه اليهود قضى بتجميع كل من أمكن وضمه لمعاداة المسلمين، ووضعوا له خططاً، ونصبوا عليه ابن أُبي زعيماً لما رأوا فيه شخصاً مريض القلب والنفس معجباً بنفسه، متفانياً ومتهالكاً في طلب السلطة»[١].

وعلى الرغم من كل ما فعله، فقد حاول أن يستعيد بعد ذلك مكانته وهيبته بين صفوف المسلمين، يقول ابن إسحاق: «فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وكان عبد الله بن أُبي بن سلول له مقام يقومه كل جمعة لا يُنْكر، شرفاً له في نفسه وفي قومه، وكان فيهم شريفاً، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس، قام فقال: أيها الناس، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم، أكرمكم الله وأعزكم به، فانصروه وعزروه، واسمعوا له وأطيعوا، ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أُحد ما صنع، ورجع بالناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا: اجلس، أي عدو الله، لست لذلك بأهل، وقد صنعت ما صنعت، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو

---

(١) النفاق والمنافقون، إبراهيم علي سالم (ص١٢٨).

يقول: والله لكأنما قلت بجراً[١] أن قمت أشدد أمره، فلقيه رجل من الأنصار بباب المسجد فقال: ما لك؟ ويلك، قال: قمت أشدد أمره، فوثب علي رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني، كأنما قلت بجراً أن قمت أشدد أمره، قال: ويلك، ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ، قال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي»[٢].

ويتضح من خلال استعراض الأحداث التي قام بها اليهود، سواءً سعيهم في الوقيعة بين المسلمين بتذكيرهم بالماضي، وما كانوا عليه، أم في زرعهم لشجرة النفاق في المدينة، وتغذيتها، أن هؤلاء اليهود اتخذوا هذه الطرق لتساعدهم في التصدي للإسلام، حين أيقنوا عجزهم عن مواجهته علناً، فبذلوا الجهد في محاربته سراً، وعن طريق تفكيك وحدة المسلمين، وتقويض أركانه الداخلية، ومع ذلك كشفهم الله تعالى، وفضح خبيئتهم، فلم تعد تلك الأساليب تنطلي على المسلمين في ذلك الوقت، ولم يعد لها أثر من جهة تماسكهم وترابطهم.

قال الطبري في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾ [الحشر: ١٢].

يقول تعالى ذكره: لئن أخرج بنو النضير من ديارهم، فانجلوا عنها لا يخرج معهم المنافقون الذين وعدوهم الخروج من ديارهم، ولئن قاتلهم محمد ﷺ لا ينصرهم المنافقون الذين وعدوهم النصر، ولئن نصر المنافقون بني النضير ليولن الأدبار منهزمين عن محمد ﷺ وأصحابه هاربين منهم، قد خذلوهم. يقول: ثم لا ينصر الله بني النضير على محمد ﷺ وأصحابه بل يخذلهم[٣].

---

(١) قولاً كاذباً. لسان العرب (٣/ ٢٠٢).
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ١٠٥)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٠).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٤٠١).

▢ رؤوس المنافقين من أحبار اليهود:

فمن بني قينقاع:

١ ـ ٤ سعد بن حنيف، وزيد بن اللُّصيت، ونعمان بن أوفى بن عمرو، وعثمان بن أوفى. وزيد بن اللصيت، الذي قاتل عمر بن الخطاب ﷺ بسوق بني قينقاع، وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله ﷺ: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته! فقال رسول الله ﷺ وجاءه الخبر بما قال عدو الله في رحله، ودل الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ على ناقته: «**إن قائلاً قال: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ولا يدري أين ناقته؟ وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها، فهي في هذا الشعب، قد حبستها شجرة بزمامها**»، فذهب رجال من المسلمين، فوجدوها حيث قال رسول الله ﷺ، وكما وصف[١].

٥ ـ ٨ ورافع بن حريملة، وهو الذي قال فيه الرسول ﷺ حين مات: «**قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين**»، ورفاعة بن زيد بن التابوت، وهو الذي قال له رسول الله ﷺ حين هبت عليه الريح، وهو قافل من غزوة بني المصطلق، فاشتدت عليه حتى أشفق المسلمون منها، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**لا تخافوا، فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار**». فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وجد رفاعة بن زيد بن التابوت مات ذلك اليوم الذي هبت فيه الريح، وسلسلة بن برهام، وكنانة بن صُوريا[٢].

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ١٨٤)، البداية والنهاية (٣/ ٢٤٠)، فتح الباري (١٣/ ٣٦٤).
(٢) مسند أبي يعلى (٤/ ٢٠١)، تاريخ مدينة دمشق (١٣/ ٣١١)، لم أفصل في علاقة اليهود بالمنافقين لوجود رسالة عن آثار السلف عن المنافقين في الطبري.



الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

فبعد هذه الجولة مع هذه الموسوعة العظيمة ـ «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» للإمام محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ ـ سنين عديدة مليئة بالمتعة والفائدة، والعيش مع كتاب الله الكريم، وأحاديث نبيه الكريم، وآثار القرون المفضلة.

وقد منّ الله عليَّ فجمعت الآثار الواردة عن السلف الصالح عن اليهود بني إسرائيل في جميع أحوالهم التي قصها الله علينا في كتابه المجيد، وقد زاد ما جمعته عن ثلاثة آلاف أثر:

اجتهدت في تبويبها وتنسيقها، ومن ثم جمع المثيل إلى مثيله، والمختصر إلى المطول، ونبذ الإسرائيليات الكثيرة والتي لا تفارق آثار بني إسرائيل، وهذا له حديث يطول.

ثم حذفت المكرر وهو كثير والاكتفاء بالأثر الأشمل والأرفع مقدماً أثر الصحابي على من بعده وهكذا.

وكان همِّي في البدايات التدقيق في جمع الآثار وتصنيفها ثم دراستها، وكنت أكتفي بإيراد الأثر الواضح والتعليق عليه باختصار اكتفاء بوضوحه.

وخلصت إلى أن كتاب الله العزيز فيه ما يربو على خمسمائة آية في اليهود وأحوالهم، وهذا يدعو إلى تأمل ما ورد والاستفادة مما مر عليهم وأخذ العبر حتى لا يقع المسلم فيما وقعوا مع أنه كتاب الله المنزل على محمد ﷺ، إلا أن الملاحظ أن اسمه ﷺ لم يرد إلا أربع مرات مصرحاً باسمه بينما ذكر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أكثر من مائة وأربع وثلاثين (١٣٤) مرة فتأمل.

وكان ﷺ كثيراً ما يحذِّر مما صنع اليهود وأن أمته ستحذو حذوهم و﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١].

وتبين لي من جمع ودراسة آثار اليهود ما يلي:

أن الله خاطبهم في القرآن الكريم بعدة أسماء: فيناديهم ببني إسرائيل في معرض تذكيرهم بنعمه عليهم وخاصة أيام بعث لهم نبيه موسى ﵇، ثم لما عصوا ربهم بعد خروجهم من البحر ونجاتهم من عدوهم، ثم دعا لهم موسى طالباً المغفرة وحثهم على التوبة صاروا يُنادَون باليهود لأنهم هادوا؛ أي: تابوا.

أن نعم الله على اليهود كثيرة من أعظمها تفضيلهم على عالمي زمانهم، وبينَّا أنهم غير مفضَّلين على أمة محمد خير أمة أخرجت للناس.

ثم نعمة الله عليهم بكثرة الانبياء فيهم، فلم يرسل لأمة ما أرسل اليهم من الأنبياء.

ومن ثَمَّ جعلهم ملوكاً لأنفسهم بعد عبودية فرعون وبطشه، وكان ذلك بعد نعمة نجاتهم من عدوهم وما صاحبها، ثم النعم الكثيرة التي أنزلت لهم في التيه بعد بعثهم بعد الموت وقبول توبتهم، ومن ثم نعمة تمكينهم من الأرض المقدسة وانتصارهم على عدوهم، ثم نعمة الله عليهم بوعده مضاعفة أجر من آمن منهم.

أن الله عاقبهم يوم لم يقدِّروا هذه النعم فعجَّل لهم من العقوبات الدنيوية:

الصاعقة التي غشيتهم، ثم التيه في الصحراء أربعين سنة، ثم عوقب بعضهم بالمسخ واللعن.

وضربت عليهم الذلة والمسكنة والقتل والسبي وطمس الوجوه والختم على القلوب، وعوقبوا بتحريم بعض الطيبات وشُدد عليهم فيها.

ووُعدوا في الآخرة بعذاب في القبر والعطش يوم القيامة والحجب عن الرؤية، ثم الخلود في النار التي هي مستقرهم.

بيَّن لنا الله الصفات التي تنطوي عليها شخصيات اليهود وتحدثت عن

بعضها الذي يدل على غيرها وإذا هي جمع لأوصاف الخسة والسوء والخيانة وقسوة القلوب وتغليفها عن قبول الحق واتباع الهوى تزكيتهم أنفسهم وعنصريتهم على باقي الأمم حتى قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، ثم اشتهارهم وتلذذهم بنقض العهود الدال على كذبهم وافترائهم وحسدهم لغيرهم خاصة نبي الإسلام وأمته.

وفي أصول الإيمان تبيَّن لنا كفر اليهود بالله وأنهم أميل الناس الى الشرك حتى تشرَّبته قلوبهم يوم العجل مع وصفهم لله بالنقائص من نسبة الولد إليه ورميه بالفقر والبخل والتعب، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

أن اليهود لا يوقرون ملائكة الله الكرام بل وقفوا من كبيرهم موقف العداء وهو الروح الأمين، وادَّعوا محبة غيره من الملائكة فصاروا يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض.

أنزل الله التوراة على موسى وأمر اليهود بأن يحفظوها ويدرسوا ما فيها ولكنهم عمدوا إلى تحريفها ولَيِّ اللسان بها، بل كتموا ما فيها، ثم جعلها بعض أحبارهم بضاعة يتكسب بها ويقولون هذه من عند الله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة].

وكذلك فعلوا مع بقية كتب الله المنزلة من تكذيب بما جاء فيها أو إنكار أنها من عند الله كما قالوا في القرآن وغيره: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

تبيَّن حال اليهود مع أنبياء الله الكرام، وأن اليهود هم أكثر الأمم أنبياء لفساد طبعهم وعدم استقرار الإيمان في قلوبهم حتى بعث لهم الأنبياء الكثيرون في وقت واحد فهل نفعهم ذلك؟ لا بل صار أثر صفاتهم لصوقاً بهم أنهم قتلة الأنبياء، فهم من أشد الأمم أذية لأنبيائهم، ففريقاً كذبوا وفريقاً قتلوا، تم ذلك حتى مع أخص أنبيائهم موسى عليه السلام، فقد آذوه في بدنه وسمعته ومعاشه، فكيف بغيره؟

بناء على ادعاء اليهود للتميز وأنهم أبناء الله وأحباؤه فلم يؤثر عليهم

الإيمان باليوم الآخر فادعوا أن الله لن يعذبهم وأن الجنة ما خلقت إلّا لهم، ولو كانوا سيعذبون فلن يعدوا أياماً بعدد أيام عبادتهم للعجل وهذه أمانيهم الباطلة بل هم في النار خالدون.

ومن أنبيائهم الذين لم يَسْلَموا منهم عيسى عليه السلام الذي بهتوه وأمه الصديقة ورموها بالزنا فأتت بعيسى، بل تعدى الأمر لأذيته عليه السلام وأتباعه تشريداً وتعذيباً وقتلاً حتى انتهى بهم الأمر لمحاولة قتله وهو ما يدعونه أنهم قتلوه صلباً: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [النساء: ١٥٧].

وقف اليهود من نبي الله محمد ﷺ النبي الذي يجدونه مكتوباً عندهم صفته ومخرجه ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم، إلّا أنه ليس منهم، وقفوا موقف العداء وكتم صفته والحسد والإيذاء بالقول والسخرية وتحزيب الناس ضده وسحره ومحاولات عديدة لقتله لم يفلحوا فيها، فعمدوا الى سمِّه في طعامه مما أدى الى مرضه ووفاته بأبي هو وأمي ﷺ، وصار بينه وبينهم حروب ناتجة عن نقضهم للعهود الدائم انتهت بحمد الله بقتل بعضهم وجلاء سائرهم.

ولم يؤمن منهم إلّا قليل، وهذا لم يسلم منهم أيضاً فرموهم بالكفر والكذب والجهل، وهذا معدنهم فلا يستغرب منهم.

دأب اليهود في حياته ﷺ على بث الفرقة بين المسلمين وإثارة النعرات الجاهلية بينهم وكادوا ينجحون لولا أن الله سلَّم.

عرفنا أن النفاق ظهر من رحم اليهود وأنهم سببٌ أساس فيه خاصة بعد غزوة بدر، فتعاونوا معهم على الإثم والعدوان ومعصية الرسول ﷺ.

والحمد لله أولاً وآخراً.

تراجم أبرز قائلي الآثار

ابن إسحاق، هو: محمد بن إسحاق بن يسار، أبو بكر، المطلبي، مولاهم، قال علي بن المديني: صالح وسط، واختلف قول ابن معين فيه، فقال: صدوق، وقال: ليس بذاك، ضعيف، وقال: ثقة، وليس بحجة، وقال: سقيم ليس بالقوي، وقال العجلي: مدني، ثقة، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال ابن عدي: لا بأس به، وقال ابن حجر: صدوق، يدلس، ورمي بالتشيع والقدر، من صغار الخامسة، مات سنة ١٥٩هـ، ويقال بعدها. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢١، وعلل ابن المديني ص٣٧، وضعفاء النسائي ص٩١، ٥١٣، وتهذيب التهذيب ٩/ ٣٤، ٥١، والتقريب ص٨٢٥، ٥٧٦٢.

ابن جُريج، هو: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي، ثقة، فقيه، فاضل، وكان يدلس، ويرسل، من السادسة، مات سنة ١٥٠هـ، أو بعدها. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٥/ ٤٩١، تهذيب التهذيب ٦/ ٣٥٧، ٧٥٨، التقريب ص٦٢٤، ٤٢٢١.

ابن زيد، هو عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم القرشي المديني، مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أخواه: أسامة، وعبد الله وكلهم يروي عن أبيه، وكل أبناء زيد بن أسلم ضعفاء في الحديث، مات سنة ٨٢هـ. انظر ترجمته في: تهذيب الكمال ١٧/ ١١٤، ٣٨٢٠، التاريخ الكبير ٥/ ٢٨٤، ٩٢٢.

أبو العالية، هو: رُفيع ـ بالتصغير ـ ابن مهران أبو العالية الرياحي بكسر الراء والتحتانية، ثقة كثير الإرسال من الثانية، مات سنة ٩٠هـ. وقيل بعدها. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ١١٢، أسد الغابة ٢/ ٢٩١، ١٧٠٤، تهذيب التهذيب ٣/ ٢٤٦، ٥٣٩، تقريب التهذيب ص٣٢٨، ١٩٦٤.

أبو علي الأزدي، عن أبي ذر اسمه عبيد بن علي وهو مقبول من الثالثة، وقيل فيه أبو الفيض والأول أصح. تقريب التهذيب ١/ ٦٥٩.

البختري بن أبي البختري، بفتح الموحدة وسكون المعجمة وفتح المثناة وكسر الراء، واسم أبيه المختار العبدي، بصري صدوق من السادسة مات سنة ثمان. تقريب التهذيب ١/ ١٢٠.

جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، صحابي ابن صحابي، مات بالمدينة بعد السبعين، وكان أحد المكثرين عن النبي ﷺ. انظر ترجمته في: الاستيعاب ١/ ٢٩٢، ٢٩٠، الإصابة ١/ ٥٤٦، ١٠٢٨.

جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي القُمي، بضم القاف، قيل: اسم أبي المغيرة دينار صدوق يهم من الخامسة. تقريب التهذيب ١/ ١٤١.

جويبر بن سعيد الأزديّ، أبو القاسم البلْخيّ، يقال: اسمه جابر، وجُوِيبر لقب، نزل الكوفة، راوي التّفسير، روى عن الضّحّاك بن مزاحم وأكثر عنه، ضعيفٌ جدّاً، مات بعد الأربعين ومائة. انظر: تهذيب الكمال ٥/ ١٦٧، التّهذيب ٢/ ١٢٣، التّقريب ١/ ١٣٦.

حذيفة بن اليمان، واسم اليمان: حُسَيْل ويقال: حِسْل بن جابر بن ربيعة بن فروة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عبس المعروف باليمان العبسي، حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين، أمين الوحي لرسول الله ﷺ شهد الخندق وما بعدها، وروى عن النبي ﷺ الكثير، مات في أول خلافة علي رضي الله عنه سنة ٣٦هـ. انظر ترجمته في: الاستيعاب ١/ ٣٩٣، ٥١٠، والإصابة ٢/ ٣٩، ١٦٥٢.

الحسن البصري، هو الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبيه يسار الأنصاري مولاهم، ثقة، فقيه، فاضل، مشهور، وكان يرسل كثيراً، ويدلس، وهو رأس الطبقة الثالثة، مات سنة ١١٠هـ. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٦، تهذيب التهذيب ٢/ ٢٣١، ٤٨٨، تقريب التهذيب ص٢٣٦، ١٢٣٧.

الربيع بن أنس، البكري أو الحنفي، البصري، ثم الخراساني، قال أبو حاتم: صدوق، وقال النسائي: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: الناس يتقون من حديثه ما كان من رواية أبي جعفر عنه؛ لأن في أحاديثه عنه اضطراباً كثيراً، وقال ابن حجر: صدوق له أوهام، ورمي بالتشيع، من الخامسة، مات سنة ١٤٠هـ أو قبلها. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٧/ ٣٦٩، والجرح والتعديل ٣/ ٤٥٤، ٢٠٥٤، وثقات ابن حبان ٨/ ٤٩١، وتهذيب التهذيب ٣/ ٢٠٧، ٤٦١، والتقريب ص٣١٨، ١٨٩٢.

السدي، هو: إسماعيل بن عبد الرحمٰن بن أبي كريمة السُدّي، أبو محمد، الكوفي، من الرابعة، قال ابن عدي: مستقيم الحديث صدوق لا بأس به، وقال ابن حجر: صدوق يهم، ورمي بالتشيع، مات سنة ١٢٧هـ. انظر ترجمته في: الكامل لابن عدي ١/ ٢٧٧، تهذيب التهذيب ١/ ٢٧٣، ٥٧٢، تقريب التهذيب ص١٤١، ٤٦٧.

سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران القرشي المخزومي، أبو محمد المدني الإمام العلم الفقيه عالم أهل المدينة وسيد التابعين في زمانه، ولد لسنتين وقيل لأربع مضين من خلافة عمر رضي الله عنه بالمدينة، كان رأس من بالمدينة في دهره المقدم عليهم في الفتوى. وقال أحمد بن حنبل: أفضل التابعين سعيد بن المسيب، وقال أبو حاتم: ليس في التابعين أنبل منه وهو أثبتهم في أبي هريرة رضي الله عنه، وكان ممن برز في العلم والعمل، وقال يحيى بن سعيد: كان أحفظ الناس لأحكام عمر وأقضيته، مات سنة ٩٣هـ، وقيل ٩٤هـ. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٤/ ٨٨، ٢١٧ - ٢١٩، ومعرفة الثقات ١/ ٤٠٥، ٦١٦، وطبقات الحفاظ ١/ ٢٥، ٣٧.

سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، الوالبي مولاهم، الكوفي أبو محمد، الحافظ، المقرئ المفسر، من كبار التابعين، كان ذا عبادة ودين، ثقة ثبت فقيه، قتله الحجاج سنة ٩٥هـ ولم يكمل الخمسين. انظر ترجمته في: التاريخ الكبير ٣/ ٤٦١، ١٥٣٣، ووفيات الأعيان ١/ ٣٦٧، ٢٦١، وطبقات ابن سعد ٦/ ٢٥٦، وتهذيب التهذيب ٤/ ١١، ١٤.

سفيان الثوري، هو: سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله الكوفي، ثقة، حافظ، فقيه، عابد، إمام، حجة، من رؤوس الطبقة السابعة، وكان ربما دلس، مات سنة ١٦١هـ. أمير المؤمنين في الحديث ساد الناس بالورع والعلم. قال قبيصة بن عقبة: ما جلست مع سفيان مجلساً إلا ذكرت الموت، وما رأيت أحداً كان أكثر ذكراً للموت منه، ومناقبه وفضائله كثيرة جداً، إمام من أئمة المسلمين، وعَلَم من أعلام الدين، مُجمع على أمانته، بحيث يستغنى عن تزكيته، مع الإتقان والحفظ والمعرفة والضبط والورع والزهد. وقال غيره: ولد في خلافة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٧هـ وفي ذلك خلاف، توفي بالبصرة سنة ١٦١هـ. انظر ترجمته في: تهذيب الكمال ١١/ ١٥٤ ـ ١٦٥، ٢٤٠٧، طبقات ابن سعد ٦/ ٣٧١، تهذيب التهذيب ٤/ ٩٩، ١٩٩، التقريب ص٣٩٤، ٢٤٥٨.

الشعبي، هو: أبو عمرو، عامر بن شراحيل الشعبي الهمداني الحميري الكوفي ثقة مشهور، كان إماماً حافظاً فقيهاً متفنناً ثبتاً متقناً مولده في أثناء خلافة عمر رضي الله عنه. قال ابن عنبسة: كان في الناس ثلاثة بعد أصحاب النبي ﷺ: ابن عباس رضي الله عنهما في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه، مات سنة ١٠٤هـ وبلغ ٨٢هـ سنة. انظر ترجمته في: التاريخ الكبير ٦/ ٤٥٠، ٢٩٦١، وتذكرة الحفاظ للقيسراني ١/ ٧٩، ٧٦، لسان الميزان ٧/ ٥٤٧، ٥٨٤٤.

شهر بن حوشب الأشعري الشامي، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن، صدوق كثير الإرسال والأوهام، من الثالثة. مات سنة اثنتي عشرة. تقريب التهذيب ١/ ٢٦٩.

الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم، أو أبو محمد الخراساني صدوق كثير الإرسال، ولم يسمع من ابن عباس، من الخامسة، مات بعد المائة. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٦/ ٣٠٠، تهذيب الكمال ١٣/ ٢٩١، ١٣/ ٢٩١، ٢٩٢٨، تقريب التهذيب ص٤٥٩، ٢٩٩٥.

طارق بن شهاب بن عبد شمس، البجلي، الأحمسي، أبو عبد الله الكوفي، قال أبو داود: رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه، مات سنة ٨٢هـ أو ٨٣هـ. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ٥/ ٤، ٥، تقريب التهذيب ص٤٦١، ٣٠١٧.

عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت الأنصاري، ويقال له: عبد الله، ثقة من الرابعة. تقريب التهذيب ١/ ٢٩٢.

عبد الله بن أبي الهذيل، الكوفي أبو المغيرة ثقة من الثانية، مات في ولاية خالد القسري على العراق. تقريب التهذيب ١/ ٣٢٧.

عبد الله بن سلام رضي الله عنه، هو أبو يوسف عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، ثم الأنصاري، حليف بني الخزرج، كان اسمه في الجاهلية الحُصين، فسماه رسول الله ﷺ حين أسلم عبد الله، وهو من المبشرين بالجنة. مات سنة ٤٣هـ. انظر ترجمته في: الجرح والتعديل ٥/ ٦٢، ٢٨٨، وأسد الغابة ٣/ ٢٦٥، ٢٩٨٦، الإصابة ٤/ ١٠٢، ٤٧٤٣.

عبد الله بن هانئ أبو الزعراء، الأكبر الكوفي وثقه العجلي من الثانية. تقريب التهذيب ١/ ٣٢٧.

عبد الملك بن عمير بن سويد اللخمي، حليف بني عدي الكوفي، ويقال له الفرسي بفتح الفاء والراء ثم مهملة نسبة الى فرس له سابق كان يقال له: القبطي بكسر القاف وسكون الموحدة، وربما قيل ذلك أيضاً لعبد الملك، ثقة فصيح عالم، تغير حفظه وربما دلس، من الرابعة. مات سنة ست وثلاثين وله مائة وثلاث سنين. تقريب التهذيب ١/ ٣٦٤.

عبيد الله بن كعب بن مالك الأنصاري، ثقة من الثالثة. تقريب التهذيب ١/ ٣٧٣.

عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، أبو عاصم المكي، ولد على عهد النبي ﷺ قاله مسلم وعده غيره في كبار التابعين، وكان قاص أهل مكة مجمع على ثقته، مات قبل ابن عمر. تقريب التهذيب ١/ ٣٧٧.

عروة ابن الزّبير بن العوّام بن خويلد الأسديّ، أبو عبد الله المدنيّ، روى عنه أبو الأسود وغيره، ثقةٌ فقيهٌ مشهورٌ، ولد سنة ٢٣هـ، وقوّاه الذّهبيّ، ويقال: ٢٩هـ، ومات سنة ٩٤هـ على الصّحيح. انظر: السّير ٤/ ٤٢١، التّهذيب ٧/ ١٨٠، التّقريب ٢/ ١٩.

عطاء بن أبي رباح، ـ بفتح الراء والموحدة ـ واسم أبي رباح، أسلم القرشي مولاهم، المكي، ثقة فقيه، فاضل، لكنه كثير الإرسال، من الثالثة، مات سنة ١١٤هـ، على المشهور وقيل إنه تغير بأخرة. ولم يكثر ذلك منه. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٢/ ٣٨٦، جامع التحصيل في أحكام المراسيل، للحافظ صلاح الدين أبي سعيد بن خليل بن كيكلدي العَلَائي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب بيروت، ط الثانية ١٤٠٧هـ، ص٢٣٧، تهذيب التهذيب ٧/ ١٧٩، ٣٨٥، تقريب التهذيب ص٦٧٧، ٤٦٢٣.

عطية العوفي، هو: عطية بن سعد بن جنادة، العوفي، قال ابن سعد: كان ثقة إن شاء الله، وله أحاديث صالحة، ومن الناس من لا يحتج به، وقال أحمد: هو ضعيف الحديث، وقال ابن معين: صالح، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، يكتب حديثه، وقال ابن حبان: ولا يحل كتابة حديثه إلا على وجه التعجب، وقال ابن حجر: صدوق يخطئ كثيراً، وكان شيعياً مدلساً، من الثالثة، مات سنة ١١١هـ. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٦/ ٣٠٤، الجرح والتعديل ٦/ ٣٨٢، ٢١٢٥، المجروحين ٢/ ١٧٦، ميزان الاعتدال ٣/ ٧٩، ٥٦٦٧، تقريب التهذيب ص٦٨٠، ٤٦٤٩.

عكرمة، أبو عبد الله مولى ابن عباس رضي الله عنهما أصله بربري، ثقة، ثبت، عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر رضي الله عنهما، ولا تثبت عنه بدعة، مات سنة ١٠٤هـ. انظر ترجمته في: ثقات ابن حبان ٥/ ٢٢٩، تهذيب التهذيب ٧/ ٢٦٣، تقريب التهذيب ص٦٨٧، ٤٧٠٧.

علقمة بن وقاص، الليثي المدني ثقة ثبت من الثانية أخطأ من زعم أن له صحبة، وقيل: إنه ولد في عهد النبي ﷺ، مات في خلافة عبد الملك. تقريب التهذيب ١/ ٣٩٧.

علي بن زيد بن جدعان التّيميّ البصريّ، أبو الحسن، أصله حجازيّ، روى عن عبد الله بن الحارث بن نوفل (بَبّة) وغيره، وعنه جعفر بن سليمان الضّبعيّ وآخرون، ضعيف، ت سنة ١٣١هـ، وقيل: قبلها. انظر: التهذيب ٧/ ٢٤٧، والتقريب ١/ ٦٩٤.

عمار بن معاوية، الدهني بضم أوله وسكون الهاء بعدها نون، أبو معاوية البجلي الكوفي صدوق يتشيع من الخامسة مات سنة ثلاث وثلاثين.

عمرو بن دينار المكي، أبو محمد الأثرم، الجمحي مولاهم، ثقة، ثبت، من الرابعة، مات سنة ١٢٠هـ، وقيل سنة ١٢٦هـ. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٥/ ٤٧٩، ثقات ابن حبان ٥/ ١٦٧، تهذيب التهذيب ٨/ ٢٦، ٤٥، تقريب التهذيب ص٧٣٤، ٥٠٥٩.

القاسم بن أبي بزة، بفتح الموحدة وتشديد الزاي المكي، مولى بني مخزوم، القارئ ثقة من الخامسة، مات سنة خمس عشرة، وقيل: قبلها. تقريب التهذيب ١/ ٤٤٩.

قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب، البصري، ثقة، ثبت، يقال: وُلِد أكمه، وهو رأس الطبقة الرابعة، مات سنة بضع عشر ومائة. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ٨/ ٣١٥، ٦٣٧، وتقريب التهذيب ص٧٩٨، ٥٥٥٣.

كعب الأحبار، هو: كعب بن ماتع الحميري من آل ذي رعين أبو إسحاق، كان قد قرأ الكتب وأسلم في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مات سنة ٣٤هـ في خلافة عثمان رضي الله عنه، روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، روى عنه ابن عباس وابن عمر رضي الله عنه وسعيد بن المسيب. انظر ترجمته في: الجرح والتعديل ٧/ ١٦١، ٩٠٦، ومشاهير علماء الأمصار ١/ ٩١، ١١٨.

مُجاهد بن جَبْر، ـ بفتح الجيم وسكون الموحدة ـ أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي، ثقة، إمام في التفسير والعلم، من الثالثة، مات سنة ١٠٢هـ أو ١٠٣هـ أو ١٠٤هـ. انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٥/ ٤٦٦، تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٨، ٦٨، تقريب التهذيب ص٩٢١، ٦٥٢٣.

محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام، القرشي الأسدي المدني قال محمد بن سعد: كان عالماً وقال ابن إسحاق: كان من فقهاء أهل المدينة وقرائهم، وقال الدارقطني: مدني ثقة، وقال النسائي: ثقة وذكره ابن حبان في كتاب الثقات ذكره البخاري في الأوسط في فصل من مات بين عشر ومائة إلى عشرين ومائة، وهو من رجال مسلم. انظر ترجمته في: تهذيب الكمال ٢٤/ ٥٧٩، ٥١١٥، تهذيب التهذيب ٩/ ٨١، ١٢٤، الجرح والتعديل ٧/ ٢٢١، ١٢٢١، رجال مسلم، للأصبهاني أحمد بن علي بن منجويه أبي بكر، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة بيروت، ط الأولى ١٤٠٧هـ، ٢/ ١٧٢.

محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر ابن أبي عمرة، البصري، ثقة، ثبت، عابد، كبير القدر، كان لا يرى الرواية بالمعنى، من الثالثة، مات سنة ١١٠هـ. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ٩/ ١٩٠، ٣٣٨، تقريب التهذيب ص٨٥٣، ٥٩٨٥.

محمد بن قيس، المدني أبو إبراهيم ويقال: أبو أيوب، ويقال: أبو عثمان مولى يعقوب القبطي ويقال: مولى آل أبي سفيان بن حرب وهو قاص عمر بن عبد العزيز، ذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من أهل المدينة قال: وبها توفي وكان كثير الحديث عالماً. وقال يعقوب وأبو داود: ثقة، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات، توفي أيام الوليد بن يزيد. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ٩/ ٣٦٧، ٦٧٩، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٣٢٣، ٥٥٦٦.

محمد بن قيس بن مخرمة بن المطلب المطلبي، يقال: له رؤية، وقد وثقه أبو داود وغيره. التهذيب ٩/ ٣٥٧، تقريب التهذيب ١/ ٥٠٣.

محمد بن كعب بن سليم بن أسد، أبو حمزة القُرَظي، نسبة إلى بني قريظة، المدني، وقد كان نزل الكوفة مدة، ثقة عالم من الثالثة، ولد سنة ٤٠هـ على الصحيح، ووهم من قال: ولد في عهد النبي ﷺ، فقد قال البخاري: إن أباه كان ممن لم ينبت من سبي قريظة فترك، مات سنة ١٢٠هـ، وقيل قبل ذلك. انظر ترجمته في: التاريخ الكبير للبخاري ١/٢١٦، ٦٧٩، تهذيب التهذيب ٩/٣٧٣، ٦٩١، تقريب التهذيب ص٨٩١، ٦٢٩٧.

مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله بن مر بن سلامان بن معمر بن الحارث بن سعد بن عبد الله بن وداعة الهمداني الوداعي الكوفي، أبو عائشة، العابد الفقيه الإمام القدوة العلم، صلى خلف أبي بكر ولقي عمراً وعلياً. كان أحد أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذين يقرئون ويفتون، شُلَّت يده يوم القادسية، وثقه ابن سعد والعجلي وابن معين، وقال عنه: لا يسأل عن مثله. وقال علي بن المديني: ما أقدم على مسروق أحداً من أصحاب عبد الله رضي الله عنه. مات سنة ٦٢هـ، وقيل: ٦٣هـ وله ٦٣ سنة. انظر ترجمته: التاريخ الكبير ٨/٣٥، ٢٠٦٥، وسير أعلام النبلاء ٤/٦٣ ـ ٦٨، ١٧، وتهذيب التهذيب ١٠/١٠٠، ٢٠٦.

وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار، وهو: الأسوار اليماني الصنعاني الذماري أبو عبد الله الأبناوي أخو همام بن منبه ومعقل بن منبه وغيلان بن منبه. ذكره خليفة بن خياط في الطبقة الثانية من أهل اليمن وذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة. وقال أحمد بن حنبل: كان من أبناء فارس، قال العجلي: تابعي ثقة وكان على قضاء صنعاء. وقال أبو زرعة والنسائي: ثقة وذكره ابن حبان في كتاب الثقات ولد سنة ٣٤هـ في خلافة عثمان رضي الله عنه مات سنة ١١٤هـ بصنعاء، وقيل: إن الحجاج ضربه حتى مات. انظر ترجمته في: تهذيب الكمال ٣١/١٤٠، ٦٧٦٧، وتهذيب التهذيب ١١/١٤٧، ٢٨٨.

يزيد بن رومان، المدني أبو روح مولى آل الزبير ثقة من الخامسة مات سنة ثلاثين وروايته عن أبي هريرة مرسلة التقريب ١/٦٠١.

يزيد بن هارون بن زاذي، ويقال ابن زاذان بن ثابت السلمي أبو خالد الواسطي وكان جده زاذان مولى لأم عاصم امرأة عتبة بن فرقد فأعتقته، قيل: إن أصله من بخارى وكان متعبداً حسن الصلاة جداً وكان قد عمي. أحد الأعلام الحفاظ المشاهير، قال أبو طالب عن أحمد بن حنبل: كان حافظاً متقناً للحديث صحيح الحديث وثقه يحيى بن معين والعجلي وعلي بن المديني، وقال في موضع آخر: ما رأيت رجلاً قط أحفظ من يزيد بن هارون، وقال أبو حاتم: ثقة إمام صدوق لا يسأل عن مثله، مات أول سنة ٢٠٦هـ. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ١١/ ٣٢١، ٦١٢، والكاشف ٣/ ٢٨٧، ٦٤٧٣، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٢٦١، ٧٠٦١.



١ ـ فهرس الآيات.

٢ ـ المراجع.

٣ ـ فهرس المحتوى.



١ ـ فهرس الآيات

سورة ص

سورة الزمر



٢ ـ المراجع

١ ـ **أبجد العلوم (الواشي المرقوم في بيان أحوال العلوم)**: صدِّيق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، ط١٩٧٨م، دار الكتب العلمية بيروت.

٢ ـ **أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص**: تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث، بيروت ١٤٠٥هـ.

٣ ـ **أحكام القرآن**: لابن العربي (أبو بكر محمد بن عبد الله)، تحقيق: محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة، الأولى، ١٤٠٨هـ.

٤ ـ **أساليب المجرمين في التصدي لدعوة المرسلين**: محمد المسند، مؤسسة الرسالة: دمشق، ١٤٢٢هـ.

٥ ـ **أسباب النزول**: للواحدي، تحقيق: سيد أحمد، دار القبلة جدة، صقر، ١٤٠٤هـ.

٦ ـ **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**: للعلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ.

٧ ـ **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، عالم الكتب بيروت.

٨ ـ **إرواء الغليل، في تخريج أحاديث منار السبيل**: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، ط. الأولى، ١٤٩٩هـ.

٩ ـ **إظهار الحق**: رحمة الله الهندي، تحقيق: عمر الدسوقي، المكتبة العصرية صيدا.

١٠ ـ **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان**: لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر، تحقيق: محمد عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ومكتبة الخاني الرياض، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ.

١١ ـ **إمام المفسرين والمحدثين والمؤرخين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري**: علي بن عبد العزيز الشبل، دار الوطن، الرياض، ط. الأولى، ١٤١٧هـ.

١٢ ـ **ابن جرير الطبري (سيرته ـ عقيدته ـ ومؤلفاته)**: علي بن عبد العزيز الشبل، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٣ ـ **الأحاديث المختارة**: محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة مكة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٤ ـ **الأعلام**: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط. الخامسة، ١٩٨٠م.

١٥ ـ **الأعلام**: لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٠هـ.

١٦ ـ **الإتقان في علوم القرآن**: جلال الدين عبد الرحمٰن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث.

١٧ ـ **الإتقان في علوم القرآن**: للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٠٧هـ.

١٨ ـ **الإسرائيليات في التفسير والحديث**: للدكتور محمد السيد حسين الذهبي.

١٩ ـ **الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير**: للدكتور رمزي نعناعة، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ.

٢٠ ـ **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**: الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة، مكتبة السُّنَّة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ.

٢١ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٢ ـ **الإمام الطبري (بحث في التفسير)**: لعبد الله بن مصلح آل شاكر، ط. مطابع الرياض، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود.

٢٣ ـ **الإمام الطبري**: للدكتور محمد الزحيلي، دار القلم، دمشق، الطبعة، الأولى، ١٤١٠هـ.

٢٤ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: لابن عبد البر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٥ ـ **البحر المحيط**: لمحمد بن يوسف الشهير بـ(أبي حيان الأندلسي)، (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٢٦ ـ **البداية والنهاية**: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الشهير بـ(ابن كثير)، مكتبة المعارف، بيروت.

٢٧ ـ **التبصير في معالم الدين**: للإمام محمد بن جرير الطبري، تحقيق: الشيخ علي بن عبد العزيز الشبل، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٨ ـ **الترغيب والترهيب**: المنذري عبد العظيم بن عبد القوي، دار الكتب العلمية بيروت، ط. الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٩ ـ **التفسير الصحيح موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور**: أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر، المدينة النبوية، ط. الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣٠ ـ **التفسير المنير**: د. وهبة الزحيلي، دار الفكر دمشق، ١٤١٨هـ.

٣١ ـ **التفسير والمفسرون**: د. محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة القاهرة، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ.

٣٢ ـ **التفسير والمفسرون**: للدكتور محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، الطبعة الثانية، ١٣٩٦هـ

٣٣ ـ **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**: الحافظ ابن حجر، تصحيح: عبد الله هاشم اليماني، ١٣٨٤هـ.

٣٤ ـ **التلمود تاريخه وتعاليمه**: ظفر الإسلام خان، دار النفائس، بيروت، ١٤٠١هـ.

٣٥ ـ **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**: لأبي عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق: سعيد أحمد عراب، وزارة الأوقاف المغربية.

٣٦ ـ **التوراة (تاريخها وغايتها)**: ترجمة سهيل ديب، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٣٧ ـ **التوراة (دراسة وتحليل)**: د. محمد شلبي شتيوي، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٤هـ.

٣٨ ـ **الجامع (الملحق بالمصنف لعبد الرزاق)**: معمر بن راشد الأزدي، رواية عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الثانية، ١٤٠٣هـ.

٣٩ ـ **الجامع لأحكام القرآن**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الشهير بـ(القرطبي)، القاهرة، دار الشعب.

٤٠ ـ **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: مجموعة، دار العاصمة الرياض، ط. الأولى، ١٤١٤هـ.

٤١ ـ **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**: لشيخ الإسلام ابن تيمية، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

٤٢ ـ **الخطاب اليهودي بين الماضي والحاضر**: د. زياد عليان، دار الشهاب، دمشق، ١٤٢١هـ.

٤٣ ـ **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**: دار الفكر، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ.

٤٤ ـ **الرسول ﷺ ويهود المدينة**: د. فارس الجميل، من إصدارات مؤسسة الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ.

٤٥ ـ **الروح القدس جبريل في اليهودية والنصرانية والإسلام**: د. عمر الداعوق، دار البشائر، ١٤١٧هـ.

٤٦ ـ **الروح**: للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: بسام علي سلامة العلوش، دار ابن تيمية الرياض، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ.

٤٧ ـ **السُّنَّة**: لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٠هـ.

٤٨ ـ **السنن الصغرى**: البيهقي أحمد بن الحسين بن علي، تحقيق: د. محمد ضياء الأعظمي، مكتبة الدار المدينة النبوية، ط. الأولى، ١٤١٠هـ.

٤٩ ـ **السنن الكبرى**: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الباز، مكة، ١٤١٤هـ.

٥٠ ـ **السنن الكبرى**: للبيهقي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣هـ.

٥١ ـ **السنن**: لسعيد بن منصور، تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي، الدار السلفية الهند، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ.

٥٢ ـ **السيرة النبوية**: ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي.

٥٣ ـ **السيرة النبوية**: لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ، بيروت.

٥٤ ـ **الشخصية اليهودية في القرآن**: د. صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ١٤١٩هـ.

٥٥ ـ **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**: للقاضي عياض (أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٥٦ ـ **الصهيونية بين الدين والسياسة**: عبد السميع الهراوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١١هـ.

٥٧ ـ **الطبري ومنهجه في التفسير**: د. محمود بن الشريف، دار عكاظ جدة، ط. الأولى، ١٩٨٩م.

٥٨ ـ **الطبري ومنهجه في التفسير**: للدكتور محمود بن الشريف، دار عكاظ، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٥٩ ـ **الطبري**: للدكتور أحمد محمد الحوفي، من سلسلة أعلام العرب، رقم (١٣)، مطبعة مصر.

٦٠ ـ **الطبري**: للدكتور محمد الزحيلي، من سلسلة أعلام المسلمين، دار القلم، دمشق، ١٤٢١هـ.

٦١ ـ **الطبقات الكبرى**: محمد بن سعد، دار صادر بيروت.

٦٢ ـ **العجاب في بيان الأسباب**: للحافظ ابن حجر، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٦٣ ـ **العظمة**: لأبي الشيخ الأصبهاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان)، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٦٤ ـ **العظمة**: لأبي الشيخ الأصبهاني أبي محمد عبد الله بن حمد بن جعفر بن حيان، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ.

٦٥ ـ **العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين**: حسين بن غنام، تحقيق: محمد بن عبد الله الهبدان، دار القاسم الرياض، ط. الأولى، ١٤٢٣هـ.

٦٦ ـ **العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية**: د. سعد الدين صالح، دار الصفا، القاهرة، ١٤١٠هـ.

٦٧ ـ **العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها**: أحمد الزغيبي، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٠٨هـ.

٦٨ ـ **الفردوس بمأثور الخطاب**: لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ.

٦٩ ـ **الفرق بين الفرق**: لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفرائيني التميمي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.

٧٠ ـ **الفِصَل في الملل والأهواء والنحل**: لابن حزم أبي محمد علي بن أحمد الظاهري، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، ود. عبد الرحمٰن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٧١ ـ **الفكر الديني اليهودي**: حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، ١٤١٦هـ.

٧٢ ـ **الفهرست**: لابن النديم، دار المعرفة، بيروت.

٧٣ ـ **الفهرست**: لابن النديم، مكتبة خياط، بيروت.

٧٤ ـ **القاموس المحيط**: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الجيل، بيروت.

٧٥ ـ **القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان**: حسن الباش، دمشق، دار قتيبة، ١٤٢٠هـ.

٧٦ ـ **القراءات العشر المتواترة على هامش المصحف**: لعلوي بلفقيه، دار المهاجر، المدينة النبوية، ١٤١٤هـ.

٧٧ ـ **القصص القرآني**: د. صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ١٤١٩هـ.

٧٨ ـ **الكامل في التاريخ**: لابن الأثير (علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٠٦هـ. ودار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٧٩ ـ **الكامل في ضعفاء الرجال**: عبد الله بن عدي، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، ط. الثالثة، ١٤٠٩هـ.

٨٠ ـ **الكنز المرصود في قواعد التلمود**: ترجمة: د. يوسف نصر الله، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٨١ ـ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: مجموعة، قطر، ط. الأول، ١٤٠٢هـ.

٨٢ ـ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الشهير بـ(ابن عطية)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٨٣ ـ **المحلى**: ابن حزم، تصحيح: أحمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٨٤ ـ **المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم**: للدكتور محمد علي البار، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٨٥ ـ **المستدرك على الصحيحن**: الحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤١١هـ.

٨٦ ـ **المستدرك على الصحيحين في الحديث**: للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الشهير بـ(الحاكم النيسابوري)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٧ ـ **المستدرك على معجم المؤلفين**: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ.

٨٨ ـ **المسند**: للإمام أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٣٧٨هـ، ونسخة دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٨٩ ـ **المصنف في الأحاديث والآثار**: لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي، ضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٦هـ.

٩٠ ـ **المصنف في الأحاديث والآثار**: لابن أبي شيبة، تحقيق: أ. عبد الخالق الأفغاني، الدار السلفية، الهند، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

٩١ ـ **المعجم الأوسط**: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين الأهرة.

٩٢ ـ **المعجم الكبير**: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، نشر وزارة الأوقاف العراقية، ط. الأولى، ١٤٠٠هـ.

٩٣ ـ **المعجم الكبير**: للحافظ الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مطبعة الزهراء الحديثة، الطبعة الثانية.

٩٤ ـ **الملل والنحل**: الشهرستاني، تحقيق: عبد الأمير مهنا، علي فاعور، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٩٥ ـ **الملل والنحل**: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني، تحقيق: أمير علي مهنا، وعلي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، ط. السادسة، ١٤١٧هـ.

٩٦ ـ **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**: عبد الرحمٰن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٢هـ.

٩٧ ـ **الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة**: للشيخين ناصر القفاري وناصر العقل، دار الوطن، الرياض.

٩٨ ـ **الموسوعة الفلسطينية**: المجلد الثاني، ١٩٨٤م.

٩٩ ـ **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**: للندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط. الثالثة، ١٤١٨هـ.

١٠٠ ـ **النفاق والمنافقون في عهد رسول الله ﷺ**: إبراهيم علي سالم، دار الشعب، القاهرة.

١٠١ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**: للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، الشهير بـ(ابن الأثير)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

١٠٢ ـ **النهاية في غريب الحديث**: لابن الأثير أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة الإسلامية.

١٠٣ ـ **الوثائق السياسية في العهد النبوي**: محمد حميد الله، دار الإرشاد، دمشق.

١٠٤ ـ **اليهود تاريخ وعقيدة**: د. كامل سعفان، دار الاعتصام، القاهرة، ١٤٠٨هـ.

١٠٥ ـ **اليهود في القرآن**: صلاح أبو إسماعيل، دار الصحوة، القاهرة.

١٠٦ ـ **اليهود في القرآن**: عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٠هـ.

١٠٧ ـ **اليهود في موكب التاريخ**: صابر طعيمة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٤٠٢هـ.

١٠٨ ـ **اليهود واليهودية**: علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة.

١٠٩ ـ **الله** ﷻ والأنبياء ﵈ **في التوراة والعهد القديم**: للدكتور محمد علي البار، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١١٠ ـ **تأثر اليهودية بالأديان الوثنية**: للدكتور فتحي محمد الزغبي، دار البشير، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١١١ ـ **تاج العروس للزبيدي**: تحقيق: إبراهيم الترزي، ١٣٩٣هـ.

١١٢ ـ **تاريخ الأمم والملوك**: (تاريخ الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت.

١١٣ ـ **تاريخ الأمم والملوك**: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٢٢هـ.

١١٤ ـ **تاريخ بغداد**: لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٥ ـ **تاريخ بغداد**: للخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي)، ت٤٦٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٦ ـ **تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم**: محمد عزة دروزة، المكتبة العصرية، صيدا، ١٣٨٩هـ.

١١٧ ـ **تاريخ دمشق**: لابن عساكر، تحقيق: محب الدين أبي سعيد بن غرامة العمروي، دار الفكر، ط. الأولى، ١٤٢١هـ.

١١٨ ـ **تاريخ دمشق**: للحافظ أبي القاسم علي بن الحسن المعروف، بـ(ابن عساكر)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ.
١١٩ ـ **تاريخ اللغات السامية**: إسرائيل ولفنسون، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠م.
١٢٠ ـ **تذكير النفس بحديث القدس**: د. سيد حسن العفاني، مكتبة دار البيان الطائف، ١٤٢١هـ.
١٢١ ـ **تفسير أبي السعود المسمَّى: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)**: أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث، بيروت.
١٢٢ ـ **تفسير ابن أبي حاتم المسمَّى تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين**: تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط. الأولى، ١٤١٧هـ.
١٢٣ ـ **تفسير ابن أبي حاتم**: تحقيق: أسعد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.
١٢٤ ـ **تفسير البيضاوي المسمَّى أنوار التنزيل وأسرار التأويل**: عبد الله بن عمر البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ.
١٢٥ ـ **تفسير التحرير والتنوير**: للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، ١٩٧٣م.
١٢٦ ـ **تفسير الحسن البصري**.
١٢٧ ـ **تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن**: تحقيق: أحمد ومحمود محمد شاكر، دار المعارف مصر، ط. الثانية.
١٢٨ ـ **تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل آي القرآن**: للإمام الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٢هـ.
١٢٩ ـ **تفسير عبد الرزاق**: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية بيروت، ط. الأولى، ١٤١٩هـ.
١٣٠ ـ **تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار**: لمحمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط. الثانية.
١٣١ ـ **تفسير القرآن**: للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني، (ت٢١١هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
١٣٢ ـ **تفسير القرآن**: محمود شلتوت، حلقات في مجلة رسالة الإسلام.
١٣٣ ـ **تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن**: للقرطبي أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط. الثانية.

١٣٤ ـ **تفسير مجاهد**: لأبي الحجاج مجاهد بن جبر، تحقيق: عبد الرحمٰن الطاهر بن محمد السورتي، مطابع الدوحة الحديثة.

١٣٥ ـ **تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل**: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، عناية: عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة، بيروت، ط. الأولى، ١٤٢١هـ.

١٣٦ ـ **تقريب التهذيب**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: أبي الأشباب صغير أحم شاغف الباكستاني، دار العامة الرياض، ط. الأولى، ١٤١٦هـ.

١٣٧ ـ **تقريب التهذيب**: للحافظ ابن حجر، تحقيق: محمد عوامة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ.

١٣٨ ـ **تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري**: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد بن علي عجال، مكتبة الغرباء المدينة النبوية، ط. الأولى، ١٤١٧هـ.

١٣٩ ـ **تهذيب الآثار**: ابن جرير الطبري (الجزء المفقود)، تحقيق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، دار المأمون، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٦هـ.

١٤٠ ـ **تهذيب الأسماء واللغات**: لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤١ ـ **تهذيب الأسماء واللغات**: للنووي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ.

١٤٢ ـ **تهذيب التهذيب**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٤٣ ـ **تهذيب التهذيب**: للحافظ ابن حجر، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٤٤ ـ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثانية، ١٤٠٣هـ.

١٤٥ ـ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (ت٧٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤١٥هـ.

١٤٦ ـ **تهذيب اللغة**: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٤هـ.

١٤٧ ـ **تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان**: للعلامة الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.

١٤٨ ـ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد ومحمد شاكر، ومحمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ونسخة أخرى غير محققة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ، ونسخة دار الفكر، ١٤٠٥هـ، بيروت.

١٤٩ ـ **جذور البلاء**: عبد الله التل، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٩هـ.

١٥٠ ـ **جهود الإمامين ابن تيمية وابن قيم الجوزية في دحض مفتريات اليهود**: سميرة عبد الله بكر بناني، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ.

١٥١ ـ **حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى وأثرها على العالم الإسلامي**: د. أحمد زايد، دار المعالي، عمّان، ١٤٢٠هـ.

١٥٢ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥٣ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت٤٣٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٥٤ ـ **خطر التوراة على الكتَّاب العرب المحدثين**: فضل بن عمار العماري، الرياض، مكتبة التوبة، ١٤١٩هـ.

١٥٥ ـ **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية**: جمع د. محمد السيد جليند، مؤسسة القرآن دمشق، ط. الثانية، ١٤٠٤هـ.

١٥٦ ـ **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**: للبيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٥٧ ـ **دلائل النبوة ومعرفة صاحب الشريعة**: للبيهقي أحمد بن الحسين، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٥٨ ـ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: الآلوسي أبو الفضل محمود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الرابعة، ١٤٠٥هـ.

١٥٩ ـ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: للعلامة محمود شكري الآلوسي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.

١٦٠ ـ **زاد المسير في علم التفسير**: دار الكتاب العربي، بيروت، ط. الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٦١ ـ **زاد المسير في علم التفسير**: للإمام أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي الجوزي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ.

١٦٢ ـ **زاد المعاد في هدي خير العباد**: لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ط. الثالثة، ١٤٠٢هـ.

١٦٣ ـ **زاد المعاد في هدي خير العباد**: لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

١٦٤ ـ **سلسلة الأحاديث (الصحيحة والضعيفة)**: للشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

١٦٥ ـ **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، ١٤١٥هـ.

١٦٦ ـ **سلسلة الأحاديث الضعيفة**: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٦٧ ـ **سنن أبي داود**: للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، ضبط: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة الإسلامية، إستانبول، تركيا.

١٦٨ ـ **سنن ابن ماجه**: لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، بيت الأفكار الدولية الرياض.

١٦٩ ـ **سنن ابن ماجه**: للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.

١٧٠ ـ **سنن الترمذي**: للحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧١ ـ **سنن الدارقطني**: لعلي بن عمر الدارقطني، تصحيح: عبد الله هاشم يماني، دار المحاسن القاهرة.

١٧٢ ـ **سنن الدارمي**: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمٰن الدارمي، تحقيق: عبد الله هاشم، نشر حديث أكاديمي باكستان، ١٤٠٤هـ.

١٧٣ ـ **سنن سعيد بن منصور**: للحافظ سعيد بن منصور، تحقيق: د. سعد بن عبد الله آل حميد، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٧٤ ـ **سير أعلام النبلاء**: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثالثة، ١٤٠٥هـ.

١٧٥ ـ **سير أعلام النبلاء**: للحافظ الذهبي، تحقيق: جماعة من العلماء، بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.

١٧٦ ـ **شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة من الكتاب وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم**: للالكائي أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، تحقيق: د. أحمد سعد الحمدان، دار طيبة، الرياض.

١٧٧ ـ **شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم**: للحافظ هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض.

١٧٨ ـ **شرح صحيح مسلم**: للنووي أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، دار القلم بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٧٩ ـ **شعب الإيمان**: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٠هـ.

١٨٠ ـ **شعب الإيمان**: للإمام البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٨١ ـ **صحيح ابن خزيمة**: لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٨٢ ـ **صحيح البخاري**: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، عناية: أبي صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ.

١٨٣ ـ **صحيح الترغيب والترهيب**: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، ط. الأولى، ١٤٢١هـ.

١٨٤ ـ **صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير**: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الثانية، ١٤٠٦هـ.

١٨٥ ـ **صحيح مسلم**: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

١٨٦ ـ **صحيح مسلم**: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، عناية: أبي صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ.

١٨٧ ـ **صريح السُّنَّة**: ابن جرير الطبري، تحقيق: بدر بن يوسف المعتق، دار الخلفاء الكويت، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٨٨ ـ **صريح السُّنَّة**: لابن جرير الطبري، تحقيق: بدر بن يوسف المعتوق، مطابع القبس التجارية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
١٨٩ ـ **صفة الصفوة**: لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمود فاخوري، دار المعرفة، بيروت، ط. الرابعة، ١٤٠٦هـ.
١٩٠ ـ **ضعيف الترغيب والترهيب**: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، ط. الأولى، ١٤٢١هـ.
١٩١ ـ **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط. الثانية، ١٤٠٨هـ.
١٩٢ ـ **طبقات الحفاظ**: السيوطي جلال الدين عبد الرحمٰن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ.
١٩٣ ـ **طبقات الشافعية الكبرى**: لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٤هـ.
١٩٤ ـ **طبقات الشافعية الكبرى**: لعبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: د. محمود الطناحي، ود. عبد الفتاح الحلو، هجر القاهرة، ط. الثانية، ١٤١٣هـ.
١٩٥ ـ **طبقات المفسرين**: للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي، تحقيق: علي محمد عمر، مطبعة الاستقلال الكبرى، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ.
١٩٦ ـ **طبقات المفسرين**: للداوودي محمد بن علي بن أحمد، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة القاهرة، ط. الثانية، ١٤١٥هـ.
١٩٧ ـ **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**: بدر الدين العيني، دار إحياء التراث، بيروت.
١٩٨ ـ **غاية النهاية في طبقات القراء**: لابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الثالثة، ١٤٠٢هـ.
١٩٩ ـ **غريب الحديث**: ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني بغداد، ط. الأولى، ١٣٩٧هـ.
٢٠٠ ـ **غريب الحديث**: لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة مصورة عن دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٦هـ.
٢٠١ ـ **غريب القرآن**: لابن قتيبة.

٢٠٢ ـ **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**: جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، دار العاصمة، الرياض، ط. الأولى، ١٤١١هـ.

٢٠٣ ـ **فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري**: للحافظ ابن حجر، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

٢٠٤ ـ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الريان القاهرة، ط. الثانية، ١٤٠٧هـ.

٢٠٥ ـ **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**: الشوكاني، مكتبة المعارف الرياض.

٢٠٦ ـ **فتح القدير**: للعلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٣هـ.

٢٠٧ ـ **فهارس رجال تفسير إمام المفسرين ابن جرير الطبري الذي ترجم لهم أحمد ومحمود شاكر**: صنعه: علوي السقاف، دار الهجرة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٢٠٨ ـ **قاموس الكتاب المقدس**.

٢٠٩ ـ **قصة الأديان (دراسة تاريخية مقارنة)**: دار المطبوعات الدولية، ١٤٠٠هـ.

٢١٠ ـ **قصص الأنبياء**: لابن كثير، تحقيق: سليم الهلالي، دار النبلاء، عمان، ١٤٢٣هـ.

٢١١ ـ **كنز العمال**: للمتقي الهندي، دار الكتب العلمية.

٢١٢ ـ **لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)**: لعلاء الدين علي البغدادي الشهير بالخازن، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٣٧٥هـ.

٢١٣ ـ **لباب النقول**: للسيوطي، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤٩٨هـ.

٢١٤ ـ **لسان العرب**: للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت.

٢١٥ ـ **لسان الميزان**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٦هـ.

٢١٦ ـ **لسان الميزان**: للحافظ ابن حجر، شركة علاء الدين للطباعة والتجليد، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ.

٢١٧ ـ **لماذا لعن اليهود؟**: أحمد الحاج، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٥هـ.

٢١٨ ـ **مجلة البلاغ**: (من خلال موقعها على الشبكة العنكبوتية).

٢١٩ ـ **مجلة رسالة الإسلام**: عدد (٢٧) موقع المجلة على الإنترنت.

٢٢٠ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: للحافظ الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٢١ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر، دار الريان، القاهرة، ١٤٠٧هـ.

٢٢٢ ـ **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**: جمع وترتيب: عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي، مكتبة المعارف، المغرب، ١٤٠٤هـ.

٢٢٣ ـ **مجموع الفتاوى**: جمع وترتيب عبد الرحمٰن بن قاسم العاصمي، ط. الأولى، ١٣٩٨هـ.

٢٢٤ ـ **محاسن التأويل**: للعلامة محمد جمال الدين القاسمي، تصحيح وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.

٢٢٥ ـ **محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)**: تأليف: الشيخ محمد الخضري بك.

٢٢٦ ـ **مختار الصحاح**: محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ.

٢٢٧ ـ **مسند أبي يعلى**.

٢٢٨ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: تحقيق: مجموعة بإشراف، د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٣هـ.

٢٢٩ ـ **مسند عبد بن حميد**: تحقيق: صبحي السامرائي، مكتبة السُّنَّة، القاهرة، ١٤١٨هـ.

٢٣٠ ـ **مشكل الآثار**: الطحاوي.

٢٣١ ـ **معالم التنزيل في التفسير والتأويل**: البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء، دار الفكر، بيروت، ط. ١٤٠٥هـ.

٢٣٢ ـ **معجم الأدباء**: لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، دار إحياء التراث، بيروت.

٢٣٣ ـ **معجم الأدباء**: لياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، لبنان.

٢٣٤ ـ **معجم البلدان**: لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٢٣٥ ـ **معجم البلدان**: ياقوت بن عبد الله الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٢٣٦ ـ **معجم شيوخ الطبري**: أكرم زيادة، عمان، ١٤٢١هـ.

٢٣٧ ـ **معركة الوجود بين القرآن والتلمود**: د. عبد الستار السعيد، دار النصر، القاهرة، ١٤٠٠هـ.

٢٣٨ ـ **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**: للعلامة محمد بن عمر فخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ.

٢٣٩ ـ **مفصل العرب واليهود في التاريخ**: د. أحمد سوسة، الطبعة الخامسة، ١٩٨١م، دار الحرية للطباعة، دار الإيمان، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

٢٤٠ ـ **مقدمة العلامة ابن خلدون**: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٨هـ.

٢٤١ ـ **مقدمة في أصول التفسير**: لشيخ الإسلام ابن تيمية (تقي الدين أحمد بن عبد الحليم)، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ.

٢٤٢ ـ **مكايد يهودية عبر التاريخ**: عبد الرحمٰن الميداني، دار القلم، دمشق، ١٣٩٨هـ.

٢٤٣ ـ **منهاج السُّنَّة**: لابن تيمية، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

٢٤٤ ـ **موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية**: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، ١٩٧٥م. **وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**: د. عبد الوهاب المسيري.

٢٤٥ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: للذهبي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

٢٤٦ ـ **نوابغ الرواة في رابعة المئات (البدأ والتاريخ)**: المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر.

٢٤٧ ـ **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**: لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: أحمد حجازي السقا، المكتبة القيمة مصر، ط. الرابعة، ١٤٠٧هـ.

٢٤٨ ـ **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**: للعلامة محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت. مؤسسة مكة للطباعة.

٢٤٩ ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ.

٢٥٠ ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٧هـ.

٣ ـ فهرس المحتوى

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة



دار ابن الجوزي 8428146
161919